

كشِفُ الغُمَّةِ

الجامعُ لأخبارِ الأُمَّةِ

تصنيف
الشيخ سِرْحَانُ بنِ سَعِيدِ الإزْكَوِيِّ
(القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي)

تحقيق وتقديم

أ.د. مُحَمَّدُ حَبِيبُ صَالِح
د. مُحَمَّدُ بنِ مَبَارَكِ السَّلِيمِيِّ

الجزء الأول



الطبعة الثانية
٢٠١٣ هـ - ١٤٣٤ هـ

كشِفُ الغُمَّةِ

الجامع لأخبار الأئمة

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة
لوزارة التراث والثقافة
سلطنة عُمان

الطبعة الثانية
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

سلطنة عُمان - ص.ب.: ٦٦٨ مسقط، الرمز البريدي: ١٠٠
هاتف: ٢٤٦٤١٣٠٠ / ٢٤٦٤١٣٢٥، فاكس: ٢٤٦٤١٣٣١
البريد الإلكتروني: info@mhc.gov.om
موقع الوزارة على الإنترنت: www.mhc.gov.om

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل
من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أو
الإلكترونية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو سواء وحفظ
المعلومات واسترجاعها - إلا بإذن خطي من الناشر.

سِلْطَنَةُ عُمَانَ
وَزَارَةُ الشَّرَافِ وَالثَّقَافَةِ

كَشْفُ الْغُمَّةِ الْجَامِعُ لِأَخْبَارِ الْأُمَّةِ

تصنيف
الشيخ سِرْحَانَ بنِ سَعِيدِ الْإِرْزُكُوِي
(القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي)

تحقيق وتقديم
أ. د. مُحَمَّدُ حَبِيبِ صَالِحٍ د. د. مُحَمَّدُ بنِ مَبَارَكِ السَّلِيحِيِّ

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

تُعَدُّ مسألة إعادة طباعة الكتب والمخطوطات المحققة ظاهرة صحية في الأوساط العلمية والأكاديمية، تعكس حقيقة اهتمام الجهة المسؤولة عن الإصدار والمؤلفين والمحققين بإصداراتهم ومؤلفاتهم، وبآراء جماهير القراء المتلقين من جهةٍ، ومدى حرصهم على تغيير واقع الحال، وسد الثغرات وتجنب بعض الأخطاء التي تنشأ من اشتراك أكثر من طرف في عملية الإخراج والطباعة من جهةٍ أخرى.

وبناءً عليه، ونظراً للقيمة العلمية الكبيرة لكتاب: «كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة» لما يحتوي عليه من ثروة علمية ومادة تاريخية عن عُمان والأمة الإسلامية كلها، وحرصاً منا على إبرازه بالصورة المثالية وفق ضوابط التحقيق العلمي وقواعده وشروطه الأكاديمية، فقد قمنا بمراجعة شاملة لعملية التحقيق للطبعة الأولى، وأدخلنا بعض التعديلات في الطبعة الثانية منها:

١- إضافة عناوين فرعية إلى النص في بعض أبواب الكتاب، ووضعناها بين قوسين [.....] لتسهيل مهمة الباحثين الذين يعتمدون على هذا المصدر التاريخي المهم، ومساعدة القارئ الكريم في الاستفادة أكثر وبطريقة أسهل من المادة العملية التي يتضمنها هذا العمل الموسوعي القيم.



٢ - تعديل بعض الحواشي التي وردت في الطبعة الأولى، وبخاصة ما يتصل منها بترجمة بعض الأعلام، والمصادر التي تمّ الاعتماد عليها، وتقديم نبذة عن المدن والبلدات العُمانية، بعد صدور كتب ومؤلفات رأينا ضرورة الاعتماد عليها، لأنها تساهم في إثراء عملية التحقيق بحد ذاتها.

٣ - مراجعة النص المحقق كاملاً والحواشي في الطبعة الأولى، وتصحيح الأخطاء الطباعية، بالإضافة إلى استدراك بعض الحواشي التي سقطت في الطبعة الأولى، وإن كانت قليلة.

٤ - إعادة طباعة الكتاب بإخراج جديد في ثلاثة أجزاء بما في ذلك الفهارس، بدلاً من سبعة أجزاء (الطبعة الأولى) وتقديمه للقارئ الكريم والباحثين المتخصصين بمظهر لائق يتناسب والقيمة العلمية الكبيرة للكتاب.

٥ - نظرًا للإقبال الواسع من قبل جماهير القراء الأعضاء على شراء الطبعة الأولى في عُمان وخارجها، حرص المسؤولون في وزارة التراث والثقافة العُمانية على إصدار الطبعة الثانية، ووضعها بيد القارئ العربي للتعريف بتراث عُمان الفكري والعملية، وانجازات علمائها في مجال الثقافة والحضارة الإسلامية كلها.

وأخيراً، لا نستطيع أن ندّعي الكمال، فالنّمال لله وحده، لكننا نتوخى دائماً تقديم كل ما هو أفضل، مع ضرورة التأكيد على أنه من دواعي سرورنا وسعادتنا أن نتلقى ملاحظات القارئ الكريم حول هذه الطبعة.

والله ولي التوفيق،

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نظراً لأهمية المخطوطات التاريخية العُمانية والمكانة الكبيرة والمميزة التي تشغلها وسط المصادر التاريخية الأخرى، وللدور الذي تمثله عملية إخراج المخطوطات والكتب التراثية إلى النور في إحياء التراث الفكري والعلمي والحضاري العُماني، وإدراكاً منها لحقيقة امتلاك عُمان عدد كبير من المخطوطات التاريخية التي ترقى إلى مستوى الأعمال الموسوعية الضخمة، تحرص وزارة التراث والثقافة العُمانية والقائمون عليها على الكشف عن كنوز هذه الثروة القومية ووضعها في أجلى صورها وأحسن أحوالها بين أيدي المؤرخين والباحثين والقراء، في وقت تشهد فيه سلطنة عُمان ثورة حقيقية في مجال التعليم والثقافة، وارتأى القائمون عليها عدم نشر أي مخطوط كما هو من دون تحقيق وتقديم وفق مناهج البحث التاريخي والعلمي والأدبي، ومن دون دراسة تؤدي إلى إخراجه بطريقة علمية صحيحة، للاستفادة منه كما يجب وبالشكل الأمثل.

ولما كان مخطوط «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» يمثل درة المخطوطات العُمانية والمصدر الأول في كتابة تاريخ عُمان عبر العصور، ونظراً لقيمتها العلمية الكبيرة، وحاجة المكتبة العُمانية والعربية والإسلامية إليه، وحاجتنا نحن المحققين محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي إلى أن نهمل المزيد من معين التاريخ والأدب والثقافة العُمانية، قررنا أن نخوض عباب بحر مؤلفه العالم المؤرخ المفكر سرحان بن سعيد الإزكوي الذي ترك



بعمله العلمي هذا بصمات واضحة في تاريخ الفكر والثقافة العُمانية، وأن نخرج موسوعته التاريخية الرائعة محققة وفق ضوابط البحث العلمي وشروطه الأكاديمية.

سرحان بن سعيد الإزكوي، عصره وحياته :

هو العالم المؤرخ الفقيه سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بلحسن بن سرحان أمبو علي الإزكوي^(١) شيخ المؤرخين العُمانيين، ومؤلف أول موسوعة تاريخية عُمانية، تحدث فيها عن تاريخ عُمان منذ الجاهلية وحتى أواسط العصر الحديث.

يعدّ سرحان بن سعيد الإزكوي من علماء عُمان في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، ولا يعرف تاريخ مولده، ولا تاريخ وفاته. إلا أنه من الثابت تاريخياً أنه عاصر فترة من عهد اليعاربة ونهاية دولتهم، وشهد الأحداث التي عاشتها عُمان في أواخر أيام اليعاربة ومطلع عهد الدولة البوسعيدية. فقد انتهى من كتابة مخطوطته هذه في يوم الجمعة ٢٣ محرم سنة ١١٤٦ هـ / ١٧٣٤ م^(٢). ولما كان انجاز هذا العمل العلمي يحتاج إلى سنوات وأن يكون المؤلف في سن النضوج العقلي والعطاء الفكري والعلمي، فإننا نستطيع أن نضع تاريخاً تقريباً لميلاده ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م.

فقد «أدرك أيام الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وحضر البيعة الثانية له بنزوى سنة ١١٦٧ هـ/١٧٥٥م، بعد البيعة له بالرستاق سنة (١١٦٢ هـ/١٧٤٩م)^(٣). وهذا ما يستنتج صراحة من قوله: «أنا أول من بايع الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الأزدي الأدمي، وحضر البيعة حبيب بن

(١) هكذا ورد اسمه في الصفحة الأخيرة من النسخة الأصلية من مخطوطته الشهيرة «كشف الغمة الجامع لأخبار الأئمة» ص ٥٥٨. وهي النسخة التي كتبها بخط يده، وانتهى من كتابتها كما يشير في الصفحة نفسها في ٢٣ محرم سنة ١١٤٦ هـ/١٧٣٤ م.

(٢) انظر الصفحة ٥٥٨ من النسخة الأصلية (ب).

(٣) انظر: البطاشي: سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، مسقط، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ج ٣، ص ٢٤٠.

سالم أبو سعيدي العقري النزوي... والشيخ محمد بن عامر المعولي، والشيخ جاعد بن سالم السلامي، وأنا الفقير سرحان بن سعيد أبو علي الإزكوي». وهاهنا أُلّف هذا الكتاب، وهذا الإمام يزداد قوّة بعُمان، وكانت بيعته بنزوى بعد موت الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان، طَرَسَ لنا وبايعناه، وانتقل الملك من السادة آل يعرب إلى الإمام أحمد بن سعيد، وذلك سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٥م^(١). وبالتالي فإن وفاة سرحان بن سعيد بعد هذا التاريخ، ويمكننا وضع تاريخ تقريبي لوفاته بين عامي (١١٦٧ - ١١٧٧ هـ / ١٧٥٥ - ١٧٦٥ م).

وقد ترجم له العلامة سيف بن حمود البطاشي في كتابه «إتحاف الأعيان» باسم «سرحان بن سعيد بن سرحان بن سعيد بن عمر السرحني الإزكوي، وقال: وفي بعض الأوراق إنه أبو علي»^(٢). وقال: «وقد اختلفت الروايات في نسبه، فقيل: إنه سرحني، وفي أكثر من رواية: إنه أبو علي، وهو ما يدل عليه كلام اطلعت عليه من أوراق قديمة»^(٣). وأضاف: «كلامه صريح في انتسابه إلى أبو علي»^(٤). وهذا الكلام الصريح يتطابق مع اسمه أيضاً في الصفحة الأخيرة من مخطوطته الشهيرة التي كتبها بخط يده، مما لا يدع مجالاً للشك في صحة نسبة أبو علي.

والإزكوي هو مؤلف كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» الذي يعدّ أهم مصادر التاريخ العُماني، وأقدم موسوعة تاريخية عُمانية، وقد وصفه البطاشي بقوله: «وعلى ندرة المؤلفات في التاريخ العُماني، فهو يعدّ مرجعاً في تاريخ عُمان»^(٥). غير أنه أشار إلى وجود اختلاف في عنوان الكتاب، فقال:

(١) البطاشي، المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.



«ومن مؤلفاته كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة»^(١). لكن هذا الاختلاف لا يغير من واقع الأمر شيئاً، فقد ذكر المؤلف سرحان بن سعيد الإزكوي عنوان كتابه في مقدمة الكتاب، حيث قال: «وقد سميت كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة»^(٢). وهذا القول موجود في مقدمة جميع النسخ المتوافرة من المخطوطة، وفي النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده.

تجدد الإشارة هنا إلى أن بعض الكتاب والمؤرخين المعاصرين من غير العُمانيين من عرب وأجانب أحالوا نسبة كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» إلى مؤلف مجهول، ويعود السبب في ذلك إلى أن نساخ المخطوطة لم يذكروا اسم المؤلف، وذكروا أسماءهم، ولمن نسحوها، في غالب الأحيان، ناهيك عن أن جميع هؤلاء الكتاب والمؤرخين لم يتمكنوا من الحصول على النسخة الأصلية من المخطوطة. وقد أشار البطاشي إلى هذه المسألة بقوله: «وقد حاول بعض الكتاب المعاصرين من غير العُمانيين نسبة الكتاب إلى غير الإزكوي، وذلك غير صواب، فإن كتاب كشف الغمة هو للمؤلف المذكور، وقد أطبق المؤلفون الذين جاؤوا من بعده إلى نسبة الكتاب إليه... والكتاب الذي نحن بصدد التعريف عنه، هو عندنا أشهر من نار على علم، إنه لمؤلفه الشيخ سرحان بن سعيد الإزكوي»^(٣). لكن وبما أن النسخة الأصلية من المخطوطة بخط المؤلف نفسه، مذيلة باسمه كاملاً «سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بن بلحسن بن سرحان أمبو علي» وبتاريخ انتهائه من تأليفها، فإننا نجد أنفسنا نحن المحققين في حلّ من الدخول في نقاش حول مسألة حسمت نتيجتها، وبأن اسم المؤلف واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. ونذكر

(١) البطاشي، المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

(٢) انظر النسخة الأصلية من مخطوطة: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ص ٢.

(٣) انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج ٣، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

أخيراً كل من وقع في هذا الخطأ ودونه في أعماله العلمية أن يعيد قراءة ما كتبه وتصحيح هذا الخطأ، فالتاريخ لا يرحم، وربما يجد من يدينه بالاعتداء على حقوق المؤلف وخيانة الأمانة العلمية، والتقصير والجهل بقواعد البحث العلمي والمنهجية العلمية الصحيحة وشروط التحقيق، وواجبات المحقق والابتعاد عن الموضوعية في التعامل مع المخطوطات التاريخية.

أهمية تحقيق مخطوطة كشف الغمة في إبراز معالم التاريخ العُماني:

التاريخ علم من حيث منهجيته وأدواته وأساليبه، ولذا قيل: إن الكتابة التاريخية متغيرة ومتحولة وغير ثابتة نظراً لاستمرار الكشوفات الوثائقية والأثرية، وبخاصة المخطوطات. وتحقيق المخطوطات التاريخية يغير من واقع الحال في مجال البحوث والدراسات التاريخية، ويساعد إلى حد بعيد في «تجديد التاريخ»، ولا يُقصد بالتجديد هنا إلغاء ما سبق من الوقائع والأحداث التاريخية، أو تزويرها، أو طمسها، وإنما يقصد بذلك التجديد الذي يؤدي إلى سد الثغرات، وتقديم مادة علمية تاريخية جديدة ومهمة، فكيف الحال والحديث يجري هنا عن مخطوطة تعدّ المصدر الأول والأكثر أهمية وقيمة ووزناً علمياً بين المصادر التاريخية العُمانية، واعتمد عليه كل شيوخ المؤرخين العُمانيين الذين تصدوا من بعده لمهمة كتابة التاريخ العُماني، نظراً لما تقدمه من معلومات قيمة عن تاريخ عُمان.

وتكمن أهمية إخراج هذه المخطوطة إلى النور في كونها تعدّ عملاً موسوعياً بامتياز، يقدم مادة دسمة، تساعد في دراسة الوقائع والأحداث التاريخية التي جرت في التاريخين العربي والإسلامي عامة، والعُماني خاصة، كتبها شيخ المؤرخين العُمانيين سرحان بن سعيد الإزكوي في جوّ من الحرية، وبعيداً عن المؤثرات السياسية الضاغطة، التي تلعب دوراً بارزاً وخطيراً في



تعطيل العمل الفكري والتاريخي. فقد كان الإزكوي مؤرخاً حراً، وبالتالي كان من الطبيعي أن يقدم عملاً فكرياً حقيقياً، وأثبت في مخطوطته هذه أن النشاط الذي بذله مبتغياً من ورائه بناء صرح عالمه التاريخي نشاط صادر عن إرادة حرّة، إذ لا تاريخ من دون حقيقة، ولا حقيقة من دون حرية.

وأخيراً، استطاع الإزكوي أن يقدم للباحثين والمؤرخين مادة علمية تاريخية قيمة ونادرة عن تاريخ عُمان، واحتفظ لنا وللتاريخ في مخطوطته هذه بمجموعة من الخطب والرسائل (خطبة أبي حمزة الشاري في المسجد النبوي الشريف، رسائل عبد الله بن إياض إلى عبد الملك بن مروان). كما تعدّ المادة العلمية والتاريخية التي قدّمها لنا في هذه المخطوطة عن تاريخ عصر النباهنة وعصر اليعاربة ذرّة عمله الموسوعي هذا. فهو الشاهد الحي، والمصدر الناطق، والمؤلف المبدع لتاريخه عهد دولة اليعاربة من دون منازع.

منهجية الإزكوي وأسلوبه في الكتابة :

المعرفة التاريخية هي بطبيعتها معرفة غير مباشرة، لأن المؤرخ يتناول في كثير من الأحيان وقائع أمور وقعت في الأزمنة السالفة، ولهذا يختلف منهج علم التاريخ اختلافاً أساسياً عن منهج العلوم المباشرة. فالعمل في التأريخ عمل نقدي من الطراز الأول، والتاريخ شأنه شأن أية دراسة أخرى ينطوي على أخطاء واقعية تنشأ أحياناً عن نقص في الانتباه، لكنه أكثر تعرضاً من غيره للأخطاء الناشئة عن اختلاط الذهن الذي قد يؤدي إلى القيام بتحليلات ناقصة وعقد استدلالات باطلة، وربما تطل هذه القاعدة شريحة واسعة من المؤرخين، إلا أننا هنا أمام حالة استثنائية عن هذه القاعدة. فقد تمكن الإزكوي بحكم ثقافته الواسعة ومعرفته التاريخية الموسوعية أن يقدم لنا مخطوطته هذه بأسلوب المؤرخ الذي تهمة المادة التاريخية أكثر مما تهمة البلاغة والأساليب البيانية،

وقدم سرداً منطقياً ومتوازناً للحقائق بعبارات موجزة وواضحة ومفهومة. ولدى وصفه للمناسبات والأحداث الخطيرة استشهد بأشعار شعراء معاصرين لها. واتبع أسلوب التأريخ الحولي لأحداث عصر الرسول ﷺ، أي على أساس السنين، وعلى أسلوب التأريخ للخلفاء في عصر الدولة الراشدية، في حين اتبع أسلوب التأريخ على أساس الموضوعات في بقية الأبواب الأخرى من المخطوطة.

وقد أحسن انتقاء المصادر التاريخية التي اعتمد عليها في كتابة المخطوطة، فجاءت في غالبيتها من أمهات مصادر التاريخ الإسلامي، غير أنه لم يشز إليها، وتطلبت عملية التعرف عليها جهداً إضافياً منا نحن المحققين لدى مقارنة نص المادة العلمية لديه مع تلك المصادر.

مخطوطة كشف الغمة من خلال نسخها ومصادر الإزكوي في تأليفها :

أدرك العُمانيون بشكل عام، والمؤرخون والعلماء والأدباء منهم بشكل خاص منذ ما يقرب من قرنين من الزمن الأهمية العلمية الخاصة لكتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، وحرصوا على امتلاك نسخ منه واستخدامه مصدراً رئيسياً أساسياً في كتاباتهم التاريخية والأدبية، وهذا يفسر لنا ظاهرة توفر عدد من النسخ منه، كُتبت في فترات زمنية مختلفة لمؤرخين وعلماء وشعراء وأدباء ومسؤولين حكوميين، وسبب وصوله إلى أقطار وبلدان بعيدة عن عُمان. لذلك كانت خطوتنا الأولى على طريق تحقيق هذا العمل العلمي الضخم هي الحصول على أكبر عدد ممكن من تلك النسخ، وقد وفقنا الله في ذلك بفضل نعمته ورضوانه، وحصلنا على ما يزيد على سبع نسخ، أجرينا مقارنة بين نصوصها، وقررنا تصنيفها بحسب قيمتها، ووضعها في مجموعتين اثنتين، استخدمنا الأولى منها في التحقيق، واستبعدنا الثانية تجنباً لوضع



ملاحظات كثيرة في الحواشي ولأسباب أخرى سنشير إليها أثناء الحديث عن كل نسخة منها:

أولاً - النسخ المستخدمة في التحقيق

١ - نسخة جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث - غرداية - الجزائر (النسخة الأصلية ب):

وهي النسخة الأصلية من المخطوطة، كتبها مؤلفها سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بن بلحسن بن سرحان أمبو علي الإزكوي بخط يده، سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٧م، ومحفوطة في مكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث - غرداية - الجزائر، قدمت لنا وزارة التراث والثقافة العُمانية نسخة منها على قرص مدمج (CD). والنسخة الأصلية بحالة جيدة، غير أن الصفحة الأولى من المقدمة مفقودة، ويوجد فيها رطوبة في عدد من الصفحات.

ولهذه النسخة أهمية كبيرة جداً في عملنا هذا، وبفضل توفرها بين أيدينا استطعنا نحن المحققان أن نحسم وننهي الجدل والنقاش والخلاف الذي دار بين المؤرخين والباحثين الذين اهتموا بدراستها، سواء بتقديم دراسات عنها، أو تحقيق أبواب منها، وحول اسم مؤلفها، وعنوانها، وتاريخ تأليفها.

تقع هذه النسخة في ٥٥٨ صفحة، تبدأ بمقدمة المؤلف، وقد فقدت الصفحة الأولى منها، وتنتهي الصفحة الأخيرة بـ «تم هذا الكتاب على يد مالكة ومؤلفه الفقير إلى الله تعالى، الغني به، العبد الأقل سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بن بلحسن بن سرحان أمبو علي الإزكوي، نسخته وألفه لنفسه ابتغاء مرضاة ربّه، وكان تمامه آخر وقت صلاة الظهر من يوم الجمعة

لست ليالٍ بقين من آخر الشهر المحرّم سنة ست وأربعين سنة وماية سنة وألف من الهجرة النبوية على مهاجرنا أفضل الصلاة والتسليم».

ولدى مقارنة هذه النسخة مع نسخة دار الكتب الظاهرية، تبين أنها متطابقة معها إلا في فصل مسيلمة الكذاب، فقد اكتفى الناسخ الأول نصر الله بن محمد بن أحمد الكندي بكتابة العنوان فقط، وتلاه بعبارة: «تركه الناسخ، وزعم خوف الإطالة، وطلباً للاختصار»^(١). في حين كتب المؤلف الفصل كاملاً في النسخة الأصلية (انظر: ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤).

وسميناها النسخة الأصلية، ورمزنا إليها بالحرف (ب) أي النسخة الأصلية (ب) وقارنا بينها وبين جميع النسخ الأخرى التي بين أيدينا، وقررنا اعتماد نسخة دار الكتب الظاهرية، ورمزنا إليها بالرمز (أ)، أي النسخة (أ)، وأضفنا إليها فصل مسيلمة الكذاب، وأشرنا إلى ذلك في الحاشية.

٢ - نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق (النسخة - أ):

تعدّ نسخة دار الكتب الظاهرية^(٢) بدمشق من أفضل النسخ التي عثرنا عليها، قدمت لنا وزارة التراث والثقافة العُمانية نسخة مصورة عنها، وهي بحالة جيدة جداً، وخالية تماماً من الرطوبة، كُتبت بخط واضح، ويبدو أن الناسخ دققها مع الأصل بعد الانتهاء من نسخها، بدليل أنه أضاف بعض الكلمات والجمل التي سقطت أثناء النسخ من النص في الهوامش.

لدى مقارنة هذه النسخة مع النسخة الأصلية (ب) تبين أنها تحتوي على

(١) انظر: الإزكوي: سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق، ص ٢٠٤.

(٢) نسخة دار الكتب الظاهرية محفوظة الآن في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، بعد نقل مخطوطات ووثائق دار الكتب الظاهرية إليها.



جميع الأبواب والفصول وال فقرات كاملة، إلا فصل مسيلم الكذاب كما أشرنا سابقاً، وربما تركه الناسخ نظراً لوجود رطوبة في بدايته في النسخة الأصلية (ب). وقد لاحظنا وجود صفحات مكررة أثناء المقارنة تم استبعادها أثناء عملية الترقيم التي قمنا بها، كما لاحظنا وجود تقديم وتأخير لبعض الصفحات وضعناها في أمكتتها الصحيحة.

تتكون هذه النسخة من ٥٣٦ صفحة، نُسخت عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٦ م، على يد ناسخين، هما: نصر الله بن محمد بن أحمد الكندي، من ص ١ إلى ص ٤٢٢. وعبد الرحمن بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي، من ص ٤٢٣ حتى الصفحة الأخيرة ٥٣٦، نسخها لأخيه اللوذعي الأديب الأريب سالم بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي^(١)، وقد اعتمدنا هذه النسخة في التحقيق، ورمزنا إليها بالرمز (أ) أي النسخة (أ) لأنها أفضل النسخ وأحسنها حالاً، ونظراً لوجود رطوبة في صفحات النسخة الأصلية (ب) كما أسلفنا.

٣ - نسخة مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد أبو سعدي (النسخة ج):

توجد هذه النسخة في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد أبو سعدي الخاصة في السيب تحت رقم (٥٧١) وتتألف من ٧٦٢ صفحة من القطع المتوسط (٢٤×٢٠) سم وتعدّ من النسخ المهمة جداً، لأنها أقدم نسخة عثرنا عليها بعد النسخة الأصلية (ب)، ولدى مقارنتها معها تبين أنها مطابقة لها، وبالتالي تأكدنا من صحة ما أشار إليه الناسخ عامر بن مسعود بن

(١) سالم بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي: أديب من أدباء عُمان، وقاضٍ من القضاة المشهورين، وردت ترجمته في سياق الحديث عن أعيان بني رواحة «وفي بني رواحة قضاة أهل علم ومعرفة، وأدباء، وأعيان، وأفاضل، وأعوان بواصل، وزعماء، فمن القضاة الشيخ محمد بن سالم بن محمد، الذي كان قاضياً في زنجبار، ومن أفاضل بني رواحة أولاً سالم بن محمد، وهو والد الشيخ محمد بن سالم». انظر: الخصيي: محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمال في أسماء شعراء عُمان، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦ م، ج٢، ص ١٧١ - ١٧٢.

خلف بن عمر بن عبيد الإزكوي أنه قد انتهى من نسخها في جمادى الأولى سنة ١٢٠٨هـ^(١) نقلاً عن النسخة الأصلية (ب) التي يعود تاريخها إلى سنة ١١٤٦هـ. حيث وهبها لمسجد «الحبيب المعروف بحجرة حارة بني حسين من قرية إزكي وقفاً مؤبداً إلى يوم القيامة، يُقتفى به آثار الكتب الموقوفة لهذا المسجد على السيرة المقدمة فيه...»^(٢).

وقد بدأ الناسخ الصفحة الأولى منها، بعد التعويذ والبسملة بذكر الاسم الكامل للمخطوطة واسم مؤلفها: «هذا كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تأليف الشيخ العالم الفقيه الورع النبيه الوالد سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد أمبو علي الإزكوي»^(٣).

ثم عاد وذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ثانية في الصفحة الأخيرة من المخطوطة^(٤). وبالتالي فقد قَدِمَ لنا دليلاً آخر على العنوان الصحيح للمخطوطة واسم مؤلفها، خاصة وأنه من أبناء قرية المؤلف، ويعرف مكانته وحق قدره، وقدم لنا برهاناً آخر على أن الخلط الذي حصل لدى بعض المؤرخين المعاصرين حول هذا الأمر غير صحيح وغير مبرر، ولا حاجة للخوض فيه ثانية. لذلك رأينا نحن المحققان استخدامها كنسخة رئيسية ومهمة في عملية التحقيق هذه، لما في ذلك من أهمية علمية، وبخاصة ضبط النص وإخراجه بالصورة الأفضل والأمثل.

٤ - نسخة وزارة التراث والثقافة العُمانية (النسخة - د -):

توجد هذه النسخة في قسم المخطوطات في وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (٣٨٢٠) وتتألف من ٥٤٤ صفحة قياس (٣٢×٢١سم)،

(١) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة، (ص ٧٦٢).

(٢) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة، (ص ٧٦٢).

(٣) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة، (ص ١).

(٤) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة، (ص ٧٦٢).



كتبت بخط نسخي جيد وواضح، وبمداد أسود، في حين كتبت الأبواب والفصول والفقرات باللون الأحمر. والمخطوطة بحالة جيدة، لكن فقدت من أولها اثنتا عشرة صفحة، ومن آخرها ثماني صفحات، عوضها القائمون على قسم المخطوطات بصفحات مطبوعة، لذلك لم يظهر فيها اسم المؤلف، ولا الناسخ، ولا تاريخ نسخها.

لدى مقارنة هذه النسخة مع النسخة الأصلية (ب) ومع نسخة دار الكتب الظاهرية (أ) تبين أن الناسخ أضاف على بعض الجمل في النص كلمات يقتضيها السياق، وصحح جميع الأخطاء النحوية وقرنا استخدامها في التحقيق، ورمزنا إليها بالحرف (د).

ثانياً - النسخ غير المستخدمة في التحقيق:

١ - نسخة دار الكتب التونسية (النسخة - هـ -):

توجد هذه النسخة في دار الكتب التونسية تحت رقم (٣١٨٢). وتتألف من ٢٤٨ ورقة من القطع الكبير، كتبت بخط نسخي جيد وواضح، غير أنه توجد فيها رطوبة في مواضع كثيرة. نسخها عثمان بن عامر بن سليمان بن محمد بن خلف الريامي الإزكوي للمؤرخ والأديب العُماني الشهير حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي العُماني^(١)، حيث اعتمد عليها كأحد المصادر

(١) حميد بن محمد بن رزيق (١١٩٨ - ١٢٩١ هـ / ١٧٨٣ - ١٨٧٤ م): العلامة المؤرخ، الشاعر، الأديب، صاحب المؤلفات الموسوعية، وثالث شيوخ المؤرخين العُمانيين، له أكثر من خمسة عشر عملاً علمياً ضخماً، منها: الصحيفة القحطانية (محققة ومطبوعة في خمسة أجزاء)؛ الصحيفة العدنانية (مخطوط في ٩٠٠ صفحة)؛ سبائك اللجين (ديوان شعر في ٨٠٠ صفحة) سلك الفريد (ديوان شعر مطبوع في ثلاثة أجزاء) الفتح المبين في سيرة السادة ألب، سعيدين (مطبوع). انظر ترجمته الكاملة في: تقديم النسخة المحققة من الصحيفة القحطانية، ج ١، ص ٢-٧.

الرئيسية في كتابة التاريخ العُماني في الصحيفة القحطانية وفي الشعاع الشائع باللمعان، وقد أشار إلى ذلك في الصفحة الأخيرة من المخطوطة «تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحى السبت والنصف من صفر سنة أربع وستين ومايتين وألف، على يدي الأقل لله عثمان بن عامر بن محمد بن خلف الريامي الإزكوي لوالده ومحبه الشاعر الفصيح حميد بن محمد بن رزيق ابن بخيت النخلي، رزقه الله إياه، إنه رحيم وهاب، وصلى الله على سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ولدى مقارنة هذه النسخة مع النسخة الأصلية (ب) ونسخة دار الكتب الظاهرية (أ) ونظراً لوجود رطوبة في الكثير من صفحاتها، قررنا عدم الاعتماد عليها في التحقيق.

٢ - نسخة مكتبة د. محمود بن مبارك السليمي (النسخة - و -):

يحتفظ الدكتور محمود بن مبارك السليمي في مكتبة بيته الخاصة بصورة عن هذه النسخة، حصل عليها من أحد الأصدقاء، كما اطلع الدكتور محمد حبيب صالح على صورة أخرى من هذه النسخة في مكتبة يحيى بن إبراهيم بن سعيد السرحني في منزله في السيب عام ٢٠٠٣م.

تألفت هذه النسخة من ٤٥٤ صفحة من قياس (٢٢×٣٠) سم، على الصفحة الأولى منها رسم دائري، وفي وسطه رسمة أوراق نباتية سداسية الشكل، وعلى جانبه كتابة لحقت بها رطوبة، فبقي من عنوان المخطوطة كلمة «الأمة» واسم المؤلف: «تصنيف الشيخ العالم الفقيه الورع النبيه المصقع الوجيه سرحان بن عمر ابن سعيد السرحني الإزكوي^(١)»، وفيها رطوبة في الصفحة الأولى من

(١) سرحان بن عمر بن سعيد الإزكوي: بعد العودة إلى كتب التراجم العُمانية تبين أن هذا الاسم غير =



المقدمة. كتبت بخط نسخي جيد وواضح، وفي الصفحة الأخيرة منها إشارة من الناسخ على تاريخ نسخها: «تم الكتاب بعون الملك الوهاب في يوم الثلاثاء، سبعة وعشرين يوماً خلت من شهر رمضان المعظم، من شهور سنة سبع عشرة وثلاثماية سنة وألف سنة من الهجرة النبوية الإسلامية، على يد الفقير الحقير لله تعالى راجي رحمته القدير، المعترف بالذنب والتقصير، خويدم المسلمين سعيد بن خميس بن حمد بن سالم المدسري البهلوي، مولى بني علي بيده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، ورسولنا وحبيبنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وسلم، آمين، آمين، آمين».

وبعد مقارنة هذه النسخة مع النسخة الأصلية (ب) ونسخة دار الكتب الظاهرية (أ) تبين أن الناسخ أضاف فصلاً وفقرات كاملة (تسع صفحات) على النص الأصلي، منه (فصل في انشقاق القمر من أربع صفحات (٧١)، ٧٢، ٧٣، ٧٤)، أضافه إلى نهاية الباب السابع. كما أضاف إلى الباب الثالث والعشرين الصفحات (١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢) من الحديث الذي جرى حول مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة، وادعى الناسخ ضرورة التصحيح بالعودة إلى نهج البلاغة. في حين أن النص واضح ولا لبس فيه في النسخة الأصلية (ب) ولا حاجة لهذه الإضافة، كما يوجد تشطيب على بعض الصفحات (٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨) لذلك استبعدنا النسخة من التحقيق، ناهيك عن وجود خلاف في نسب المؤلف بالمقارنة مع الاسم الكامل الذي ورد في نهاية النسخة الأصلية (ب).

= موجود فيها، وقد ذكر البطاشي اسم «الشيخ سرحان بن سعيد بن عمر الإزكوي الفقيه العالم، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، وهو جدّ الشيخ الفقيه المؤرخ سرحان بن سعيد بن سرحان مؤلف كتاب كشف الغمة، وقد نسب هذا الشيخ أو حفيده إلى أمبو علي، وقد تكرر ذلك في مواضع». وهذا تأكيد آخر على أن الاسم المذكور ليس مؤلف المخطوطة. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٢٤١.

ثالثاً - مصادر الإزكوي في تأليف المخطوطة :

- ١ - الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق: إسماعيل بن أحمد الخرافي، وعلي بن إسماعيل المؤبد، مطبعة دار العودة، بيروت، ودار الكلمة، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
- ٢ - الهمذاني، أبو محمد الحسن: الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، حزره وعلق حواشيه: نبيه أمين فارس، مطبعة دار العودة، بيروت، دار الكلمة صنعاء، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- ٣ - الصنعاني، وهب بن منبه الأبنواوي: كتاب التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الجمهورية العربية اليمنية، صنعاء.
- ٤ - العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.
- ٥ - ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- ٦ - السعدي، أحمد بن عامر بن حصين: شرح الصدر في تسمية أهل بدر، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العمانية تحت رقم (١٩١٤).
- ٧ - الصحاري، عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان: سيرة الإمام ناصر بن مرشد، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العمانية تحت رقم (١٨٥٦).
- ٨ - العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي: تاريخ العصامي، ج٣، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العمانية تحت رقم (١٨٥٧).



- ٩ - القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (١٨٥٥).
- ١٠ - القلهاتي، محمد بن سعيد الأزدي الحميري: الكشف والبيان، ج١+ج٢، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم: (١٤٢٨)، (٢٦٨٨، ١٤٢٩، ١٨٧٧).
- ١١ - النيسابوري، محمد بن إبراهيم التغلبي: قصص الأنبياء وأخبار الأولياء وعجائبهم، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (٣٥٤٦).
- ١٢ - الكدمي، أبو سعيد، محمد بن سعيد: الاستقامة. وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط.
- ١٣ - الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري. دار القلم، بيروت، لبنان.
- ١٤ - ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية.
- ١٥ - ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: قصص الأنبياء، دار مكتبة الحياة ٢٠٠٢م.
- ١٦ - الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، دار دانية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ١٧ - ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: قصص الأنبياء.
- ١٨ - ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

١٩ - ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري: السيرة النبوية، مطبعة البايب الحلبي، ١٩٣٦ م.

التلمساني، أحمد بن محمد المقري: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٤٩ م.

البغدادى، عبد القاهر بن ظاهر بن محمد: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، من دون تاريخ طباعة.

رابعاً - موضوع المخطوطة وأبوابها :

يتألف كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة من مقدمة بدأها المؤلف الشيخ سرحان بن سعيد الأزكوي بحمد الله تعالى والثناء عليه، الصلاة والتسليم على النبي الأمين محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين. وأظهر فيها الأسباب التي دعت به إلى تأليفه، وفي ذلك يقول: «فقد دعيتني الهمة إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه، وتلخيص معانيه وتصنيفه، فليتها أهلاً وسهلاً، وإن لم أكن للتأليف أهلاً، وذلك لما رأيت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف، وأقبلوا على أئمة مذهبهم بالتعنيف والتعسيف، ومالوا إلى حب السادات ذوي التشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي أصلها السلف، ليعرفوا المحقّ ممن هو على شفا جرف هار، فانهار به إلى التلف، وقد سمعت أحداً ممن يتحلى بالعلم، ويتسبب إلى ذوي المعرفة والفهم، يقول: عجل أهل النهر بخروجهم عن طاعة ذي الفخر. وقد عرفت من كثير ممن يتسمّى بهذا المذهب، ويعزى إليه، ويرفع به، ويُنسب، خلافاً لأئمة الذين أسسوه، وركنوا إلى الذين نفوا عنه».



ثم بين بشكل لا يقبل الشك أو التأويل أن هدفه الأول والأخير وغايته المرجوة من تأليفه هو الحفاظ على الصلات العميقة والمتينة بين المذهب الإباضي والعقيدة الوهية واتباع المذهب، وتعريفهم بأصول مذهبهم تاريخياً وأعلاماً وعقيدةً. فيقول: «فصنفت هذا الكتاب، وبيّنت فيه عذر أولي الألباب، وجعلت ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة الأثر لا يستمعون، ولاستماع القصص عن اللغو يثبتون، فملت إلى رغبتهم لكي يكونوا مستمعين، ولقراءته بصميم القلب مطيعين، عسى أنهم لأصول المذهب يعرفون، ولأهل الحق بالحق يعترفون».

وقسم الكتاب إلى أربعين باباً، تناول فيها موضوعات تاريخية عديدة ومتنوعة، وقضايا عقائدية تتصل مباشرة بالمذهب الإباضي وفق ما يأتي:

الباب الأول: في ذكر بُدو عبادة الأصنام واعتقاد أهل الشرك والضلال. (خلق آدم وحواء وقصتهما مع إبليس، عبادة الأصنام، عقائد أهل الهند، فرق اليهود، فرق النصارى، فرق المجوس، مذاهب الفلاسفة).

الباب الثاني: في آراء العرب في الجاهلية، وما كانوا عليه. (عبادة الأصنام، إنكار الرسل، الاعتقاد بالتناسخ، تمسك بعض العرب في الجاهلية بالديانة الحنيفية مثل زيد بن عمرو بن نفيل، عمرو بن الظرب العدواني، عبد الله بن طابخة القضاعي، قيس بن صرمة بن أنس، زهير بن أبي سلمى...).

الباب الثالث: في ذكر ملوك العجم والعرب، وذكر شيء من أخبارهم. (ويستعرض في هذا الباب ملوك العجم من كيوميرث إلى يزدجرد، وملوك العرب الحميريين من قحطان بن هود إلى سيف بن ذي يزن).

الباب الرابع: في انتقال الأزدي من اليمن إلى أرض عُمان، وإجلاء الفرس عن عُمان. (انتقال الأزدي إلى عُمان بقيادة مالك بن فهم الأزدي الدوسي

وإجلاء الفرس عنها، أخبار مالك بن فهم في عُمان ووفاته، أخبار ولده سليمة وإخوته بعد موته).

الباب الخامس: في معرفة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين (آدم، شيث، إدريس، نوح، سام، هود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، موسى، هارون، شعيب، يونس، يوشع بن نون، داود، سليمان، زكريا، يحيى، إلياس، العزيز، عيسى بن مريم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

الباب السادس: في ظهور النبي محمد ﷺ. (بدء الرسالة وأول من آمن به، إسلام حمزة، إسلام عمر بن الخطاب، الهجرة الأولى إلى الحبشة، محاصرة بني هاشم في شعب أبي طالب، زواج النبي ﷺ من عائشة وسودة، بدء إسلام الأنصار).

الباب السابع: في ذكر المعراج، وذكر طرف في صفة الجنة والنار.

الباب الثامن: في ذكر بيعة العقبة. (يذكر فيه الحديث الذي جرى بين النبي ﷺ، وابن التيهان، ويذكر العقبيين رجالاً ونساءً).

الباب التاسع: في ذكر هجرة النبي محمد ﷺ من مكة إلى المدينة. (تأمر قريش عليه لقتله، نوم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في فراشه ليلة الهجرة، مرافقة الصديق له في هجرته).

الباب العاشر: في ذكر قدوم النبي محمد ﷺ إلى المدينة. (استقبال الأنصار للنبي ﷺ في المدينة، بناء مسجد قباء، قصة إسلام سلمان الفارسي، أهم الأحداث التي وقعت في السنة الأولى من الهجرة).

الباب الحادي عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثانية من الهجرة. (زواج علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء، تحويل القبلة إلى الكعبة، رؤية



عبد الله بن زيد الأذان في المنام، نزول فريضة رمضان، غزوة بدر الكبرى، نقض يهود بني قينقاع العهد مع النبي ﷺ، غزوة السويق...).

الباب الثاني عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثالثة من الهجرة. (غزوة أنمار، غزوة القرّة، زواج النبي ﷺ من حفصة بنت عمر وزينب بنت خزيمة، غزوة أُحُد ومن استشهد فيها من المسلمين، غزوة حمراء الأسد...).

الباب الثالث عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الرابعة من الهجرة. (غزوة بئر معونة، سرية الرجيع، غزوة بني النضير، زواج النبي ﷺ من أم سلمة، غزوة بدر الصغرى...).

الباب الرابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الخامسة من الهجرة. (غزوة ذات الرقاع، غزوة المريسيع، حديث الإفك، زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش بن رباب، غزوة الخندق، غزوة بني قريظة....).

الباب الخامس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السادسة من الهجرة. (غزوة بني لحيان، غزوة الغابة، مقتل أبي رافع اليهودي، غزوة الحديبية، إرسال الرسل إلى قيصر ملك الروم، وكسرى الفرس، ونجاشي الحبشة، والحارث بن سمرة الغساني صاحب دمشق، وهوذة الحنفي صاحب اليمامة، والمقوقس صاحب مصر...).

الباب السادس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السابعة من الهجرة. (غزوة خيبر، زواج النبي ﷺ من أم حبيبة، ومن ميمونة بنت الحارث، عمرة القضاء...).

الباب السابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثامنة من الهجرة. (سرية مؤتة، سرية الخيطة، فتح مكة، إسلام أهل عُمان، غزوة حنين، زواج النبي ﷺ من مليكة الكندية، مولد إبراهيم ابن النبي ﷺ....).

الباب الثامن عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة التاسعة من الهجرة.

(قدوم الوفود إلى المدينة، هجرة النبي لنسائه، وفاة النجاشي، غزوة تبوك، قصة البكائين، هدم مسجد ضرار...).

الباب التاسع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة العاشرة من الهجرة. (تتابع قدوم الوفود إلى المدينة، وفاة إبراهيم ابن النبي محمد ﷺ، حجة الوداع، فصل في شجاعة النبي ﷺ، فصل في قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري...).

الباب العشرون: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الحادية عشرة من الهجرة. (سرية أسامة بن زيد، قصة مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، مرض النبي ﷺ ووفاته، قصة بلال الحبشي رضي الله عنه...).

الباب الحادي والعشرون: في آداب النبي ﷺ.

الباب الثاني والعشرون: في شيء من الأحاديث النبوية. (في هذا الباب أربعمائة وسبعة وتسعون حديثاً عن النبي ﷺ من دون إسناد).

الباب الثالث والعشرون: في ذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه. (بيعة الصديق، موقفه من المرتدين، القضاء على مسيلمة الكذاب، وفاته...).

الباب الرابع والعشرون: في ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (وصية الصديق للفاروق بالخلافة، قصة عمر مع جبلة بن الأيهم الغساني، الفتوح الإسلامية في العراق - القادسية - جلولاء - نهاوند، الفتوح الإسلامية في بلاد الشام، اليرموك، أجنادين، فتح مصر، وفاته...).

الباب الخامس والعشرون: في ذكر خلافة عثمان بن عفان وذكر إحدائه وقتله. (الستة الشورى واختيار عثمان خليفة للمسلمين، تعيين عثمان أقرابه من الأمويين على الأمصار، ضرب عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، نفي لفيث من الصحابة، قصة الدار ومقتل عثمان، ذكر من قتله من قريش...).



الباب السادس والعشرون: في ذكر خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وما جرى فيها. (مبايعة علي بالخلافة، خروج طلحة والزبير وعائشة على علي ومعركة الجمل، خروج معاوية بن أبي سفيان على علي ومعركة صفين، قصة التحكيم وما جرى بين ابن عباس والمحكمة، معركة النهروان، مقتل الإمام علي كرم الله وجهه...).

الباب السابع والعشرون: في جواب عبد الله بن إياض لعبد الملك بن مروان، وفي أمر عثمان ومعاوية وعلي بن أبي طالب وولده الحسن. (ويتضمن الرسائل المتبادلة بين عبد الله بن إياض وعبد الملك بن مروان وذيله بفصل من كتاب الكفاية عن البراءة من عثمان، وعلي، ومعاوية، والحسن، والحسين، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وملوك بني أمية، وملوك بني العباس...).

الباب الثامن والعشرون: في ذكر الفرق الإسلامية، وهي ثلاث وسبعون فرقة، وذكر اعتقاد كل فرقة منها، وفيه أربعة فصول. (المعتزلة، وهم خمس عشرة فرقة. العثمانية، وهم الحشوية والصفائية، وهم خمس عشرة فرقة. الخوارج، وهم ست عشرة فرقة. الشيعة، وهم ست وعشرون فرقة).

الباب التاسع والعشرون: في اعتقاد الفرقة الوهية الإباضية، وهي الفرقة المحقة. (يستعرض في هذا الباب عقائد الوهية، وعن أخذوها من الصحابة والتابعين...).

الباب الثلاثون: في ذكر الدولة الأموية والدولة العباسية. (يتحدث فيه الإزكوي باختصار عن ملوك بني أمية في الشام والأندلس، وعن ملوك بني العباس، وخلفاء الدولة الفاطمية في المغرب ومصر...).

الباب الحادي والثلاثون: في ذكر الأئمة الذين باعوا أنفسهم لله في إنكار

المنكر. (عبدالله بن وهب الراسبي، أبو بلال مرداس بن حدير التميمي، جابر بن زيد الأزدي العُماني، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، عبدالله بن يحيى الكندي، أبو حمزة الشاري وخطبته المشهورة في المدينة...).

الباب الثاني والثلاثون: في ذكر انتشار المذهب الإباضي بأرض المغرب، وذكر أئمتهم وعلمائهم. (أبو الخطاب المعافري، أبو حاتم، الأئمة الرستميون من الإمام عبدالرحمن بن رستم حتى أفلح بن العباس، وفصل في ذكر بعض علماء الإباضية في المغرب الإسلامي...).

الباب الثالث والثلاثون: في ذكر أخبار أهل عُمان من أول إسلامهم إلى اختلاف كلمتهم. (يستعرض فيه تاريخ عُمان في عصر الرسول والدولة الراشدية، وفي العصر الأموي، والعصر العباسي حتى عزل الإمام الصلت بن مالك سنة ٢٧٣هـ).

الباب الرابع والثلاثون: في ذكر اختلاف أهل الدعوة في ولاية أهل الحرب الواقع بعُمان في الصلت بن مالك. (اختلاف الرأي في عزل الإمام الصلت بن مالك، الرأي في إمامة عزان بن تميم الخروصي، الرأي في ولاية الحواري بن عبدالله، فصل في ذكر أمر بعض العلماء من الأحداث).

الباب الخامس والثلاثون: في ذكر الإمامين سعيد بن عبدالله وراشد بن الوليد، ومن بعدهما من الأئمة إلى عمر بن قاسم الفضيلي. (الإمام سعيد بن عبدالله، الإمام راشد بن الوليد، الإمام الخليل بن شاذان، الإمام راشد بن سعيد، الإمام حفص بن راشد بن سعيد، الإمام راشد بن علي، الإمام موسى بن أبي جابر المعالي، الإمام خنيش بن محمد بن هشام، الإمام محمد بن خنيش. وعهد ملوك النباهنة الأولين والأئمة المنصوبين في عهدهم: الإمام مالك بن الحواري، الإمام أبو الحسن خميس بن عامر، الإمام عمر بن الخطاب بن



محمد الخروصي، الإمام محمد بن سليمان بن مفرج القاضي، الإمام عمر الشريف، الإمام أحمد بن عمر الرخبي، الإمام أبو الحسن بن عبد السلام، الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي، الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي، الإمام عبد الله بن محمد القرن. خروج ابن الداية على عُمان، خروج أولاد الرئيس على النباهنة....).

الباب السادس والثلاثون: في ذكر الملوك المتأخرين من النباهنة وغيرهم، إلى ظهور الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله).

الباب السابع والثلاثون: في ذكر ظهور الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله) وذكر الأئمة من بعده إلى وقوع الفتنة بين اليعاربة. (الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وتوحيد عُمان، الإمام سلطان بن سيف الأول، الإمام بلعرب بن سلطان، الإمام سيف بن سلطان (الأول) المعروف بـ «قيد الأرض»، الإمام سلطان بن سيف (الثاني)، الأمام المهنا بن سلطان).

الباب الثامن والثلاثون: في ذكر وقوع الفتنة بعُمان بين اليعاربة وما آلت إليه تلك الأمور. (يتحدث فيه الإزكوي عن الحرب الأهلية العُمانية بين عامي ١٧٢٢ - ١٧٤١ م).

الباب التاسع والثلاثون: في ذكر تواريخ موت بعض الصحابة، وذكر علماء الإباضية من عُمان وغيرها. (فصل في موت بعض الصحابة، فصل في معرفة العلماء من أهل الدعوة من عُمان وغيرها، فصل في موت العلماء من أهل عُمان).

الباب الأربعون: وهو خاتمة الكتاب في ذكر عذاب القبر، وفي الردّ على من قال بالرؤية في الآخرة، وفي ذكر الشفاعة والميزان والصراط، وفي الردّ على من قال بالعمفو والخروج من النار لأهل الكبائر ذوي الإقرار.

خامساً - مخطوطة كشف الغمة بين مغالطات المؤرخين وأخطاء المحققين:

تعدّ مخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة من أهم المصادر التاريخية العُمانية، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، لذلك فقد اهتم بها الباحثون والمؤرخون العرب والأجانب أكثر من غيرها من المخطوطات العُمانية الأخرى. وكان الباحثون الأجانب أول من تصدى لدراستها، وكتبوا بحوثاً ومقالات عنها، ومنهم:

أ - إدوارد روس: المعتمد السياسي البريطاني في مسقط في عامي (١٨٧١ - ١٨٧٢) الذي ترجم قسماً من المخطوطة إلى اللغة الإنكليزية، وجعله ضمن دراسة نشرها في مجلة الجمعية الآسيوية في كاليكوتا عام ١٨٧٤م تحت عنوان: «تأريخ عُمان المتتابع من أقدم الأزمنة حتى عام ١٧٢٨م»^(١) (Annals of Oman from Early Times to the year 1728).

وقد أشار فيها إلى أن «نسخ كشف الغمة نادرة جداً في عُمان، وأشك أن يكون مشهوراً لدى العُمانيين»^(٢).

غير أن هذا الطرح يتنافى مع الواقع تماماً، بدليل وجود أكثر من ثماني نسخ من المخطوطة، كتبت في فترات زمنية مختلفة أولها عام ١٢٠٨هـ، وآخرها ١٣٥٩هـ، ناهيك عن أن النسخة التي كتبها عامر بن مسعود بن محمد بن خلف بن عمر بن عبيد الإزكوي كانت موقوفة لمسجد الحبيب في إزكي كما أشرنا سابقاً، مما يعني أنها كانت بين أيدي عامة الناس معروفة لدى شريحة واسعة من رواد المسجد. وبالتالي يفتر ادعاء روس إلى الدليل والحجة والبرهان.

Rse. E: Annals of Oman from Early to the year 1728 AD, the Aleanader UK, 1884. (١)

Rse. E: Annals of Oman from Early to the year 1728 AD, the Aleanader UK, 1884 p1. (٢)



ب - س. ب. مايلز: المعتمد السياسي البريطاني في مسقط بين عامي ١٨٧٢ - ١٨٨٦ م، الذي تعرف على تاريخ عُمان من مصادره المختلفة خلال تلك الفترة، وقد أشار باختصار شديد إلى كتاب كشف الغمة وإلى اسم مؤلفه، ويبيّن أن المؤرخ العُماني الشهير حميد بن محمد بن رزيق النخلي العُماني اعتمد عليه كمصدر رئيسي في كتابه «الفتح المبين في سيرة السادة ألبو سعديين» من دون أن يشير إليه، وحذف الفصل الأول من «هجرات الأزد إلى عُمان»^(١).

ج - جون ويلكينسون: ذكر كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة في بحث كتبه عن تاريخ عُمان، شكك فيه بأن يكون سرحان بن سعيد بن سرحان الإزكوي هو مؤلف الكتاب، وعدّه ناسخاً لا أكثر، وقال: «من الملاحظ أنه حين يشير مؤرخو عُمان إلى المخطوطة ويذكرونها باسمها الكامل يذكرون كشف الغمة في اختلاف الأمة، وليس المخطوط المنسوب إلى الإزكوي، وحين يتكلمون عن المؤلف يشيرون إلى المؤلف المجهول، وليس إلى الإزكوي»^(٢).

غير أن ويلكينسون وقع في خطأ هنا كما نرى نحن المحققون، فقد عودنا المؤرخون العُمانيون ومنهم شيخ المؤرخين ابن رزيق على استخدام عبارة «قال صاحب كشف الغمة» للإشارة إلى هذا المصدر المهم أثناء الاعتماد عليه في كتابة التاريخ العُماني نظراً لشهرة سرحان بن سعيد الواسعة، وقد استخدم ابن رزيق هذه العبارة مرات كثيرة أثناء الاعتماد عليه في كتابة مخطوطته الشهيرة الصحيفة القحطانية التي حققناها، وخرجت إلى النور في طبعتها الأولى عام ٢٠٠٩ م، وهنا نذكر القارئ الكريم أن ابن رزيق اعتمد على كتاب

(١) Miles. S.B.: The Countries and Tribes of the Gulf, London, 1966, P16.

(٢) ويلكينسون، جون: عُمان تاريخاً وعلماء، ترجمة، محمد أمين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م، ص ٣٩.

وفيات الأعيان لأحمد بن خلكان في الترجمة لعدد كبير من الأدباء والشعراء من العرب القحطانية، من دون أن يشير إليه إلا في موضع واحد من الصحيفة عندما أراد أن يخالفه بما جاء به^(١). كما اعتمد على كتاب الأنساب للعتوبي من دون أن يشير إليه، وكانت غالبية المؤرخين حتى ذلك العصر لا تشير إلى المصادر ومؤلفيها. وبالتالي لا يمكن أن نفهم من هذه العبارة أن الكتاب يُنسب إلى مؤلف مجهول.

وإذا كان الباحثون والمؤرخون الأجانب قد تناولوا المخطوطة في بعض دراساتهم، فإن بعض المؤرخين العرب حاولوا تحقيق بعض أبوابها وفصولها، ومنهم:

أ - عبدالمجيد حسيب القيسي: حيث اقتطع من المخطوطة الأبواب التي تتحدث عن تاريخ عُمان، وجعلها في كتاب تحت عنوان «تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة»^(٢). وعلى الرغم من أهمية هذا العمل في حينه، إلا أنه يبدو متواضعاً جداً إذا نظرنا إليه بمنظار اليوم، وإذا أخذنا بالاعتبار استبعاد القيسي لبقية أبواب الكتاب وفصوله الأخرى، والتي برأينا لا تقل أهمية عن الأبواب التي تناولها بالدراسة، ناهيك عن أنه كان عليه أن يعود إلى المصادر التي اعتمد عليها سرحان بن سعيد في كتابة مخطوطته هذه لضبط المادة العلمية التي وردت فيها، وهذا شرط مهم جداً في عملية التحقيق.

ب - أحمد عبيدلي: حاول تحقيق بعض أبواب المخطوطة بطريقة انتقائية، حيث حقق بعض الأبواب، واستبعد البعض الآخر، مما جعل عمله ناقصاً

(١) ويلكينسون، المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٢) انظر: تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبدالمجيد القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ١٩٨٠م.



أيضاً كعمل من سبقه، ثم إنه ينسب المخطوطة إلى مؤلف مجهول، وعدّ الإزكوي ناسخ الكتاب لا مؤلفه^(١). وبرر ذلك باختلاف الأسلوب في كتابة بعض الأبواب وكأنه يريد أن يقول أنه لأكثر من مؤلف.

غير أننا نرى أن هذا العمل لا يرقى إلى مستوى العمل الأكاديمي القائم على أسس وقواعد منهجية التحقيق العلمي الصحيح، خاصة وأن المحقق أحمد عبيدلي لم يطلع على النسخ التي أشرنا إليها سابقاً، والتي تحمل اسم المؤلف نفسه، بما في ذلك نسخة المؤلف (النسخة الأصلية ب) التي كتبها بخط يده، ولا يوجد فرق في الخط من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة، ناهيك عن أننا لم نلاحظ وجود ما يدعيه من اختلاف في أسلوب كتابة بعض فصول الكتاب.

أما المحاولة الثالثة فكانت من جانب الدكتور حسن النابودة، حيث خرجت المخطوطة إلى النور عن طريق دار البارودي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م. وفي ما يأتي دراسة موجزة عنها.

سادساً - ملاحظات على النسخة التي حققها حسن النابودة،

عندما كنا نحن المحققون نضع اللمسات الأخيرة على إخراج النسخة المحققة من قبلنا لمخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة علمنا من بعض الأصدقاء أن المخطوطة خرجت إلى النور محققة من قبل الدكتور حسن محمد عبدالله النابودة، فقررنا الاطلاع عليها، ومقارنتها بالنسخة التي حققناها، وكان المفاجأة بوجود عدد كبير من الملاحظات العلمية والمنهجية التي رأينا أن من واجبنا إطلاع الباحثين والقراء عليها من خلال الإشارة في مقدمة النسخة التي حققناها، وفي ما يأتي أهمها:

(١) انظر: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق أحمد عبيدلي، دار دلمون للنشر، قبرص، ١٩٨٥م.

أولاً: ملاحظات على ما جاء في مقدمة المحقق د. حسن النابودة:

قبل تدوين الملاحظات لا بدّ من التذكير بأن هناك شروطاً وقواعد وأسساً تجب مراعاتها وتطبيقها من قبل المحقق بحسب الأصول العلمية والمنهج الأكاديمي الصحيح أثناء تحقيق المخطوطات التاريخية، منها:

أ - أن يخرج النص كما هو، لأن الغاية من التحقيق هي إخراج نص المخطوطة ومادته العلمية كما هي في الحقيقة، لا كما نحب أن تكون، أو كما نريدها أن تكون. وبالتالي لا يحق له أن يحكم على مضمون المخطوط وفقاً لمعتقداته الدينية، أو السياسية، أو الحزبية، وفي سياق عقيدته وميوله واتجاهاته وتياراته.

ب - على المحقق أن يتحلى بالفطنة، وقوة الانتباه، والإرادة، وعليه أن يدرك أن الإفراط في النقد شكل من أشكال الجهل الفاحش، وأن لكل مؤلف طريقته الخاصة في الكتابة، وبالتالي تجب مراعاة هذه الخصوصية، وأن الوقائع التاريخية مُحدّدة المكان والزمان، وتحدث في مكان وزمان معلومين، وأن البرهان هو أصعب عمليات المعرفة التاريخية ممارسة على الوجه الصحيح.

ج - لا يحق للمحقق أن ينصب نفسه حكماً على الكاتب وهو ابن الزمان والمكان، وأن يحكم عليه باللاموضوعية، في وقت يقرّ فيه جميع المؤرخين الموضوعيين بأن للحقائق التاريخية حقاً متساوياً في أن تأخذ مكانها في التاريخ، وأن الاحتفاظ ببعضها على أنه هو الصحيح، واستبعاد الآخر على اعتبار أنه غير صحيح، ما هو إلا اختيار ذاتي يخضع للهوى الفردي. وبالتالي لا يجوز أن نضحى بأية معلومة تاريخية، لأن في كل واحدة منها شيء من الحقيقة، ولا تكتمل الحقيقة إلاّ بها جميعها، أي بكل عناصرها ومقوماتها.

د - يجب على المحقق أن يدرك جيداً أن المؤرخين يمكن أن يختلفوا، وقد اختلفوا في الكثير من الأحيان حول مسائل جوهرية، وبالتالي هم



لا يدركون الهدف من العمل التاريخي (التأريخ) بالطريقة نفسها، غير أن هذا لا يبرر للمحقق مهما علّت درجته العلمية والأكاديمية أن يصدر أحكاماً جائرة بحق المؤرخ، ولا أن يفصل التاريخ عن المؤرخ، ولا يحق له أن يتناسى أن التاريخ يتضمن كثيراً من الأهواء، وأنه كما يحكم على الآخرين بالهوى والميل، يمكن أن يحكم عليه بالخطأ والتزيف. وفي ما يأتي أهم الملاحظات:

الملاحظة الأولى: تحدث المحقق في الصفحة ١٧ من المقدمة عن أن «الروح المذهبية والمحلية واضحة جلّية في كتاب كشف الغمة، وأن هذا النهج محور اهتمامه في كتابة التاريخ بشكل عام، والإباضي بشكل خاص، وأن هذا المقياس الديني الإباضي ليس بجديد، فقد سار عليه مؤلفو الإباضية، ونجده عند المؤرخين الذين سبقوا الإزكوي، وبخاصة كتاب السير، كما نجده عند المؤرخين العُمانيين الذين جاؤوا بعد الإزكوي، وبخاصة ابن رزيق، والسالمي، والمؤرخ العُماني المعاصر السيابي».

ثم وقع في شرك التناقض مع نفسه في الصفحة ١٨ من المقدمة، وفيما يأتي بعض ما كتبه فيها: «ينتقل الإزكوي بعد ذلك إلى عهد الرسول ﷺ، ويخصص الأبواب من السادس إلى الثاني والعشرين للتأريخ عن هذه الفترة، ويعطي تفاصيل مطولة لبعض الحوادث مع التركيز على بعض القضايا ذات الصلة التاريخية بالإباضية، ومثال ذلك قصة إسلام سلمان الفارسي في السنة الأولى للهجرة لقوله: إن الأئمة الرستميّين من نسله». وأضاف: «والإزكوي لا يخرج عن الإطار التقليدي في رواياته الخاصة بعهد الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين الذين خصّص لهم الأبواب من الثالث والعشرين إلى السادس والعشرين، ورغم عدم ذكره للمصادر، فإنه ينقل حرفياً فقرات كاملة من الطبري، وابن كثير، وابن الأثير، والملل والنحل».

أين المقياس الديني الإباضي الذي يدعيه المحقق ويتحدث عنه، وفي المخطوطة واحد وعشرون باباً من أصل أربعين تتحدث عن تاريخ الدولة الإسلامية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين؟ والمحقق يقول عن الإزكوي: إنه لم يخرج عن الإطار التقليدي في روايته الخاصة بعهد الرسول والخلفاء الراشدين، وأنه ينقل حرفياً فقرات كاملة عن الطبري، وابن كثير، وابن الأثير، فهل سار هؤلاء المؤرخون على المقياس الديني الإباضي؟!

ويتجاوز المحقق في حكمه على هذا المؤرخ الإزكوي ليطال شيوخ المؤرخين العُمانيين الآخرين (ابن رزيق، ونور الدين السالمي، وسالم بن حمود السيابي) ونحن نقول له: إن لم يتصف هؤلاء بالنزاهة والموضوعية والأمانة في كتابة التاريخ العُماني، فمن هم الذين كتبوا التاريخ العُماني وأتسموا بالموضوعية، أليسوا هم أدرى بتاريخهم وأسابهم ووقائعهم من غيرهم؟!

أما بالنسبة لقصة إسلام سلمان الفارسي التي يقول المحقق عنها: «إن الإزكوي ذكرها لأن الأئمة الرستميّين من نسله» فقد ذكر قبل ذلك وتحت عنوان مستقل قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب، وقصة إسلام عمر بن الخطاب، فما ردّ المحقق على ذلك؟! هل لأن الأئمة الرستميّين، أو غيرهم من أئمة الإباضية من نسلهما؟!

الملاحظة الثانية: ذكر المحقق في الصفحة ١٩ من المقدمة ما يأتي: «وأسهب الإزكوي في الحديث عن آراء الفرق الإسلامية... ويؤخذ على الإزكوي نتيجة لإسهابه هذا التعسف في إصدار الأحكام على الكثير من الشخصيات التاريخية إلى حدّ التكفير والتجريح، وسرد الكثير من الأحاديث النبوية، والأخبار والقصص بغير سند، وبما يتوافق مع غاياته المذهبية، ونتيجة لذلك فقد أوقع نفسه في الكثير من الأخطاء والتكرار لكثير من الأحكام الفقهية والمعتقدات الدينية بسبب تعصبه المذهبي».



إن هذا القول بحاجة إلى أدلة وبراهين، وهذا ما يفتقر إليه المحقق الكريم، كنا نتمنى أنه لو أورد دليلاً واحداً. ثم نجده يعود بنفسه إلى أمهات كتب الحديث النبوي الشريف، وبثبت وجود الأحاديث النبوية التي استخدمها الإزكوي، إنه التناقض بعينه.

الملاحظة الثالثة: يرى المحقق أن تاريخ الأمويين والعباسيين هو تاريخ سني، وقد أشار إلى ذلك في الصفحة ٢٠ من المقدمة بقوله: «ويختصر الإزكوي تاريخ الأمويين والعباسيين في باب واحد، هو الثلاثون، ورغم اختصاره هذا، إلا أنه يمثل أهمية خاصة بالنسبة لنا، فهو يكتب تاريخاً سنياً من وجهة نظر إباضية». ونحن نقول بدورنا للمحقق: متى كان تاريخ الدولة الإسلامية حصراً على فرقة من الفرق أو مذهب من المذاهب؟! وكأنه هنا يختصر التاريخ الإسلامي، وجعله سنياً، ولا نعتقد أن أحداً من المؤرخين الموضوعيين يوافق على ذلك.

الملاحظة الرابعة: أصدر المحقق حكماً قاسياً بحق مؤلف المخطوطة في الصفحة ٢٢ من المقدمة عندما قال: «والمؤلف كما هو واضح يشطّ كثيراً في كلامه عن أصحاب المذهب (ونقلة العلم) كما يسميهم، وعن المناطق التي انتشر فيها المذهب الإباضي». ونحن نقول للمحقق د. حسن: إن المادة العلمية القيّمة والمعلومات التاريخية المهمة التي قدمها لنا الإزكوي في هذا المجال فريدة من نوعها، وهي حق يُحسبُ له لا عليه، فقد قدم لنا مادة تاريخية حجبتها عنا المؤرخون الآخرون لأسباب وأهداف يعرفها الكثير من المسلمين، غير خافية على أهل البصيرة.

الملاحظة الخامسة: ابتعد المحقق عن الموضوعية كثيراً عندما أصدر أحكاماً تفوح منها رائحة التعصب لدى إشارته إلى قصة إسلام الصحابي مازن بن غضوبة السمائي، ووضعها في خانة القصص الخيالية في الصفحة ٢٣

من المقدمة، حيث قال: «ويهدف الإزكوي من ذلك إلى جعل عُمان وأهلها في مقدمة المناطق التي سارعت إلى الإسلام، وأمنت برسالة النبي ﷺ، وحملت لواءه». ثم يشكك بصحة الأحاديث التي دارت بين عمرو بن العاص وبين حكام عُمان، ويرى أن «الإزكوي لا يمكن أن يكون حجة في هذا الموضوع، لتغلب العاطفة على رواياته التي يشوبها الخيال».

والناظر إلى قصة إسلام مازن بن غضوبة يجد أنه قد ذكرها ابن حجر العسقلاني، وأشار إلى أن مصدرها الكلبي بحسب ما ذكر المحقق، فما هو قائل في ذلك؟! إذا الإزكوي ليس الوحيد الذي يذكر القصة، وله مصادر. ثم إن الإزكوي يذكرها كحالة فردية، ولم يقل: إن أهل عُمان أسلموا على يد مازن بن غضوبة، وكان منسجماً مع نفسه ومع الحقيقة التاريخية عندما أرجع إسلام أهل عُمان إلى رسالة النبي ﷺ إلى حاكمي عُمان عبد وجيفر الجلندانيين. وهنا ينسب إلى الإزكوي ما لم يقله عن جعل عُمان وأهلها في مقدمة المناطق التي سارعت إلى الإسلام. وإن لم يكن الإزكوي حجة في مثل هذا الموضوع، وهو صاحب المصدر الأول في تاريخ عُمان كما أشار المحقق في بداية المقدمة التي وضعتها، فمن الحجة؟!!

الملاحظة السادسة: أشار المحقق د. حسن في الصفحة ٢٨ من المقدمة إلى أن نسخة تونس رقم (٣١٨٢) التي رمز إليها بالحرف (س) تعد أقدم النسخ وأهمها، وأنها كتبت عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م، وبرر أهميتها بقوله: «ذلك لأنها كانت خاصة بالمؤرخ والأديب العُماني الشهير ابن رزيق».

ونحن نقول له: إنه كان عليه أن يشير إلى أنها لا تختلف في شيء عن النسخ الأخرى وبخاصة نسخة دار الكتب الظاهرية، وأن النسخة (س) لا يمكن أن تعوض عن النسخة الأصلية التي كتبت بخط يد المؤلف نفسه سرحان بن سعيد الإزكوي، ووضعتها بين أيدينا وزارة التراث والثقافة العُمانية مشكورة



على ميكروفيلم بعد أن حصلت عليها من مكتبة غرداية بوادي ميزاب في الجزائر، وقد سميناها النسخة الأصلية (ب)، حيث تمكنا بالاعتماد عليها من استدراك جميع النواقص، وتصحيح الأخطاء التي وقع بها النساخ، واستبعاد الفقرات والفصول التي أضافوها إلى النص. وتاريخ المخطوطة يعود إلى عام ١١٤٦ هـ / ١٧٣٧ م، وبالتالي هي الأصل، وهي الأقدم.

الملاحظة السابعة: ذكر المحقق في الصفحة ٣١ من المقدمة في سياق حديثه عن النسخة الجديدة التي رمز إليها بالحرف (ج) ما يأتي: «تم استدراك النقص الحاصل في نسخة دار الكتب الظاهرية في بعض الصفحات بحدود ٣٠ صفحة، وقد أشير إليها، وهذه ميزة إضافية لهذه النسخة».

ونحن نقول للمحقق الكريم: هذه ليست ميزة في العمل، بل هي عيب علمي واضح، وخرق فاضح لقواعد وشروط وأصول التحقيق العلمي الصحيح، وكان عليك الإشارة فقط إلى الزيادة التي أقحمها الناسخ في نص المخطوطة الأصلي، وأن تتبّه القارئ الكريم إليها في الحواشي، خاصة وأنها من النسخ المتأخرة، ونُسخت عام ١٣١٧ هـ.

ثانياً: ملاحظات على النص الذي حققه د. حسن النابودة:

من الأهمية بمكان التأكيد هنا على أن الغاية من تدوين هذه الملاحظات هي التقويم العلمي وتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المحقق الدكتور حسن النابودة، مع التأكيد على حقيقة أن ما من عمل علمي مهما علت مرتبة صاحبه. يخلو من أخطاء، علماً أن ما سنشير إليه هو أخطاء علمية خالصة، وفي ما يأتي أهمها:

الملاحظة الأولى: أسقطت عبارة (وملك من بعده أخوه أزدشير، وكان ملكه عشر سنين) من الصفحة ٩٤، الجزء الثاني، لأنها في الحقيقة غير

موجودة في جميع النسخ التي اعتمدها المحقق، ولو أنه ضبط النص بالاعتماد على المصادر التي اعتمد عليها الإزكوي لتمكّن من اكتشاف النقص الحاصل. وقد وردت العبارة في النسخة الأصلية (ب) التي اعتمدها حصرأ ص ١٧. وجاءت وفق ما يأتي:

وملك من بعده سابور ذو الأكتاف، وكان له ملك عظيم، وكان ملكه سبعين سنة.

(وملك من بعده أخوه أزدشير، وكان ملكه عشر سنين).

وملك من بعده سابور، وكان ملكه خمس سنين.

الملاحظة الثانية: وقع مؤلف المخطوطة سرحان بن سعيد الإزكوي في خطأ عندما أشار إلى أن سيف ابن قيفان الذي يقال له: «الصمصامة» صار لمعد يكرب الزبيدي، ولم يصحح المحقق هذا الخطأ في السطر الرابع من الصفحة ١٠٦، ج ١. ولدى عودتنا إلى المصدر الذي اعتمد عليه الإزكوي في التأريخ لملوك حمير، وهو: ملوك حمير وأقبال اليمن لمؤلفه نشوان بن سعيد الحميري، تبين أن سيف ابن قيفان المسمى «الصمصامة» صار لعمر بن معد يكرب الزبيدي، وليس لوالده. وهنا تبدو أهمية ضبط المادة العلمية الواردة في نص المخطوطة بالعودة إلى المصادر التي اعتمد عليها الإزكوي.

الملاحظة الثالثة: لم يلاحظ المحقق ركافة وعدم ترابط الفقرة التي وردت في الصفحة ١٠٦ من الجزء الأول، وهي: «ودخل مدينة الصعيد، فهلك بها، فسميت «شمركند» بلغة العجم أي شمر خزبها، فعربتها العرب، فقبل سمرقند». واكتفى بتصحيح اسم المدينة من الصعيد إلى الصغد، وأشار إلى ذلك في الحاشية رقم (٦). في حين أن الفقرة الصحيحة جاءت في النسخة الأصلية (ب) كما يأتي: «ودخل مدينة الصغد، فهدمها، فسميت سمركند بلغة العجم،



أي شمر خزبها، فعربتها العرب، فقيل: سمرقند». وهنا تبدو ومن جديد أهمية النسخة الأصلية (ب) واستخدامها في عملية التحقيق.

الملاحظة الرابعة: أضاف المحقق في نهاية الباب الرابع الصفحات ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨ من الجزء الأول تحت عنوان: (فصل: اختلف العلماء في نسب الفرس) وأشار إلى ذلك في الحاشية رقم بقوله: ما بين حاصرتين زيادة من نسخة (ج) من ص ١٣٣ - ١٣٨؛ وأضاف في نهاية الباب السابع الصفحات ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤ من الجزء الأول تحت عنوان: فصل (انشقاق القمر). وأشار إلى ذلك في الحاشية رقم بقوله: ما بين حاصرتين زيادة من النسخة (ج). علماً أن هذين الفصلين المضافين غير موجودين في بقية النسخ الأخرى التي اعتمد عليها المحقق، كما أنهما غير موجودين في النسخة الأصلية (ب) التي بين أيدينا، وبالتالي هما زيادة أقحمها الناسخ في النص، وتقتضي عملية التحقيق العلمي الصحيح عدم إضافتهما إلى النص، وعلى المحقق أن يكتفي بالإشارة إليهما في الحواشي فقط.

الملاحظة الخامسة: سقطت من الصفحة ٢٣٠ من الجزء الأول السطر الثاني عبارة (سبعة رجال، ومن بني عوف بن الخزرج) وهي غير موجودة في النسخ الأربعة التي اعتمد عليها المحقق، وترتيبها في السياق كما جاءت في النسخة الأصلية (ب) وفق ما يأتي: «ومن بني الحارث بن الخزرج (سبعة رجال، ومن بني عوف بن الخزرج) ستة رجال.

الملاحظة السادسة: أشار المحقق في الصفحة ٢٥٢ من الجزء الأول إلى نقص في الفقرة التالية: «... فأتوا حسان بن ثابت، فقالوا: إن رسول الله ﷺ، أمرك أن تناصح، وفي نسخة تناصح عنه، وعن أحساب قومك، فقال: لا والله حتى آتي رسول الله ﷺ، فأسأله عن معائب القوم، فإنه أعلم قومه بقريش،

لينسب القوم بما فيهم (...). وإنك لا تزال تُعان بروح القدس ما نافحت عن نبيك وقومك»

غير أن الفقرة وردت كاملة وصحيحة في النسخة الأصلية (ب) ص ١٠٧ كما يأتي: «... فأتوا حسان بن ثابت، فقالوا: إن رسول الله ﷺ أمرك أن تناصح، وفي نسخة تناصح عنه، وعن أحساب قومك، فقال: لا والله حتى أتى رسول الله ﷺ، فأسأله، فأتى النبي، فأمره النبي، وقال له: امض إلى أبي بكر، فأسأله عن معائب القوم، فإنه أعلم قومه بقريش، لينسب القوم بما فيهم، وإنك لن تزال تُعان بروح القدس، ما نافحت عن نبيك وقومك». وهذا تأكيد آخر على أهمية النسخة الأصلية (ب) التي لم يطلع عليها المحقق، ولم يسمع بها.

الملاحظة السابعة: من مهمة المحقق أن يتأكد من صحة المادة العلمية الواردة في النص، بما في ذلك التواريخ طبعاً، وقد ورد خطأ في الصفحة ٢٦٢، ٢٦٣ من الجزء الأول، وهو: «فخرج النبي ﷺ يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، وقيل لثلاث خلون منه على رأس تسع عشرة من الهجرة» وقد ورد التاريخ صحيحاً في النسخة الأصلية (ب) ص ١١٥ كما يأتي: «فخرج النبي ﷺ يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وقيل لثلاث خلون من رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة».

وهنا نسأل كيف يمكن للنبي ﷺ أن يخرج سنة تسع عشرة من الهجرة، وقد توفي سنة إحدى عشرة للهجرة؟! ناهيك عن أن هذا الباب يتحدث عن الأحداث التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة. وهذا تأكيد آخر على أهمية النسخة الأصلية (ب).

الملاحظة الثامنة: أسقط المحقق (فصل قصة النباش) من آخر الباب التاسع عشر، علماً أنه ورد في نسخة دار الكتب الظاهرية ص ٢٠٢، ٢٠٣،



٢٠٤ والتي اعتمدها المحقق نسخة أصلية في التحقيق، ورمز إليها بحرف (ظ) في حين أضاف إلى النص فصل (اختلف العلماء في نسب الفرس) وفصل (انشقاق القمر) كما أشرنا سابقاً، معتمداً على النسخة (ج) مما يؤكد عدم الدقة في التعامل مع النص، علماً أن فصل قصة النباش موجود في النسخة الأصلية (ب) ص ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، وهذا تأكيد جديد على أهمية هذه النسخة في التحقيق، وأن النسخة التونسية ليست نسخة المؤلف.

الملاحظة التاسعة: أورد المحقق في الصفحة ٤٠٧ من الجزء الأول نقلاً عن الأصول الأربعة كما يسميها: «فصل في ذكر مسيلمة الكذاب لعنه الله» ووضع نقاطاً بين قوسين (...). وكتب في الحاشية رقم: تركه الناسخ، وزعم خوف الإطالة، وطلباً للاختصار.

غير أن فصل مسيلمة الكذاب موجود بالكامل في النسخة الأصلية (ب) ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣ وفيه رطوبة في بدايته، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل النساخ في ما بعد يتجاهلونه. وهذا تأكيد جديد على أنه ليس بين النسخ التي اعتمد عليها المحقق نسخة المؤلف الأصلية، وتأكيد آخر على أهمية النسخة الأصلية (ب).

الملاحظة العاشرة: أضاف ناسخ النسخة (ج) بداعي الخلل الصفحات (١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢) على النص من حديث أبي التاج مولى أبي عبيدة بالعودة إلى نهج البلاغة، علماً أن هذه الصفحات المضافة غير موجودة في بقية النسخ الأخرى التي اعتمد عليها المحقق، ومع ذلك أقحمها في النص المُحَقَّق في الصفحات (٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠) من الجزء الأول مخالفاً بذلك مرة أخرى شروط وقواعد التحقيق العلمي الصحيح.

ونضيف نحن المحققون، ونقول: إن هذه الإضافة غير موجودة في النسخة

الأصلية (ب) ولا يلاحظ في هذه النسخة (على عكس بقية النسخ الأخرى) انقطاع في السياق، أو خلل في الفكرة والمعنى يقتضي إضافتها. وبالتالي كان على المحقق الإشارة إلى وجود هذه الإضافة في الحواشي، وكفى.

الملاحظة الحادية عشرة: وقع نسخ النسخ الأربع التي اعتمد عليها المحقق في خطأ علمي عندما نسبوا أفعال سليمان بن عبد الملك إلى أخيه الوليد بن عبد الملك الذي تولى الحكم قبله، وأسقطوا خلافة سليمان ولم يذكروها في النص، وانتقلوا إلى الحديث عن خلافة عمر بن عبد العزيز مباشرة بعد الوليد. ولم يكتشف المحقق هذا الخطأ العلمي، وهذا دليل على أنه لم يتحقق من صحة المادة العلمية الواردة في النص من المصادر التاريخية. ناهيك عن أن المعلومات جاءت صحيحة ودقيقة في النسخة الأصلية (ب) ص ٣٨٢. وهذا تأكيد آخر على أهمية هذه النسخة في تحقيق العمل العلمي الموسوعي العظيم.

الملاحظة الثانية عشرة: من شروط التحقيق العلمي التعريف بالأشخاص والأماكن والأحداث، والنصوص الشعرية، نظراً لأهمية ذلك في استكمال المادة التاريخية عن الفترة التي تناولتها المخطوطة بالدراسة، ويجب الاستعانة بكتب التراجم والمعاجم الجغرافية. وهذا ما لم يتقيد به المحقق د. حسن النابودة على الإطلاق.

وأخيراً فإننا لا ندعي السلامة من الأخطاء العلمية والمطبعية في هذا العمل الموسوعي الكبير، فما من عمل علمي يخلو تماماً منها، ونأمل أن نكون قد أنجزنا الواجب المطلوب وفق قواعد وأسس منهجية التحقيق العلمي الصحيح، ونتمنى أن نكون عند حسن ظن من حملنا المسؤولية الشريفة، ونحن بها معترفون، ولها مخلصون، والحمد لله رب العالمين.



لان الناس لقران الاثر لا يستعربون ولا سماع القصص عن المعربين
 فقلت الي رعيهم لكي يكونوا مستعربين ولقرانهم تصمم الفاك مطبقين
 عسى انهم لا يصل المذهب يعرفون ولا الجهل الحق يعرفون وشبهه
 كتف الغد الجامع لاجاز الامه فمن وقف عليه ولم يهد الي العبد
 فهد قاني ربك العظم قلنا لخطو العلم وان بان له خطاء في معاريفه
 فلتصله بفضله منه ما ينهه وعلى يده انوكروه وحسبي ورواؤك
 وانا اسكتة فابعد مجالسه اهل الحق والتفضل ولا حول الا بالله العلي
 العظيم ترتيب الانوار في ذكر الله
 الباء الاولى في ذكر بدو عباد الاصلام واعتقادات اهل الشرك والسلا
 الباء الثاني في اراء العرب في الجاهلية وما كانوا عليه
 الباء الثالث في ذكر ملوك العم والعبث وذكورتهم وانصارهم
 الباء الرابع في ذكر انتقال الازد واليم الى ارض عمان وحلوا البغية
 الباء الخامس في معرفة الرسل صلوات الله عليهم اجمعين
 الباء السادس في ظهور النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم
 الباء السابع في ذكر المعراج وذكور طرفة وصف الجنة والنار
 الباء الثامن في ذكر بيعة العقبة
 الباء التاسع في ذكر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومكة الى المدينة
 الباء العاشر في ذكر فداء النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
 الباء الحادي عشر في ذكر الامور الحادثة في السنة الثانية من الهجرة
 الباء الثاني عشر في ذكر الامور الحادثة في السنة الثالثة من الهجرة
 الباء الثالث عشر في ذكر الامور الحادثة في السنة الرابعة من الهجرة
 الباء الرابع عشر في ذكر الامور الحادثة في السنة الخامسة من الهجرة
 الباء الخامس عشر في ذكر الامور الحادثة في السنة السادسة من الهجرة

الصفحة الأولى من نسخة جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث - غرداية - الجزائر (النسخة الأصلية ب)



لم يرد الذي يرفع السموات بغير أمر ربنا هاه وسطح الارض على وجه الماء
 ودحاها وجعل لها الجبال وقادا فارسا هاه وخلق آدم عليه السلام
 من طين وحجل نسله من سلالة من عهده واهرج ذريته اطوارا ومتابعية
 فامرهم ليعملوا واما وطايحينه ونهاهم ليزرجه عن نبيها بنبيهم فكما اكثرهم
 لامرنا تركين ولصركونوا الضمير بما نبين فاحصل اليهم الانبياء والمرسلين
 فينبوا لهم الحق المبين ولا وضحوهم السبل المستبين واتوجه بالحق القاهرة والبراءة
 فمنهم من اطاع ولا هتدك ومنهم من ضل وغوى ليجزي الذين اساء واما عملوا
 فجزى الذين استنوا بالسنة والصلوة والسلام على نبينا الامين ومحمدنا
 الانبياء والمرسلين وعلى الصالحين الطاهرين وبعد فقد رعتهم الهبة
 الرجوع هذا الكتاب وتاليفه وتاخير معانيه وتخصيصه قلبه بها اهلا اهلا
 وان لم تكن لتاليف اهلا وذلك لما لايت اكثر اهل زماننا قد غفلوا عن اصل
 من هبهم الشريف واقبلوا على ائمة من هبهم بالتعريف والتعريف وما لولا
 الرضا السادات ذوي الشريف وقد رعت انفسهم عن قراءة الكتاب التي اصلها
 السعة ليعرفوا الحق من هو على شفا جريف هارنا نانا كيه المتلف وقد
 سعت احد من يتعلم بالعلم وينتسب له ذوي المعرفة والقيم يقول عمل اهل
 النهج يفرجه عن طاعة ذي النخوة وقد عرفت من كثير من نبيهم فضلا المذهب
 ويجزى اليه ويرفع به وينسب خلافا لائمتنا الذين استسوه وركنوا الى الله
 انقواعنه فصنف هلك المأثبات لا يقيننا في هذا وفي الالهاب وجعلت
 ظاهره في القصص والاخبار وباطنه في المذهب الحنابلة ولان الناس لقرآه في
 الاثر لا يستمعون ولا استماع التصون عن اللغو فيلتبون فقلت الى رعتهم
 لكي يكونوا مستمعين ولقرآه بتدبيرهم القلب مطعنين عن انهم لا اصول
 المذهب يعرفون ولا اهل الحق بالحق يعرفون وسميته

كنز



اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**
 هذه آيات كتف العمة والجامع لأخبار الأمة
 تأليف الشيخ العالم الفقيه الورع النبيه العادل
 شيخنا كبريائه محمد بن محمد الموسوي الأركوني
 رحمه الله وعمره امين **وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ**
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ويرتجى
 الحمد لله الذي رفع السماء بغير عمد وناهاها وشطط
 الارض على وجه الماء ودرجهاها وحصل لها الحبال
 واتاد اوارسهاها وحلف ادم عليه السلام والطين
 وحصل نسله سلاله فرما مهين واخرج درية
 اطوارا مشايخين فامرهم لغتلاوا امره طائعين
 وبها هم لمزحروا عن نسله كايغره وكان الهم
 لا يفرح تاركين ولم يكونوا النهيه مجابين فارتسل
 اليهم الانبياء والمرسلين فينبوا لهم الحق فمنهم
 مطاع واهتدى ومنهم قرضل وغوي وحرك
 الدين اتاروا بما علموا وحرك الدين احسنوا الحسنى
 والصلوة والسلام على نبينا الامين محمد خاتم
 الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين
 وسجد فقد دعيتي الهمة الى جمع هذا الكتاب واليطو
 وتجليس معانيه وتصنيفه فليستها اهلا وسؤلا

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد أبو سعدي

(النسخة - ج -)

الكبرياء والاحوار والاقصوة الامانة العلي العظمى فليهد
العقد الواقف عليه والناظر فيه ومكان فيه من حظ
فليصلحه ابتغاء مرضاه بركه واحمد لله رب العالمين
وصلى الله على رسوله سيدنا محمد حاتم النبيين
وسلامه على المرسلين واحمد لله رب العالمين وتلك
المتى كتاب كشف العزم الجامع لاخبار الامة وصاح
يوم الثلاثاء ليل اهلون من شهر محادي الاولي
من شهر رجب سنة ثمان مائة وثمانين ومائة
هذا اليوم النبوية الاستلامه علي يد العبد الفقير
المعترف بالذنب والنقص اعرضه الله واجرمه
الى رحمة ربه الاوقل لله عز وجل عامر بن شعوب محمد بن
حلف بن عبد بن عبد الاركوعي منه الغابيه الباليه والمدينا
الى الاخر نقلته كما وجدته مؤثرا متعل عن مولفه كما
الشيخ النعمه العالم الوالد شحان بن سعيد بن شحان محمد
الاركوعي فمن وفق علي كتابي هذا من المسلمين وراي به
عظما صلحه او عونا فليست من مفضله علي فذلك لقلبي
وبصيرتي وصدق جبرائيل لاني قلبه العلم ركيزه الفهم ليست
بناسخ ولا خطي يصلح للنسخ ولكن الشارح لبعض الاحزان
في الله فممن وفق عليه فلياحبه علي المعنى وليكن
لي عازرا ولذني سائرا ما جفرا ان شاء الله وهو محمد
الطيب المصطفى محمد حارث بن حسي من مزره اركوي وقمامه
الي يوم القيمة يقنني به انار الكتب الموقوفة لهذا المتحد علي

منه الغابيه الباليه والمدينا الى الاخر نقلته كما وجدته مؤثرا متعل عن مولفه كما كانه
الشيخ النعمه العالم الوالد شحان بن سعيد بن شحان محمد الاركوعي فمن وفق علي كتابي هذا من المسلمين وراي به
عظما صلحه او عونا فليست من مفضله علي فذلك لقلبي وبصيرتي وصدق جبرائيل لاني قلبه العلم ركيزه الفهم ليست
بناسخ ولا خطي يصلح للنسخ ولكن الشارح لبعض الاحزان في الله فممن وفق عليه فلياحبه علي المعنى وليكن لي عازرا
ولذني سائرا ما جفرا ان شاء الله وهو محمد الطيب المصطفى محمد حارث بن حسي من مزره اركوي وقمامه الي يوم القيمة يقنني به انار الكتب الموقوفة لهذا المتحد علي

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد أبو سعدي

(النسخة - ج -)



ويقال ان ذكر الرجال بعد وهم حياة نافية لان نشر ذكر من ميمماي لاختاره والدهم
 كانه في الحياة وحين يذكر شيئا كحين يذكر شيئا ولجنته بالعاقلة في اصلاح دينه
 والفضل لعارضا ومينا فصل في ملوك حمير قبل ما يهاجروا على السلام
 صلوا امرؤ بعدك الى بنته فحطان فلم يطرقتا به واقبلت بها فلما مات حطان قام
 مقلبن ولد يعرب وخلفه بلحسن الخليفة وسار سير قاسم وعلم على وصيته
 وهو اول من تكلم بالعربية واول من خرج من بيت اللعين ولا نعم صنباها وكان
 ملكا لم يعمر ولم يصد بنو سام الا عن رايه وهو وصيته من اولاد قبل
 موته يا بني احفظوا مني خصالا عشتل تكن لكم شرفا وذكره تعلموا العلم
 واعملوا به واتركوا الحسد ولا يلتفتوا اليه فانه دليعه للقطعة واخذوا
 الشرا واهله فان الشرا لا يحل عليكم الا الله وانصفوا الناس منكم واياكم
 طالكه فانه يتعدى لغيره من الرجال عنكم وعليكم بالتواضع خابن يدرك الى الناس
 ويحببكم اليهم واحفظوا الجار وان جاروا واصححو عن المسي فان اصبح
 عن المسي يحسن العداوة ويزيد مع السوء وسود ذرا ومع الفضل فضلا
 واشر والجار والذليل على نفسك فان جماله كما لكم وانصرف المولى في السلم
 والحرب فانه منكم ولكم وابن المولى انفسكم وحقه عليكم مثل حواجكم سائرهم
 واذا استشاركم مستشرا فاشير وعليه مثلما تشير وادع الى نفسك وغناها
 امانة القها الله واعلموا ان الامانة ما قد علمتم وتذكروا بانصطف الرجال
 تسودوا بدعيتهم فان ذلك يزيدكم شرفا الى احوال الدهر فلما ما يعمر خلفه ليبحث
 ونسبت على وصية ابيه فساد بنو سام وملكوا بهم ذريةهم وملكوا ليمين والحجاز
 فلما ما تبشج خلفه ولد من بعده سببا اسمه عمار وكان ملكا عظيما وكان
 يعبد الشمس حتى عبد الشمس عن ابا بل في عمتها وبنو قنطرة وهو من اولاد
 الدنيا وعمر الشام وكان كلما قاتل امة سببا لربها وبنو مدينة مصر
 وسماها نابليتون ثم حجج الى اليمن وبنو السببا الذي ذكره الله في كتابه عاينه
 العلم وهو سببا لبيد سمعون واذنا وقيل انهما مات قبل ان قامه وقيل
 كان عمره خمس مائة سنة ثم ملكه بنوه وولد يحيى ولم يزل ملكا حتى مات

يعني الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من كان في قلبه حبة من
 الايمان ه وقال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من الخبيث لكن الجنة ارض قاهرة
 ه فرق قال غيره هذا فعلنا اقامة الدليل ه وايضا السبيل ه وان احتج
 محتج بقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقال اذا غلبتكم
 للناس على الظلم فكيف لا يخرجهم من النار فارجعتم قلنا له هلك من هلك
 من اهل الارض والقبلة الابنا وولده ه فاما هذه الآية خاصة لاهل القبلة
 لا لاهل التضليل المصرين على الذنوب المرتكبين للآثم والمجرب ه
 الدليل على ذلك قوله تعالى في آخر الآية وان ربك لشديد العقاب ه فاذا كان
 بزعمك قد غفر للناس على ظلمهم وسميوا بهم ورضي عنهم على اصلهم وعظمهم
 فعلى من استند عقابه ويحقر في الآخرة عنده ه وانما المعنى في الآية وتاويلها
 وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اذا تابوا واقبلوا وان ربك لشديد
 العقاب لمن لم يتب واقام على ما صير واصر عليها ه والنظر يجب
 عندي ان هذا مثل قوله تعالى فالقي السحرة ساحدين فاجرى عليهم بعد
 توبتهم واسلامهم وسجودهم اسم السحر الذي كانوا عليه في شركهم فان
 قال قائل ان المنافق لا يتكلم باسم المؤمن فكذلك الفاسق لا يتكلم باسم
 المنافق ولا اسم الكافر لانه المنافق عندهم مكذب والفاسق مصدق
 تكلم الفاسق عندهم غير حكم المنافق ه قلنا له ان العاصم من اهل الارض
 والتوحيد للحق الاسماء الخبيثة كلها ما خلا اسم الجوده الدليل على ذلك
 قوله تعالى في المنافق واتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله وقال
 ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا ه ثم قال في آخر قصتهم ان الله لا يهدي القوم
 الفاسقين ه وقال لا تعذبوا الذين كفروا بعد ايمانكم ه وقال فذوقوا العذاب
 بما كنتم تكفرون ه وقال ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ومانوا وهم
 فاسقون ه ويوجد النبي صلى الله عليه وسلم ان قال لا تخم باوى
 الناس بالنار قيل من هو يا رسول الله ه قال فاسق قرآن كتاب الله لم
 يردوى منه شيئا وعنده ايضا انه جلس ذات يوم بعد ما صلب الظن

قال الرسول

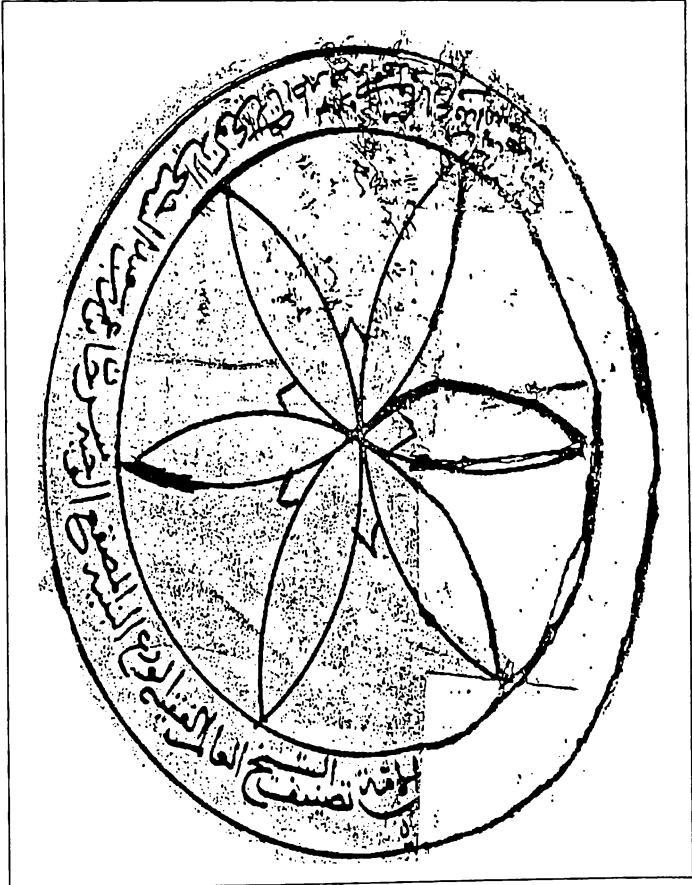
٢٩٩



الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمد وبنهاهاه ووسط الأرض على وجه الماء وادحاه وجعل لها مجازا ونازلا فارساهاه وخلق آدم على السلام من طين وجعل سلالة من ماء طهين واخرج ذرية أطوارا متابعين فاممهم ليمتثلوا لأمره وأمره يطاع ويعين ونهاهم ليعصوا عن نهيه خافين فكان أكثرهم لامره تاركين ولم يكونوا نهيه مجانبين فأسر الله الأبياء والمرسلين فيقول الله لمثق العيين واوتحو الم السيلتين واتوه بالحق القاهرة والبراهين فمنهم اطاع واهتدى ومنهم عصى وعصى بعصى الذين أساءوا بما عملوا وعصى الذين أحسنوا بالحسن والصلاة والسلام على سيدنا الامين محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد قد دعيت الهمة الي جمع هذا الكتاب وتأليفه وتلخيصه وتصنيفه فليتها اهلا وسهلا وان لم يكن لنا لينا اهلا وذلك كما رأيت اكثر اهل ما ساقف غفلوا على امر من جهلهم الشريف واقبلوا على امر من همم بالعبس والمعسوم ومالوا الى السارق ادوي التشريف وقد عجت انفسهم عن قراءة الكتب التي اضلها السلف ليعرفوا الحق من هو على شفاجره ومارفا بهاربه الى تلفه وقد سمعت احدا من تجلوا بالعلم و يتسب الى ادوي المعرفة والقوم يقولون اهل النهج عجزهم عن طاعة ربي الفجر وقد عرفت اكثر من يتسب بهذا المذهب ويعرض اليه من رفع دروسه خلافا لائمة الدين اسوة وسكونا الى الذين انصروا عنه وادسوه هذا الكتاب وسمت في عدد راوي الاثبات وجمعت ظاهره في القصص والاخبار وباطنه في المذهب المختار لان الناس لا يقرأ الا لا يستمعون ولا يستماع القصص عن اللغز يشعرون في ان رغبتم لقي بكونوا متعجبين ولقد اذنت بصميم القلب مهطعين من سائرهم لاصول المذهب فيقولون ولا اهل الحق يعترفون وبهنة كسب الحق والجامع لاخبار الائمة فمن وفق عليه ودرج في فهمه فليهد الى العرفه لاني سكت الفقه قبله لخطا والاعلم وان بان لخطا في معانيه فليعجب من منة باينه وعلمه انما توكلم وهو حسي ونعم الوكيل وانا استغفره

خزي ولهم في الاخيرة عند عظيمهم وقد عرفنا عن بعض اصحابنا في بعض السمرانه قال بلغنا ان الله يقول للفاجر يوم القيمة ما حملك على ان تقبلي على الجور فما لي تقول ان كنت رجوا محبتك فيكذب هناك كما كان يكذب في الدنيا قال فيقول له الرب تبارك وتعالى وعز وجل لا لي او علمت انك تلتقاني وانك ليما تقبلي على ما لقبيني عليه وبلغنا ان الرب تبارك وتعالى يقول للعبد يوم القيمة ما كان ظنك في فيقول ظني بك انك ستعترف في محبتني فيقول الرب وبك انك تظن نفسك ورسلي وكتبني فيقول يا رب رد ذلالي الدنيا فيقول له ابن الدنيا وقد اذنت ارضها وسماها ونمستها وقرها وعزومها ولبها ونهارها وجبالها ونهارها فيقول يا رب اقبل مني الايمان قال فيقول في قضيت لا اقبل الايمان الا عن ظم غيب فيقول فاموت فيقول له ليس لي في ذلك سبيل فعند ذلك ينقطع كلام العبد وتحت عليه القوارح فيقال ويحتمل في كما بناه اهل شرنا نحن من بينا فيه ولبادها مفسر اقطاع الحجة الخصم المعارض ورحضا الاعتلال المشاجرا بما نقص ويرهنا ما فيه الهداية والبيان على التزيغ والاشنان فان كان هذا الذي بهناه في هذا الكتاب حقا وصح منه عند وصيرنا ان كل من الله هذا لنا ليقه ووفقنا لتلخيصه وتصنيفه وان ليس فيه خطأ او في شئ منه غلط قاتا استغفر الله تعالى عنه وجميع ما خالفتم فيه الحق ووافقت فيه منها حج ذوى الهداية والصدقة وباده توفيقنا وعلية اعدانا ودية عصمتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل اقوى معين واهدى دليل وسالستنا العيوننا وغفر الزنونا وتوفيقا لطاعة وتبليغا لمصانة وان يحتم بالخير ايماننا وسيد في جميع الامور احوالنا وان تجعل هذا التاليف حجة لنا ولا علينا وان يتقبل منا ويحبنا عليه غفرا وبنا انه هو الجواد الرحيم العقور الكريم والاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فليهد العبد الواقف عليه واننا ظريف وما كان فيه خطأ فليصلح ابتغاء مرضاته فانني استيت باهل التصديف ولا يمن يجر لتناثر والتاليف والمردية والعالمين وصلى على محمد وآل النبيين والمسلمين وعلى اله وسلم تسليمنا كثيرا ٥٥

الكتاب المذكور هو جامع التلخيص في تفسير القرآن العظيم وقامته من الفقه في الآداب
 عن جماعة من علماء الأئمة الأربعة واللاه والحق الشاع الفاضل من علماء
 الخليل رحمه الله اياه انه رحمها وصلى على سيدنا محمد وآله
 وحسنه وسلمها لنا ولا حرك ولا فتح الا بالله
 العبد العظمى امته



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الدكتور محمود بن مبارك السليمي
(النسخة - و -)

الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمد وبنائها وسطح الأرض على وجه الماء وخلقها وجه
 لها الجبال أو نادا فارساها وظفر آدم عليه السلام من طين و جعل نسله من سلالة
 ماء عذبة و أخرج ذريته أطوارا متتابعين و فامرهم ليمثلوا أو امره طابعه
 ليزدجروا عن نبيه خاتمين و فكان أكثرهم لأمره تاركين و
 فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين و فبينوا لهم الحق المبين و
 وأنهم بالحق القاطة والبراهين فبهم من اطاع واهتدى
 الدين اساقا بما علواه و يجزي الذين احسنوا بالحسن
 الامين و ستر خاتم الانبياء والمرسلين و وعلى اله الطيب
 و قد دعيتني لكتابة الجمع هذا الكتاب وتاليفه و
 اهلا وسهلا و وان لم اكن انا للتاليف اهلا و
 عن اصل مذهبهم الشريف و اقبلا على آية
 السادة ذوي الشرف و
 اصلها السلف ليعرفوا الحق من هو
 سميت احدا من يقتل العلم وينتسب
 اليهم بخروجهم عن طاعة ذي العزة
 ويجزي اليه ويرفع به وينسب به
 عنه و دنسوه فصنعت هذا
 باله في الف
 شمار

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الدكتور محمود بن مبارك السليمي

(النسخة - و -)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع السماوات بغير عمد، وبنائها، وسطح الأرض على وجه الماء، ودحاها، وجعل لها الجبال أوتاداً، فأرساها، وخلق آدم ﷺ، من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، وأخرج ذريته أطواراً متتابعين، فأمرهم ليمثلوا أوامره طائعين، ونهاهم ليزدجروا عن نهيه خائفين، فكان أكثرهم لأمره تاركين، ولم يكونوا لنهيه مجانبين، فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين، فبينوا لهم الحق المبين، وأوضحوا لهم السبيل المستبين، وأتوهم بالحجج القاهرة والبراهين، فمنهم من أطاع واهتدى، ومنهم من ضلَّ وغوى، ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعده...

فقد دعيتني الهمة، إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه، وتلخيص معانيه وتصنيفه، فليتها أهلاً وسهلاً، وإن لم أكن للتأليف أهلاً، وذلك لما رأيت أكثر أهل زماننا، قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف، وأقبلوا على أئمة مذهبهم بالتعنيف والتعسف، ومالوا إلى حب السادات ذوي التشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب، التي أصلها السلف، ليعرفوا المُحق ممن هو على شفا جرف هارٍ، فانهار به إلى التلف، وقد سمعت أحداً ممن يتحلى بالعلم، ويتسبب إلى ذوي المعرفة والفهم، يقول: عجل أهل النهر بخروجهم عن طاعة ذي الفخر. وقد عرفت من كثير مما يتسمى بهذا المذهب، ويُعزى إليه، ويرفع به ويُنسب، خلافاً لأئمتة الذين أسسوه، وركنوا إلى الذين أنفوا عنه.



فصنفت هذا الكتاب، وبَيَّنت فيه عذر أولي الألباب، وجعلت ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة الأثر لا يستمعون، ولاستماع القصص عن اللغو يثبتون، فملت إلى رغبتهم، لكي يكونوا مستمعين، ولقراءته بصميم القلب مهطعين، عسى إنهم لأصول المذهب يعرفون، ولأهل الحق بالحف يعترفون، وسميته «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» فمن وقف عليه، ودخل فيه، فليمهد لي العذر فيه، لأنني ركيك الفهم، قليل الحظ والعلم، وإن بان له خطأ في معانيه، فليصلح بفضل منه مبانيه، وعلى الله أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، وأنا أستغفر الله من مخالفة أهل الحق والتفضيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ترتيب الأبواب لهذا الكتاب

الباب الأول: في ذكر بُدو عبادة الأصنام، واعتقادات أهل الشرك والضلال.

الباب الثاني: في ذكر آراء العرب في الجاهلية، وما كانوا عليه.

الباب الثالث: في ذكر ملوك العجم والعرب، وذكر شيء من أخبارهم.

الباب الرابع: في انتقال الأزد من اليمن إلى أرض عُمان، وإجلاء الفرس من عُمان.

الباب الخامس: في معرفة الرسل، صلوات الله عليهم أجمعين.

الباب السادس: في ظهور النبي محمد ﷺ.

الباب السابع: في ذكر المعراج، وذكر طرف من صفة الجنة والنار.

الباب الثامن: في ذكر بيعة العقبة.

الباب التاسع: في ذكر هجرة النبي ﷺ، من مكة إلى المدينة.

الباب العاشر: في ذكر قدوم النبي ﷺ، إلى المدينة.

الباب الحادي عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثانية من الهجرة.

الباب الثاني عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثالثة من الهجرة.



الباب الثالث عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الرابعة من الهجرة.
 الباب الرابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الخامسة من الهجرة.
 الباب الخامس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السادسة من
 الهجرة.

الباب السادس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السابعة من
 الهجرة.

الباب السابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثامنة من الهجرة.
 الباب الثامن عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة التاسعة من الهجرة.
 الباب التاسع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة العاشرة من الهجرة.
 الباب العشرون: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الحادية عشرة من الهجرة
 الباب الحادي والعشرون: في آداب النبي محمد ﷺ.

الباب الثاني والعشرون: في شيء من الأحاديث النبوية.

الباب الثالث والعشرون: في ذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

الباب الرابع والعشرون: في ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الباب الخامس والعشرون: في ذكر خلافة عثمان بن عفان، وذكر إحدائه
 وقتله.

الباب السادس والعشرون: في ذكر خلافة علي بن أبي طالب، وما جرى
 فيها.

الباب السابع والعشرون: في جواب عبدالله بن إياض لعبد الملك بن مروان، وفي أمر عثمان، ومعاوية، وعلي بن أبي طالب وولده الحسن.

الباب الثامن والعشرون: في ذكر الفرق الإسلامية، وهي ثلاث وسبعون فرقة، وذكر اعتقاد كل فرقة منها، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في أسماء فرق المعتزلة، واعتقاد كل فرقة منهم، وهم خمس عشرة فرقة.

الفصل الثاني: في الفرق العثمانية، وهم خمس عشرة فرقة.

الفصل الثالث: في فرق الخوارج، وهم ست وعشرون فرقة.

الفصل الرابع: في فرق الشيعة، وهم ست وعشرون فرقة.

الباب التاسع والعشرون: في اعتقاد الفرقة الوهبية الإباضية، وهي الفرقة المحقة.

الباب الثلاثون: في ذكر الدولة الأموية، والدولة العباسية.

الباب الحادي والثلاثون: في ذكر الأئمة الذين باعوا أنفسهم لله في إنكار المنكر.

الباب الثاني والثلاثون: في ذكر انتشار المذهب الإباضي بأرض المغرب، وذكر أئمتهم وعلماهم.

الباب الثالث والثلاثون: في ذكر أخبار أهل عُمان من أول إسلامهم، إلى اختلاف كلمتهم.

الباب الرابع والثلاثون: في ذكر اختلاف أهل الدعوة في ولاية أهل الحرب الواقع بعُمان في عهد الإمام الصلت بن مالك.



الباب الخامس والثلاثون: في ذكر الإمامين سعيد بن عبد الله، وراشد بن (٤) الوليد، ومن بعدهما من الأئمة، إلى عمر بن قاسم الفضيلي.

الباب السادس والثلاثون: في ذكر الملوك المتأخرين من النباهنة، وغيرهم، إلى ظهور الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله.

الباب السابع والثلاثون: في ظهور الإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله، وذكر الأئمة من بعده، إلى وقوع الفتنة بين العيارية.

الباب الثامن والثلاثون: في ذكر وقوع الفتنة بعُمان بين العيارية، وما آلت إليه تلك الأمور.

الباب التاسع والثلاثون: في تواريخ بعض الصحابة، وذكر علماء الإباضية، من عُمان وغيرها.

الباب الأربعون: وهو خاتم الكتاب، في ذكر عذاب القبر، وفي الرد على من قال بالرؤية في الآخرة، وفي ذكر الشفاعة، والميزان، والصراط، وفي الرد على من قال بالعفو، والخروج من النار لأهل الكبائر، من ذوي الإقرار.

تمت الأبواب، بعون الملك الوهاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم، عليه وعليهم أجمعين.

الباب الأول

في ذكر بدء عبادة الأصنام
واعتقادات أهل الشرك والضلال





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لم يزل، لا ببقاء مبقٍ أبقاه، فبقي ببقاء المبقى له باقياً، الدائم الذي لم يزل، لا بإدامة مدوم أدامه، فدام بديمومة المدوم له دائماً، خلق الأشياء لا من مؤات عنده، كما زعم المفترون سبحانه وتعالى علواً عما يقولون، بل خلق الأشياء لا من شيء، اخترعها من عدم، أنشأها وبدعها، ثم خلق بعضها من بعض، سبحانه الخالق لكل شيء، وهو العليم القدير، بنفسه ذاته، وذاته إثباته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، خلق الخلائق دلالة على ربوبيته، ولكن مكلفهم حظاً بعبادته، فأمر الله ﷻ، بعبادته العقلاء البالغين، ليوصلهم أسنى المنازل، إن امتثلوا أوامره طائعين، فمنهم من اهتدى، ومنهم من ضلَّ وغوى، فتفرقوا عند أوامره أطواراً مختلفين، فهدى الله الذين آمنوا لحسن اختيارهم، فأصبحوا بنعمته مؤتلفين، وأضلَّ الله الذين اختلفوا بسوء اختيارهم، فأصبحوا لسوء اختيارهم كافرين، ولا يزالوا مختلفين، إلا من رحم ربك وهو أعلم بالمهتدين.

فأول من خالف وطغى، وتمزّد وعصى، إبليس اللعين، حين قال الله للملائكة: اسجدوا لآدم، فسجدوا خاضعين، إلا إبليس، كان من الجن، ففسق عن أمر ربه، فصار من الكافرين، فقال الله: يا إبليس، ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي، استكبرت، أم كنت من العالين؟ فقال إبليس: لم أكن لأسجد له، خلقتني من نار وخلقته من طين، فظن إبليس، لعنه الله، أنه خير من آدم،

إذ خُلِقَ من نار، وخلق آدم من طين، وجعل النار عنده أفضل من الطين، فقال الله: اخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، فأحبط الله عباده ثمانين ألف سنة بمعصية واحدة.

وقيل: كان إبليس يعبد الله كل يوم في سماء، حتى إذا كان يوم الجمعة، عبد الله في السماء السابعة، وكان امتناعه عن السجود لآدم حسداً له وتكبراً، فصار من الهالكين.

فاحذروا الحسد والكبر أيها السامعون، واتقوهما، فإنهما رأس الخطايا الموبقات، وأساس الذنوب المهلكات، فكم من حاسد أرداه حسده في نار جهنم، ومتكبر ألقاه كبره في العذاب المهين، نعوذ بالله من الكبر والحسد، ومن جميع الذنوب والخطايا، إنه هو السميع العليم.

ثم لما أسكن الله آدم وزوجته عِوَاءَ الجنة، وسوس لهما الشيطان، حتى أكلتا من الشجرة التي نهاهما الله عن أكلها، فأخرجهما الله من الجنة، إذ عصيا، ثم تاب آدم وحواء، لما أهبطا إلى الأرض، فتقبل الله منهما، وتاب عليهما، لأن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم، فلا يمنع أحدكم عن التوبة كثرة ذنوبه، وإسرافه على نفسه، ويقول: ذنوبي (٦) عظيمة، فلا تقبل توبتي، وليس لي توبة، فيزداد بعداً من الرحمة، فما من ذنب إلا وله توبة، وإن الله يحب التوابين، وإن الله يقبل التوبة من عبده، حتى يغرغر بالموت، فحينئذ لا تقبل توبة ولا فدية، ولا ينفع مال ولا بنون، فصار آدم إمام التائبين، وإبليس إمام المصرين.

فاحذروا إخواني الإصرار، واتقوه، وبادروا المتاب، وعجلوه، والعنوا إبليس، واتخذوه عدواً، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.



وقيل: إن لعن إبليس فريضة، كما أن الصلاة على النبي ﷺ فريضة، وفيه الثواب.

ولم يزل دين الله على الاستقامة، حتى قتل قابيلُ هايبيل^(١)، وكان ذلك من سبب الحسد أيضاً، فمات قابيل كافرأ، ولم يكن له عقب، ليقع في الناس اختلاف.

ولم يزل الدين مستقيماً، حتى عُبدت الأصنام، فوقع بين الخلق الاختلاف، وسبب عبادة الأصنام، قيل: لَمَّا مات نسر بن آدم^(٢) وكان آدم قد أوصى إليه، فقام شيث^(٣) بوصية أبيه، وإخوته الأربعة له تابعون، يجلّونه، ويقدمونه، إلى أن

(١) قابيل وهايبيل: بعد هبوط آدم وحواء إلى الأرض، ولدت له حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، وكانت تلد في كل بطن ذكراً وتوأمه «أنثى». وكان أول أولاده وتوأمته «قليما» ثم هايبيل وتوأمته «ليوداه». فكان آدم يزوج غلام البطن مع توأمه الآخر. وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هايبيل، فطلب هايبيل أن ينكحها، فأبى عليه قابيل وقال: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوجها. فأمره أبوه آدم أن يزوجه لهايبيل، فأبى. وعندما أمر الله تعالى آدم أن يأتي بيت الله في مكة، قتل قابيل أخاه هايبيل كي لا ينكح أخته، فلما قتله، سقط في يديه، ولم يدر كيف يواريه، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى، فواراه الثرى.

انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار القلم، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٧١-٧٢. (٢) نسر بن آدم: لم يرد ذكره بين أولاد آدم في المصادر العربية الرئيسية التي تعنى بدراسة قصة الخلق. وذكره ياقوت الحموي بين الأصنام التي كانت تعبد في عهد نوح ﷺ. وترجمته: نسر: أحد الأصنام الخمسة التي كان يعبدها قوم نوح ﷺ، وصارت إلى عمرو بن لحي، ودعا القوم إلى عبادتها، فكان فيمن أجابه حمير، فأعطاهم نسرأ، ودفعه إلى رجل من ذي رعين يقال له معدى كرب، فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع، فعبده حمير ومن والاها، حتى هودهم ذو نواس. وقد ذكره الأخطل فقال:

أما ودماء مائترات تخالها على فنة العزى وبالنسر عندما
وما سبح الرحمن في كل بيعة أيبيل الأيبيلين المسيح بن مريما

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٤.

(٣) شيث بن آدم: ولد شيث بن آدم بعدما قتل قابيل أخاه هايبيل بخمس سنين، وكان عمر آدم حين ولد شيث ١٣٠ سنة. فسمي شيث «هبة الله» لأن جبريل ﷺ قال لآدم حين وضعته حواء: «هذا هبة الله بدل هايبيل». وإليه أوصى آدم، وصارت الرئاسة إليه بعد وفاة أبيه، فأنزل الله عليه خمسين صحيفة، وهناك =

مات، فأوصى إلى أخيه يغوث^(١) فقدّموه، كما قدّموا أخاه، فسار بسيرة أخيه، فجاءه إبليس، فقال له: إني رفيق لك، فقال يغوث: كيف ذلك؟ فقال: أصور لكم صورة أحيكم في جميع الأفاق، لكي تنظروه، وتمروا عليه، فقال له: أنت وذلك، فصوّره لهم في جميع الأقطار. فلما مات يغوث، استخلفوا عليهم يعوق^(٢)، فسار فيهم سيرة أخويه، فجاءه إبليس، وقال له كما قال ليغوث، فقال يعوق: أنت وذلك، فصور لهم صورة يغوث في جميع الأقطار.

ولم يزل إبليس كلما مات واحد من هؤلاء الأربعة، صور له، وتناسل أولاد هؤلاء الأربعة، فكان كل منهم يطوف على جدّه، ولما تطاولت المدة، جاءهم إبليس، فقال: إن آباءكم كانوا يعمنون دون هذه الأصنام، فافترق الناس يومئذ فرقتين، فكذبهم قوم وهم المخلصون، لما سبق في علم الله، أنه ليس له عليهم سلطان، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢]. واتبعه الغاؤون وأطاعوه، فعبدوا تلك الأصنام

= من يقول: إن كل بني البشر من صلب شيث، لأن كل أولاد آدم انقرض عقبهم. ولم يزل شيث مقيماً بمكة يحج ويعتمر، وبني الكعبة من الحجارة والطين حتى مات، فدفن مع أبويه آدم وحواء في غار أبي قبيس. انظر: الطبري محمد بن جرير: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣-٨١.

(١) يغوث: لم يرد ذكره بين أولاد آدم في المصادر التاريخية العربية التي تعنى بدراسة قصة الخلق، وذكره ياقوت الحموي بين الأصنام التي كانت تُعبد في عهد نوح عليه السلام. وترجمته: يغوث: من أصنام قوم نوح الخمسة المذكورة في القرآن الكريم، أخذها عمرو بن لحي من ساحل جدة وفرقها فيمن أجا به من العرب إلى عبادتها. فدفع يغوث إلى أنعم بن عمرو المرادي، وكان بأكمة باليمن يقال لها مذحج تعبد مذحج ومن والاها، ثم أخذها بنو الحارث. قال الشاعر:

وسار بنا يغوث إلى مراد فناجزناهم قبل الصباح

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٩.

(٢) يعوق: لم يرد ذكره بين أولاد آدم في المصادر التاريخية العربية التي تتحدث عن قصة الخلق. وذكره ياقوت الحموي بين الأصنام الخمسة التي كانت تعبد في عهد نوح عليه السلام. وترجمته: يعوق: اسم صنم كان لهمذان وخولان، وكان في أرحب، ويعوق من الأصنام الخمسة التي كانت لقوم نوح عليه السلام، وأخذها عمرو بن لحي من ساحل جدة، وأعطاه لمن أجا به إلى عبادتها، فأجا به هذان فدفع إلى مالك بن مرثد الهمذاني يعوق، فكان بقرية يقال لها خيوان تعبد هذان ومن والاها بأرض اليمن إلى أن تهودوا أيام ذي نواس. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٨.



المصوّرة، وصدقوا ما قال لهم، وقالوا: صحيح، لأننا وجدنا آباءنا يطوفون بها. فمن ذلك اليوم والناس في عبادة الأصنام.

وقيل: إن الأصنام (٧) عُبدت من عهد نوح عليه السلام، وذلك أن نوحاً كان يحرس قبر آدم عليه السلام، على جبل بالهند، فجاء إبليس إلى من خالف نوحاً، وقال: أنا أصنع لكم صورة آدم وأولاده، لتلا يفترخ عليكم نوح ومن تابعه، ويقولون: نحن ذرية آدم دونكم، فنحت لهم هذه الأصنام الخمسة، فعبدها، وهي: ود^(١)، وسواع^(٢)، ويغوث، ويعوق، ونسر، وهم أسماء آلهتهم.

فلما كان زمان الغرق، اندفنت هذه الأصنام، فلم تزل مدفونة، حتى أخرجها إبليس، لعنه الله، للعرب في أول جاهليتهم، ودلّهم عليها، وسماها لهم. فأخذت قضاة ودأ^(٣)، فعبدوه في دومة

(١) ود: اسم صنم كان لقوم نوح عليه السلام، وكان لقريش صنم يدعونه ودأ، وكان لبني وبرة، وكان بدومة الجندل، وكانت سدانة لبني الفرافصة أبناء الأحوص الكلبيين، وبقي يُعبد حتى هدمه وكسره خالد بن الوليد بعد غزوة تبوك. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٥٧م، ج٥، ص ٣٦٦-٣٦٨.

(٢) سواع: اسم صنم كان لقوم نوح عليه السلام، ثم اتخذه هذيل بن مدركة، فكان لهم برهاط من أرض يثبع، وكان سدنته بنو لحيان. قال الشاعر:

تراهم حول قيلهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع
يظلم جنابه صرعى لديه عشائر من ذخائر كل راع

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٧٦.

(٣) قضاة: جدّ جاهلي قديم، بنوه قبائل ويطون كثيرة، اختلف الرواة في نسبه، فقيل: إنه ابن مالك بن عمرو بن مزة، من حمير، من قحطان، وقيل: هو عمرو ابن معد بن عدنان. وثمة روايات أخرى في أسماء آبائه. والأكثر على أنه قحطاني. ويقال: كان ملكاً على بلاد «الشحر» بين عُمان واليمن، نزل بنوه أو بعضهم شاطئ البحر الأحمر، وقاتلهم العدنانيون، كانت مساكنهم بين جدّة وذات عرق (قرب مكة) ثم تفرقوا في البلاد، فمنهم من نزل بوادي القرى والحجر، ومنهم من استقر في أطراف الشام، ومنهم من طلع إلى نجد. وقال ابن خلدون: كان لقضاة ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، واستعملهم الروم على بادية العرب. ونقل الهمذاني عن ابن منه أن قبر قضاة اكتشف في اليمن، أيام عمرو ذي الأذعار الحميري، وفيه عمود أخضر كتب عليه بالمسند: «هذا قبر قضاة بن مالك بن حمير. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، ج٥، ص ١٩٩.

الجنبدل^(١)، ثم توارثته الأكابر، حتى صار إلى كلب^(٢)، فجاء الإسلام وهم يعمن دونه. وأما سواع، فصار إلى هذيل^(٣)، فجاء الإسلام، وهم يعمن دونه. وأما يعوق، فكان عند طيء^(٤)، فصار إلى مراد^(٥)، فعبدوه، هم وبنو

(١) دومة الجندل: بلدة في غائط من الأرض فيها عين تسقى منها بساتين النخيل والزرع، سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني من الجندل. فتحها خالد بن الوليد سنة ٩هـ. وقعت فيها قصة التحكيم بين أصحاب علي وأصحاب معاوية بعد معركة صفين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٨٧ - ٤٨٩.

(٢) كلب: كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة، جد جاهلي، حيثما أطلق لفظ «كلب» فالنسبة إليه، من نسله بنو كلدة وبنو أوس وبنو ثور وبنو ربيعة، كانوا ينزلون دومة الجندل، وتبوأ أطراف الشام. وصنمهم في الجاهلية «وده» نصوبه بدومة الجندل، وكانت لهم في أوائل القرن الثالث للهجرة خفارة الطريق على البر بالسماوة، في ما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٥، ص ٢٣٠.

(٣) هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر من عدنان: جد جاهلي، بنوه قبيلة كبيرة. كان أكثر سكان وادي نخلة المجاور لمكة منهم. ولهم منازل بين مكة والمدينة، ومنهم في جبال السراة، وكانوا أهل عدد ومنعة، واشتهر منهم كثيرون في الجاهلية والإسلام، وكان صنمهم «مناة» وهو صخرة في ديارهم بقديد على ساحل البحر الأحمر، وبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فحطمه سنة ٨هـ. وشاركو كنانة في عبادة «سواع» بوادي نعمان قريباً من مكة. وهم الذين دفعوا أبا الطاهر سليمان بن الحسن الجنبابي القرمطي على اقتلاع «ميزاب الكعبة» يوم نهب مكة وفكك بأهلها سنة ٣١٦هـ. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٨، ص ٨٠.

(٤) طيء: طيء بن أدد، من بني يشجب، من كهلان، جد جاهلي، النسبة إليه طائي. وقيل: اسمه جلهمة، وطيء لقبه، كانت منازل بنيه في اليمن، وانتقلوا إلى جبلي «أجا وسلمى» من بلاد نجد، فكانت منازلهم من دون قديد، إلى أن أقصى أجا إلى القريات، وكان اسم صنمهم في الجاهلية، «الفلس» أقاموه بنجد، قريباً من قديد، وسدنته بنو بولان. أرجع الأشرف الرسولي قبائل طيء إلى أصليين: جديلة، والغوث، ومنهم الآن بطون كثيرة متفرقة في شمالي الحجاز وباديي الشام والعراق، ينضوي معظمها تحت اسم «قبائل شمر». انظر الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٣، ص ٢٣٤.

(٥) مراد: مراد «واسمه يحابر» بن مالك (وهو مذحج) بن أدد بن زيد، من كهلان من القحطانية: جد جاهلي يمانى، بنوه قبيلة كبيرة ويطون: قيل لعمرو بن معد يكرب: ما قولك في مراد؟ فقال: «أولئك الأتقياء البررة، والمساعير الفخرة، أكرمنا قراراً، وأبعدنا آثاراً» من نسله «فروة بن مسيك الصحابي» و«شريك بن عمرو بن عبد يغوث» من فرسان القادسية، ضرب ابن رستم بالسيف. انظر الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٧، ص ١٩٩.



الحارث بن كعب^(١). وأما يغوث، فلعله كان لهمدان^(٢). وأما نسر، فلحمير^(٣)، ومن دخل في ملكهم.

فهذا سبب عبادة الأصنام، فأرسل الله رسله مبشرين ومنذرين، فكلما جاء أمة رسولها، كذبوه، وحاربوه، وآذوه، ولقي الأنبياء من الكفار ما لقوه، فصبروا على طاعة ربهم.

ثم استحوذ الشيطان على الزنادقة الدهرية، فجددوا الباري وَعَلَيْكُمْ، **﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾** [الجنانية: ٢٤]، يعنون: ما يهلكهم إلا طول مرور الأيام والليالي والشهور والأعوام، وليس لهذا الخلق خالق خلقه، فكذبهم الله بقوله: **﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾** [الجنانية: ٢٤].

(١) الحارث بن كعب: الحارث بن كعب بن عمرو بن علة، من مذحج، من كهلان: جد جاهلي، من نسله بنو الديان (رؤساء نجران) وشريح بن هانئ (من أصحاب علي) ومطرف بن طريف، وآخرون، كلهم حارثيون كهلانيون، من قحطان. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٥٧.

(٢) همدان: همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة، من بني كهلان، من قحطان: جد جاهلي قديم. كانت منازل بني في شرقي اليمن، ونزل كثير منهم بعد الإسلام في بلاد الحجاز وغيرها. وكانوا أيام اتقاد الفتن بين بعض الصحابة من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، واستمر التشيع فيهم. كان صنمهم في الجاهلية «يعوق» منصوباً في «أرحب» ومشاركتهم فيه خولان. كانت تلبية من نسك ليعوق: «لييك اللهم لبيك. لبيك، بغض إلينا الشر، وحب إلينا الخير، ولا تبطرنا فنأشر، ولا تفدحنا بعثاره». انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٩٤.

(٣) حمير: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان ملك اليمن، وإليه نسبة الحميريين ملوك اليمن وأقياله، كان شجاعاً مظفراً، حكم بعد أبيه سبأ، وعاصمة ملكه صنعاء، وإنه غزا وافتتح حتى بلغ بعض غزاته الصين، واتخذ تاجاً من الذهب، وكان أول من توج به، ويرى بعضهم أن اسمه العرنجج، وأنه لقب بحمير لكثرة لبسه الثياب الحمرة، وإليه ينسب الخط الحميري، ولما توفي جعل في مغارة، ووضعت معه أدراعه كي لا يلبسها أحد بعده. وكان لبني حمير في الجاهلية صنم اسمه «نسر» منصوب بنجران، وآخر اسمه «رنام» بصنعاء. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٨٤.

فصل في مذهب (أهل) (١) الهند

وهم أولاد حام بن نوح (عليه السلام)، وهم أمة كثيرة، وملة عظيمة، ولهم آراء مختلفة. فمنهم البراهمة (٢) المنكرون للنبوة.

ومنهم من يميل إلى الدهرية، ومنهم من يميل إلى الثنوية (٤)، وأكثرهم على مذهب الصابئة (٥)، ومنهم من يقول بالروحانيات (٦)

(١) إضافة من نسخة دار الكتب الظاهرية، ص ٧.

(٢) حام بن نوح: كان أحد أولاده الثلاثة (سام وحام ويافث) الذين صعدوا إلى سفينة نوح حين أخبرته زوجته بغروران الماء من التنور. وت خلف عنه ابنه يام لأنه كان كافراً لم يؤمن. وأرسل الله المطر أربعين يوماً. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، ج ١، ص ٧٢-٧٣.

(٣) البراهمة: نسبوا إلى رجل يقال برهم، وهم ينفون النبوات، ويقولون في مذهبهم على العقل وما حسن فيه، ثم افرقت البراهمة أصنافاً كثيرة، فمنهم من مال إلى الهيكل والأنداد، ومنهم أصحاب الفكرة المحتالة، ومنهم أصحاب التناسخ، ولهم أقاويل كثيرة وآراء مختلفة. انظر: القلهاطي، أبو عبد الله محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٤) الثنوية: هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وبتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع والفعل، والحيز والمكان، والأجناس والأبدان والأرواح، انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملك والنحل. ج ٢، ص ٨٠-٨١.

(٥) الصابئة: قيل لهم الصابئة لأنهم مالوا عن سنن الحق، ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين والابتعاد عن نهج الأنبياء ومذهبهم يدعو إلى الاكتساب لا إلى الفطرة. انظر: المصدر السابق، ص ٩٥.

(٦) الروحانيات: والصحيح أصحاب الروحانيات: ومذهبهم أن للعالم صناعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم: الروحانيون، المطهرون، المقدسون، جوهرأً وفعلاً وحالة، أما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسمانية، المبرأون عن القوى الجسدانية، المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية، قد جلبوا على الطهارة، وفطروا على التقديس والتسبيح، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومعلمهم الأول في هذا عاذيمون وهرمس. فالواجب علينا أن نظهر نفوسنا من دنس الشهوات الطبيعية، وتهذيب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية، حتى يحصل مناسبة بيننا وبين الروحانيات. انظر: المصدر السابق، ص ٩٦.



وأصحاب الهياكل والحكماء^(١)، وعبدة الأصنام. فهذه خمس فرق.

ثم انشعبوا إلى فرق كثيرة، فمنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الكواكب، وضياء العالم، وتكون الموجودات السفلية، وأنه ملك يستحق التعظيم والسجود والتبجيل، فهؤلاء عبدة الشمس، وقد اتخذوا على صورتها صنماً، ويده جوهرة على لون النار.

وكذلك عبدة القمر، يقولون: إنه ملك من الملائكة، يستحق التعظيم والعبادة، وينسبون إليه تدبير العالم السفلي، وبزيادته ونقصانه يعرفون الأزمان والساعات، وهو تلو الشمس وقرينها، واتخذوا على لونه صنماً يعمن دونه، ويسجدون له، (٨) ويصومون في كل نصف شهر، ولا يفطرون حتى يطلع القمر، ويسألونه حوائجهم، والأكثر منهم يعمن دون كل ما يمرون عليه من حجر، ومدر، وشجر، وبشر، من غير حجة ولا برهان، إنما يقولون: نعبد هؤلاء ليقربونا إلى الله زلفى، وكلهم على الضلالة والجهالة.

(١) أصحاب الهياكل والحكماء: من فرق الصابئة ويرون أنه لا بد للإنسان من متوسط، ولا بد للمتوسط من أن يُرى، فيتوجه إليه، ويُتقرب به، ويُستفاد منه، فزعموا إلى الهياكل التي هي السيارات السبع، فترفوا أولاً بيوتها ومنازلها، وثانياً مطالعها ومغاربها، وثالثاً اتصالاتها على أشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها، ورابعاً، تقسيم الأيام والليالي والساعات عليها، وخامساً تقدير الصور والأشخاص والأقاليم والأمصار عليها، فعلموا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعوات، وعينوا ليوم زحل مثلاً يوم السبت، ورعوا فيه ساعته الأولى، وتختموا بخاتمة المعمول على صورته وهيئته وصنعتة، ولبسوا اللباس الخاص به، وبخروا بيخوره الخاص، ودعوا بدعواته الخاصة، وسألوا حاجاتهم منه. وكذلك رفع الحاجات الخاصة بكل كوكب من الكواكب السبعة، وكانوا يسمونها أرباباً آلهة لهم. انظر: المصدر السابق، ص ١٤٦ - ١٤٧.

فصل في فرق اليهود

سموا اليهود يهوداً، لانتسابهم إلى يهودا بن يعقوب^(١) عليه السلام، وكتابهم التوراة، ويقال: هاد الرجل: إذا رجع وتاب، وقيل: لزمهم هذا الأمر خاصة لقول موسى^(٢) عليه السلام، إنا هدنا إليك، أي رجعنا إليك وتضرعنا.

افترقت اليهود أربع فرق، ثم تشعبت إلى إحدى وسبعين فرقة، كلها هالكة، منها: اليعوسوية^(٣)، والمقارنة، والبوذعانية^(٤)، والموسكاتية^(٥)، ومن

(١) يهودا بن يعقوب: يهودا بن يعقوب من زوجته ليا بنت لبا بن بتويل، وهي ابنة خاله. وأخوته من أمه وأبيه هم: روبيل، وشمعون، ولاوي، وزبالون، ويسحر، عندما توفيت والدته ليا تزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين. وولد ليعقوب من سُرِّيَّتَيْن أربعة أولادهم: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر. وكان ليعقوب اثنا عشر رجلاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٢٦.

(٢) موسى: هو موسى بن عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة. وأم موسى يوخاند، واسم زوجته صفورا بنت شعيب النبي. وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الرزيان بن الوليد فرعون يوسف الأول. سار موسى إلى فرعون رسولاً مع هارون، ثم سار إلى التيه مع قومه بعد أن مضى عبر البحر، وكان مقامهم هنالك، إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة، فكان بين مولد موسى إلى وفاته ١٢٠ سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) اليعوسوية: والصحيح العيسوية: نسبوا إلى عيسى بن إسحاق بن يعقوب الأصفهاني وقيل: اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله. كان في زمان المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار، فاتبعه كثير من اليهود، وادعوا له آيات ومعجزات. وقيل: إنه لما حارب أصحاب المنصور بالري قتل، وقتل معه أصحابه. وزعم عيسى أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر. وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكبيرة المذكورة في التوراة. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهر، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢، ص ٥٥-٥٦.

(٤) المقارنة والبوذعانية: والصحيح اليوذعانية: نسبوا إلى يوذعان رجل من همدان، وقيل: كان اسمه يهودا، يحث على الزهد وتكثير الصلاة. كان يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً وتزيلاً وتأويلاً، خالف بتأويلاته عامة اليهود، وخالفهم في التشبيه، ومال إلى القدر، وأثبت الفعل حقيقة للعبد، وقدر الثواب والعقاب عليه، وشدّد في ذلك. انظر: المصدر السابق، ص ٥٦.

(٥) الموسكاتية: والصحيح الموشكاتية: أصحاب موشكا على مذهب يوذعان، غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال معهم، فخرج في تسعة عشر رجلاً، فقتل بناحية قم. وذكر عن =



قولهم: إثبات نبوة محمد ﷺ، إلا أنهم يقولون: أرسل إلى العرب خاصة، وسائر الناس، سوى اليهود، ويقولون: إن الله كتب التوراة بيده، واستوى على العرش قراراً، وإنه على صورة آدم، وغلوا في دينهم.

ومنهم السامرية^(١)، أثبتوا نبوة موسى وهارون^(٢) ويوشع بن نون^(٣)، وأنكروا نبوة من بعدهم.

وفرقه يقال لها (الغاتية، والكوشاتية، والروشاتية)^(٤)، يزعمون أن الثواب والعقاب في الدنيا فقط.

وفرقهم كثيرة، تركتها اختصاراً.

= جماعة من الموشكاتية أنهم أثبتوا نبوة المصطفى ﷺ إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود لأنهم أهل ملّة وكتاب. انظر: المصدر السابق، ص ٥٦.

(١) السامرية: قوم يسكنون بين المقدس وقرايا من أعمال مصر يتشققون في الطهارة أكثر من تكشف سائر اليهود، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون ﷺ، وأنكروا نبوة من بعدهم رأساً إلا نبياً واحداً. وقالوا: التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي بعد موسى، يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتة، وظهر في السامرة رجل يقال له الألفان، ادعى النبوة، وزعم أنه هو الذي بشر به موسى، وأنه هو الكوكب الذي ورد في التوراة أنه يضيء ضوء القمر. وكان ظهوره قبل المسيح ﷺ بقرب من مائة سنة. انظر: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٢) هارون: هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ. النبي المرسل مع موسى ﷺ، وأخوه.

(٣) يوشع بن نون: يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ. أرسله الله نبياً إلى بني إسرائيل، وأمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبارين بعد انقضاء أربعين سنة من التيه توفي خلالها موسى وهارون، فلما ظفر يوشع بن نون بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت، فدعا الله، فزد الشمس عليه، وزاد في النهار ساعة، فهزم الجبارين، ودخل مدينتهم. ويقال: حاصرهما ستة أشهر، فلما كان السابع تقدموا إلى المدينة، وصاحوا صيحة واحدة، فسقط السور، فدخلوها وهزموا الجبارين، وقتلوا فيهم فأكثروا. ثم توفاه الله، فاستخلف على قومه كالب بن يوفنأ، وكان عمر يوشع ١٢٦ سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعا وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٠٠-٢٠٣.

(٤) الغاتية والكوشاتية والروشاتية: (والصحيح دوستانية) وهم الألفانية والكوشانية. حيث انقسمت الفرقة السامرية إلى دوستانية وهم الألفانية ومعناها الفرقة المتفرقة الكاذبة. والكوشانية ومعناها الجماعة الصادقة، وهم يقرون بالأخرة والثواب والعقاب فيها. والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا. وبين الأحكام والشرائع. انظر: الفصل في الملل والنحل، ص ٥٨.

فصل في فرق النصارى

وهم قوم نبي الله وروحه عيسى^(١) ﷺ، كانت اليهود يسمونه يسوع، وهو بالعربية عيسى، سموا بذلك لأن المسيح كان بقرية يقال لها ناصرة^(٢) من أرض الخليل^(٣)، وقيل: سموا بذلك لقول الحواريين: نحن أنصار الله.

وهم إثنان وسبعون فرقة، كلها هالكة، وافتراقهم بعدما رفع الله عيسى ﷺ، وعلماؤهم الذين فرقوهم أربعة: يعقوب، ونسطور، وإسرائيل، وملك، وهو ملك من ملوكهم، ترك الملك، ودخل في القسيسين، فاجتمعت إليهم قومهم، فقالوا: قولوا نسمع لقولكم، فتكلم يعقوب، وقال: هل سمعتم برجل، مذ خلق الله السماوات والأرض، يحيي الموتى، وينفخ في الطين، فيكون طيراً، ويرى الأكمه (٩) والأبرص والأعمى، غير عيسى؟ قالوا: لا، قال: فإن صاحبكم الذي كان يفعل هذا هو ربكم، فادعوه الله، فأبى الثلاثة عن قوله، وكذبوه، فخرج عنهم، وأخبر الناس بمقالته، فاتبعته طائفة، وهم اليعقوبية^(٤)، الذين أنزل

(١) عيسى: نبي الله عيسى بن مريم، وهو المبعوث حقاً بعد موسى ﷺ. كانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطفة من غير تعليم سالف، وجميع الأنبياء وحيهم أربعون سنة، وقد أوحى إليه إنطاقاً في المهد، وأوحى إليه بلاغاً عند الثلاثين. انظر: المصدر السابق، ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم ﷺ، ومنها اشتق اسم النصارى، وكان أهلها عيروا مريم. وأهل القدس يابون ذلك، ويزعمون أن المسيح إنما ولد في بيت لحم، وانتقلت به أمه إلى هذه القرية، وذكر في الإنجيل يسوع الناصري. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥١.

(٣) الخليل: بلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيها قبر الخليل إبراهيم ﷺ، في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار، وبالخليل سُمي الموضع، واسمه الأصلي حبرون، وقيل: حبري. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٤) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار =



الله فيهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

ثم تكلم نسطور، فقال: لا أقول كما قال يعقوب، لو كان المسيح هو الله، ما كان يأكل، ويشرب، ويصلي، ويصوم، من خشية غيره، وما كان ليصلب، وأنتم تشهدون، ولكن أقول هو كلمة الله وابنه فادعوه، إنه ابنه. فقال الآخرون: لا نقول هذا، فخرج نسطور إلى الناس، فأخبرهم بمقالته، فاتبعته طائفة، وهم النسطورية^(١)، الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْتَصْنَرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ثم تكلم إسرائيل، فقال: لا أقول كما قال يعقوب ونسطور، ولكن أقول: إنه ثالث ثلاثة: الله، والمسيح، ومريم آلهة. فاتبعته على ذلك فرقة، فهم الإسرائيلية^(٢)، الذين أنزل الله فيهم:

= الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو. فمنهم من قال المسيح هو الله، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار الناسوت المسيح مظهر الحق الأعلى طريق حلول جرم فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو. وزعم أكثر يعقوبية أن المسيح جوهر واحد، اقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث، تركيباً كما تركيب النفس والبدن، فصارا جوهرًا واحدًا، اقنومًا واحدًا، وهو الإنسان كله، فيقال الإنسان صار إلهًا. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملك والنحل وبهامشه كتاب الملل والنحل، ص ٦٦ - ٦٧.

(١) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون العباسي، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى الشريعة الإسلامية. قال نسطور: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى ﷺ لا على طريق الامتزاج، ولا على طريق الظهورية كما قالت يعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة وعلى بللور، وقالوا: إن القتل وقع على عيسى المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، لأن الإله لا تحلّه الآلام. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والنحل، ج ٢، ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) الإسرائيلية: الفرقة الثالثة بعد يعقوبية والنسطورية، وهي الفرقة الملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكائية. قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة اقنوم العلم، ويعنون بروح القدس اقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه به ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج =

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] .. وعليها أكثر الروم.

ثم تكلم الرابع من العلماء، وهو الملك، قال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واحد أحد، فرد صمد، لا ضد له، ولا ند، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]. ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِبَابِ بَيْتِ الْمَرْيَمِ نَنظُرُهَا وَإِنَّا لَنَرَاهَا فِي صَفْحَتَيْنِ ذَاتِي قُلُوبٍ﴾ [المائدة: ٧٥]، فأيده الله بالحجة، بقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

فهذه فرق النصارى، وسبب افتراقهم.

ومن فرقهم (الألبانية، والياسرية، والمقدانوسية، والسيالية، والبرطنوشية)^(١)، و فرق كثيرة، ولهم خبط كثير، ومقالات ضالة، تركتها.

= الخمر اللبن. وصرحت الملكائبة أن الجوهر غير الأقانيم كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث. انظر: المصدر السابق، ص ٦٢.

(١) (الألبانية، والياسرية، والمقدانوسية، والسيالية، والبرطنوشية) والصحيح (الأليانية، والبيارسية والمقدانونية والسيالية والبيوتنوسية) وهي الفرق الملكائبة أو الفرق التي خرجت من صفوف الملكائبة. انظر الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم، الفصل بين الملل والنحل، ج ٢، ص ٦٢.



فصل في فرق المجوس

المجوس: كلمة فارسية معرّبة أصلها موكوس، وذلك أنهم نسبوا إلى رئيس لهم، كان كثير شعر الأذنين، يقال له موكوس، ثم عربت، فقبل موجوس، ثم أسقطوا الواو الأولى، لكثرة استعمالهم، فقالوا: مجوس، وفي النسبة: مجوسي. وهم فرق كثيرة، ومسائلهم تدور حول قاعدتين: أحدهما امتزاج النور بالظلمة، والثانية: سبب خلاص النور من الظلمة. وقالت فرقة منهم: إن الأصليين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين، فالنور أزلي، والظلمة محدثة. ثم لهم اختلاف كثير في سبب حدوثها، ولهم اختلاف كثير، إذ لا فائدة فيه، ولا عبادة به، ويسعنا جهله.

(١٠) فصل في مذهب الفلاسفة

وتفسيره محب الحكمة، فيلا: محب، وسوف: الحكمة.

فمنهم حكماء الهند، وهم البراهمة، لا يقولون بالنبوة أصلاً. ومنهم حكماء العرب، أكثر حكمهم بالطبع وخطرات القلب، وربما قالوا بالنبوات. ومنهم حكماء الروم، وهم منقسمون، منهم من يميل إلى القدماء، مثل أرسطاطاليس^(١) وإلى الحكماء السبعة، وهم: الملطي^(٢)، وسقراط^(٣)، وأفلاطون^(٤)، والفلاسفة كثير، ولهم مذاهب كثيرة، تركتها اختصاراً.

(١) أرسطاطاليس: والصحيح أرسطوطاليس الحكيم (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) عَمَّ المنطق وسماه تعليمات، وإنما هو جرده عن كلام القدماء، وإلا فلما تخلَّ الحكمة عن قوانين المنطق فقط، وربما عدّها آلة العلوم، فقال: الموضوع في العلم الإلهي هو الوجود المطلق، ومسألة البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود، والموضوع في العلم الطبيعي هو الجسم. ومسألة البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم، والموضوع في العلم الرياضي هو الأبعاد والمقادير، وبالجملة الكمية من حيث إنها مجزأة. انظر: المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٢) الملطي: وهو أحد الحكماء السبعة، وهم قتاليس الملطي، وأنكساغورس، وأنكسيمانس، وأنبذالكس، وفيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون. وتبعهم جماعة من الحكماء، مثل: فلوطرخيس، وأبقراط، وديمقراطيس، والشعراء النساك، وإنما يدور كلامهم على ذكر وحدانية الباري تعالى، وإحاطته علماً بالكائنات، وفي الإبداع وتكوين العالم، انظر: المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٣) سقراط: الحكيم الفاضل الزاهد من أثينا، وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورث وأرسلاوس، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات، وانشغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الأخلاق، وأعرض عن ملاذ الدنيا، واعتزل إلى الجبل، وأقام في غار به، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فنزروا عليه، وألجأوا الملك إلى قتله، فحبسه الملك، ثم سقاه السم. انظر: المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٤) أفلاطون: هو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين، من أثينا، معروف بالتوحيد والحكمة، تتلمذ على يد سقراط، ولما اغتيل سقراط بالسم قام مقامه، وجلس على كرسيه، فقد أخذ العلم عن سقراط وطماوس والغرييين: غريب أثينا، وغريب الناطس، وضمَّ إليه العلوم الطبيعية والرياضية، ويروى عنه أنه قال: إن للعالم محدثاً مبدعاً أزلياً واجباً بذاته عالماً بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكلية، كان الأول، ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل. إلا مثال عند الباري. انظر: المصدر السابق، ص ١٩٦.



وفلاسفة الإسلام مثل: يعقوب بن إسحاق الكندي^(١)، وحنين^(٢)، ويحيى النحوي^(٣)، وأبي الفرج^(٤)، وأبي سليمان النحوي^(٥)، وأبي زكريا ثابت بن قرة^(٦)،

(١) يعقوب بن إسحاق الكندي: يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف، فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كنده، نشأ في البصرة، وانتقل إلى بغداد، فتعلم، واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، وألف، وترجم، وشرح كتباً كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة، ولقي في حياته ما يلقاه أمثاله من فلاسفة الأمم. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٨، ص ١٩٥. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ج١٢، ص ٣٣٧.

(٢) حنين بن إسحاق العبادي، أبو زيد: طبيب، مؤرخ، مترجم، كان أبوه صيدلانياً، من أهل الحيرة، سافر حنين إلى البصرة، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وانتقل إلى بغداد، فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية. فانتهدت إليه رياسة العلم بها بين المترجمين، اتصل بالمامون، فجعله رئيساً لديوان الترجمة، له مؤلفات كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٢، ص ٢٨٧-٢٨٨. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٤٩٢.

(٣) يحيى النحوي: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، «الفراء» إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. له مؤلفات كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٨، ص ١٤٥-١٤٦. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ١١٨.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصفهاني: من أئمة الأدب الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد في أصفهان سنة ٢٨٤هـ ونشأ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦هـ. قال الذهبي: «والعجب أنه أموي شيعي» من كتبه «الأغاني» جمعه في خمسين سنة، و«مقاتل الطالبين». و«أيام العرب» و«جمهرة النسب». انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٤، ص ٢٧٨. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ٢٠١.

(٥) أبو سليمان النحوي: هو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، أبو سليمان المنطقي، عالم بالحكمة والفلسفة والمنطق، من أهل سجستان (والنسبة إليها سجستاني وسجزي) سكن بغداد، ولزم منزله، لعور فيه وبرص كانا يمنعا من غشيان منازل الأمراء والوزراء، وأقبل العلماء والحكماء عليه، وكان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه يكرمه ويفخمه. له تصانيف، منها: «رسالة في مراتب قوى الإنسان» ورسالة في «اقتصاص طرق الفضائل» وكتاب «صوان الحكمة» و«شرح كتاب أرسطو». توفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٦، ص ١٧١.

(٦) أبو زكريا ثابت بن قرة (٢٢١-٢٨٨هـ): ثابت بن قرة بن زهرون الحراني الصابئي، أبو الحسن: =

وعيسى بن عيسى الوزير^(١)، وأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا^(٢)، وكثير منهم، تركتهم. ولهم مقالات كثيرة في الخلق، والفطرة، والرجعة، والحلول، وتقسيم الأفلاك، والدوائر، والألفاظ، والחסن، والعرض، والوجود، والوهم، وغير ذلك، لم أشرحه، لأن الحاجة غير داعية إليه، والعبادة منوطة بغيره.

= طبيب، حاسب، فيلسوف. ولد ونشأ بحران (بين دجلة والفرات) وحدث له مع أهل مذهبه (الصابئة) أشياء أنكروها عليه في المذهب، فحزم عليه رئيسهم دخول الهيكل، فخرج من حران، وقصد بغداد، فاشتغل بالفلسفة والطب، فبرع. صنف نحو ١٥٠ كتاباً. توفي في بغداد سنة ٢٨٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٩٨. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٤٨٥.

(١) عيسى بن عيسى الوزير: هو عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح (٣٠٢-٣٩١هـ/ ٩١٤-١٠٠١م) أبو القاسم، كاتب عارف بعلوم الأوائل، من أهل بغداد، كان أبوه من كبار الوزراء، وعمل هو في ديوان الرسائل للخليفة الطائع لله ببغداد، ومات بها. قال أبو حيان: عيسى بن علي له الذرع الواسع والصدر الرحيب في العبارة، حجة في النقل والترجمة والتصرف في فنون اللغات وضروب المعاني والعبارات، أعين بالعمر الطويل، لكنه بخيل بكلمة واحدة لسودائه الغالبة عليه ومزاجه المتشيط بها. قال ابن كثير: كان صحيح السماع للحديث، كثير العلوم، اتهم بشيء من مذهب الفلاسفة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٠٦.

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ): الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، نشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتورأى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همدان، فمرض في الطريق، ومات بها. صنف نحو مئة كتاب بين مطول ومختصر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٤١-٢٤٢. وانظر شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٥٣١.

الباب الثاني

في آراء العرب في الجاهلية
وما كانوا عليه





وأما معطلة العرب في الجاهلية أصناف شتى:

صنف أنكروا الخالق والمخلوق، والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع، فالطبع المحيي، والدهر الممضي، وهم الذين أخبر الله عنهم، وقالوا: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤]. إشارة منهم إلى الطبع، فأكذبهم الله بآيات كثيرة في القرآن.

وصنف منهم أقرَّ بالخالق وابتداء الخلق، ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنها شفعاءهم في الآخرة عند الله، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقربوا القرابين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلوا وحرموا. ومنهم من كان يعبد الملائكة، ويقولون: هم بنات الله.

ومنهم من كان يقول: ﴿ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧].

وشبهات العرب مقصورة على هاتين الشبهتين، أحدهما: إنكار البعث بعد فناء الأجساد، والثانية: جحود البعث، فعلى الأولى قالوا: ﴿ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا أَمْ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ • أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [الصفات: ١٦، ١٧]، وعبروا عن ذلك في أشعارهم (١١).

قال شاعرهم:

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو^(١)

(١) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ج٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

ولبعضهم في أهل بدر:

فماذا بالقليب قليب بدر من الشترى يكلل بالسنام
وخبرنا الرسول بأن سيحيى فكيف حياة أصداء وهام^(١)

ومن العرب من يعتقد بالتناسخ، ويقول: إذا مات الإنسان، أو قتل، اجتمع دم الدماغ، وخرج منه طير يسمى الهامة، فيرجع إلى القبر في دور كل مائة سنة، وعلى هذا أنكر عليهم الرسول ﷺ، فقال: (لا هامة، ولا طيرة، ولا عدوى، ولا صفر). ومنهم من أنكر الرسول والرسول كافة. ومنهم من يريد أن يأتي من السماء ملكٌ رسولاً. وكانت ثقيف^(٢) تعبد اللات^(٣)، وقريش^(٤)

(١) انظر البيتين في المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٢) ثقيف: ثقيف بن منه بن بكر بن هوازن بن عدنان: جد جاهلي، النسبة إليه ثقفي، قيل: اسمه قسي، و ثقيف لقبه، كانت منازل بنيه في الطائف، وهم عذة بطون، بقي منهم إلى عصرنا هذا كثيرون، وكان صنمهم في الجاهلية «اللات» مبنياً على صخرة في الطائف، هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة، وكانت تلبّيهم قبل الإسلام إذا حجوا: «لبيك اللهم، إن ثقيفاً قد أتوك، وأخلفوا المال وقد رجوك». وفي النسابين من يعدّ ثقيفاً من بقايا ثمود، غير أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يكذب ذلك. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٠٠.

(٣) اللات: اسم صنم كانت تعبده ثقيف وتعطف عليه العزى، قالوا: وهو صخرة كان يجلس عليها رجل كان يبيع السمن واللبن للحجاج في الزمن الأول. وقيل: كان اللات رجلاً من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو بن لحي: لم يمّت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن ينوا عليها بناياً يسمى اللات، واتخذته ثقيف طاغوتاً. وبعد فتح الطائف أمرهم النبي ﷺ بهدمه، والصخرة اليوم تحت مسجد الطائف. قال الشاعر:

لا تنصروا اللات إن الله يهلكها وكيف نصرؤكم من ليس ينتصر

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤ - ٥.

(٤) قریش: قریش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة من عدنان، جاهلي، من أهل مكة. كان دليل بني كنانة في تجارتهم، فإذا أقبل في القافلة يقال: قدمت غير قریش، فغلب لفظ «قریش» على من كان في عهده من بني النضر بن كنانة، وقال قائل: إنه لقب لفهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقائل: إن بني النضر بن كنانة سمو قریشاً لتقرشهم أي تجمعهم في أيام قصي بن كلاب النضري الكناني، وقال قائل غير هذا. والقرشيون قسمان: «قریش البطاح» وهم من ولد قصي بن كلاب وبنو كعب بن لؤي، و«قریش الظواهر» وهم من سواهم. وقد تفرع من هذين القسمين بطون كثيرة. وللزبير بن بكار كتاب «أنساب قریش وأخبارها». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٩٥.



تعبد العزى^(١)، وهبل^(٢) ومناة^(٣)، للأوس^(٤)، والخزرج^(٥)، وغسان^(٦)،

(١) العزى: صنم كان لثقيف، والعزى سَمْرَةٌ كانت لطفان يعمن دونها، وكانوا بنوا عليها بيتاً، وأقاموا لها، سدة، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إليها، فهدم البيت، وأحرق السمره. وقال ابن حبيب: العزى شجرة كانت بنخلة عندها وثن تعبده غطفان، وسدنتها من بني صرمة بن مزة. وكانت العرب وقريش تسمي بها عبد العزى، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبايح. وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، وكانوا يقولون: بنات الله ﷻ، وهن يشفعن إليه. وبقيت حتى بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فقطع الشجر، وهدم البيت، وكسر الوثن. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٦ - ١١٨.

(٢) هُبل: صنم لبني كنانة بكر ومالك وملكان، وكانت قريش تعبده، وقيل: كان هبل من أصنام الكعبة، صنع من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش، فصنعت له يداً من ذهب. وكان أول من نصبه خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر، وكان يقال له هبل خزيمه. ويوم فتح مكة دخل النبي ﷺ المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن بسنته قوسه في عيونها ويقول: جاء الحق وهزم الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وأمر بإخراجها من المسجد وإحراقها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٣) مناة: اسم صنم في جهة البحر مما يلي قديداً على سبعة أميال من المدينة، وكانت الأزدي وغسان يهللون له ويحجون إليه، وكان أول من نصبه عمرو بن لحي الخزاعي، وكانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من عرب أهل يثرب يأتون مناة أثناء الحج، ولا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك. وقد هدمه علي بن أبي طالب عام فتح مكة سنة ٨هـ. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٤.

(٤) الأوس: أوس بن حارثة بن ثعلبة، من بني مزقياء، من الأزدي، من كهلان: جد قبيلة الأوس (إحدى قبيلتي الأنصار: الأوس والخزرج) تحول بنوه من اليمن إلى يثرب (المدينة المنورة) وجاء الإسلام وهم فيها، وتفرعت عنهم بطون متعددة، وكان صنمهم في الجاهلية «مناة» منصوباً بفدك مما يلي ساحل البحر، يشاركهم فيه الخزرج. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣١.

(٥) الخزرج: الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقياء، من الأزدي، من قحطان: جد جاهلي، بنسبه من أصل يمانى، نزلوا بيثرب، هم وأبناء عمهم الأوس، وتعرف القبيلتان بالأنصار. ويطون الخزرج كثيرة، منهم: «بنو النجار» واسمه تيم الله، و«بنو عوف» و«بنو غنم» و«بنو جشم» وآخرون. وللزبير بن بكار كتاب «الأوس والخزرج». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٦) غسان: اسم من ماء نزل عليه بنو مازن بن الأزدي بن الغوث، وهم الأنصار وبنو حنيفة وخزاعة فسَمُوا به.

وفي كتاب عبد الملك بن هشام: غسان ماء بمأرب باليمن، كان شرباً لبني مازن بن الأزدي بن الغوث، ويقال: غسان ماء بالمشأل قريب من الجحفة، وقال نصر: غسان ماء باليمن بين رمع وزبيد، وإليه =

وإساف، ونائلة^(١)، وكانا على الصفا^(٢)، والمروة^(٣)، وضعهما عمرو بن لحي الخزاعي^(٤)، يذبح لهما تجاه الكعبة، وقيل: إنهما رجل وامرأة، يسميان إسيف

= تنسب القبائل المشهورة، قيل: هو اسم دابة وقعت في هذا الماء فسمي بها. قال الشاعر:
يا بنت آل معاذ إنني رجل من معشر لهم في المعجد بنيان
شم الأنوف لهم عزّ ومكرمة كانت لهم من جبال الطود أركان
أما سألت فينا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسان
انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(١) إساف ونائلة: صنمان كانا بمكة. قال ابن إسحاق: هما مسخان، وهما إساف بن بغاء، ونائلة بنت ذئب، وقيل: إساف بن عمرو، ونائلة بنت سهيل، وإنهما زنيا في الكعبة فمُسَخَا حجرين، فنصبا عند الكعبة، وقيل: نُصِب أحدهما على الصفا والآخر على المروة ليُغْتَبَر بهما، فقدم الأمر، فأمر عمرو بن لحي الخزاعي بعبادتهما. وعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب. فكانا على ذلك إلى أن كسرهما رسول الله ﷺ يوم الفتح في ما كسر من الأصنام. وجاء بعض أحاديث مسلم بن الحجاج: كان إساف ونائلة بشط البحر، وكانت الأنصار في الجاهلية تهلّ لهما، والصحيح أن التي كانت بشط البحر مائة الطاغية. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) الصفا: الصفا العريض من الحجارة الملس، والصفا مكان مرتفع من جبل أبي قبيس، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة. قال نُصَيْب:

وبين الصفا والمروتين ذكركم بمختلف من بين ساع وموجف

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١١.

(٣) المروة: جبل بمكة يعطف على الصفا، قال عزام: ومن جبال مكة المروة جبل مائل إلى الحمرة، أخبرني أبو الربيع سليمان بن عبد الله المكي المحدث أن منزله في رأس المروة، وأنها أكمة لطيفة في وسط مكة تحيط بها، وعليها دور أهل مكة ومنزلهم، قال: وهي من جانب مكة الذي يلي قعيقان، وقد ثناه جرير وهو في قوله:

فلا يقربن المروتين ولا الصفا ولا مسجد الله الحرام المطهّرا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٦.

(٤) عمرو بن لحي الخزاعي: عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، من قحطان: أول من غير دين إسماعيل، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. كنيته أبو ثمامة. وفي نسبه خلاف شديد. وفي العلماء من يجزم بأنه مُضْري من عدنان، لحديث انفرد به أبو هريرة. وهو جد «خزاعة» عند كثير من النسابين، ورئيسها عند بعضهم. ومنهم يسميه «عمرو بن ربيعة» ويجعل لحيًا لقبًا لربيعة، وخلاصة ما قيل في خبره أنه كان قد تولى حجابة «البيت الحرام» بمكة، وزار بلاد الشام ودخل أرض «مأب» في وادي الأردن، فوجد أهلها يعمن دون الأصنام، فأعجب بذلك، وأخذ عدداً منها، ونصبها في مكة، =



ونائلة، فجرا في الكعبة، فمسحها حجرين. وكان لبني ملكان^(١) من كنانة صنم، يقال له سعد^(٢)، وهو الذي يقول فيه الشاعر هذين البيتين شعراً:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فما نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة يلفظونها من الأرض لا تدعولغي ولا رشد^(٣)

وكانت العرب إذا لبّت^(٤)، تقول في تليبتها: اللهم ليك لا شريك لك، ليك، لا شريكاً هو لك، تملكه ولا ملك. ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية. ومنهم من مال إلى النصرانية. وآخر صبا إلى الصابئة، وكانوا يعتقدون في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات، حتى لا تتحرك ولا تسكن إلا بها. وكان لهم من العلم، علم الأنساب، وعلم التواريخ.

وممن كان يجبل ويرفع قدره ومجلسه، ويحكم بين الخصوم عبد المطلب بن هاشم^(٥)، وكان يأمر قريشاً بترك الظلم والبغي، ويحثهم على

= ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها، فكان أول من فعل ذلك من العرب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٤.

(١) بنو ملكان: ملكان (أخو ملك) بن كنانة بن خزيمه بن مدركة، من مضر: جد جاهلي. بنوه بطون جمّة. وكان لهم صنم في الجاهلية يقال له «سعد» وهو صخرة طويلة بفلاة في أرضهم. وكان لبعضهم في الإسلام، عدد وثروة ووجاهة بمرسية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٨٨.

(٢) سعد: صنم بساحل جدّة، وهو صخرة طويلة، وكان لملكابني كنانة، فأقبل رجل منهم بابل ليقفها عليه تبركاً به، فلما دناها نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وتفرقت عنه، فتناول حجراً ورماه وقال: لا بارك الله فيك إلهاً، أنفرت علي إبلي. وقال البيتين المذكورين من الشعر. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢١.

(٣) انظر: البيتين في: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢١.

(٤) في الأصل: أهلبت، والصحيح ما أثبتناه في النص «لبّت».

(٥) عبد المطلب بن هاشم: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث: زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنتشأه في مكة. كان عاقلاً ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه، ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة، مارس الحكومة العظمى بمكة من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥٧٩م، وخلص وطنه من غارة الحبشة. وهو =

مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور (١٢)، وكان يتولى حكومات العرب، وتوضع له وسادة عند الملتزم، فيستند عليها. وكان هاشم بن عبد مناف^(١) خطيب العرب، وله الخطبة المشهورة التي سمتها العرب الحكيمة، قيل: إنه وقع بين بني عذرة^(٢) وبني خزاعة^(٣) حرب في سبب غلام لخزاعة، قتله غلام لعمره بنت قبيصة العذرية، فلم ترض خزاعة إلا بقتله، فلما تقاوموا للحرب، خشى هاشم أن تنتهك حرمة الحرم، نصب منبره إلى جانب الكعبة.

= جذ رسول الله ﷺ. قيل: اسمه شيبية و«عبدالمطلب» لقب غلب عليه. وهو ممن وفد على الملك «سيف بن ذي يزن» في وجوه قريش يهتونون بالنصر على الحشمة، وهو أول من خضب بالسواد من العرب. وكان أبيض مديد القامة. مات بمكة عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ١٥٤.

(١) هاشم بن عبد مناف: هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، من قريش: أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي ﷺ. اسمه عمرو، وغلب عليه لقبه «هاشم» لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات. وهو أول من سن الرحلتين لقريش للتجارة: رحلة الشتاء إلى اليمن والحشمة، ورحلة الصيف إلى غزة وبلاد الشام. وكان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم. ولد بمكة، وساد صغيراً، فتولى بعد موت أبيه سقاية الحاج ورفادته (وهي إطعام الفقراء من الحجاج). توفي في غزة، ويقال لغزة: «غزة هاشم». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٦٦.

(٢) عذرة: بن سعد هذيم بن زيد بن ليث، من قضاة، من قحطان: جذ جاهلي. من بنيه بطون عامر، وكاهل، وإياس، وعوف، ورفاعة، وبنو عذرة هؤلاء هم المعروفون بشدة العشق والعفة فيه. وأخبار بني عذرة كثيرة ومتفرقة في كتب الأدب. وكان لبعضهم صنم في الجاهلية يقال له: «شمس». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٣) خزاعة: خزاعة، من بني عمرو بن لحي، من مزقياء، من الأزدي، من قحطان: جذ جاهلي، أو لقب جذ، من بني عمرو بن لحي، اختلف النسابون في اسمه. وقيل: خزاعة اسم قبائل من نسل عمرو بن لحي. وفي النسابين من يجعلهم عدنانيين من معد، والأكثر على أنهم قحطانيون. كانت منازلهم بقرب الأبواء (بين مكة والمدينة) وفي وادي غزال ووادي دوران وعسفان في تهامة الحجاز، ورحل بعضهم إلى الشام وعمان، وهم بطون كثيرة، صنمها في الجاهلية «ذو الكفين» تشاركها فيه قبائل «دوس»، كانت ولاية البيت الحرام في خزاعة ثلاثمائة عام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٤.



وقال^(١): يا أيها الناس، نحن آل إبراهيم^(٢)، وذرية إسماعيل^(٣)، وولد النضر بن كنانة^(٤)، وبنو قصي بن كلاب^(٥)، أرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الشرف، ولباب الحسب، ومعدن المجد، وغاية العز، ونحن جبال الأرض، ودعائم الحق، وسادات الأمم، ولكل من كل خلف، تجب نصرته، وتلبى عشيرته، إلا ما دعى إلى عقوق عشيرة، أو قطع رحم، وقد جمعتمكم

(١) هكذا وردت في النسخة الأصلية ب، ص ١١، بينما جاء في النسخة الظاهرية عنوان «خطبة هاشم» انظر ص ١٢.

(٢) إبراهيم: ويسميه المسلمون خليل الله، ويعذونه جذ العرب عن طريق ابنه إسماعيل، وهو أحد الأنبياء والجذ الأعلى للنبي محمد ﷺ. ذكرت قصته في القرآن غير مرة، عبد قومه الأوثان، فحاجهم في أمرها، ولما لم يمتثلوا كسرها، فأوقدوا النار لإحراقه، ونجاه الله منها، عاش بعد نوح وعارض ثمود، رحل إلى فلسطين، ثم تركها على أثر جذب حل بها إلى مصر، وهنا أهدي هاجر، فأنجبت له إسماعيل مما أثار غيرة زوجته سارة، فرحل مع الابن والأم إلى مكة، حيث بنى الكعبة، وكان النبي ﷺ يتحنف على ملته قبيل الإسلام. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٢.

(٣) إسماعيل: إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن أزر، من نسل سام بن نوح، رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة، نزل بمكة مع أمه هاجر نحو سنة ٢٧٩٣ قبل الهجرة وهو طفل، وساعد أباه في بناء الكعبة: ﴿وَإِذْ يَبْعُ إِبراهيمُ ألقوا عِدَّ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسماعيلُ﴾ الآية. واستمر البيت على ما بناه إبراهيم وإسماعيل إلى أن هدمته قريش ٣٥ سنة من مولد الرسول ﷺ. تزوج إسماعيل بعد وفاة أمه بامرأة من جرهم (الثانية من قحطان) فولدت له اثني عشر ذكراً. وتوفي بمكة، ودفن بالحجر عند قبر أمه. ورد اسمه مزار في القرآن الكريم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٤) النضر بن كنانة: النضر بن كنانة بن خزيمية بن مدركة، من بني نزار من عدنان: جذ جاهلي. من سلسلة النسب النبوي، كنيته أبو يخلد، وقيل: اسمه قيس، ولقب بالنضر لجماله. بنوه قبائل وبطون كثيرة. كانت مساكنهم حول مكة وما والاها. وفي النسابين من يرى أنه هو «قريش» أمه برة بنت مر بن أد. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٣٣.

(٥) قصي بن كلاب: قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي: سيد قريش في عصره، ورئيسهم قيل: هو أول من كان له ملك من بني كنانة. وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. مات أبوه وهو طفل، فتزوجت أمه برجل من بني عذرة، فانقل بها إلى أطراف الشام، فشب في حجره، وسمي «قصياً» لبعده عن دار قومه. ويشير أكثر المؤرخين على أن اسمه «زيد» أو «يزيد» ولما كبر عاد إلى الحجاز، وكان موصوفاً بالدهاء. وولي البيت الحرام، فهدم الكعبة، وجدد بنائها. كانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، وكانت قريش تتيمن برأيه، فلا تبرم أمراً إلا في داره، وهو الذي أحدث وقود النار في «المزدلفة» ليراها من دفع من عرفة. مات بمكة ودفن بالحجون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٩٨-١٩٩.

خوف أن تقتادكم العجلة، وسوء الرأي، وجهل المعرفة، إلى حصر القمة، وجز الساعد، فيتحمل كل امرئ صباية على أخيه، مستأصلاً على قطع الرأس بحيث قطع، يستأصل به باسقات فروعه، قطعاً يردع الجهل قد يف الكبد، وتنغلق اللسان المقددة البعيدة أفواقها، ويكف ويقرع المهادن جمة الدجن، ويظهر قصبه من السهم، والريح الحواصن، وهو مضمّر مستودع أنفاسها، فإذا كان كذلك، طاش حلم الأريب، وضل رأي المصيب، واتسع فرى التسوية، ووشل ترح العرب، واتصل لحام الفتن، وقيل: قد ضاق الطريق، وهنالك يغلب الأمر أمره، ويملك السهم قصده، ويقتر الحجر شديخه، ويستتر كل امرئ ما دفن.

يا بني خزاعة، إن بني أبيكم حملوا إليكم قيمة عبدٍ رمته المنية عن يد الخطأ، فوافق أجله، فلو كان عن إرصاد طالب، كان عهداً، وقد أبيتتم قبول ما هو سنة العرب، لتعظم نيران الهنئة، فتكون هامة تهتف العرب بشؤمها، وقد حكمتُ عليكم بقبول قيمته، وعلى بني عذرة بدفع ذلك إليكم، فمن أمحكه اللجاج، وترك ما حكمتُ به عليه، فأنا حلف عليه، ومادة عدوه إليه، حتى يحتقبا السفر، وترفل بها خوص الركاب إلى حكام العرب، فتصير مثلاً.

أيها الناس، الحلم شرف، والصبر ظفر، والجود سؤدد، والمعروف كنز، والحرب خدعة، والأيام دول، والدهر عبر، (١٣) والمرء منسوبٌ إلى فعله، مأخوذ بعمله، فاستشعروا الصبر، يجزكم الفوز، ودعوا الفضول، تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس، يعمر ناديكُم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنيئة، فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، ألا وقد أنبأت مخافة المستعجم، فلربّ بغير مستعد التسعين، سليم الشوى، بعيد الخطو، وقمة قرع الرياضة، وتخلص هادية، جيد الجرير، فائقب مدمجه، رضيض إلا ما عزّ، لبعد المدلجة، فأرجل راكبه، ومتعشى ركب أعطش أهله أملاص مرس السير



به، لترك أحكام عقد الكرب، فلم ينخ إلا بلمضة المرتضع، فشدقاه، وإن نههته الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيعة يحمل ثقلها، ومقام الحكم عظة لمن انتفع، ألا وإني لأحب رأب الشعب، وجمع الفرقة. ثم نزل ورمى بأسلحتهم.

قال ابن العباس: وللعرب أقوال كثيرة، ومذاهب شتى، فأهل مكة يقولون: الله ربنا وحده لا شريك له، والملائكة بناته، فلم يؤمنوا. وقال عبدة الأصنام: الله ربنا وحده لا شريك له، والأصنام شفعاؤنا عنده، فلم يؤمنوا. وقالت اليهود: ربنا الله وحده لا شريك له، وعزير ابنه، فلم يؤمنوا. وقالت عبدة الشمس: الله ربنا والشمس تشفع لنا، فلم يؤمنوا. وقال المسلمون: الله ربنا وحده لا شريك له، والنبئون عبيده ورسله، فأمنوا وصدقوا.

وكان للعرب علم الرؤيا في الجاهلية، وكان أعلمهم به أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)^(١)، فكان يعبر الرؤيا في الجاهلية، فيصيب، وكانوا يرجعون إليه، ويستخبرون منه. وكانت في العرب بقية يؤمنون بالله واليوم الآخر، وينتظرون ظهور النبي (صلى الله عليه وسلم)، منهم: قس بن ساعدة الإيادي^(٢)، وكان يقول في مواعظه: كلاً

(١) أبو بكر الصديق: عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الرجال، وأحد أعظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. وحزم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة ١١هـ، فحارب المرتدين، مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف الشهر، توفي في المدينة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣١٠ - ٣١٧، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ج ٤، ص ١٠٢.

(٢) قس بن ساعدة الإيادي: قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إباد أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبانهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه «أما بعده» وكان يفد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود من المعمرين، طالت حياته، وأدركه النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة وحده. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ج ٥، ص ١٩٦.

ورب الكعبة، ليعودنَّ ما باد، ولئن ذهب، وليعودنَّ ما ذهب، وقال: كلاً، بل هو الله إله، ليس بمولود، ولا والد، أعاد وأبدى، وإليه المآب غدا.

وفي ذلك يقول شعراً:

يا باكي الموت والأموات في جدث^(١) عليهم من بقايا برهم خرقُ
دعهم فإنَّ لهم يوماً يصاح بهم كما يُنبّه من نوماته الصّعقُ (١٤)
حتى يجيئوا^(٢) بحال غير حالهم خلقٌ مضوا ثم هذا بعد أن خلقوا
منهم عرأة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الدارس^(٣) الخلقُ^(٤)
وله أخبار كثيرة تركتها.

ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل^(٥)، الذي يقول: كل دين يوم القيامة عند الله لعله باطل، إلا دين الحنفية نور. وله أشعار كثيرة تركتها.

ومنهم عمرو بن الضرب العدواني^(٦)، كان من حكماء العرب، وله وصية

(١) «يا باعث الخلق والأموات في جدث»: انظر: القلهاقي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) «حتى يجيئوا بحال غير حالهم»: انظر: المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٣) «منها الجديد ومنها الأزرق الخلق»: انظر: المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٤) انظر الأبيات في المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٥) زيد بن عمرو بن نفيل: زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء، وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، كان يكره عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم. وجاهر بعداء الأوثان، فتألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، فانصرف إلى «حراء» فسلط عليه عمه الخطاب شibanاً لا يدعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سراً. وكان عدواً لواد البنات، لا يعلم بنت يراد وأدها إلا قصد أباه وكفاه مؤنتها، فريبها حتى إذا ترعرت عرضها على أبيها، فإن لم يأخذها، بحث لها عن كفؤ، فزوجها به، ورآه النبي قبل النبوة، وسئلت عنه بعدها، فقال: يبعث يوم القيامة أمة واحدة. توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٦٠.

(٦) عمرو بن الضرب العدواني: والصحيح عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني، ذو الحلم، حكيم، خطيب، رئيس من الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها وفارسها، ومن حزم الخمر في الجاهلية، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً، ولا بحكمه حكماً، وهو أحد المعمرين في الجاهلية، وأول من =



طويلة وموعظة حسنة، يقول في آخرها: ما رأيت ساقطاً خلق نفسه، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً، ولا جائباً إلا ذاهباً، ولا حياً إلا ميتاً، ولو كان يميت الناس الداء، لأحياهم الدواء، ثم إنني لأعلم أموراً شتى، وحتى، فقيل له: وما حتى؟ قال: حتى يرجع الميت حياً، ويعود لا شيء شيئاً، ولذلك خلقت السماوات والأرض. وكان عمرو قد حرم الخمر على نفسه، وله فيها أشعار.

وممن حرم الخمر على نفسه، قيس بن عاصم التميمي^(١)، وصفوان بن أمية بن الحارث الكندي^(٢)، وعفيف بن معد يكرب الكندي، وقالوا فيها الأشعار. ومنهم عبدالله بن طابخة بن ثعلب بن وبرة القضاعى^(٣)، وكان مؤمناً بالله، وقال في ذلك شعراً:

= قرعت له العصا، وكان يقال له «ذو الحلم». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٥٢.

(١) قيس بن عاصم التميمي: قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أبو علي، أحد أمراء العرب وعقلائهم الموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعراً، اشتهر وساد في الجاهلية. وهو ممن حزم على نفسه الخمر فيها، ووفد على النبي ﷺ في وفد تميم سنة ٩هـ فأسلم، فقال النبي ﷺ لما رآه: هذا سيد أهل الوبر، واستخدمه على صدقات قومه. ثم نزل البصرة في أواخر أيامه، وروى أحاديث. وتوفي بها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤١١ - ٤١٣، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ج ٥، ص ٢٠٦.

(٢) صفوان بن أمية بن الحارث الكندي: جاء في الملل والنحل: «وممن كان قد حزم الخمر في الجاهلية: قيس بن عاصم التميمي، وصفوان بن أمية بن الحارث الكناني، وعفيف بن معد يكرب الكندي، وقالوا فيها أشعاراً، وقال الأسولم اليالي، وقد حزم الخمر والزنا على نفسه:

سالمت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقى في الأمور وأعرف
وتركت شرب الراح وهي أثيرة والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أميم تكروماً وكذلك يفعل ذو الحجى المتعفف

انظر: الشهرستاني، أبي الفتح: الملل والنحل، دار دانية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ٢٣٩.

(٣) عبدالله بن طابخة: جاء في الملل والنحل، ممن كان يؤمن بالخالق تعالى، وبخلق آدم ﷺ عبدالله بن طابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة، وقال فيه:

أدعوك يا ربي بما أنت أهله دعاء غريب قد تشبث بالخصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم

انظر: الشهرستاني، أبي الفتح: الملل والنحل، ص ٢٣٩.

وأنت القديم الماجد الواحد الذي بدأت بخلق الناس في الزمن القدم
وأنت الذي أحللتني غيب ظلمة إلى ظلمة من صلب آدم في ظلم^(١)

ومنهم زهير بن أبي سلمى^(٢)، كان إذا مرّ بالشجر وقد أورق، بعدما يس،
فيقول: لولا أن تسبني العرب لآمنت بمحييك، إن الذي أحياك بعد يس،
سيحيي العظام وهي رميم. وهو صاحب القصيدة التي يقول فيها هذين البيتين،
شعراً:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم^(٣)
ومنهم غلاف بن شهاب التميمي^(٤)، وهو القائل هذين البيتين، شعراً:

(١) انظر: القلهاطي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٧. وفي الشهرستاني،
أبي الفتح: الملل والنحل، ص ٢٣٩.

(٢) زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في
الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضل على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان زهير من
الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير
شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، ولد في بلاد المزينة بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من
ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذيها في سنة،
فكانت قصائده تسمى «الحوليات». وله ديوان مطبوع. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣،
ص ٥٢.

ومما قاله عامر بن الضرب العدواني بعد أن حزم الخمر على نفسه شعراً:

إن أشرب الخمر أشربها للذتها وإن أدعها فإنني ما قلت قالي
لولا اللذأة والقيت لم أرها ولم تراني إلا من مدا العالي
سلاية للفتى ما كان في يده ذهاب لمقول القوم والمال
قد تورث القوم أضغاناً بلا آخر وترتدي بالفتى ذي النجدة العالي
أقسمت بالله أني لست أشربها حتى يفرق رب الأرض أوصالي

انظر الأبيات في: القلهاطي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٣) انظر البيتين في: المصدر السابق، ص ٢٨٧.

(٤) غلاف بن شهاب التميمي: وفي الكشف والبيان وغلاف بن شهيد التميمي. انظر: القلهاطي، أبو عبد الله
محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٧.



ولقد شهدت الخصم يوم رفاعه فأخذت منه خطة المغتال (١٥)
وعلمتُ أن الله يجزي عبده يوم الحساب بأحسن الأعمال^(١)

وكان من العرب من يقول إذا حضرته الوفاة لولده: ادفنوا معي راحلتي،
أحشر عليها، فإن لم تفعلوا، حُشرت، وسعيت على رجلي، وفي ذلك يقول
خرشة بن الأشيم الأسدي^(٢)، في الجاهلية، لما حضرته الوفاة، هذه الأبيات:

يا سعد أما أهلكنَّ فإنني أوصيك إنَّ أخ الوصية أقربُ
لا تتركنَّ أباك يعثر رجلاً في الحشر يُصرعُ لليدين وينكبُ
واحمل أباك على بعير صالح وثق الحناية إنه هو أصوبُ
ولعلني مما تركتُ مطيةً في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا^(٣)

ومنهم قيس بن صرمة بن أنس^(٤)، وقيل: هو أبو قيس، وهو أحد بني

(١) انظر البيتين في: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٢) خرشة بن الأشيم الأسدي: وفي الكشف والبيان للقلهاتي «حرض بن الأشتم الأسدي» والصحيح: جرية بن أشتم الفقعسي: شاعر جاهلي، كان من القائلين بالبعث، وممن يزعمون أن «من عُقرت مطيته في قبره يُحشر عليها». نسبه إلى فقمس بن الحارث من بني أسد بن خزيمة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) انظر الأبيات في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٤) قيس بن صرمة بن أنس: والصحيح صرمة بن قيس بن مالك النجاري الأوسي، أبو قيس، شاعر جاهلي عَمَر طويلاً، وترغب، وفارق الأوثان في الجاهلية. كان معظماً في قومه. أدرك الإسلام في شيخوخته، وأسلم عام الهجرة. توفي نحو سنة ٦٢٧/هـ م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٠٧ - ٤٠٨. وقد استندنا في الصحيح على القلهاتي الذي أورد القصيدة (التي ذكر منها الإزكوي بيتين فقط) كاملة حيث يقول: فمن قول أبي قيس صرمة في الجاهلية شعراً:

سبحوا الله شرق كل صباح	طلعت شمسهُ وكل هلالٍ
عالم السرِّ والبيان لدينا	ليس ما قاله ربنا بضلال
وله الطير تستدير وتأوي	في وكور من آنات الجبال
وله الوحش بالفلاة تراها	في خفاف وفي ظلال الرمال
وله هسّدت يهود ودانت	كل ديسن إذا ذكرت عضال
وله شمس النصرارى وقاموا	كل عيد لديهم واحتفال

عدي بن النجار، ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهر من الحائض، ودخل بيتاً له، اتخذه مسجداً، لا تدخل عليه طامث، وقال: أعبد رب إبراهيم، ثم هداه الله للإسلام، عند قدوم النبي ﷺ.

فمن قوله في الجاهلية شعراً:

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال^(١)

وقال ابن زيد^(٢) عند موته لولده:

أبني زودني إذا فارقتني في القبر راحلةً برحل عابر
للبعث أركبها إذا قيل اظعنوا متوسقين معاً لحشر الحاشر
من لم يوافيه على عيرانه والخلق بين مدافع أو عائر^(٣)

ومنهم من كان يربط البلية الناقة معكوسة الرأس على مؤخرها، مما يلي ظهرها، أو مما يلي كاهلها أو بطنها، ويأخذون ولية يشدون وسطها، ويقلدونها عنق الناقة، ويتركونها كذلك، حتى تموت عند القبر، ويسمونها البلية. وقال بعضهم يشبه رحلاً: «كالبلايا في أعناقها الولايا».

وكانت العرب في جاهليتها، تحرم أشياء، نزل القرآن بتحريمها: كانوا

= انظر القصيدة كاملة، وهي من خمسة عشر بيتاً في القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٨.

(١) انظر البيتين في: المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٢) ابن زيد: هو عمر بن زيد التميمي، ذكره القلهاتي في «الكشف والبيان» قال: وقال عمرو بن زيد التميمي يوصي ابنه عند موته:

أبني زودني إذا فارقتني في القبر راحلةً برجل عابر
للبعث أركبها إذ قيل اظعنوا متوسقين معاً لحشر الحاشر
من لم يوافيه على عيراته والخلق بين مدافع أو عائر

انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٨.



لا يتركحون الأمهات، ولا البنات، ولا الخالات، (١٦) ولا العمات، وكان أقبح ما يصنعون، الجمع بين الأختين، أو يتخلف على امرأة أبيه، وكانوا يسمون من يفعل ذلك الضيزن سلف، وأول من جمع بين الأختين من قريش، أبو أحيحة سعيد بن العاص^(١)، جمع بين هند وصفية، ابنتي المغيرة بن عبد الله بن مخزوم^(٢)، وكان إذا مات الرجل عن المرأة، أو طلقها، قام أكبر بنيه، فإن كان له فيها حاجة، طرح ثوبه عليها، وإن لم تكن له إليها حاجة، تزوجها بعض إخوته. وقيل: كانوا يطلقون المرأة ثلاثاً، وأول من طلق ثلاثاً، إسماعيل بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهما. وكانوا يحججون البيت، ويعتمرون، ويطوفون بالبيت أسبوعاً، كما قال زهير بن أبي سلمى:

جعلنا القنان عن يمين وحرنه وكم بالقنان من محلّ ومحرم^(٣)

وكانوا يمسحون الحجر الأسود، ويسعون بين الصفا والمروة، كما قال أبو طالب^(٤):

(١) سعيد بن العاص: سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أحيحة: من سادات أمية في الجاهلية، يقال له: ذو العصابة، وذو العمامة، كناية عن السيادة. والعرب تقول: فلان معمم، يريدون أنه مسؤول عن كل جناية يجنيها جاناً من عشيرته. وقيل: كان سعيد إذا أعمت لم يعتم أحد من قريش حتى ينزع عمامته. من أخباره أنه ذهب إلى الشام في تجارة، فحبسه عمرو بن جفنة، فقال في ذلك شعراً وصل إلى بني عبد شمس، فجمعوا مالا كثيراً واقتدوه، عاش إلى ما بعد ظهور الإسلام، ومات على دين الجاهلية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٩٦.

(٢) المغيرة بن عبد الله بن مخزوم: المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو هاشم، من سادات قريش في الجاهلية. قال الزبير في كلامه على «بني مخزوم»: والعدد والشرف والبيت في ولد المغيرة. كان من سكان مكة، معاصراً لعبد المطلب بن هاشم. وعارض عبد المطلب في ذبح ابنه عبد الله، وقال: والله لا تديحه حتى تعذر فيه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٧٧.

(٣) انظر البيت في: القلهاطي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٤) أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي كرم الله وجهه، وعم النبي ﷺ، وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. نشأ النبي في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. قال فيه الرسول ﷺ: «ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب». مولده ووفاته في مكة. وللسيد محمد علي شرف الدين العاملي =

وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة ومخاليل^(١)
 وكانوا يقفون المواقف كلها، قال العبدى^(٢):
 وبالبيت الذي حجت قريش وموقف ذي الحجيج على الآلي^(٣)
 الآل: جبل بعرفة.

وكانوا يهدون الهدى، ويرمون الجمار، ويحرمون الأشهر الحرم، ولا يغزون، ولا يقاتلون فيها سوى طي وختعم ١٢، وبعض بني الحارث بن كعب، كانوا لا يحجون، ولا يعتمرون، ولا يحرمون الأشهر الحرم، ولا الشهر الحرام، وإنما سمت قريش الحرب التي كانت بينها وبين قيس^(٤) عام الفجار، كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيهن، قالوا: قد فجرنا، فسميت تلك السنة بعام الفجار، وكانوا يكرهون الظلم في الحرم، وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرمي^(٥):

= رسالة «شيخ الأبطح» في سيرته وأخباره، قال فيها: «إن الشيعة الإمامية وأكثر الزيدية يقولون بإسلام أبي طالب، وبأنه ستر ذلك عن قريش لمصلحة الإسلام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ١٦٦.

(١) انظر البيت في: القلھاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) العبدى: كذلك ذكره القلھاتي، العبدى، من دون إضافة.

(٣) انظر البيت في: القلھاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٤) قيس: قيس عيلان بن مضر بن نزار، من عدنان: جد جاهلي. بنوه قبائل كثيرة، منها «هوازن» و«سليم» و«غطفان» و«فهم» و«عدوان» وإذا قيل: قيس ويمن، دخلت العدنانية كلها في قيس، نسباً أو عصبية. ذكرت القيسية عند النبي ﷺ، فقال: رحم الله قيساً فقيل: يا رسول الله ترحم على قيس؟ قال: نعم، إنه كان علي دين نبينا إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، يا قيس حي يمناً، يا يمن حي قيساً، إن قيساً فرسان الله في الأرض». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٥) مضاض بن عمرو الجرمي: مضاض بن عمرو بن نفيلة الجرمي: من ملوك العرب في الجاهلية. كان محباً للغزو، كثير المعارك، مقيماً في الحجاز، تابعاً لليمن. وكان قبل الميلاد بزمان بعيد، ويقال: إن إسماعيل النبي تزوج ابنته، وجميع ولد إسماعيل منها. ويؤخذ من رواية نقلها الزبيدي أنه كان معاصراً عمرو بن مزيقيا. كان مضاض يحكم أعلى مكة، ويأخذ العشور ممن يدخلها في تلك الجهة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٤٩.



أبْنِيَّ لَا تَظْلَمُ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ
أبْنِيَّ مَنْ يَظْلَمُ بِمَكَّةَ يَلْقَى أَطْرَافَ الشُّرُوزِ^(١)

وكانوا ينسئون في كل عام شهراً، وفيهم نزلت ﴿ إِنَّمَا أَلِيسِيَّ زِيَادَةٌ فِي [١٧] أَلْكَفَرِ ﴾ [التوبة: ٢٧]. وكان الحمس لا يخرجون مع الناس إلى عرفة، ويقيمون بمنى، وكانوا إذا ذبحوا للأصنام، لطخوها بدم الهدى، يلتمسون الزيادة في أموالهم. ومنهم قصي بن كلاب، كان يأمر بعبادة الله، وينهى عن عبادة الأصنام، وفي ذلك يقول شعراً:

تَرَكْتُ اللَّاتَ وَالْعِزَّى جَمِيعاً كَذَلِكَ يَفْعَلُ الرَّجُلُ اللَّيِّبُ^(٢)

وكانوا يغتسلون من الجنابة، ويغسلون الموتى. وفي ذلك يقول الأفوه الأودي^(٣) شعراً:

أَلَا عَلَّلَانِي وَأَعْلَمَا أَنْ لِي عَذْرُ فَمَا قَلْتُ تَنْجِينِي الشَّقَائِقَ وَالْحَذْرُ
وَمَا قَلْتُ تَنْجِينِي إِذَا مَا بَدَتْ لَكُمْ مَفَاصِلَ أَوْصَالِي وَقَدْ شَخَّصَ الْبَصْرُ
وَجَاؤُوا بِمَاءٍ بَارِدٍ يَغْسِلُونِي فَيَا لَكَ مِنْ غَسَلٍ سَيَتْبَعُهُ غَبْرُ^(٤)

وكانوا يكفنون أمواتهم، ويصلون عليهم، وكانت صلاتهم، إذا مات الميت، حمل على سرير، ثم يقوم وليه، ويذكر محاسنه كلها، ويثني عليه، ثم يصلى

(١) انظر البيتين في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٢) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٣) الأفوه الأودي: هو صلاة بن عمرو بن مالك، من بني أود، من مذحج، شاعر يمانى جاهلي، يكنى أبا ربيعة. قالوا: لقب بالأفوه لأنه غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره، أشهر شعره قصيدة منها:

لَا يَصْلِحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سِرَاةَ لَهُمْ وَلَا سِرَاةَ إِذَا جَهَّاهُمْ سَادُوا
انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٤) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٩٠.

عليه، ثم يدفن، ثم يقول: السلام عليكم ورحمة الله. وقال رجل من كلب لابن عمه في الجاهلية شعراً:

أعمرو إن هلكت وكنت حياً فإني مكثر لك من وصاتي
فاجعل نصف مالي لابن سام حياتي إن حييتُ وفي مماتي^(١)

وكانوا يداومون على الطهارات العشر^(٢)، التي ابتلى الله إبراهيم بها، وسيأتي ذكرها في الباب الخامس. وكانوا يقطعون اليد اليمين من السارق، إذا سرق. وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون من قطع الطريق. وكانوا يوفون بالعقود، ويكرمون الضيف، ويحمون الجار، وكانت لهم الذمة، وفيهم الفصاحة، ويحفظون الأصول من التهجين. وكانوا يتعايرون ويتمادحون، ويحبون مكارم الأخلاق، وفيهم الحمية، والأنفة، والذمة، والهمة، والعصبية، والكرم، والخطب، والأشعار. وهم أفضل ولد سام بن نوح، ويكفيهم من الفضل ما قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ العرب لثلاث: «لأنني عربي، وكتاب الله عربي، ولغة أهل الجنة عربية، فمن (١٨) أحبهم فليحبني، ومن أبغضهم فليبغضني». وقال بعض الشعراء:

قريش خيار بني آدم وخير قريش بنو هاشم
وخير بني هاشم كلها رسول الإله أبو القاسم

وقيل: خير بني نوح سام، وخير بني سام العرب، وخير العرب قريش، وخير قريش بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبد المطلب، وخير بني عبد المطلب

(١) انظر البيتين في: المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(٢) الطهارات العشر: وهي السنن العشر التي ابتلى الله إبراهيم بها، خمس في الرأس وخمس في البدن، فاللواتي في الرأس: «فرق الشعر، والمضمضة وقص الشارب، والسواك، والاستنشاق». واللواتي في البدن: «قلم الأظفار، وتنف شعر الإبطين، وحلق العانة، والاستنجاء من البول والغائط، والختان».

انظر: القلھاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٩٠ - ٢٩١.



عبد الله أبو النبي، والنبي خير الخلق كلهم أجمعين ﷺ وعلى آله التابعين،
وتابعي تابعيهم، إلى يوم الدين.

وقيل: كانت العرب تجعل بحيرة من الإبل، تُمنع دَرَّها للطواغيت، فلا
يحملها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لألهتهم، لا يُحمل عليها شيء،
والوصيلة: الناقة البكر التي تبكر بأنثى. ثم تأتي بأنثى، والحام: فحل الإبل،
يضرب الضربُ المعدود، فإذا انتهى ضربه، قالوا: حمى ظهره، فلا يُركب،
ولا يُحمل عليه، وسيبوه لألهتهم، وفي ذلك يقول الله، جلَّ ذكره: ﴿مَا جَعَلَ
اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

الباب الثالث

في ذكر ملوك العجم والعرب،
وذكر شيء من أخبارهم





[كيومرث]

يروى في الأخبار أن آدم لما كثّر أولاده، اختار منهم اثنين: شيث، والآخر كيومرث^(١)، وأعطاهم أربعين صحيفة، ليعملا بما فيها، ثم ولى شيثاً حفظ أمور الدين والآخرة، وولى كيومرث أمور الدنيا والمملكة، فكان أول ملوك الأرض، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة.

[هوشنك]

فملك من بعده هوشنك^(٢)، وكانت مدة ملكة أربعين سنة.

(١) كيومرث: أو جيومرت، زعم بعض علماء الفرس أن جيومرت هو آدم، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء. وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم، ووافق علماء الفرس على اسمه، وخالفه في عينه وصفته، فزعم أن جيومرت الذي زعمت الفرس أنه آدم ﷺ إنما هو جامر بن يافث بن نوح، وأنه كان معمرأ سيداً، نزل جبل دناوند من جبال طبرستان من أرض المشرق، وتملك بها وبفارس، ثم عظم أمره، وأمر ولده، حتى ملكوا بابل، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلها. وأن جيومرت منع من البلاد ما صار إليه منها، وابتنى المدن والحصون وعمرها، وأعدّ السلاح، واتخذ الخيل، وأنه تجبر في آخر عمره، وتسمى آدم، وقال: من سماني بغير هذا الاسم ضربت عنقه. وأنه تزوج ثلاثين امرأة، فكثرت منه نسله، وأن ماري ابنه وماريانه أخته ممن وُلد له في آخر عمره، فأعجب بهما وقدمهما، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما، وأن ملكه اتسع وعظم. ولا تدافع بين العلماء أن جيومرت هو أبو الفرس. انظر: الطبري، محمد بن جيري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٧٣.

(٢) هوشنك: هوشنك (فيشاذة) الملك، وهو الذي خلف جدّه جيومرت في الملك، وأول من جمع له ملك الأقاليم السبعة. ويسميه الفرس أوشهنج، وقالوا: وُلد أوشهنج ملكاً، وكان فاضلاً محموداً في سيرته وسياسة رعيته. وذكر أنه أول من وضع الأحكام والحدود، وكان ملقباً بذلك يُدعى «فيشاذة» ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل، وذلك أن فاش معناه: أول، وأن داد: عدل وقضاء. وذكروا أنه نزل الهند، وتقل في البلاد، فلما استقام أمره، واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجاً وخطب خطبة، فقال فيها: إنه ورث الملك عن جدّه جيومرت، وأنه عذاب ونقمة على مرده الإنس والشياطين. وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده، ومنعهم من الاختلاط بالناس، وكتب عليهم كتاباً أبيض، وأخذ عليهم =

[ظهورث]

فملك من بعده ظهورث^(١)، وكان يحارب الجن، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة. وملك من بعده جمشيد^(٢)، وهو الذي أظهر السروج والسلاح وعدد الحرب، وكانت له الأعمال العظيمة، ومدة ملكه سبعمائة سنة.

= الموائيق أن لا يعرضوا لأحد من الإنس، وتوعدهم على ذلك، وقتل مردتهم وجماعة من الغيلان، فهربوا إلى المغاور والجبال والأودية، وأنه ملك الأقاليم كلها، وأنه كان بين موت جيومرت إلى مولد أوشهنج وملكه مائتان وثلاث وعشرون سنة، وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوشهنج، ودخلوا مساكن بني آدم، حيث نزلوا إليهم من الجبال والأودية. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٨٤-٨٥.

(١) ظهورث: اختلف في نسبة قبيل: ظهورث بن يونجهان بن خانداد بن حاندر بن أوشهنج (فيشاذ). وقال بعض نسابه الفرس: هو ظهورث بن أيونكهان بن انكهيد بن أسكهيد بن أوشهنج. وقال هشام بن محمد الكلبي: إن ظهورث هو أول ملوك بابل، وقال: بلغنا، والله أعلم، أن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه، وأنه كان مطيعاً له، وعقد على رأسه تاجاً، وقال يوم ملك: نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة. وكان محموداً في ملكه حديباً على رعيته، وأنه أول من بنى سابور من فارس ونزلها، وتقل في البلدان، وأنه وثب بإبليس حتى ركبها، فطاف عليه أداني الأرض وأقاصيها، وأفرعه مرّة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر واللباس والفرش، وأول من اتخذ من زينة الملوك الخيل والبالغ والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والجوارح. وكتب بالفارسية. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٨٦.

(٢) جمشيد: جم الشيد ملك بعد ظهورث، والشيد عندهم معناه الشعاع، لقبوه بذلك في ما زعموا لجماله، وهو جم بن يونجهان، وهو أخو ظهورث. وقيل: إنه ملك الأقاليم السبعة كلها، وسخر له ما فيها من الجن والإنس، وعقد على رأسه التاج، وقال حين عقد على ملكه: إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا، وأحسن تأييدنا، وسوسع رعتنا خيراً. وإنه أبدع صنوف السلاح، ودلّ على صنعة الأبريسم والقرز وغيره مما يفرز، فأمر بنسج الثياب وصبغها، ونحت السروج والأكف، وتذليل الدواب بها. ووصف الناس أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة فقهاء، وطبقة كتاب وصناع وحراثين، وطبقة خدام. وأمر كل طبقة بلزوم العمل الذي ألزمها إياه. وعمل الرخام والجص والكلس والبناء والذهب والفضة والطيب. ثم بطر وجمع الإنس والجن وأخبرهم أنه عليهم ومالكهم والمدافع بقومه عنهم، فتخلفت عنه الملائكة، فأحسّ بذلك بيوراسب، فامتلىخ أمعاءه واشترطها. ونشره بمنشار. وقال بعض علماء الفرس: إن جمّاً لم يزل محمود السيرة إلى أن بقي مائة سنة من ملكه، فادعى الربوبية، فاضطرب عليه الأمر، فوثب عليه أخوه اسفتوز، لكنه توارى، ثم خرج عليه بيوراسب ونشره بالمنشار. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٨٨-٨٩.



[بوزاسب]

فملك من بعده بوزاسب^(١)، الذي يعرف بالضحاك، وهو ذو الحيتين، وكان صاحب المكر والدواهي والسحر، وكان ظالماً جباراً متعدياً، وكانت (١٩) مدة ملكه ألف سنة.

[أفريزون]

وملك من بعده أفريزون^(٢)، فكان حسن السيرة والرسم، وله حسن الصيت، وإفاضة العدل، وكانت مدة ملكه خمسمائة سنة..

(١) بوزاسب: والصحيح بيوراسب (الذي يسميه العرب: الضحاك). وهو بيوراسب بن أرونداسب بن زينكاو بن ويروشك بن تاز بن فرواك بن سامك بن جيومرت. ومن الفرس أيضاً من ينسبه هذه النسبة، غير أنه يخالف النطق بأسماء آباهه فيقول: هو الضحاك بن أندراسب بن رنحدار بن ونديسخ بن تاج بن فرياك بن ساهمك بن ماذى بن جيومرت. المجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب. ظهر بيوراسب في أول سنة من ملكه ودعا إلى ملة الصابئين. ويقال: إنه كان يعمل بالسحر، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته، أو أعجيبته دابة أو امرأة نفخ بقصبة كانت له من ذهب، وكان يجيء إليه كل شيء يريد، فمن ثم تنفخ اليهود. وقال آخرون: كان نوح في عهد بيوراسب، وكان قومه يعمن دون الأصنام، فدعاهم إلى الله ﷻ تسعمائة سنة وخمسين سنة، كلما مضى قرن يتعمهم قرن على ملة واحدة من الكفر والعذاب، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم. انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٨٦-٨٧-٩٨.

(٢) أفريزون: هو من نسل جمشيد الملك، ويزعمون أنه التاسع من ولده، وكان مولده بدنياوند، خرج حتى ورد منزل بيوراسب (الضحاك) وهو عنه غائب بالهند فحوى على منزله وما فيه، ولما بلغ الضحاك ذلك أقبل وقد سلبه الله قوته وذهبت دولته، فوثب به أفريزون، فأوثقه وصيره إلى جبال دنباوند. فالعجم تزعم اليوم أنه إلى اليوم موثق في الحديد يُعذب هناك. وذكر أن الضحاك لم يكن غائباً عن مسكنه، ولكن أفريزون بن أثنيان جاء إلى مسكن له في حصن يدعى زرنج ماه مهرروزمهر، فكبح امرأتين له تسمى إحداهما أروناز والأخرى سنوار، فوهل بيوراسب الضحاك لما عاين ذلك، وخزّ مُدلاً لا يعقل، فضرب أفريزون هامته بجزر له ملتوي الرأس، فزاده على ذلك وهلاً وعزوب عقل، ثم توجه به أفريزون إلى جبل دنباوند، وشده هناك وثاقاً وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهروز، وهو المهرجان اليوم الذي أوثق فيه بيوراسب عيلاً. وبعض الفرس يزعم أن أفريزون قتله يوم النيروز، فقال العجم عند قتله: إمروز نوروز أي استقبلنا الدهر بيوم جديد، فاتخذوه عيلاً. وجلس أفريزون على كرسي الملك. فكان أول من ذلّل الفيلة وامتطأها، واتخذ الإوز والحمام، وعمل الترياق، ورد المظالم، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، وهو أول من نظر في علم الطب، وأول =

[منوجهر]

وملك من بعده منوجهر^(١)، وكان صاحب العلم والأعمال الكبيرة والأمور العظيمة، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة.

[نوذر]

وملك من بعده نوذر^(٢)، فكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

[أفراسياب]

وملك من بعده أفراسياب^(٣)، الذي ملك إيران، وكانت الأتراك تسميه

= من سمي الصوفي. وهو الذي تتبع من بقي بالسواد من آل نمرود والنبط وغيرهم، حتى أتى على وجوههم ومحا أعلامهم. وكان ملكه خمسمائة سنة. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٩٩ - ١٠٠. وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٧٦، ٨٣، ٨٤. (١) منوجهر: والصحيح منوشهر: وهو الملك منوشهر من ولد إيرج بن أفريدون، وقد تزعم بعضهم أن فارس سميت بمنوشهر هذا. ويقول نسبة الفرس: هو منوشهر كيازيه بن منشخورنر بن منشخورباغ بن ويرك بن سروشك بن إيرك ابن بتك بن بتك بن فرزك بن زشك بن فركوزك بن إيرج بن أفريدون. كان مولده بدياوند، ويقول بعض: كان مولده بالري. وزعم أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخورنر بن افرقيس بن إسحاق بن إبراهيم، وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريدون، وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنان وعشرون سنة من عهد جيومرت. وأما الفرس فإنها تنكر النسب، ولا تعرف لها ملكاً إلا في أولاد أفريدون، ولا تقر بالملك لغيرهم. كان منوشهر يوصف بالعدل والإحسان، وهو أول من خندق الخنادق، وجمع آلة الحرب، وأول من وضع الدهقنة، فجعل لكل قرية دهقاناً وأمر أهلها بطاعته. ويقال: إن موسى ﷺ ظهر في سنة ستين من ملكه. وذكر أن منوشهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظيماً، وأمر بعمارة الأرض. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ١٩٤ - ١٩٥. وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٦٤ - ١٦٨.

(٢) نوذر: لا يشير المؤرخون العرب وبخاصة الطبري وابن الأثير إلى حكم ملك فارسي اسمه نوذر، ومن المرجح أن يكون قد حكم البلاد بعد وفاة والده منوشهر مباشرة وظل الحكم حتى تمكن الملك التركي أفراسياب بن فشنج بن رستم من السيطرة على بابل وبلاد فارس. علماً أن الطبري وابن الأثير يذكران في سياق الحديث عن الملك كيقباز أن نسبه تنتهي إلى نوذر بن منوشهر. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٦٢ - ٢٦٣. وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٠٩.

(٣) أفراسياب: هو ملك الترك أفراسياب بن فشنج بن رستم. سار إلى مملكة فارس لئلا يهلك الملك =



كيكيا ألب، وله الشجاعة، وتسيير العساكر بالليل، وتشويش بالرَّجل والخيَل، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

[روبين طهماسب]

وملك من بعده روبين طهماسب^(١)، وكان له الشجاعة، وطيب الخلق، ومدة ملكه خمس سنين.

[كيقباد]

وملك من بعده كيقباد^(٢)، وكان صاحب تعبئة العساكر وتديير الجنود، والشفقة على الرعية، وكان ملكه مائة وعشرين سنة.

= الفارسي منوشهر، واستولى على مملكته، وسار إلى أرض بابل، وأكثر المقام بها وبمهرجانقذق، وأكثر الفساد في مملكة فارس، وعظم ظلمه، وخزب ما كان عامراً، ودفن الأنهار والقنوات. وقحط الناس في سنة خمس من ملكه، إلى أن خرج عن مملكة فارس، ولم يزل الناس منه في أعظم البلية إلى أن ملك زو بن طهماسب. انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٣٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٠٧.

(١) روبين طهماسب: والصحيح زو بن طهماسب بن منوشهر. ولد في بلاد الترك. حيث كان الملك الفارسي منوشهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده، فأقام في بلاد الترك عند ملك لهم يقال له: «وامن» وتزوج ابنته، فولدت له زو بن طهماسب، وكان المنجمون قد قالوا لأبيها: إن ابنتك تلد ولداً يقتلك. فسجنها، فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها، ثم إن منوشهر رضي على طهماسب وأحضره إليه، فاحتال في إخراج زوجته وولده زو من نجسهما، فوصلت إليه. ثم إن زواً قتل جدّه، وأمن الترك في بعض الحروب، وطرد أفراسياب التركي عن مملكته، فكانت غلبة أفراسياب على أقاليم بابل ومملكة فارس اثنتي عشرة سنة. كان زو محموداً في ملكه محسناً إلى رعيته، فأمر بإصلاح ما كان أفراسياب قد أفسده من مملكتهم، وبعمارة الحصون، وإخراج المياه التي غُورَ طرفها. ووضع عن الناس خراج سبع سنين. واستخرج بالسواد نهراً سماه الزاب، وبنى عليه مدينة العتيقة. وكان أول من اتخذ ألوان الطيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة. وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدته ثلاث سنين. وكان كرشاسب بن أنوط وزيره في ملكه ومعينه فيه، وقيل: كان شريكه في الملك، والأول أصح، وكان عظيم الشأن في فارس، إلا أنه لم يملك. انظر: ابن الأثير، علي محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) كيقباد: كيقباد بن راع بن نوذر بن منوشهر. ملك بعد زو، وقدر مياه الأنهار والعيون لشرب =

[كيخسرو]

وملك من بعده^(١) كيوخسرو^(٢)، وكان حسن القيام والقعود، وتمشية الكبار في الأمور، والزهد في الأشياء، بعد نيل المراد منها، وكانت مدة ملكه ستين سنة.

= الأرض، وسمى البلاد بأسمائها، وحدها بحدودها، وكوز الكور، وبين ميز كل كورة، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند. وكان حريصاً على عمارة البلاد، ومنعها من العدو، كثير الكنوز. وقيل: إن الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله. وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة، فكان مقيماً بالقرب من نهر بلخ، وهو جيحون، لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده. وكان ملكه مائة سنة. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٠٩.

(١) والصحيح أنه حكم من بعده ابنه كيكاسوس. وهو كيكاسوس بن كينية بن كيقباز، حمى بلاده، وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له، وكان يسكن بنواحي بلخ، وولد له ولد سماه سیاوخش، وضمه على رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جودنك بن كرشاسب، وكان أصهبذ سجستان وما يليها، وجعله عنده ليربيه، فأحسن تربيته، وعلمه الفروسية والآداب. غير أن خالته (امرأة أبيه) أفسدت العلاقة بينه وبين أبيه، فلجأ إلى أفراسياب ملك الترك فأكرمه وزوجه بنته وسفافرید، فولدت له «كيخسرو» لكنه ارتاب منه لاحقاً، وأمر بقتله، فقتلوه، ومثلوا به. وحين علم كيكاسوس بمقتل ابنه سیاوخش ستر الجيوش إلى بلاد الترك، وقتل ابنا أفراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سیاوخش. ثم توفي كيكاسوس، وكان ملكه مائة وخمسين سنة. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٢) كيوخسرو: كيوخسرو بن سیاوخش بن كيكاسوس، وأمه وسفافرید ابنة أفراسياب ملك الترك، ملك بلاد فارس بعد وفاة أبيه كيكاسوس. لما ملك كعب إلى الأصبهين جميعهم أن يأتوا بعاشرهم جميعاً، فلما اجتمعوا، جهز ثلاثين ألفاً مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك، وأن لا يمر بقرية ولا مدينة لهم إلا قتل كل من فيها، إلا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فيروز بن سیاوخش، كان أبوه قد تزوج أمه في بعض مدائن الترك، لكن أفراسياب تمكن من هزيمتهم، فجمع كيوخسرو جيشاً عظيماً غزا بلاد الترك من أربع جهات، وقتل جماعة كثيرة من أهل أفراسياب، في إحدى المعارك، ثم سار أفراسياب بنفسه لمقاتلته، لكنه هُزم، وفر إلى أذربيجان فاستتر، لكن كيوخسرو ظفر به، فلما حضر عنده سأله عن غدره بأبيه، فلم يكن له حجة ولا عذر، فأمر بقتله، فذبح كما ذبح سیاوخش، ثم انصرف من أذربيجان، مظفراً منصوراً فرحاً. ثم ترك الملك وتنتك، وعهد بالملك إلى لهراسب، وغاب عن الناس فلا يُدرى ما كان منه ولا أين مات. وهناك رواية أخرى وهي الأصح تقول: إنه حكم ستين عاماً، ولما حضرته الوفاة عهد إلى ابن عمه لهراسب. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٢٨ - ٢٥٠.



[لهراسب]

وملك من بعده لهراسب^(١)، وكان صاحب التاج، والكبر، والديه، والفخر، وكان ملكه أربعين سنة.

[كشتاسب]

وملك من بعده كشتاسب^(٢)، وكان يعتقد مذهب زرادشت^(٣)، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة.

(١) لهراسب: لهراسب بن كيوشي بن كيكاسوس. ابن عم الملك كيخسرو، فهو ابن ابن كيكاسوس، عهد إليه بالملك كيخسرو لما حضرته الوفاة. ولما ملك اتخذ سريراً من ذهب، وكلّله بأنواع الجواهر، وبيت له بأرض خراسان مدينة بلخ وسمّاها الحساء، ودوّن الدواوين، وقوى ملكه بانتخابه الجنود، وعمر الأرض، وجبى الخراج لأرزاق الجند. كان محموداً عند أهل مملكته، شديداً على أعدائه. شقّ عدّة أنهار، وحمل إليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج. ثم إنه تنسك وشارك الملك، واشتغل بالعبادة، واستخلف ابنه بشتاسب في الملك. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٥٨.

(٢) كشتاسب: والصحيح بشتاسب بن لهراسب بن كيوشي بن كيكاسوس. حكم بلاد فارس بعد تنسك والده لهراسب ومفارقة الملك. وفي أيامه ظهر زرادشت ابن سقيمان الذي ادعى النبوة وتبعه المجوس، فحبسه بشتاسب مدة، ثم أطلقه. ثم إن بشتاسب أحضر زرادشت وهو يبلغ واتبعه، وقهر الناس على اتباعه، وقتل منهم خلقاً كثيراً حتى قبلوه ودانوا به. وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة. وضبط بشتاسب الملك، وقرر قوانينه، وبنى بفارس مدينة «بسا» ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب الملك، وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته، وصالح ملك الترك خزراسف (أخو أفراسياب) لكن زرادشت نصحه بنقض الصلح، وقال له: أنا أعين لك طالماً تسير فيه إلى الحرب فنظف، وهذا أول وقت وضعت فيه الاختيارات للملوك بالنجوم. ووقعت الحرب بين الطرفين، وكانت الهزيمة للترك، وعاد بشتاسب مظفراً إلى بلخ. ثم رحل إلى ناحية كرمان وسجستان، وسار إلى جبل طميدر لدراسة دينه والتنسك هناك، فهاجم الترك بلاده، وقتلوا والده لهراسب، وكان شيخاً عجوزاً. وأحرقوا الدواوين، وهدموا بيوت النيران. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) زرادشت: زرادشت بن سقيمان، ادعى النبوة وتبعه المجوس، وكان زرادشت في ما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة إرميا النبي خاصة به، فخانه وكذب عليه، فدعا الله عليه، فبرص ولحق ببلاد أذربيجان، وشزع بها دين المجوس. وقيل: إنه من العجم، وصنف كتاباً وطاف به الأرض وسمّاها «أشتا» حبسه ملك الفرس بشتاسب مدة ثم أطلقه. وشرح زرادشت كتابه =

[أسفنديار]

وملك من بعده أسفنديار^(١)، وكان صاحب الحقد والجهد في الحروب، وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة.

[بهمن بن أسفنديار]

وملك من بعده بهمن بن أسفنديار^(٢)، وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة.

= وسماه «زند» أي التفسير، ثم شرح الزند بكتاب سماه «بازنده» أي تفسير التفسير، وفيه علوم مختلفة كالرياضيات وأحكام النجوم والطب وأخبار القرون الماضية وكتب الأنبياء. ثم إن بشتاسب أحضره إليه وهو ببلخ، فلما قدم عليه شرع له دينه، فأعجبه، واتبعه، وقهر الناس باتباعه. وأما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان، وأنه نزل على الملك من سقف إيوانه ويده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه، وكل من أخذها منه لم تحرقه، وأنه اتبعه الملك ودان بدينه، وبنى بيوت النيران في البلاد، وأشعل تلك النار في بيوت النيران. وكان ظهور زرادشت بعد مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسب، وأتاه بكتاب زعم أنه وحى من الله تعالى، وكُتِبَ في جلد اثني عشر ألف بقرة حفراً ونقشاً بالذهب، فجعله بشتاسب في موضع باصطخر، ومنع من تعليمه العامة. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٥٨ - ٢٦٠.

(١) أسفنديار: في الواقع لم يحكم أسفنديار بعد أبيه بشتاسب. وكان والده أودعه في السجن بعد الانتصارات الكبرى التي حققها على الترك، فقد اغتني أسفنديار كثيراً من تلك الحرب، وخاف والده أن يطعم بالملك. وظل في السجن إلى أن غزا الترك بلاد فارس، فأخرجه والده من السجن، ووعده بالملك إذا نجح في طرد الترك من البلاد. فنهض أسفنديار وجمع من عنده الجند وقاتل قتال الأبطال، واستعاد درفش كايان، فلما دخل على أبيه استبشر به، وأمره بملاحقة الترك وقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله، وأن يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلاد فارس. فسار أسفنديار، ودخل بلاد الترك، وقتل وسبي وخزب، وبلغ مدينتهم العظمى، وقتل ملك الترك وإخوته، وسبي نساءه، واستنقذ أختيه، وأقطع بلاد الترك، وجعل لكل ناحية رجل من وجوه الترك بعد أن أقتنهم، ووظف عليهم خراجاً يحملونه كل عام إلى أبيه بشتاسب، ثم عاد إلى بلخ. فحسده أبوه وخاف منه، وأمر بتجهيز جيش لمقاتله رستم الشديد بسجستان فقتله رستم. ومات بعده والده بشتاسب، وكان ملكه مئة وخمسين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٢) بهمن بن أسفنديار: هو الملك أردشير بهمن بن أسفنديار ملك من بعد وفاة جدّه بشتاسب. وكان مظفراً في مغازيه، وملك أكثر من أبيه، وقيل: إنه بنى بالسواد مدينة وسماها «إياوان أردشير» وهي القرية المعروفة بهيميتيا أو (بهمشنا) بالزاب الأعلى، وابنتى بكور دجلة الأبله، وسار إلى سجستان طالباً بنار أبيه أسفنديار، فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز. وبهمن هو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الأحرار أردشير بن بابك وولده. وغزا بهمن رومية الداخلية، وكان ملوك الأرض =



[هماي بنت بهمن]

وملكت من بعده ابنته هماي^(١)، وكانت صاحبة رأي وتدبير، وكان ملكها

سبع عشرة سنة.

[دارا]

وملك من بعدها دارا^(٢)، وكان صاحب الهيبة والجزع والجبن، وكان ملكه

إحدى وأربعين سنة.

= يحملون إليه الأتاوى، وكان أعظم ملوك الفرس شأنًا وأفضلهم تدبيراً. وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب عليه السلام، وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود. وكان ملك بهمن مئة وعشرين عاماً. وكان متواضعاً مرضياً فيهم. وكانت كتبه تخرج: من عبدالله خادم الله السائس لأموركم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٧٨.

(١) هماي: والصحيح خماني بنت بهمن بن أسفنديار بن شتاسب، ملكت فارس بعد وفاة أبيها، ملكوها حيناً لأبيها ولعقلها وفروسياتها، وكانت تلعب بشهرزاد. وقيل إنما ملكت لأنها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك، ففعل بهمن، وعقد التاج عليه حملاً في بطنها، وساسان بهمن رجل يتصنع الملك، فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد، ولحق برؤوس الجبال، واتخذ غنماً، وكان لا يتولاها بنفسه. وهلك بهمن ودارا في بطن أمه، فملأوكها، ووضعته بعد أشهر من ملكه، فأنقث من إظهار ذلك، وجعلته في تابوت، وجعلت معه جواهر، وأجرته في نهر الكرز من باصطخر، وقيل: بنهر بلخ، وسار التابوت إلى طخان من أهل إصطخر، ففرح به لما فيه من الجواهر، فحضته امرأته، ثم ظهر أمره حين شب، فأقرت خماني بإساءتها (بأنه ابنها) فلما تكامل امشجن، فوجد على غاية ما يكون أبناء الملوك، فحولت التاج إليه، وسارت إلى فارس، وبنت مدينة اصطخر، وكانت أوتيت ظفراً، وأغزت الروم، وشغلت الأعداء عن تطزق بلادها، وخفت عن رعيتها الخراج، وكان ملكها ثلاثين سنة. وقيل: إن خماني أم دارا حضته حتى كبر، فسلمت له الملك، وعزلت نفسها، فقبض الملك بشجاعة وحزم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) دارا: دارا الأكبر، وهو دارا بن بهمن بن أسفنديار بن شتاسب، ملك بلاد فارس بعدما تخلت أمه خماني عن الحكم له بعدما كبر، وكان يلقب جهرزاد، ويعني: كريم الطبع، فنزل ببابل، وكان ضابطاً لملكه، قاهرراً لمن حوله من ملوك، يؤذون إليه الخراج. بنى بفارس مدينة سماها «دارابجر» وزينها بدواب البرد وربتها، وكان معجياً بابنه دارا، ومن حبه له سماه بنفسه، وصير له الملك من بعده. وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

[دارا بن دارا]

وملك من بعده دارا بن دارا^(١)، وكان له قود العساكر، وترتيب الحشم، وإقطاع الولايات، وكان ملكه خمسين سنة.

[الإسكندر الرومي]

وملك من بعده الإسكندر^(٢)، الرومي، وهو ذو القرنين^(٣)، وكان له الطواف في العالم، والأسفار البعيدة، ومشاهدة العجائب، وفتح البلدان، وقهر الملوك، وكان ملكه ستاً وثلاثين سنة.

(١) دارا بن دارا: (دارا الأصغر) دارا بن دارا بن بهمن بن أسفنديار بن أسفنديار بن بشتاسب. ملك بعد أبيه دارا الأكبر، وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة «دارا» واستوزر إنساناً لا يصلح لها، فأفسد قلبه على أصحابه، فقتل رؤوساء عسكره، واستوحش منه الخاصة والعامه، وكان شاباً غزاً وجميلاً، حقوداً جباراً، سئئ السيرة في رعيته. كان ملكه أربع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٨١.

(٢) الإسكندر الرومي: الإسكندر ذو القرنين، أو الإسكندر المقدوني اليوناني، ملك مقدونية الذي ورث الحكم عن أبيه فيليبوس، واستولى على بلاد الروم أجمع. كان والده فيليبوس قد صالح الملك دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة، فلما هلك فيليبوس قوي الإسكندر على دارا، ولم يحمل له الخراج (وكان والده يدفعه بيضاً من ذهب) فسخط عليه دارا، وكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه في ترك حمل الخراج، فكتب إليه الإسكندر جواباً. ثم خاف الإسكندر الحرب، فطلب الصلح، فاستشار دارا أصحابه، فأشاروا عليه بالحرب، لفساد قلوبهم عليه. فحاربه الإسكندر وانتصر عليه، ولحقه الإسكندر وهو بأخر رمق (وقيل: بل فتك به رجلان من حرسه بعد هزيمة عسكره) فأوصاه أن يتزوج ابنته روشنك ويعظم قدرها، وأن يأخذ بشأه ممن قتله. ففعل الإسكندر كل ذلك، وقتل حاجبي دارا. وقد حمل الإسكندر علوم فارس من علوم ونجوم وحكمة، ونقله إلى الرومية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٦.

(٣) اختلف المؤرخون حول الملك ذي القرنين، فهناك من يقول: إنه الإسكندر المقدوني، وهناك من يقول: إنه بُعِب الأقرن، ويسمى الأقرن ذي القرنين لشيء كان على قرنيه، وهناك من يقول: إنه الصعب ذو القرنين الذي بنى السد، والذي ذكره الله في الكتاب الكريم. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، تحقيق محمود بن مبارك السليمي، ومحمد حبيب صالح، وعلال الصديق الغازي، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ج ١، ص ٢٦١-٣٣١.



[أردشير بن بابك]

وملك من بعده^(١) أردشير بن بابك^(٢)، كان ملكاً عادلاً، ذا فطنة وذكاء، كريماً، حسن السيرة، حميد الأحداث، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة.

[سابور بن بابك]

وملك من بعده سابور بن أردشير^(٣)، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثون سنة.

(١) وملك من بعد الاسكندر الرومي ملوك الطوائف في بلاد فارس، ويعود السبب في تملिकهم إلى الإسكندر، ذلك أن الإسكندر لما ملك بلاد فارس، ووصل إلى ما أراد، كتب إلى أرسطاطاليس الحكيم: «إني وترت جميع من في بلاد المشرق، وقد خشيت أن يتفوقا بعدي على قصد بلادنا وإيذاء قومنا، وقد هممت أن أقتل أولاد من قتل من الملوك وألحقهم بآبائهم، فما ترى؟». فكتب أرسطاطاليس الحكيم إليه: «إنك إن قتل أبناء الملوك أفضى الملك إلى السفل والأنزال، والسفل إذا ملكوا قذروا، وإذا قذروا طغوا وبغوا وظلموا، وما يخشى من مضرتهم أكثر، والرأي أن تجمع أبناء الملوك، فتملك كل واحد منهم بلداً واحداً وكورة واحدة، فإن كل واحد منهم يقوم في وجه الآخر يمنع عن بلوغ غرضه خوفاً على ما بيده، فتولد العداوة بينهم، فيشتغل بعضهم ببعض، فلا يتفرغون إلى من بعد عنهم». فعندها قسم الإسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف. ويسمون في بلاد فارس الأشغانية أو الأشكانية، وهم: الملك أشك، ملك اثنتين وخمسين سنة. وشابور بن أشك، ملك أربعاً وعشرين سنة، والملك جودرز بن شابور بن أشك، وهو الذي غزا بني إسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا. والملك يجن بن بلاش بن أشك، ملك إحدى وعشرين سنة. والملك جودرز بن يجن بن بلاش بن أشك، ملك تسع عشرة سنة. والملك نوسي بن يجن بن بلاش بن أشك، ملك ثلاثين سنة. ثم ملك عمه همزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة. ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتي عشرة سنة. ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة. ثم ملك أخوه بلاش بن فيروز أربعاً وعشرين سنة. ثم ملك ابنه أردوان بن بلاش خمساً وخمسين سنة. وقد ذكر بعضهم أنه ملك بعد هرمزان بن بلاش أردوان الأكبر اثنتي عشرة سنة. وبدأ بعدهم عهد الطبقة الساسانية من الملوك، وأولهم أردشير بن بابك. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٩٣ - ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) أردشير بن بابك: هو الملك الفارسي أردشير بن بابك بن ساسان بن مهران بن مهران بن أسفنديار بن بشتاسب. نهض يريد الأخذ بثأر الملك دارا بن دارا، ورد الملك إلى أهله وإلى من لم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف، وجمعه لرئيس واحد. وكان قد مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل ٥٢٣ سنة، وفي قول المجوس ٢٦٦ سنة. واستطاع توحيد بلاد فارس تحت سلطته، وبنى الكثير من المدن، ولم يزل محمود السيرة مظفراً منصوراً لا ترده له راية، ورتب المراتب وعمّر البلاد. حكم بلاد فارس بعد توحيدها مدة أربع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٨٠ - ٣٨٤.

(٣) سابور بن أردشير: سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان، كان والده أردشير قد أسرف في قتل الأشكانية =

[أوزمرد]

وملك من بعده أوزمرد^(١)، وكان ملكه ثلاثين (٢٠) سنة وثلاثة أشهر.

[بهرام بن بهرام]

وملك من بعده^(٢) بهرام بن بهرام^(٣)، وكان ملكه عشر سنين.

= (ملوك الطوائف) حتى أفتاهم بسبب آية ألاما جدّه ساسان بن أردشير بن بهمن، فإنه أقسم أنه إن ملك يوماً من الدهر لم يستبق من نسل أشك بن جزء أحدًا، وأوجب ذلك على عقبه، فكان أول من ملك من عقبه أردشير بن بابك، فقتلهم جميعاً ونساءهم ورجلهم، غير أنه وجد جارية في دار المملكة أعجبه، فتزوجها، وكانت ابنة الملك المقتول، فسألها عن نسيها، فذكرت أنها خادمة لبعض نساء الملك. فسألها أ بكر أم ثيب؟ فأجابته أنها بكر، فاتخذها لنفسه وواقعها، فعلقته منه، فلما أمنت منه بحبلها أخبرته أنها من ولد أشك، ففر عنها، ودعا الشيخ هرجد بن أسام ليقتلها، فأخذها الشيخ ليقتلها ووضعها في سرداب تحت الأرض، ووضعها في حنّ وختم عليه، وحضر إلى الملك ودفع الحقّ إليه، فختمه بخاتمه وأودعه في بعض خزائنه. ثم وضعت الخادمة غلاماً، فسماه الشيخ شاپور ومعناه: ابن الملك، وهو أول من سمي بهذا الاسم. وبقي أردشير لا يولد له، فأخبره الشيخ بقصة ولده شاپور، فشهّر أمره بين الناس، وعقد له التاج من بعده. وكان شاپور عاقلاً بليغاً فاضلاً، فلما ملك ووضع التاج على رأسه فزق الأموال على الناس وأحسن إليهم، وبنى مدينة نيسابور، ومدينة سابور بفارس، وبنى فيروز سابور، وهي الأنبار، وبنى جنديسابور. وهو صاحب القصة المشهورة مع «النضيرة» بنت ملك الحضرة. وفي أيامه ظهر ماني الزنديق وأدعى النبوة. وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٨٥-٣٨٨.

(١) أوزمرد: والصحيح هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك. وأمه من بنات الملك مهرك الذي قتله أردشير وتتبع نسله فقتلهم، وكان هرمز قبل توليه الحكم والياً لأبيه على خراسان، فقهر الأعداء واستقل بالأمر، فوشى به الوشاة إلى والده أنه عزم يأخذ الملك منه، وسمع هرمز، فقطع يده، وأرسلها إلى والده لإزالة التهمة (لأن رسمهم أنهم كانوا لا يملكون ذا عاهة) فلما وصلت يده إلى والده تقطع أسفاً، وأرسل إلى هرمز يعلمه، وعقد له الملك وملكه. فعدل هرمز في الرعية، وكان صادقاً، وسلك سبيل آباءه، وكوّر كورة رامهرمز. وكان ملكه ستة وعشرة أيام. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) والصحيح أنه ملك من بعد هرمز بن سابور ابنه بهرام بن هرمز بن سابور. وكان حليماً متأنياً، حسن السيرة، قتل ماني الزنديق، وسلخه، وحشا جلده تبناً، وعلق على باب من أبواب جنديسابور يسمى «باب ماني». وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. وكان عامل سابور بن أردشير، وابنه هرمز، وبهرام بن هرمز، بعد مهلك عمرو بن عدي على ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمر بن عدي يقال له امرؤ القيس الكندي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) بهرام بن بهرام: بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. كان ملكه حسناً، وكان عالماً بالأمور، =



[بهراميان]

وملك من بعده بهراميان^(١)، وكان ملكه أربعة أشهر.

[نوسي]

وملك من بعده نوسي^(٢)، وكان ملكه تسع سنين.

[هرمز نوسي]

وملك من بعده هرمز نوسي^(٣)، وكان ملكه سبعين سنة وخمسة أشهر.

[سابور ذو الأكتاف]

ملك من بعده سابور ذو الأكتاف^(٤)، وكان له ملك عظيم، وكان ملكه

سبعين سنة.

= فلما عُقد له التاج وعد الرعية بحسن السيرة، واختلف في سني ملكه، فقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل سبع

عشرة سنة. والله أعلم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩٠

(١) بهراميان: والصحيح بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. عندما عُقد له التاج دعا له العظماء فأحسن الرذ. وكان قبل أن يفضي إليه الأمر مملكاً على سجستان. وكان ملكه أربع سنين. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩١.

(٢) نوسي: والصحيح نرسي وهو نرسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، وهو أخو بهرام الثالث.

عندما عُقد التاج على رأسه دخل عليه الأشراف والعظماء، فدعوا له، فوعدهم خيراً، وسار فيهم بأعدل السيرة، وقال: لن نضيع شكر ما أنعم الله به علينا، وكان ملكه تسع سنين. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩١.

(٣) هرمز بن نرسي: هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. كان الناس قد

وجلوا منه لفظاظته، فأعلمهم أنه قد علم بما كانوا يخافون من شدته ولايته، وأن الله قد أبدل ما كان

فيه من الفظاظرة رقة ورأفة، فاسسهم أرفق سياسة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد

والعدل، ثم هلك ولا ولد له، فشق ذلك على الناس، فسألوا عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حبلى،

وقيل: إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل، وولدت المرأة سابور ذا الأكتاف. وكان ملك

هرمز بن نرسي ست سنين وخمسة أشهر، وقيل: سبع سنين وخمسة أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن

محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩١-٣٩٢.

(٤) سابور ذو الأكتاف: وهو سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن

بابك. قيل: ملك بوصية أبيه له، فاستبشر الناس بولادته، وبثوا خبره في الآفاق، وتقلد الوزراء والكتاب =

[أزدشير]

(وملك من بعده أخوه أزدشير^(١))، وكان ملكه عشر سنين^(٢).

[سابور بن سابور]

وملك من بعده سابور بن سابور^(٣)، وكان ملكه خمس سنين.

[بهرام بن سابور]

وملك من بعده بهرام بن سابور^(٤)، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

= ما كانوا يعلمونه في ملك أبيه. فطمعت بمملكتهم الترك والعرب والروم، فلما ترعرع سابور وكبر، وبلغ عمره ست عشرة سنة، وقوي على حمل السلاح، فهاجم الذين سيطروا على جزء من بلاد فارس، فقتل وأسر وأكثر، ثم هاجم البحرين، وسار إلى هجر وأباد عبد القيس، وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل، وقصد بكرأ وتغلب بين الشام والعراق، فقتل وسبى وغور مياهم، وسار إلى قرب المدينة ففعل ذلك، وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتلهم إلى أن هلك، فسموه سابور ذا الأكتاف. وحارب الروم، فسيطروا على طيبستور (المدان الشرقية) وملكوا أموال سابور وخزائنه. لكن سابور استعادها، وأسر قيصر الروم، وغنم أمواله ونسائه، وثقله بالحديد، وأمره بعمارة ما خرب من جنديسابور. وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩٢-٣٩٦.

(١) أزدشير: أزدشير بن هرمز بن نوسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك. وهو أخو سابور ذي الأكتاف. عندما استقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرئاسة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩٧.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٩.

(٣) سابور بن سابور: سابور بن سابور بن هرمز بن نوسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك. وهو ابن سابور ذي الأكتاف. تولى الملك بعد خلع عمه أزدشير، فاستبشر الناس بعودة ملك أبيه إليه، وكتب إلى العملا بالعدل والرفق بالريعية، وأمر بذلك وزراه وحاشيته، وأطاعه عمه المخلوع، وأحبته رعيتيه. ثم إن العظماء وأهل الشرف قطعوا أطناب خيمة كان فيها، فسقطت عليه، فقتله. وكان ملكه خمس سنين. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩٧-٣٩٨.

(٤) بهرام بن سابور: بهرام بن سابور ذي الأكتاف، وكان يلقب كرمان شاه، لأن أباه ملكه كرمان في حياته، فكتب إلى القواد كتاباً يحثهم على الطاعة، وكان محموداً في أمور، وبنى بكرمان مدينة، وثار به ناس من الفتاك، فقتله أحداهم بنشابه، وكان ملكه إحدى عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩٨.



[يزدجرد بزة كار]

وملك من بعده يزدجرد بزة كار^(١)، وكان صاحب الجور والظلم والفساد، وكان ملكه ثلاثين سنة.

[بهرام كور]

وملك من بعده بهرام كور^(٢)، وكان له النظر التام في أحوال الرعية، والرمي بالقوس، والاشتغال بالفرجة واللعب، والعشرة والشرب، وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة.

(١) يزدجرد بزة كار: وهو يزدجرد الأثيم بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف. ومن أهل العلم من يقول: إن يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه ابن سابور لا ابنه. كان فظاً غليظاً ذا عيوب كثيرة، يضع الشيء في غير موضعه، كثير الرؤبة في الصغائر، واستعمل كل ما عنده من الموارد والمخاتلة مع فطنة بجهات الشز، وكان غلقاً سعى الخلق لا يغفر الصغيرة من الزلات، ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وإن كان قريباً منه، كثير التهمة، ولا يأتمن أحداً على شيء. ولما استوى على الملك واشتدت شوكته هابته الأشراف والعظماء، وحمل على الضعفاء، فأكثر من سفك الدماء. رَمَحَهُ فَرَسٌ عَلَى فُوَادِهِ، فَهَلَكَ فِي مَكَانِهِ. وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوماً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٩٨ - ٤٠٠.

(٢) بهرام كور: أو بهرام جور، وهو بهرام بن يزدجرد الأثيم. عندما ولد بهرام اختار والده لحضانه العرب، فدعا المنذر بن النعمان واستحضنه بهرام وشرفه وكزمه وملكه العرب، وأحسن المنذر تربيته، ومات أبوه وهو عند المنذر، فتعاهد العظماء وأهل الشرف على أن لا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد لسوء سيرته، واجتمعت الكلمة على صدق الملك من بهرام لشوته في العرب وتخلقه بأخلاقهم، ولأنه ولد يزدجرد، وملكوا رجلاً من عقب أردشير بن بابك يقال له كسرى. فجهاز المنذر له جيشاً من ثلاثين ألفاً من فرسان العرب إلى مدينتي الملك، فجمع بهرام الناس، وصعد على منبر من ذهب مكلل بالجواهر، فتكلم عظماء الفرس، فذكروا فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء سيرته، وكثرة قتله وإخراب البلاد، وأنهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده. فوعدهم أن يصلح ما أفسده والده، وملك وهو ابن عشرين سنة، وأمر أن يلزم رعيته راحة ودعة. ثم سار إلى أذربيجان ليتنسك في بيت نارها، واستخلف أخاه نرسي، فطمع خاقان الترك بملكه، فقاتله بهرام وقتله بيده، وظفر بتاجه وإكليله، وعاد بهرام إلى العراق، وولى أخاه نرسي على خراسان، وأمره أن ينزل مدينة بلخ. وخرج عليه الديلم، فظفر بهم، وبنى مدينة سماها فيروز بهرام. هلك في جب عندما كان في رحلة صيد. وكان ملكه ثمانين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وقيل: ثلاثاً وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٠١ - ٤٠٦.

[يزدجرد بن بهرام]

وملك من بعده يزدجرد بن بهرام^(١)، وكان ملكه ثمانى عشرة سنة.

[هرمز]

وملك من بعده هرمز^(٢)، وكان ملكه إحدى عشرة سنة. وملك من بعده أشك^(٣)، وكان ملكه خمس سنين وشهرين.

[كيفتا]

وملك من بعده كيفتا^(٤)، وكان ملكه أربعين سنة. وملك من بعده جام

(١) يزدجرد بن بهرام: يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأئيم، لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم، وذكر أباه ومناقبه، وأعلمهم أنهم إن فقدوا منه طول جلوسه لهم فإن خلوته في صالحهم وكيد أعدائهم، وأنه قد استوزر نرسي صاحب أبيه. وعدل في رعيته، وقمع أعداءه، وأحسن إلى جنده. وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد، فوجه إليهم وزيره نرسي في العدة التي أنفذه بها أبوه فبلغ إرادته. وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر، وقيل: تسع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٠٧.

(٢) هرمز: هرمز بن يزدجرد بن بهرام جور. كان في حياة والده والياً على سجستان، فغلب على الملك بعد هلاك أبيه يزدجرد، فهرب أخوه فيروز ولحق ببلاد الهياطلة، واستنجد بملكهم، فأمدّه بعد أن دفع إليه الطالقان، فأقبل بهم، فقتل أخاه هرمز بالرّي، وكانا من أم واحدة، وقيل: لم يقتله، وإنما أسره، وأخذ الملك منه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٠٧.

(٣) أشك: وقع مؤلف المخطوطة سرحان بن سعيد الإزكوي في خطأ وأعادنا إلى عهد ملوك الطوائف الذي ساد بلاد فارس بعد موت الإسكندر المقدوني، وكان أشك أول ملوكه، وإليه تنسب طبقة ملوك فارس الأشكانية كما رأينا سابقاً. وهذه الطبقة من ملوك فارس حكمت قبل عهد الملوك الساسانيين. والصحيح أن الملك فيروز هو الذي حكم بعد هرمز وليس أشك. وفيروز: هو فيروز بن يزدجرد بن بهرام. حكم بلاد فارس بعدما ظفر بأخيه هرمز، وملك وأظهر العدل، وأحسن السيرة، وكان يتدين، إلا أنه كان مشؤوماً على رعيته، وقحطت البلاد في زمانه سبع سنين متواليه، وغارت الأنهار والقنوات، وقلّ ماء دجلة، وماتت الطيور والوحوش، وعم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد، فكتب إلى جميع رعيته أن لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤونة. وبعد انقضاء سنوات المجاعة قرر محاربة الهياطلة، وقتل في إحدى المعارك معهم. وكان ملكه ستاً وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرين سنة. انظر: المصدر السابق، ص ٤٠٨.

(٤) كيفتا: والصحيح بلاش بن فيروز بن يزدجرد. ملك بعد مقتل أبيه فيروز، وكان حسن السيرة حريصاً =



أسب الحكيم^(١)، وكان صاحب علم النجوم، وله فيه الأحكام الصحيحة، وكان ملكه سنة وستة أشهر.

[كسرى أنو شروان]

وملك من بعده كسرى أنو شروان^(٢)، فخر ملوك إيوان، صاحب العدل والإنصاف والإحسان والإسعاف، وكان ملكه ثمانين وأربعين سنة. وكتب كسرى إلى بعض عماله:

= على العمارة، وكان لا يبلغه أن يتأخر بوجلا أهله عنه إلا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سد فاقتهم حتى لا يضطروا إلى مفارقة أوطانهم، وبنى مدينة ساباط قرب المدائن، وكان ملكه أربع سنين. انظر: المصدر السابق، ص ٤٠٨.

(١) جام أسب الحكيم: والصحيح قباذ بن فيروز بن يزيد جرد. خرج على أخيه بلاش، وسار إلى خاقان الترك مستنصراً به عليه، فمر في طريقه بحدود نيسابور، وتزوج فتاة من الأساروي، فحملت بأنو شروان، وأمر لها بجائزة سنوية وردها. ومضى إلى خاقان الترك، فأقام عنده أربع سنين وهو بعده. ثم أرسل معه جيشاً، فلما صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته سأل عنها، فأحضرت ومعها أنو شروان وأعلمته أنه ابنه، وورد الخبر إليه في ذلك المكان أن أخاه بلاش قد هلك، فتيمن بالمولود، وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك. وفي عهده ظهر «مزدك» وابتدع، وتبعه الملك قباذ، ولما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبدان موبذ والعظماء وخلعوه، وملكوا أخاه جامسب، ووضعوه في السجن. غير أن أخته مكنته من الفرار، فجمع قواه، وغلب أخاه جامسب على الملك. وكان ملك جامسب ست سنين. فكان ملك قباذ مع ملك أخيه جامسب ثلاثاً وأربعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤١٢ - ٤١٤.

(٢) كسرى أنو شروان: هو كسرى أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزيد جرد بن بهرام جور بن يزيد جرد الأثيم. لبس التاج بعد موت أبيه قباذ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم، وأعلمهم أنه يصلح ذلك، ثم أمر برؤوس المزدكية، فقتلوا، وقُسمت أموالهم على أهل الحاجة. وقتل مزدك وصلبه، وقتل منهم ما بين جازر إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم، وسمي يومئذ «أنو شروان». وعمر الجسور والقناطر، وأصلح الخراب، وتفقد الأساورة وأعطاهم، وبنى في الطرق القصور والحصون، وتخير الولاة والعمال والحكام، واقتدى بسيرة أردشير، وارتجع بلاداً كانت لمملكة فارس، منها: السند وسندوست والزُخج وزابلستان وطخارستان. وحارب الروم، وسبى أهل نطاكية ونقلهم إلى أرض السواد وبنى لهم مدينة الرومية. وسار من الروم إلى الخزر، فقتل منهم وغنم، وأخذ منهم بثأر رعيته. وولد الرسول ﷺ في آخر ملكه. وكان ملكه ثمانين وأربعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٣٤ - ٤٤٠.

«سلام عليكم بقدر ما أنتم أهله، أما بعد... فإني متى ما وجدت في بيت المال درهماً واحداً، لا صحة له عندي، أمرت بصلب عامل تلك الناحية، فلا تتخذوا لنا من جلود الناس لباساً، ولا من لحومهم طعاماً، ولا من دمائهم شراباً، ولا تحرقوا في نيراننا شيئاً من حطامهم، فإن الله قد أغنانا بملكنا عما في أيدي رعايانا، ولا تقوموا ملكنا بالظلم والجور، فإنه غاية القبح، وغاية المسبته. وانظروا في أرباب الغلات في غلاتهم، فإنه ليس من العدل أن نأخذ منهم إذا زكت ونمت، كما أننا لا نرد عليهم إذا خسرت وعجزت».

[أنو شروان هرمز]

وملك من بعده أنو شروان هرمز^(١) وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

[خسرو برويز]

وملك من بعده (٢١) خسرو برويز^(٢)، وما وصل أحد من الملوك درجته

(١) هرمز بن أنو شروان: هرمز بن أنو شروان. وأمه ابنة خاقان الأكبر، وكان هرمز بن كسرى أديباً ذا نية في الإحسان إلى الضعفاء والحمل على الأشراف، فعادوه وأبغضوه، وكان عادلاً. وكان مظفراً منصوراً. وهاجمه العرب والترك والروم فخلعته حاشيته وقواده وقالوا: إن ابنه أبرويز أصلح للملك منه بتحريض من قائده بهرام خشنش، فلما علم أبرويز ذلك خاف أباه وهرب إلى أذربيجان. ووثب العظماء على المدائن وفيهم خالا أبرويز، فخلعوا هرمز وسملوا عينيه، وبلغ أبرويز ذلك فأقبل من أذربيجان إلى دار الملك. وكان ملك هرمز إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر، ولم يُسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٦٩ - ٤٧٢.

(٢) خسرو برويز: والصحيح كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان. كان من أشد ملوك الفرس بطشاً وأنفذهم رأياً، وبلغ من البأس والنجدة وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله، ولذلك لقب «أبرويز» ومعناه: المظفر. وكان قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو، وشزه على أموال الناس ففسدت قلوبهم ونياتهم، ومضى ناس من العظماء إلى بابل، فأحضروا ولده شيرويه بن أبرويز، فوصل إلى بهر سير، فدخلها ليلاً، فأخرج من كان في سجونها، واجتمع إليه من كان كسرى أمر بقتلهم، فنادوا شاهنشاه، وساروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى، فهرب حرسه، وخرج كسرى إلى بستان قريب من قصره هارباً، فأخذ أسيراً، وملكوا ابنه، فأرسل إلى أبيه =



في الملك، وجمع الخزائن والآلات، وكنز الكنوز، واستعمل (من) اللذات، ما لو وصفناه، لطال بشرحه الكتاب، وكان ملكه ثمانى وثلاثين سنة.

[شيروى بن خسرو]

وملك من بعده شيروى بن خسرو^(١)، وكان ملكه سبعة أشهر.

[أزدشير]

وملك من بعده أزدشير^(٢)، وكان ملكه عشر سنين وستة أشهر.

= يقزعه بما كان منه، ثم قتلته الفرس وساعدهم ابنه، وكان ملكه ثمانى وثلاثين سنة. أي بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بستة أعوام. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٩٢ - ٤٩٣. (١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) شيروى بن خسرو: والصحيح شيرويه بن كسرى، وهو كسرى شيرويه بن كسرى بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان. ملك بعد خلع أبيه من الملك. وأم شيرويه هي مريم بنت موريق ملك الروم، واسمه قباز، ودخل عليه العظماء والأشراف وقالوا: لا يستقيم أن يكون لنا ملكان، فإما أن تقتل كسرى ونحن عبيدك، وإما أن نخلعك ونطيعه. فانكسر شيرويه ونقل أباه من دار الملك إلى موضع آخر حبسه فيه، ثم جمع العظماء، وأمر بقتل أبيه على كره منه، وانتدب لقتله رجلاً ممن وترهم كسرى أبرويز، وكان الذي باشر بقتله شاب يقال له مهر هرمز بن مردانشاه من ماحية نيمروز، فلما قتل شق شيرويه ثيابه، وبكى، ولطم وجهه، وحملت جنازته وتبعه العظماء وأشراف الناس، فلما دُفن أمر شيرويه بقتل مهر هرمز قاتل أبيه. ثم إن شيرويه قتل إخوته، فهلك منهم سبعة عشر أخاً ذوي شجاعة وأدب، بمشورة وزيره فيروز. وابتلي شيرويه بالأمراض، وكان هلاكه بدسكرة الملك، وجزع بعد قتل إخوته جزعاً شديداً، ويقال: إنه لما كان اليوم الثاني من قتل إخوته دخلت عليه أخته: بوران وأزرميدخت فأغلظتا عليه، وقالتا: حملك الحرص على الملك الذي لا يتم لك على قتل أهلك وإخوتك. فلما سمع ذلك بكى بكاءً شديداً، ورمى التاج عن رأسه، ولم يزل مهموماً مدنفاً، ويقال: إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته، وفشا الطاعون في أيامه، فهلك من الفرس أكثرهم، ثم هلك هو. وكان ملكه ثمانية أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٩٤ - ٤٩٧.

(٣) أزدشير: أزدشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان. كان عمره سبع سنين عندما توفي والده شيرويه، فملكه الفرس، وحضنه رجل يقال له بهادر جنسن، مرتبه رئاسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة الملك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يُحَسَّ معه بحداثة سن الملك أزدشير. وكان شهر يراز بشرف الروم في جند ضخمهم إليه كسرى أبرويز، وكان قد صلح له بعده ما فعل بالروم. وكان ينفذ له الخلع والهدايا، وكان أبرويز وشيرويه يكتابانه ويستشيرانه، فلما لم يشاوره عظماء الفرس في تملك =

[كراز]

وملك من بعده كراز^(١)، وكان ملكه خمساً وخمسين سنة.

[توران تحت]

وملك من بعده توران تخت^(٢)، وكان ملكه ستة أشهر.

[أرزمي دخت]

وملك من بعده أرزمي دخت، وكان ملكه أربعة أشهر.

[فرخ زاد]

وملك من بعده فرخ زاد^(٣)، وكان ملكه شهراً واحداً.

= أردشير اتخذ ذلك ذريعة إلى التعتت وبسط يده في القتل، وجعله سبباً للطمع في الملك احتقاراً لأردشير لصغر سنه، فأقبل بجنده نحو المدائن، فتحول أردشير وبهادر جنسنس ومن بقي من نسل الملك إلى مدينة طيسفون، فحاصروهم شهريراز، ونصب عليهم المجانيق، فلم يظفر بشيء، فأتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخذع رئيس الحرس وأصهبذ نيمروذ حتى فتحا له باب المدينة، فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء، وأخذ لهم أموالهم، وقتل بعض أصحابه أردشير في إيوان خسرو شاه قباد بأمر من شهر براز. وكان ملكه سنة وستة أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٩٨.

(١) كراز: والصحيح شهريراز واسمه فُرْخان، ولم يكن من بيت الملك. تسلم الحكم بعدما قتل أردشير، وجلس على تخت المملكة، وحين جلس عليه ضرب عليه بطنه، فاشتد ذلك، ثم عوفي. وتعاهد ثلاثة أخوة من أهل اصطخر على قتله غضباً لقتل أردشير، وكانوا في حرسه، فركب شهريراز يوماً، ولما حاذاهم طعنوه، فسقط ميتاً، فشدوا في رجله حبلاً وجزوه، وساعدهم بعض العظماء، وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا أردشير. وكان جميع ما ملكه شهريراز أربعين يوماً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٩٩.

(٢) توران تخت: والصحيح بوران، وهي بوران ابنة أبرويز بن هرمز بن أنوشروان. لما قتل شهريراز ملكت الفرس بوران لأنهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلاً يملكونه. فلما ملكت أحسنت السيرة في رعيتها، وعدلت فيهم، فأصلحت القناطر، ووضعت ما بقي من الخراج، وردت خشبة الصليب على ملك الروم، وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٩٩.

(٣) فرخ زاد: ربما قصد به مؤلف المخطوطة أنه فُرْخان الاسم الحقيقي لشهريراز الذي سماه خطأ كراز =



[يزدجرد بن شهریار]

وملك من بعده^(١) يزدجرد بن شهریار^(٢)، وهو آخر ملوك العجم، وكان ملكه ستاً وثلاثين سنة.

وبعد ذلك استولى أهل الإسلام، وغلبوا العجم، وأزاحوهم عن البلاد، وقويت دولة الإسلام، وذلك في خلافة أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فاعلم أيها السامع وتيقن، أن هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم، كانوا أصحاب الدنيا، وملوك الأرض، وأنهم بلغوا من الدنيا مرادهم، وصرفوا باللذات وأوقاتهم، ومضوا، وبقيت أسماؤهم وسماتهم، كما عددناه من خصالهم،

= وقد حكم قبل بوران. والذي ملك من بعدها ليس فرخ زاد إنما هو خشنشبنده من بني عم أبرويز الأبعدين، وكان ملكه أقل من شهر، وقتله الجند لأنهم أنكروا سيرته. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٩٩.

(١) والصحيح أنه ملك بلاد فارس بعد مقتل خشنشبنده الملكة آرميدخت ابنة أبرويز، وكانت من أجمل النساء، وكان عظيم الفرس يومئذ فرخهرمز أصبهذ خراسان، فأرسل إليها يخطبها، فقالت: إن التزوج للملكة غير جائز، وغرضك قضاء حاجتك مني، فصر إلي وقت كذا. ففعل وسار إليها تلك الليلة، فقدمت إلى صاحب حرسها أن يقتله، وقتله وطرحه في رحبة دار المملكة، فلما أصبحوا رأوه قتيلاً فغيبوه. وكان ابنه رستم (وهو الذي قاتل المسلمين في ما بعد في القادسية) خليفة أبيه بخراسان، فسار في عسكره حتى نزل بالمدائن، وسمل عيني آرميدخت وقتلها. وقيل: بل سُئِلَتْ. وكان ملكها ستة أشهر. وقيل: ثم أتى رجل يقال له كسرى بن مهر جنسن من عقب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز، فملكه العظماء، ولبس التاج، وقتل بعد أيام. وقيل: إن الذي ملك بعد آرميدخت خراز خسرو من ولد أبرويز، وأمه كردية أخت بسطام، قيل: وُجِدَ بحصن الحجارة قرب نصيبين، فمكث أياماً يسيرة، ثم خلعه، وقتلوه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٠٠.

(٢) يزدجرد بن شهریار: هو يزدجرد بن شهریار بن أبرويز. وكان سبب تنصيبه ملكاً على بلاد فارس هو أن الفرس اضطرب أمرهم، ودخل المسلمون بلادهم، فطلبوا أحداً من بيت المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه، ويحفظوا بلادهم، فظفروا بيزدجرد بن شهریار بن أبرويز باصطخر، فأخذوه وساروا به إلى المدائن، فملكوه، واستقر في الملك، غير أن ملكه كان كالخيال عند ملك أهل بيته. وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحدادته سنه، وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليهم الأعداء، وتظفروا ببلادهم، وغزت العرب بلاده بعد أن مضى من ملكه سنتان، وكان عمره إلى أن قتل ثمانين وعشرين سنة. فكان آخر ملوك فارس. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٠١.

وأوردناه من أفعالهم، لتعلم أن الناس إنما هم الحديث الذي يبقى بعدهم، فكل إنسان يذكر بما كان يفعله، (وينسبُ إلى ما كان يعمله)^(١) إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فيجب على الإنسان أن يزرع بذر الخير، وأن ينفي عن نفسه العيوب الفاحشات، والخطايا الموبقات، ليبقى بعده حسن الاسم، وصالح الرسم، ولثلا يذكر بالقبيح، وقد غيب في الضريح، كما قال الشاعر:

إهرب من الذنب وتب يا فتى وإن بدا منك فدع واندم
وانف عن نفسك ما شأنها ومن قبيح الفعل كف تسلم
بعدك يبقى الذكر لا غيره وكن حديثاً حسناً تغنم^(٢)

ويقال: إن ذكر الرجال بعد موتهم حياة ثانية، لأن نشر ذكره ميتاً، يجب له الحمد به، والذم، كأنه في الحياة، وحين يذكر ميتاً كحين يذكر (٢٢) حياً، وليجتهد العاقل في إصلاح دينه أولاً، وليخف العار (في دنياه)^(٣) حياً وميتاً.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٠.

(٢) انظر الأبيات في: الغزالي، أبو حامد: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص ١٦.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٠.



فصل في ملوك حمير

[قحطان]

قيل: لَمَّا مات هود^(١) عليه السلام، صار الأمر من بعده إلى ابنه قحطان^(٢)، فلزم طريقة أبيه، واقتدى بها.

[يعرب بن قحطان]

فلما مات قحطان، قام مقامه ولده يعرب^(٣)، وخلفه بأحسن الخلافة وسار

(١) هود: (هود عليه السلام) بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد: نبي عربي من قوم عاد الأولى (وهي قبل ثمود) من سكان الأحقاف (شمالي حضرموت). كان يتكلم بالعربية، وكان قومه وثنيين، فدعاهم إلى الله، فكذبوه واتهموه في عقله، فأندروهم وحذروهم من غضب الله، فأمسك عنهم المطر، ثم أرسلت عليهم ريح استمرت ثمانية أيام، هلك أكثرهم، ونجا هود ومن آمن به، فأقام في حضرموت إلى أن توفي، ودفن على مراحل من مدينة «تريم». وقيل: توفي ودفن في الأحقاف في مكان يدعى «الهنيق»، بقرب نهر الحفيف. وفي خبر آخر أنه مدفون بمكة بين زمزم والحجر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ١٠١ - ١٠٢. وانظر نسبه وولده في العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ١، ص ١٢٣.

(٢) قحطان: قحطان بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح: أصل العرب القحطانية، وأبو بطون حمير، وكهلان، والتبابعة (ملوك اليمن) واللخميين (ملوك الحيرة) والغساسنة (ملوك الشام) في الجاهلية. يعده أهل الأنساب أول رجال الجيل الثاني من أجيال العرب الثلاثة (العاربة والمستعربة والمتعربة)، ويقولون: إنه أول من لبس التاج من ملوك اليمن وجزيرة العرب. كان من سكان حضرموت، وانتقل إلى أرض صنعاء، وفابتنى فيها، فعمرت في أيامه. وهاجم العراق، وقاتل بعلوس ملك الآشوريين في عهده، وتوفي في حروبه، وتفرقت سلالته في المشرق والمغرب، واسمه في التوراة «يقطان» وعنها أخذ النسابون نسبه. وفيهم من قال: إنه ابن هود النبي. وجعله بعضهم من سلالة «إسماعيل» كعدنان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٩٠ - ١٩١. وانظر نسبه وولده في العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ١، ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٣) يعرب: يعرب بن قحطان بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح: أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها. وبنوه العرب العاربة. ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه، وغزا الآشوريين في العراق وبابل، ففاز بغنائم، وعاد إلى اليمن، فصفها له ملكها، وحارب العمالقة، وكانوا أصحاب الحجاز، فغلبهم عليه. ويقال: إنه أول =

بسيرة أبيه، وعمل على وصيته، وهو أول من تكلم بالعربية، وأول من حياّ يابيت^(١) اللعن، وأنعم صباحاً، وكان ملكاً، لم تغز ولم تصدر بنو سام، إلا عن رأيه. ومن وصيته لأولاده قبل موته: يا بني، احفظوا مني خصالاً عشراً، تكن لكم شرفاً وذكرًا: تعلموا العلم، واعملوا به، واتركوا الحسد، ولا تلتفتوا إليه، فإنه داعية القطيعة، واجتنبوا الشر وأهله، فإن الشر لا يجلب عليكم إلا الشر، وانصفوا الناس من أنفسكم، وإياكم والكبر، فإنه يبعد قلوب الرجال عنكم، وعليكم بالتواضع، فإنه يقربكم إلى الناس، ويحببكم إليهم، واحفظوا للجار، وإن جار، واصفحوا عن المسيء، فإن الصفح عن المسيء يحسم العداوة، ويزيد مع السؤدد سؤددًا، ومع الفضل فضلًا، وآثروا الجار والدخيل على أنفسكم، فإن جماله جمالكم، وانصروا المولى في السلم والحرب، فإنه منكم ولكم، وابن المولى من أنفسكم، وحقه عليكم، مثل حق أحدكم على سائرکم، وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه مثل ما تشيرون به على أنفسكم، فإنها أمانة ألقاها الله في أعناقكم، والأمانة ما قد علمتم، وتمسكوا باصطباع الرجال، تسودوا به غيركم، فإن ذلك يزيدكم شرفاً إلى آخر الدهر.

[يشجب بن يعرب]

فلما مات يعرب، خلفه يشجب^(٢)، وثبت على وصية أبيه، فساد بني سام، وملك أمرهم ونهيمهم، وملك اليمن والحجاز.

= من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد أن دخلتها لغات الأمم الثانية. وقال وهب بن منبه: «يعرب أول من قال الشعر، ووزنه، ومدح، ووصف، وقص، وشبّه». مات بصنعاء بعد أبيه بنحو ثلاثين عاماً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ١٩٢. وانظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ١، ص ١٢٣.

(١) وفي النسخة الأصلية ب، ص ٢١، «بابيت».

(٢) يشجب: يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، ملك اليمن والحجاز، ولم يغير وصية أبيه، ثم إنه أوصى بنيه وأهل بيته، فقال لهم: يا بني، إنني لم أشدّ أخوتي وعشيرتي إلا بحفظي وصية أبي يعرب، =



[سبأ بن يشجب]

فلما مات يشجب، خلفه من بعده ولده سبأ^(١)، واسمه عامر^(٢)، وكان ملكاً عظيماً، وكان يعبد الشمس، فسمي عبد شمس، وغزا بابل، فافتتحها، وبنى قنطرة، (صنجة)^(٣) وهي من أوابد الدنيا، وغزا الشام، وكان كلما قاتل (٢٣) أمه، سبأ زراريتها، وبنى مدينة مصر وسماها بابلين^(٤)، ثم رجع إلى اليمن، وبنى السد الذي ذكره الله في كتابه العزيز، واسمه العرم^(٥)، وهو سد يقبل

= ويعمل بها، وثباتي عليها، فأقيموا على ما وجدتموني عليه، وهو الذي أنهيه إليكم مما وصاني به أبي، فاحفظوا ذلك، واثبتوا عليه، واعملوا به، والله خلفني عليكم والرشد المهدي منكم، وأنشأ يقول:

أوصى النبي ابنه قحطان جدّي بما
علم حواه أبي من دون أخوته
أوصى بنيه أبي من بعد قحطان
وحزته بعده من دون إخواني

انظر: الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩ - ١٠.
(١) سبأ: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي ﷺ، كان ملكاً عظيماً، لما مات أبوه يشجب ادعى كل واحد من أولاد يعرب الملك، ففتر الأمر، وتغلب ملوك العجم بنو فارس على الفرس، وبنو يافث على أرمينيا وما وراءها، وبنو عوجان بن يافث على أنطاكية ودروب الروم، وبنو كنعان على بيت المقدس إلى الغرب، فقام سبأ وجمع بني قحطان وبني جود، وخطب فيهم خطبة، وزحف على بابل ففتحتها، وقتل من وجد فيها، وسار طالباً أرض خراسان، وغزا أرض أرمينيا والخزر، وغزا الشام، ثم غزا مصر وبنى فيها مدينة بابلين على اسم ابنه بابلين الذي جعله والياً على مصر، وأنشأ يقول:

ألا قل لبابلين والقول حكمة
فخذ لبني سام من الأمر قسطه
ملكتم زمام الشرق والغرب أجمل
ولا تك جباراً عليهم وأمهل

وهو الذي قسم الملك بين ولديه حمير وكهلان، ونصب حميراً ملكاً مكانه. انظر: الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩ - ١٠.

(٢) عامر: اسم سبأ بن يشجب: عامر، ويسمى أيضاً: عبد شمس وهو الذي يقول فيه الشاعر:
ورثنا الملك من جدّ جدّ
ورثنا حمير من عبد شمس

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١١.

(٣) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٢١.

(٤) بابلين: مدينة بناها الملك سبأ بن يشجب في مصر بعدما غزاها، وهي تحمل اسم ابنه بابلين الذي كلفه بحكمها. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١١.

(٥) سدّ العرم: يقول بعض العلماء: إن بانيه هو لقيان بن عاد بن الكبر، ويقول آخرون: إن بانيه هو الأزدي بن الغوث من عقب كهلان. انظر: الهمداني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج ٨، ص ٤٥.

عليه سبعون وادياً، وقيل: إنه مات قبل إتمامه، وقيل: كان عمره خمسمائة سنة.

[حمير بن سبأ]

ثم ملك من بعده ولده حمير^(١)، ولم يزل ملكاً، حتى مات، وكان ملكه زيادة على مائة سنة.

[الهميسع بن حمير]

ثم ملك من بعده ولده الهميسع^(٢)، واشتدَّت وطأته، ووازره عمه كهلان^(٣)، وهو شيخ كبير.

(١) حمير: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان: جد جاهلي قديم، كان ملك اليمن، وإليه نسبة الحميريين (ملوك اليمن وأقياله) وكان شجاعاً مظفراً. حكم بعد أبيه سبأ، وعاصمة ملكه صنعاء، وإنه غزا وافتتح حتى بلغ بعض غزواته الصين. واتخذ تاجاً من الذهب، فكان أول من تتوج به، قاتل قبائل ثمود، كان مقامها في اليمن، ففرقها، فارتحلت إلى الحجاز، وأنه عاش خمسين سنة بعد أبيه، وولد خمسة أولاد: مالك، وعامر، وعمرو، وسعد، وائل. ومن بطون حمير: السكاسك، والشعبيون، وبنو الريان، وقضاة، وعبد شمس. ومن ملوك الحميريين التابعة والأذواء والأقيال، ويرى بعضهم أن اسمه «العرنجج» وأنه لقب بحمير لكثرة لبسه الثياب الحمر. وعندما توفي جعل في مغارة، وقد وضعت معه في تلك المغارة أدرعه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٨٤. وانظر أنساب حمير في: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) الهميسع: الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ملك بعد وفاة أبيه حمير، وابن الهميسع أيمن، فابنه زهير، فابنه غريب، فابنه حيدان، فأخوه قطن بن غريب، فالغوث بن حيدان، فابنه وائل، فابنه عبد شمس، فابنه الصوار، فابنه ذو يقدم، فذو أبين، فالمظاظ، فابنه وتار، وانتقل الملك إلى تبع بن يزيد من همدان، ثم عاد الملك إلى حمير، فحكم الملك الحارث الرايش. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٨٤. (وردت الترجمة في سياق ترجمة حمير). وانظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ١، ص ١٧٦.

(٣) كهلان: كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. جد جاهلي قديم، بنوه قبائل ضخمة جداً منها: «همدان» و«الأزد» و«طي» و«مذحج» كانت لهم إمارة أطراف اليمن وثغورها. ولما تقلص ملك حمير بقيت رئاسة البادية لبني كهلان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٣٥. وانظر نسب كهلان وولده في: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ١، ص ٢٤٦.



[أيمن بن الهميسع]

فلما توفي الهميسع، قام من بعده ولده أيمن^(١).

[زهير بن أيمن]

ولما توفي أيمن، قام من بعده ولده زهير^(٢).

[غريب بن زهير]

ولما توفي زهير، قام من بعده ولده غريب^(٣)، أحسن قيام، حُمد فيه، فلم يذم، وعدل، ولم يعجر.

[قطن بن غريب]

ولما توفي غريب، ملك من بعده ولده قطن^(٤)، فسار في الناس سيرة

(١) أيمن: أيمن بن الهميسع بن حمير، تسلم الملك بعد وفاة والده الهميسع، فأجال الشرف والسؤدد، فقال مالك بن حمير في ذلك هذه الأبيات:

نطيع ولا نعصي أخانا الهميسعا وأيمن ما غنى الحمام وأسجعا
لقد ساد أملاك البلاد هميسغ وما بلغت تسعاً سنوه وأربعا
وأيمن شمتنا فيه ما في هميسع رأته بنو هود فطيماً ومرضعا

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٢٤.

(٢) زهير: زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ملك بعد وفاة والده أيمن، ووازره على ملكه نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، وعاضده على ملكه صدراً من ولاته، ثم نصب معه ابنه الغوث بن نبت. ولما أسنَّ زهير أوصى لابنه غريب. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٢٥-٢٦.

(٣) غريب: والصحيح غريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي ﷺ. قام بالحكم بعد وفاة أبيه زهير أحسن قيام، وولى معه الغوث بن نبت صدراً من ولاته، ثم أسند العمل إلى ابنه الأزدي، فتولى جميع ما كان أبوه الغوث يتولاه لزهير وغريب. له أربعة أولاد: صناجة، وجيادة، وأبرهة، وقطن. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٣٦-٣٧.

(٤) قطن: قطن بن غريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ولي الملك بعد أبيه غريب، وسار في الناس سيرة أسلافه ووازره الأزدي صدراً من ولاته، ثم نصب معه ابنه مازن بن الأزدي، فندب أخاه =

أسلافه، وأظهر العدل، وقمع السفهاء، وأحسن إلى العرب، وأوصل ملوك العجم، واعتقل كل واحد منهم معقلاً وراء ظهره.

[جيدان بن قطن]

ولمّا مات قطن، ملك من بعده ولده جيدان^(١)، فحسنت سيرته، وحمدت أفعاله.

[الغوث بن جيدان]

ثم إنه خلع الملك على ولده الغوث^(٢)، وذكر أن الغوث ولي الملك في حياة أبيه، وبعد وفاته دهرأ طويلاً، وكان أحسن الملوك سيرة، وتزوج أم البنين بنت ذي القرنين، ومات وهي حامل بوائل^(٣).

= نصر بن الأزد وجزده على الشحر وعُمان في الخيل والرجال والعدد، وأمره أن يتوطن بتلك البلاد، فسار نصر ابن الأزد حتى وصل إلى الشحر، فسمع له من بمشارق اليمن إلى عُمان. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٣٨-٣٩.

(١) جيدان: جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ملك يمني، ولي الملك بعد أبيه قطن بن عريب، وحمدت أفعاله واستحسنت، وفي حياته قُلت الملك لابنه الغوث، وأنشأ يقول:

وصيت غوثاً بما أوصى أوائله وللوصية إنماء وإنكاث
قلدته الملك لما أن رأيت له فضائلاً كلها للملك إحاث

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٤٠-٤١.

(٢) الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ملك اليمن في حياة أبيه جيدان، فكان من أحسن الملوك سيرة، وأعلم بسيرة آبائه وأجداده، ثم إنه خطب إلى ذي القرنين ابنته أم البنين، فزوجه إياها، فلم يلبث إلا يسيراً حتى توفي وهي حامل بوائل، وخلف في الملك ذا القرنين، وكان مع الغوث من بني كهلان: مازن بن الغوث بن الأزد عاملاً على الثغور. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٤٢.

(٣) وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ. والدته أم البنين ابنة ذي القرنين، توفي والده الغوث وأمه حامل به، فنشأ في كنف جدّه، ولما نشأ وائل أقام بالمملكة، وسار بالناس سيرة حميدة، واستكمل جزيرة العرب من اليمن والحجاز والعروض والبحرين والعراق والشام. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٤٢.



[وائل بن الغوث]

فخلف في الملك من بعده ذو القرنين^(١)، فلما نشأ وائل وكبر، قام مقام أبيه في المملكة، وسار في الناس سيرة حسنة، وساسهم سياسة جميلة، واستكمل جزيرة العرب من اليمن إلى الحجاز^(٢)، والعروض^(٣)، والبحرين^(٤)، وأداني الشام طاعه وإجابة.

[عبد شمس بن وائل]

ولما توفي، ملك من بعده ولده عبد شمس بن وائل^(٥)، فاجتهد في الرعية، وسار فيهم سيرة حسنة.

(١) ذو القرنين: هو الملك تبع الأقرن بن سحر بن يرعش، ولعله هو ذو القرنين المذكور في القرآن، ويسمى الأقرن ذو القرنين لشيب كان على قرنيه، ولد وهو عليه، وكان ملكاً عظيماً حليماً، قد اطلع على الغيب، وسمع حكومات من ينظر في القرآن. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) الحجاز: هي في الأصل سلسلة جبال السرات التي تبدأ جنوباً من اليمن، وتمتد شمالاً إلى قرب الشام، وسميت حجازاً لأنها تحجز تهامة عن الغور عن نجد. وحدد الأصمعي الحجاز في كتابه «جزيرة العرب» بأنه تخوم صنعاء، من العبلاء وتباله إلى تخوم الشام. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج ٩، ص ٨٢٨٣.

(٣) العروض: المدينة ومكة واليمن، وقيل: مكة واليمن. وقال ابن دريد: مكة والطائف وما حولهما. وسميت تلك الناحية بالعروض لأنها معترضة في بلاد اليمن والعرب وما بين تخوم فارس إلى أقصى أرض اليمن مستطيلة مع ساحل البحر. وقال ابن الكلبي: بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض، وفيها نجد وغور لقرها من البحر وانخفاض مواضع منها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٢.

(٤) البحرين: تتألف من مجموعة من الجزر في الخليج العربي بين قطر والإحساء أكبرها جزيرة البحرين، بها عيون ماء عذبة، وجزيرة المحرق، والنسي صالح، وأم نسمان، اشتهرت قديماً بصيد اللؤلؤ. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٣٣٠.

(٥) عبد شمس بن وائل: عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن. تولى الحكم بعد وفاة أبيه وائل، وسار في الرعية سيرة حسنة، كان له ولدان: الصوار وجشم، أوصى قبيل وفاته بالحكم لابنه الصوار. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٤٣.

[أبو السמידع الصوّار]

فلما مات، ملك من بعده ولده أبو السמידع الصوّار^(١)، وكان حسن السيرة، وجمع الأموال، واتخذ السلاح.

[ذو يقدم]

ولما مات، ملك من بعده ذو يقدم^(٢)، فسار سيرة أجداده، وشمر عن ساق، وأصاب في ملكه قحط وجدب، وكان في (٢٤) زمن يوسف^(٣) ﷺ، فسار أهل اليمن يمتارون من عنده، فرثى لهم من بعد السفر، فقال لهم: أين أنتم من النواضح^(٤)، ووصفها لهم، فلما رجعوا، احتفروا الآبار، فكانت النواضح من

(١) الصوّار: الصوّار بن عبد شمس بن وائل، قام مقام والده بعد وفاته، فالتقط في أيامه آثار أجداده، واستعمل وصية أبيه عبد شمس في المملكة، أخذ في جمع الأموال وإدخال السلاح، وأنجد حمير بأنجاد العدد، ولم ينسَ حظّه من العدل وحسن السيرة، حتى سنت به حياته. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٤٥-٤٦.

(٢) ذو يقدم: ذو يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. ملك بعد وفاة أبيه، وسار بالناس سيرة حسنة، واستخلف بعده ابنه ذا أنس، وقال في ذلك شعراً:

أبا عمرو إذا ما قتت بعدي	فأمرك بالأقارب والعشير
ولا ينقذك مطلوب بضّر	ولا تظهر لهم كل الظهور
وإن من الحجاب لما يعنى	عليك الجاريات من الأمور
ولا تبح نذيراً حين يسمى	بصح فالنذير أخو البشير

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٤٧-٤٨.

(٣) يوسف: النبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(٤)، كان قد قسم به ولأخته شطر الحسن، أحبه والده حباً شديداً، وحسده أخوته على ذلك، غيبه أخوته في الجب، ودخل مصر وله سبع عشرة سنة، واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه إلى مصر، أتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة. كانت غيبته عن أبيه يعقوب اثنتين وعشرين سنة، وكان مقام يعقوب وأهله بمصر سبع عشرة سنة. مات يوسف بمصر، وكان قد أوصى بأن يحمل ويدفن عند آبائه في مزرعة حبرون (جبرون) فحمله موسى لما خرج بقومه، ومن نسل يوسف يوشع بن نون بن لافرائيم بن يوسف. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) النواضح: الآبار. انظر: لسان العرب، نضح+ نضح.



تلك اليوم، فكل بئر بقيت باليمن من تلك اليوم، فهي عدّ لا تنزح، ولا تنضب، وتسمى العادية واليوسفية.

[ذو أنس بن ذي يقدم]

ولما مات ذو يقدم، ملك من بعده ولده ذو أنس^(١)، فاستن سنن آباءه، وسار على منهاجهم، وعمل بوصاياهم.

[عمرو بن أنس]

ولما توفي ملك من بعده ولده عمرو^(٢)، وكان مصطنعاً لعزّ الرئاسة مستحقاً لها، حافظاً لما قلّد، أميناً فيما أئتمن عليه.

[الملطاط بن عمرو]

فلما توفي، ملك من بعده الملطاط^(٣).

(١) ذو أنس: ذو أنس بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. تولى الملك بعد وفاة أبيه ذو يقدم، فمضى على سنن آباءه، وجرى جريهم، وأقبل على ابنه عمرو دون أخوته غنم والرائع، وقال وهو يوصيه شعراً:

يا عمرو من صاحب الأيام كان له	على العزيز بها فضل إذا اختبرنا
إن الأبيس وإن لم يرض عقده	يسوؤه العاقل العزيز ما عمرا
من لم يجاوز بخير نعمة شردت	عنه وأصبح عنها يقتضي الأثرا
والشر مفتاح أبواب المزيد لمن	يغني المزيد وكفك الذي عمرا

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥٠.

(٢) عمرو بن أنس (ذو أبين) بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. تولى الملك بعد وفاة أبيه ذو أبين وهو ذو أنس. وسار بالناس سيرة حسنة. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥١.

(٣) الملطاط: وفي الكثير من المصادر الملطاط بن عمرو بن ذي أبين. ملك يماني جاهلي قديم من ملوك حمير، صاهر «علهان تبع» من همدان، فتزوج هذا أخته، وولدت له أيمن بن علهان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٨٧.

[عامر بن ماء السماء]

فلما توفي الملقاط. قيل: ملك من بعده عامر ماء السماء^(١)، وسمي ماء السماء، لأنه كان إذا قحط الناس، أقام ماله مقام المطر.

[شداد بن الملقاط]

وقيل: ملك من بعد الملقاط شداد^(٢).

[وتار بن شداد]

وقيل: ملك من بعده وتار^(٣)، فلم يلبث وتار في الملك إلا قليلاً، حتى نازعه بنو الصوّار في الملك، وقالوا: نحن أحق بالملك منه، لأنه ملك أينا، وتداعوا للحرب، فلما رأّت ذلك وجوه حمير، خافوا الفرقة والقطيعة، فأرأوا خلع وتار، وإخراج عمومته من الملك.

(١) عامر ماء السماء: عامر بن حارثة بن الغطريف الأزدي، من يعرب، سمي ماء السماء لأنه كان يقيم ماله إذا بستت الناس مقام المطر، فيبلغ الناس بعطاياه ورفده وقت الجذب، إلى أن يلحقهم المطر والخصب، وذكروا أن عامر ماء السماء بن حارثة جزّد إلى الشام زيد بن ليث بن سدد بن أسلم، فلما صار الحجاز وقع بين عشائره كلام، فافتقرت قضاة عنهم، وأقام زيد بالحجاز، ونسله بها إلى اليوم. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) شداد: وفي الكثير من المصادر سدد بن الملقاط بن عمرو بن ذي أئين. ملك بعد وفاة أبيه الملقاط، وامتل ما عهد إليه أبوه، فسعد به أقاربه، وحظي به من لم ينأ عنه، ولم يبق له ولد غير الحارث الرائش وتار، فأستد إليه الملك وأشهره به. ومما قاله شعراً:

جعلت عمري اثلاثاً فأولهُ صبأً وأوسطه للغشم والجرتِ
ثم ارتفعت فكان الثلث آخره قسماً لديناي موفوراً لأخترتي

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) وتار: وتار بن سدد بن الملقاط، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سدد، وكان ولي عهده، وكان في عهده إليه، إذا أنا متُّ، فقف عمرك على خمس خصال، تستعذب وردها، وتستعدي صدرها، وتحمد غيها: على فرض الله توديه، ووطر لنفسك تقضيه، وتيقظ في الملك تحميه، وحكم عدل في الرعية تمضيه، ولذني ألب في غير الده ما يكفيه، فلم تطل مدّة وتار، ولا ثبت قدمه في الملك حتى نازعه عمومته بنو الصوّار. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٥٦ - ٥٧.



[تبع بن زيد]

فأقاموا تبع بن زيد^(١)، ورضيت به بنو الصوّار، فملك تبع، وحسنت سيرته.

[علهان وبهقان]

ثم ملك من بعده علهان، وبهقان^(٢)، فأحسننا السيرة، وامثلا ما وضاهما به أبوهما. ثم مات بهقان وبقي علهان، واستفرد بالملك، فسار سيرة من سبق من آبائه.

[شهران بن بهقان]

ثم ملك من بعده شهران^(٣).

[تالب ريم بن شهران]

ولمّا توفي شهران، ملك من بعده تالب ريم^(٤)، فعظم سلطانه، وحسنت أيامه، وذكرته حمير في كثير من مشاهدها.

(١) تبع بن زيد: تولى الحكم بعد خلع الملك وتار من قبل بني الصوار، فملك وحسنت سيرته، وقزّب بني الصوار وأدناهم وأثارهم، وكان له الاسم ولهم الجسم. ويعرف بصاحب السد «سد تبع». انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) علهان وبهقان: ملكا وأحسننا السيرة وعملا بوصية أبيهما، وعندما توفي بهقان، استفرد علهان بالملك، وأوصى إلى ابن أخيه شهران بالملك، وقال له: إني لم أخضك بالملك دون ابني أيمن لأجل أنك تزيد عليه في الفضل أو سعة في نجدة، ولكن أحببت أن أصل ما طوته الأيام من عمر أبيك دون ما بقي من عمر أبيك دون عمري. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٥٨.

(٣) شهران: شهران بن بهقان، ملك بعد وفاة عمه علهان، فأوسع الناس هيبة ورهبة ورغبة، وشملهم عدله، وقام سلطانه، فأمر ببناء ما حول ناعط من قصور، وأوصى بالحكم من بعده لابنه تالب ريم. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٥٨.

(٤) تالب ريم: تولى الملك بعد وفاة أبيه شهران، وكان والده قد استعمله في حياته في أرض حمير، وكتب له كتابا جاء فيه: «باسمك الله رب حمير وهمذان، زبور ما زبر على قطّ وحجر، بمهدي لك يا تالب في حياتي، ووصية لك بعد وفاتي أن لك الشركة في أمري ما حييت، والحوزة للملك ما رديت، فانخذ بستني واعمل جاذتي، ولا ترضين لنفسك أن يقال: أبسوه خير منه، وأن يلحق الآخر =

[حاشد ذو أمر]

ثم ملك من بعده حاشد ذو أمر^(١)، فأحسن السيرة، وأقام قليلاً. ثم إنه جمع حمير وكهلان، وقال: أيها الناس، إن لكل قوم دولة، ولكل دولة مدة، كما أنه لكل حامل تمام، ولكل مرضع فطام، وقد حان منّا انقطاع الأمد، ووفاء بظهور آل سدد، فإنه لنا لولد، وقد جاء في الخبر أنه الملك المنتظر، والعلم المشتهر، وإنني قدر رأيت أن أنزل نفسي منزلة العباء له، خشية أن أنزلها منه. فلم يزل كذلك، حتى قام الحارث الرائش^(٢)، واعتضد به.

[الرائش بن شدد]

وهذا هو الملك الرائش بن شدد (٢٥) بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر، وولده التبابعة، وكان ملكاً عظيماً مهاباً شديد البأس، غزا الهند، فقتل المقاتلة، وسبا الذرية، وغنم الأموال، وخلف عليها يعفر بن عمرو^(٣)، في اثني عشر ألفاً، وأمره أن يبني بها مدينة، يذكر بها، ورجع إلى اليمن، وقام يعفر بالهند، وبنى بها مدينة، لم يُرَ مثلها، وسماها الرائشة. ولما رجع الرائش إلى اليمن، دانت له الملوك، وحملت إليه الخراج، ولبت باليمن زماناً طويلاً،

= بالأول... حكم تألب ريم حكماً عادلاً، فعظم سلطانه، وحسنت أيامه وذكرته حمير في كثير من مساندها، ولم تعرف له همدان عهداً ولا وصية، لأنه كان أكثر أيامه، في حمير. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٥٩ - ٦٠.

(١) حاشد ذو أمر: هو حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف الهمداني، من قحطان، جد جاهلي بنوه أحد القبليتين في اليمن حاشد وبكيل، وهم بطون كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٥٩.

(٢) الحارث الرائش: هو الحارث الرائش من آل سدد بن الملقظ بن عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوّار بن عبد شمس. انظر: الهمداني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج ٨، ص ٢١٣.

(٣) يعفر بن عمرو: هو يعفر بن عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوّار بن عبد شمس، القائد العسكري الذي دخل أرض الهند بجيش عظيم. بنى في الهند مدينة الرائشة، فنقل هذا الاسم على العجم فسوّها الرابية، ويقال: الرابية، فأقام بها يعفر حيناً، وخلف عماله، وعاد إلى اليمن بالغنائم العظيمة. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٦٣.



لا يغزوه، ودانت له الآفاق، وأتته الرسل من ملك بابل والأكاسرة، وحملوا إليه الهدايا والتحف، وغزا السند، والترك، وبابل، وكان ذلك في زمن موسى ﷺ. وللرائش أخبار كثيرة، اختصرتها خوف الإطالة.

[أبرهة ذو المنار]

ثم ملك من بعده ابنه أبرهة ذو المنار^(١)، وسمي ذو المنار لأنه أول من بنى المنائر^(٢) والأعلام والأمثال على السبل، ليهتدي بها عند قفوله من غزوه، وكان غزوه إلى منقطع العمارة من الغرب، وملك جميع تلك النواحي، وقيل: إن أبرهه كان أجمل أهل زمانه، عشقته امرأة من الجن، يقال لها المنعوق بنت المربع، فتزوج بها، فولدت له العيد، وسار أبرهه غازياً، ومعه ابنه العيد، واستخلف على اليمن ابنه إفريش^(٣)، إلى أرض السودان برأً وبحراً، وأمعن فيها، وأقام بها. وأرسل ولده العيد إلى أرض المغرب في عسكره، فسار بها، حتى أتى على قوم وجوههم في صدورهم، وإذا جاءهم النهار، وحميت عليهم الشمس، استخفوا في الماء، فوضع فيهم السيف، حتى أفناهم، ورجع إلى أبيه بسبايا كثيرة منهم، فلما قدم بهم إلى أبيه، ذعرت الناس منهم، فسمي ذو الأذعار^(٤).

(١) أبرهة ذو المنار: انظر: سيرته الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١.

(٢) المنائر: جمع منارات، وهي أشبه بالشاخصات التي تدل على الطريق.

(٣) إفريش: انظر: سيرته الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٧١ - ٧٢ - ٧٣.

(٤) ذو الأذعار: هو عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش، من حمير، وذكره نشوان بعد سعيد الحميري في قصيدته: العبد ذو الأذعار أحد التبابعة ملوك اليمن. وهو معاصر لسليمان النبي ﷺ، أو بعده بقليل، كان جباراً، ظلم الناس، فلقب بذئ الأذعار، وثار في أيامه شرحبيل بن عمرو، فأنشأ دولة في مارب، انتقلت بالارث إلى ابنه الهدهاد، ثم إلى بلقيس، وضعفت بلقيس فجيء بها إلى ذي الأذعار، فقتلته بحيلة في غمدان. وفي سيرته اختلاف في الروايات والأقاويل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٧٢. وانظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن. ص ٧٠.

ومن أعمال أبرهه الهدهاد^(١) بن شرحبيل بن زيد^(٢)، وهو أبو بلقيس، التي ذكرها الله في كتابه العزيز، وأمها بنت اليلب بن مصعب ملك الجن، وتزويجه بها له حديث طويل، تركته اختصاراً، وخوف الإطالة. وكان ملك الهدهاد من بعد أبرهه مائة سنة.

[بلقيس بنت أبرهه الهدهاد]

وملكت من بعده ابنته بلقيس، حتى تزوجها سليمان بن داؤد عليه السلام، ولتزوجها بها حديث مشهور، تركته.

وقيل: إن سليمان بن داؤد زوجها ذي تبع، وردهما إلى اليمن، فبنى ذو تبع^(٣) باليمن المصانع، ولم يزل بها ملكاً، إلى أن مات سليمان بن داؤد، والله أعلم.

(١) أبرهه الهدهاد: هو الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو، من حمير، ملك يمني جاهلي قديم، خلف أباه في ملكه، وتابع حربه مع ذي الأذعار (عمرو بن أبرهه) فاقتلا عشرين سنة لا يقوى أحدهما على الآخر، وهو أبو بلقيس. قال أصحاب الأحبار: عهد إليها بالملك قبيل وفاته. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٧٨.

(٢) شرحبيل بن زيد: والصحيح شراحيل بن عمرو بن غالب، من حمير، ملك يمني، كان من كبار قومه في عهد ذي الأذعار (عمرو بن أبرهه) وثار على ذي الأذعار، فاجتمعت حوله جموع مأرب، فأنشأ دولة مستقلة، وقاتله ذو الأذعار، فمات شراحيل بعد سنة واحدة، وخلفه ابنه أبرهه الهدهاد. انظر: ابن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير، ص ١٣٤.

(٣) ذو تبع: ملكان من ملوك اليمن أولهما: ذو تبع الأكبر، وهو نوف بن يخصب بن الصوار، ولقبه ذو تبع، ملك جاهلي يمني من ملوك حمير، يقال له: الأكبر تمييزاً له عن حفيده نوف بن موهب إل. وثانيهما: ذو تبع الأصغر، وهو نوف بن موهب إل، ويقال: إنه تزوج بلقيس، وفيه يقول علقمة ذو جدن:

هل لأناس مثل آثارهم بمأرب ذات البناء اليفغ
أو مثل صرّواح وما دونها مما بنت بلقيس أو ذو تبغ

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٥٤.

وفيه يقول النعمان بن بشير الأنصاري:

أم أين ذو تبع وذو سخط معاً أو ذو الملاحي لات حين شلاح

انظر الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١٨٢.



[ناشر تنعم بن عمرو]

ولمّا مات سليمان بن داؤد، ملك ناشر تنعم بن عمرو بن العيد بن أبرهه^(١)، فكان ملكاً عظيماً، ودوّخ الشام ومصر، وتوجه نحو المغرب، حتى بلغ وادي الرمل، ويقال: لا يوجد خلف ذلك الوادي نبات ولا شيء من الحيوان، وله أخبار طويلة تركتها.

[شمر يرعش]

ثم ملك (٢٦) شمر يرعش^(٢) بن إفريقيش بن أبرهه، سمي بذلك لأن كل من رآه كان يرعش من هيئته، وقيل: إنه أصابه في آخر عمره الفالج، وهو الذي أحدث السيوف الحميرية، وهنّ أحكم السيوف وأكثرهن جوهراً، فمن بقاياهن سيف ابن قيفان^(٣)، الذي صار لمعد يكرب

(١) ناشر تنعم: ويقال ياسر تنعم بن عمرو بن العيد بن أبرهه بن الرائش، ويسمى ياسر تنعم لأنه ردّ ملك حمير إليها، بعد أن انتقل سليمان بن داود عليه السلام، وهو الذي أوصى له الهدهاد بالملك في عهد بلقيس أو بعدها، فأجابته حمير وقدموه. ويقال: لما ولي ياسر تنعم الملك أقرّ بلقيس على ملك مآرب، ولم يغير عليها شيء من أمرها، وكان ملكاً عظيماً، خرج من اليمن غازياً، فدوّخ الشام ومصر، وقبض أتاواتها، وتوجه نحو المغرب لرؤيا رآها حتى بلغ وادي الرمل الذي يسيل، ولم يبلغه أحد من الملوك قبله، ويقال: إن اسمه وادي الرسيل، وفيه أمر بصنع صنم من نحاس، فصنّع ونُصب على صخرة، وكتب عليه بالمسند، وهو كتاب بالحميرية وعليه أبيات من الشعر منها:

أنا علم المملوك ثبتٌ دهري على رغم المقاول والقيول
نصبت فلم أزل صنماً مقيماً لحمير للشباب وللكهول

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٨٩-٩٩.

(٢) شمر يرعش: شمر يرعش بن إفريقيش بن أبرهه ذو المنار بن الحارث بن الرائش، وهو الذي أحدث السيوف الحميرية اليرعشية، وهو الذي أحكم السيوف سقياً وأكثرها جوهراً، ويقال: إن حديدها من جبل نعم، وسُمّي يرعش لأنه كان يرعش من رآه من هيئته، وقيل: إنه سمي بذلك لأنه أصابه الفالج في آخر عمره، وكان يرتعش منه. وكانت مدة ملكه مائة وست وثلاثين سنة. انظر الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٩٣-٩٥.

(٣) ابن قيفان: هو علقمة بن ذئب قيفان الأصغر من ولد ذئب يبيع بن ذئب قيفان الأكبر. وقد نقل الهمداني في الجزء الثاني من الإكليل قصة هذا السيف وانتقاله إلى عمرو بن معد يكرب، وفي ذلك قال ابن معد يكرب هذا البيت:

الزيدي^(١)، يقال له الصمصامة، وغزا شمر يرعش من اليمن في جنود كثيرة، حتى دخل بابل، ثم توجه يريد الصين، فأخذ على أرض فارس^(٢)، وسجستان^(٣)، وخراسان^(٤)، وبلاد الترك، فافتتح المدائن والحصون، وقتل الأعاجم، وسبى ذريتهم، ودخل مدينة الصفد^(٥)،

= وسيف لابن ذي قبان عندي تخيره الفتى من عصر عاد
انظر: الهمذاني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج ٢، ص ٥٧.

(١) معد يكرّب الزبيدي: والصحيح عمرو بن معد يكرّب الزبيدي، حيث سقط اسم عمرو من المخطوط.
انظر: الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩٣. وترجمته: عمرو بن معد يكرّب الزبيدي، فارس اليمن، صاحب الغارات المذكورة. وقدم على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي ﷺ ارتدّ عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت إحدى عينيه، وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية، وكان عصي النفس أبيها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور، وأخبار شجاعته كثيرة، له شعر جيد. توفي على مقربة من الري. وقيل: قُتل عطشاً يوم القادسية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٦١ - ٢٦٣، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٦.

(٢) فارس: أي بلاد فارس، سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح ﷺ، وقال ابن الكلبي: سميت بفارس طهورث، وإليه ينسب لأنهم من ولده، وكان ملكاً عادلاً قديماً قريب العهد من الطوفان. وقال ابن لهيعة: فارس والروم قريش العجم، وبلاد العجم هي إيران حالياً، وتشمل غالب برسييس القديمة التي كانت نواة الإمبراطورية الفارسية القيمة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢٦ - ٢٢٧. وغربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٢، ص ١٢٦.

(٣) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة. قال الاصطخري: أرض سجستان سبخة ورمال حارة، بها نخيل، وهي أرض سهلة، ولا يرى فيها جبل، وسكانها من الفرس، من مدننا زالت، وكركوية، وهيسوم، وزرنج، وبست، وبها أثر مربيط فرس رسمت الشديد، ونهرها المعروف بالهند مند. وكثير من علماء المسلمين ينسبون إليها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠ - ١٩٢.

(٤) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، وإنما أطراف حدودها، وتشمل على أمهات البلاد، منها: نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ، وطالتان، ونسا، وأبيرو، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، كذلك، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعد ما وراء النهر منها، وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة صلحاً وذلك سنة ٣١هـ، في أيام عثمان. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥.

(٥) انظر: الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩٣. وقد وردت في النص «الصعيد» والصحيح ما أثبتته في المتن.



فهدمها^(١)، فسميت شمر كند بلغة العجم، أي شمر خزبها، فعزبتها العرب، فقيل: سمرقند، وقيل: إنه أول من بناها، فسميت باسمه، واختلف أيضاً، قيل: إنه مات بها، وقيل: إنه خرج يريد الصين، فأصابهم العطش، فمات، هو وكثير من أصحابه، وله حديث يطول، تركته. وقيل: إنه رجع إلى اليمن سالمًا.

[تبع الأقرن]

ثم ملك من بعده تبع الأقرن^(٢)، وهو ذو القرنين على بعض القول، بن شمر يرعش، وكثير من حمير يرى أن هذا هو ذو القرنين، المذكور في القرآن، لشدة ملكه وعدله، وحسن سيرته، وله أخبار كثيرة، واختلافات، لم أوردتها، والله أعلم.

[الرائد]

ثم ملك الرائد^(٣)، وهو يسمى الربيع الأكبر لعظم سلطانه، وشدة ملكه، وهو تبع بن تبع الأقرن بن شمر يرعش.

(١) انظر: الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٩٣. وقد وردت في النص «فهلك بها» والصحيح ما أثبتناه في المتن.

(٢) تبع الأقرن: وهو ابن الملك شمر يرعش، ويسمى الأقرن «ذو القرنين» لشيب على قرنيه، ولد وهو عليه، وكان ملكاً عظيماً صليحاً قد اطلع على الغيب، وسمع حكومات من ينظر في القرآن. ويقال: إنه هو القائل شعراً:

أنا الملك المتوج بالعطايا جلبت الخيل من أوطان سام

غزا بلاد الروم وأوغل فيها حتى قطعها، ووصف بتلك الناحية وادياً فيه الياقوت، وبالقرب منه عين يسمى ماؤها «ماء الحيوان» وقيل «ماء الحياة» الذي ظفر به الخضر دون ذي القرنين، ولما بلغ هذه الناحية أدركه الشتاء، فمات، ودفن هناك، وكثر أصحابه راجعين خوف الهلاك. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ٩٥-٩٦.

(٣) الملك الرائد: الملك الرائد تبع الأكبر لعظم ملكه وشدة وطنه، وهو تبع بن تبع الأقرن بن شمر يرعش بن إفريقيش، وكثير من حمير يقول: إنه ذو القرنين السيار الذي بنى سد ياجوج وماجوج، وأنه =

[أسعد الكامل]

ثم ملك من بعده أسعد الكامل^(١)، فكان ملكاً عظيماً، شاعراً، فصيحاً، عالماً بالنجوم، وهو أحد المعمرين، عمر ثلاثمائة سنة وإحدى وخمسين سنة، وكان ملكه ثلاثمائة سنة وستاً وعشرين سنة، وكان مؤمناً بالله، وهو أحد الذين نهى الرسول ﷺ عن سبهم. وقيل: كان يؤمن بمبعث النبي محمد ﷺ. وقيل: هو الذي قدمت إليه امرأة من أهل الشام، تشكو من رجل ذبح لها كبشاً غضبها على أخذه، فلم يزل يقود العساكر، ويفتح المدائن والحصون، طالباً لذلك، حتى دخل الظلمات، وله حديث طويل.

وسمي أسعد الكامل، لكماله (٢٧) في الدنيا والآخرة. وقيل: إنه نبي، لأن الله ذكره مع الأنبياء في قصصهم، فقال: ﴿وَقَوْمٌ يُبْعَثُونَ﴾ [ق: ١٤]، وهو أول من كسا البيت العتيق الأنطاع المذهبة اليمانية، فرأى في نومه قائلاً يقول: زد في

= الصعب ذو القرنين بن الأقرن، أقام عشرين سنة لا يغزو، فأتاه عن الترك ما ساءه من أمر مطاولتهم على من يبابل وتناولهم لأطرافه، فسار إليهم على أرض نجد، ثم على جبل طيء، ثم على الأنبار، وهو الطريق الذي كان يسلكه الملك الرائث شمر يرعش، فلقيهم في حدٍّ أذربيجان، فهزمهم، وأذرع القتل فيهم، وأسر منهم وسى، ثم جال في بلاد فارس وخراسان وبابل، ثم توجه إلى الصين وافتتحها وسبها، وفي ذلك قال تبع الأكبر شعراً:

أنا تبع الأملاك من نسل حمير ملكنا عباد الله في الزمن الخالي
ملكناهم قهراً وسارت جيوشنا إلى الهند والأثراك تردى بأبطال

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١١٤ - ١١٥.

(١) أسعد الكامل: هو الملك الكامل تبع الأوسط أسعد الكامل بن ملكيكرب بن تبع الأكبر، وهو الرائد تبع الأقرن. وكان أبوه ملكيكرب ملكاً على اليمن لا سواها، وما حوله بنو سبأ الأصغر وسائر بطون حمير، لأنهم طلبوا بذلك الراحة مما كانوا يعتادونه من التعب في المغازي مع ملوكهم الأوائل. كان أسعد كامل كثير الغزو، وكان كثير التوجه بقواده، وإذا خرج لم يترك طريقاً سلكه أباهو إلا سلكه، ولا منهلاً وردده إلا وردده، ولا بلداً إلا وطأه وقصده، أو بعث إليه عسكره، حتى دخل الظلمات، وفي ذلك يقول شعراً:

سيذكر قومي بعد موتي وقائمي وما فعلت قومي بقيس أفاعلا
وما دوخت أرض اليمامة والقنا وما صبحت فيها تيمماً ووائلا

انظر: الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١١٧ - ١١٨.



كسوة البيت، فكساه المعافري^(١)، فرأى ثانية كالقول الأول، فكساه الوشي، ونحر بمكة سبعين ألف بدنه، وطاف بالبيت، وسعى، وعمل له باباً ومفتاحاً، ورجع إلى اليمن، ومات بها.

[حسان بن أسعد الكامل]

ثم ملك من بعده ولده حسان^(٢)، وهو الذي مضى إلى الإمامة، وقتل ملكها^(٣)، وكانت بها الزرقاء^(٤)، تنظر من مسيرة ثلاثة أيام، فتنذر قومها، فيهربون، فلما سار إليها حسان، أمر قومه أن يحمل كل رجل منهم غصناً من الشجر، يغطون به أنفسهم، وأمر واحداً أن يأخذ كتفاً يلوّح بها، فلما نظرت الزرقاء، قالت لقومها: قد جاتكم حمير، وسارت إليكم الشجر، فقالوا: كيف تسير إلينا الشجر؟ أخولط عقلك؟ وكذبوها. فقدم عليهم حسان بالجنود على غير استعداد للحرب، ولا هيئة للهرب، فقتلهم عن آخرهم، وأمر بالزرقاء،

(١) المعافري: نوع من الثياب، سميت بذلك نسبة إلى حي من أحياء العرب يدعى معافر.

(٢) حسان: هو حسان بن أسعد تبع، وهو الذي قتل جديساً بالإمامة، وكان سبب ذلك أن ملكاً من طسم يقال له عمليق بن حباش، وكان مطيعاً لملوك حمير، وكان ملكاً على طسم وجديس بن عابر بن إرم بن سانم بن نوح، وكان جباراً لا يتزوج رجل امرأة إلا وأهديت إليه قبل زوجها، حتى تزوج رجل من جديس عفيرة بنت عفار أخت الأسود بن عفار، عظيم جديس ورئيسها، فأدخلوها عليه فانزعجها، وخلى سبيلها. وفي اليوم التالي دعاه أخوها إلى غداء، وقتل عمليق وجنوده غدرًا، انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١٣٩ - ١٤٤.

(٣) ملك الإمامة: هو الأسود بن عفار سيد بني جديس، كان جلدًا فاتكًا، وقصة أخته عفراء معروفة، وبسببها دبر حيلة، وقتل الملك عمليق بن حباش، فوثب قومه على رجال طسم حتى أبادوا أشرفهم، ثم قتلوا باقيتهم، وفي ذلك يقول عفار:

ذوقني ببغيك يا طسم مجلّة فقد أتيت لعمري أعجب العجب
إننا أنفسنا فلم ننفك نقتلهم والبين هيج منا سورة الغضب

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤٤.

(٤) الزرقاء: وتعرف باسم زرقاء الإمامة، وهي أخت رياح بن مزة الطسمي، واسمها يمامة بنت مزة الطسمية، كانت متزوجة من جديس، وهي أبصر خلق الله، وكانت زرقاء العين، ولذلك سميت زرقاء الإمامة، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤٦.

فأدخلت عليه، فقال لها: بَمَ نلت هذا البصر؟ فقالت: بحجر الإثم، كنت أدقّه وأسحقه، وأكتحل به، إذا أويت إلى الفراش، فأمر بقلع عينيها، فوجدوا بالحدقتين عروقاً سوداً من الكحل.

ثم إن حسان نهض بجنوده، يريد العراق، فغضبت حمير، وعلموا أنه لن يرجع من غزوته، حتى يبلغ حيث بلغ أبوه، فأتوا إلى أخيه عمرو بن أسعد^(١)، فسألوه أن يرّد أخاه، فقال: إنه لا يفعل، فقالوا: إن أبى اقتله، ونحن نملكك علينا، فنهاه خاله ذو رعين^(٢) عن قتله، فأبى عمرو، ووثب على أخيه، فقتله، ورجع بالجنود إلى اليمن، ثم افرقت عليه حمير، حتى ضعف عن العدو، ثم ندم ندامة على قتل أخيه، وامتنع عن النوم، فشكا إلى بعض خواصه ما يجد من السهاد، فقالوا له: لا تقدر على النوم، حتى تقتل الذين أشاروا عليك بقتل أخيك، فقتلهم عن آخرهم^(٣).

[تُبِعَ الْأَعْرَجُ بْنُ حَسَانَ]

ثم ملك من بعده تَبِعُ الْأَعْرَجِ بْنِ حَسَانَ بْنِ أَسْعَدِ الْكَامِلِ^(٤)، وهو (٢٨) آخر

(١) عمرو بن أسعد: عمرو بن أسعد تبع أبي كرب، من ملوك اليمن. كان مع أخيه حسان بن أسعد تبع في زحفه على العراق، قتل أخاه حسان، وولي ملك حمير، وعاد إلى بلاده، فنزل بغمدان، وقتل من أشار عليه بقتل أخيه، فاضطربت أموره، واستمر إلى أن مات. ومدة ملكه ٦٣ سنة. وكان معاصراً لعمرو بن حجر الكندي جد امرئ القيس. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٧٤. وانظر قصة قتله لأخيه في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) ذو رعين: هو شرحبيل بن عمرو بن شمر تعمر بن شرحبيل بن معد يكرب بن غشم بن الغوث بن يعرب بن يكتف بن جيدان بن لهيعة بن مثوب بن يريم ابن ذي رعين الأكبر. وهو خال عمرو بن أسعد، وهو الذي نهاه عن قتل أخيه حسان، لكنه رفض وقلته. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٤.

(٣) انظر تفاصيل القصة كاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٤) تبع الأعرج بن حسان بن أسعد الكامل: والصحيح عمرو تبع الأعرج بن حسان بن أسعد الكامل. انظر الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٥ - ١٤٦.



التبابعة، غزا الأعاجم، وقفل على طريق يثرب، وفي نفسه من اليهود، لحدث أحدثوه في غيبته لتلك الغزاة، فجمع منهم ثلاثمائة رجل، فضرب أعناقهم بالمدينة، فقام منهم شيخ كبير، قد آيس، فقال: آبيت اللعن أيها الملك، مثلك لا يفني رعيته على الغضب، وإن هذه المدينة مهاجرها نبي في آخر الزمان، من ولد إسماعيل عليه السلام، فأعجب الملك ذلك، وكف عنهم، واتبع دينهم، وأخذ الشيخ، ومعه حبر من الأحبار، فتهودت حمير.

[عبد كلال]

ثم ملك عبد كلال^(١).

[ذو معاهن بن حسان]

ثم ملك ذو معاهن بن حسان الأضخم^(٢) بن تبع الأقرن، وسُمي ذو المعاهن^(٣) لأنه أول من أحدث المعاهن على باب ظفار، وهي جرس من ذهب، إذا فتح الباب، سمع لها صوت من بعيد.

[ذو نواس الأصغر]

ثم ملك من بعده ذو نواس الأصغر، واسمه زرعة بن عمرو بن تبع

(١) عبد كلال: عبد كلال بن ثوب بن ذي حدث بن مالك بن عيدان بن مالك بن حجر بن ريم بن ذي رعين. ملك بعد عمرو وتبع بن حسان بن أسعد الكامل. كان على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولم يكن له غزوة، ولا فتك بأحد، ومات حميد الخلال، حسن السيرة في رعيته، تاركاً للظلم، كثير الحلم. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١٤٧.

(٢) ذو معاهن بن حسان الأضخم: وهو ذو معاهن بن حسان الأضخم بن تبع الأقرن بن ذي معاهن، وهو أول من أحدث المعاهن بباب ظفار. كان حميد السيرة، تاركاً للظلم، كثير العدل. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١٤٧.

(٣) ذو المعاهن: والصحيح ذو المعاهن، وسمي بذلك لأنه أول من أحدث المعاهن بباب ظفار، وهي جرس من ذهب يعلق خلف الباب، فإذا فتح الباب سُمع لتلك الجرس صوت من بعيد. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١٤٧.

الأصغر بن حسان بن أسعد، وهو صاحب الأخدود، وسمي ذو نواس لذوئابتين كانتا تنوسان على رأسه، وكان على دين اليهود، فشكا إليه يهود بنجران^(١) غلبة النصارى عليهم، وذلك لفتنة وقعت بينهم بنجران، فنهض ذو نواس إليهم بنجران، وحفر الأخدود، وأضرم فيها النار، وخير النصارى بين الرجوع عن دينهم، وبين إلقاءهم في النار، وفيهم نزلت هذه الآيات: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: ٤] إلى قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْأَعْمَى﴾ [البروج: ٨]. فلما صنع ذو نواس ما صنع بالنصارى، غضب ثعلبان الأكبر بن شرحبيل بن الحارث بن لمك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهو حمير الأصغر، ومضى إلى النجاشي ملك الحبشة، ودينه دين النصارى، فاستنجده، وشكا إليه ما صنع ذو نواس، فبعث معه النجاشي قائداً^(٢) في ثلاثين ألفاً، فلقبهم ذو نواس، فقال: نحن سامعون مطيعون لكم، دونكم اليمن، فهذه مفاتيح خزائنها، فابعثوا إليها من يقبض لكم الخزائن، وأتى بمفاتيح كثيرة، تحملها الإبل، فكتب القائد إلى النجاشي يخبره ويستشيره، فكتب إليه أن يقبل الطاعة، فافتقرت الحبشة باليمن، وكتب ذو نواس إلى حمير، فقتلوهم حتى أفنوهم. وعلم الحبشي أنه قد غدر بهم، فوجه قائدين وجيشاً عظيماً، فقاتلهم (٢٩) ذو نواس، فلما علم أنه لا طاقة له بهم، اقتحم البحر بفرسه، فغرق.

(١) نجران: نجران من مخاليف اليمن، من ناحية مكة، قالوا: سمي بنجران بن ريدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦٦.

(٢) القائد هو «أرياط» القائد الحبشي المعروف الذي حارب جيشه ذا نواس صاحب الأخدود، وهدمت قواته سلحين وبينون، ولم يكن مثلهما في الدنيا. وفي ذلك قال الشاعر علقمة ذو وجدن:

أو ما رأيت وكل شيء هالك بينون خاوية كأن لم تمر
أو ما رأيت وكل شيء هالك سلحين خاوية كظهر الأديسر

انظر: الهمداني، أبو محمد الحسن، الإكليل، ج ٨، ص ٢٢٦-٢٢٧



ثم جمع النعمان بن عفير^(١)، جموعاً من اليمن، فقاتل الحبشة، فلم تكن له بهم طاقة، واستولت الحبشة على اليمن^(٢).

[سيف بن ذي يزن]

ثم ملك من بعده سيف بن ذي يزن^(٣)، وذلك أنه مضى إلى كسرى يستنصره على الحبشة، فأمدّه بالمسجونين، واختار منهم رجلاً يقال له وهرز، وأمره إذا قدم اليمن أن يسأل عن سيف بن ذي يزن، فإن كان من الملوك، فألبسه التاج، وأعطه الخلعة، والمنطقة، وسلم إليه الأمر، وإن لم يكن من الملوك، فابعث إليّ برأسه، واضبط البلاد، إلى أن يصلك خبري.

ثم خرج سيف والقائد بالعسكر، وركبوا في مركبين، فغرق أحدهما، وسلم الآخر، وهو الذي فيه القائد وسيف، فنزلوا بساحل عدن^(٤)، فلقبهم جموع الحبشة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل وهرز أمير الحبشة، فانهزمت الحبشة، وملكوا البلاد.

(١) النعمان بن عفير: قائد يمني، أعاد تجميع قوات ذي نواس، وقاتل جيش النجاشي في السهول، لكنه هُزم واضطر إلى الهروب، ولجأ إلى الجبال بمجموعة فيمن اتبعه من أهل اليمن، ولحقتهم الحبشة، فاستسلموا وسيطر الأحباش على اليمن. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٩.

(٢) انظر التفاصيل في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) سيف بن ذي يزن: الملك سيف بن ذي يزن بن النعمان بن زرعة بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف الأكبر بن عامر بن ذي يزن، وهو الذي عناه عمرو بن العاص في قوله للحسن بن علي جواباً لمعاوية:

فأقبل يمشي مستخياً كأنه شراويل ذو همدان وسيف بن ذي يزن

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٥٠.

(٤) عدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند (المحيط الهندي) من ناحية اليمن، ردتة لا ماء فيها ولا مرعى، وهي مرفأً مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك، فإنها بلدة تجارة. وقال أهل السير سيمت بعدن بن سنان بن إبراهيم رضي الله عنه، وكان أول من نزلها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٩.

ثم إن وهرز، سأل أهل اليمن عن حال سيف، فقالوا: ملكنا وابن ملكنا. فألبسه التاج والخلعة والمنطقة، وسلّم الأمر إليه. وسيف هذا هو الذي وفد عليه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، جدّ النبي ﷺ، في وجوه قريش، وقبائل العرب، يهثون به بالظفر على الحبشة، فاستأذنوا بالدخول عليه، فأذن لهم، فلما دخلوا عليه، استأذنه عبد المطلب في الكلام، فتكلم عبد المطلب بكلام طويل، تركته، فسأله سيف من أنت؟ فقال: أيها الملك، أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال: إدن مني، فدنا منه، فأقبل عليه سيف، وعلى النفر الذي معه، فتكلم سيف معهم كلاماً جميلاً حسناً^(١)، تركته خوف التطويل.

ثم نهضوا إلى دار الضيافة، فأقاموا بها شهراً، لا يؤذن لهم بالدخول عليه، ولا الانصراف، ثم إنه أرسل إلى عبد المطلب: إنني مسرّ إليك من سرّ علمي أمراً، لم أبح غيرك عليه، ووجدتك (٣٠) أهلاً له، فليكن عندك مصنوعاً، حتى يأذن الله فيه، وأسّر إليه ظهور النبي ﷺ، فأخبره عبد المطلب بأنه (قد ولد)^(٢) لأبنة عبد الله ولد على الصفة التي وصفها سيف، وكان بينهما كلام جميل جليل، تركته، وأمر سيف عبد الله بالاحتفاظ على ولده، وأعطى عبد المطلب وأصحابه عطايا جزيلة^(٣)، تركت وصفها، وقال: أتني بخبر هذا المولود رأس

(١) قال عبد المطلب: «إن الله أحلك محلاً رفيعاً، صعباً، شامخاً، باذخاً، وأنتك نباتاً طيباً، طابت أرومته، وعزت جراثيمته، وثبت أصله، وانشق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن، وأنت آبيت اللعن رأس العرب الذي إليه مقادها، وعليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد...» انظر: نص الحوار الذي جرى بين عبد المطلب وسيف بن ذي يزن في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن، ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) استدرارك من النسخ الأصلية ب، ص ٢٨.

(٣) وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، حيث كان برفقة عبد المطلب آنذاك:

جلينا المدح تحمله المطايا	على أكوار أجمال ونوق
مغلغلة مراجعها ترامي	إلى صنعاء من فنج عميق
تؤم بنا ابن ذي يزن وتغري	ذوات بطونها أم الطريق



الحول. فمات سيف بن ذي يزن قبل (أن يحول)^(١) الحول، فصار ملك اليمن إلى كسرى، فكان يجعل عليها عاملاً، والله أعلم وأحكم.

= وترعى من مخالها بروقاً
فلما وافقت صنعاء صارت
إلى ملك أدّر لنا العطايا

مواقعة الوميض إلى البروق
إلى ذي الملك والحسب الوثيق
بحسن بشاشة الوجه الطليق

انظر الأبيات في الهمداني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج ٨، ص ٣.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٨.

الباب الرابع

في ذكر انتقال الأزد^(١)

إلى عُمان وإجلاء الفرس منها

(١) الأزد: الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، من القحطانية، جدّ جاهلي يمني قديم، بنوه أكبر قبيلة في كهلان. ويقال أيضاً: «الأسند» بالسین الساكنة والنسبة إلى «أزدي» أو «أسدي» بسكون الزاي والسين، وهو بالزاي أفصح. انقسم بنوه إلى ثلاثة أقسام: أزد شنوءة، وأزد السراة، وأزد عُمان. ومن سلالته قبائل غسان، وخزاعة، وأسلم، وبارق، والمع، والأوس، والخزرج. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٢٩٠. وانظر تفاصيل أنساب الأزدلي: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٤٤ - ٤٥.





قال الكلبي: إن أول من لحق بعمان من الأزدي مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك (بن)^(١) نصر بن الأزدي، ثم الدوسي.

وكان سبب خروجه إلى عُمان، أنه كان له جار، وكان لجاره كلبه، وكان بنو أخيه عمرو بن فهم يسرحون ويروحون، فيمرون على بيت ذلك الرجل، وكانت الكلبة تنبحهم، وتفترق أغنامهم، فرماها رجل منهم بسهم، فقتلها، فشكا إليه جاره، فغضب مالك، وقال: لا أقيم ببلد ينال فيه هذا من جاري، فخرج مراغماً لأخيه.

وقيل: إن راعياً كان في طريق بيته كلب عقور لغلام من دوس^(٢)، فشد الكلب على الراعي، فرماه بسهم، فقتله، فعرض صاحب الكلب للراعي، فخرج مالك من السراة^(٣)، بمن أطاعه من قومه، فسمي ذلك النجد نجد الكلبة، فلما

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٨.

(٢) دوس: دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران، من أزد شنوءة من قحطان، جد جاهلي: من بنيه: أبو هريرة الصحابي، ومنهم من نزل عُمان، ومنهم من بالحجاز وخراسان، وكانت دار دوس في الأندلس وتدمير، وكان صنمهم في الجاهلية اسمه «ذو الكفين» وكسره عمرو بن حممة الدوسي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٥.

(٣) السراة: هي الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ولها سعة، وقال الحسن الهمداني: السراة جبل يصل ما بين أقصى اليمن والشام، وليس بجبل واحد، وإنما جبال متصلة على شق واحد من أقصى اليمن إلى الشام. وقالوا: والسروات ثلاث: سراة بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء، والطائف من سراة بني ثقيف، وهو أدنى السروات إلى مكة، ومعدن اليوم هو السراة الثانية، وهو في بلاد عدوان، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من الشرق، وبأسفل السروات أودية تصب في البحر منها: الليث، وقتونا، والحسبة، وضنكان، وعشم، =

توسط مالك الطريق، حنّت إبله إلى مراعيها، وجعلت تتلّفت إلى السراة، وتردد الحنين، فقال مالك شعراً:

تحنُّ إلى أوطانها إبل مالك
وفي كل أرض للفتى متقلب
ومن دونها عرض الفلا والدكادك
ولست بدار الذل يوماً برامك (٣١)
رحاب النواحي واضحات المسالك^(١)
ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب
وقال أيضاً:

تحنُّ إلى أوطانها بزل مالك
وشيوخ أبيّ فيه منع لضائم
ومن دون ما تهوى المرار المغارف
وفتيانٌ أنجادٌ كرامٌ غطارف
فحني رويداً واستريحي وبلّغي
فهيهاث منك اليوم تلك المآلف^(٢)

ثم سار يريد عُمان، فكان لا يمرُّ بحَيٍّ من أحياء العرب من معد ولا عدنان، إلاّ سالموه ووادعوه، لمنعته وكثرة عساكره، ثم سار حتى نزل برهوت^(٣)، وإدٍ بحضرموت^(٤)، فلبث فيه، حتى أراح واستراح، وبلغه أن

= ويش، ومركوب، ونعمان، وهو أقربها إلى مكة، وهو وادي عرفات. وأهل السراة ثلاث: أولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة، وهي السراة الوسطى، ثم سراة الأزد أزد شنوء. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(١) انظر الأبيات: الخصيي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٧٤.

(٢) انظر الأبيات في المصدر السابق، ص ١٧٤. مع اختلاف في بعض الألفاظ. وردت كلمة المآلف في النسخة الظاهرية «المتالف».

(٣) برهوت: وإد باليمن، وقيل: برهوت بئر حضرموت. انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٠٥.

(٤) حضرموت: منطقة جنوب جزيرة العرب على خليج عدن والبحر العربي، قيل: سميت بحاضر ميت، وهو أول من نزلها، ثم خفت بإسقاط الألف، وقال ابن الكلبي: اسم حضرموت في التوراة حاضرميت. وقيل سميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شالغ، وقيل: اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن سبأ، وقيل حضرموت اسمه عامر بن قحطان، وإنما سمي حضرموت لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل، فلُقب بذلك. فيها قبر هود عليه السلام. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٩-٢٧١.



بَعْمَانَ الْفَرَسِ، وَهُمْ سَاكِنُوهَا، فَعَبَأَ عَسَاكِرَهُ، وَعَرَضَهَا، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ كَانُوا زَهَاءَ سِتَّةِ آلَافٍ مِنْ فَارَسٍ وَرَاجِلٍ، فَاسْتَعَدَّ، وَأَقْبَلَ يَرِيدُ عُمَانَ، وَجَعَلَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ ابْنَهُ هِنَاءَةَ^(١)، وَيَقَالُ: فَرَاهِيدٌ^(٢)، فِي أَلْفِي فَارَسٍ مِنْ صِنَادِيدِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّحْرِ^(٣)، تَخَلَّفَ عَنْهُ مَهْرَةٌ بِنُ جِيدَانَ بِنِ الْحَافِ بِنِ قَضَاعَةَ بِنِ مَالِكِ بِنِ حَمِيرٍ، فَنَزَلَ الشَّحْرَ^(٤). وَسَارَ مَالِكٌ حَتَّى دَخَلَ عُمَانَ، بِعَسْكَرِ جَمِّ فِي الْخَيْلِ وَالْعَدَّةِ وَالْعُدَدِ، فَوَجَدَ بِهَا الْفَرَسَ مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ دَارَا بِنِ دَارَا بِنِ بَهْمَنِ، وَهُمْ يَوْمئِذٍ أَهْلُهَا وَسَاكِنُهَا، وَالْمَتَّقِدُّ عَلَيْهِمْ يَوْمئِذٍ الْمَرْزِبَانُ، عَامِلُ الْمَلِكِ فَعِنْدَ ذَلِكَ، اعْتَزَلَ مَالِكٌ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى جَانِبِ قَلْهَاتٍ^(٥)، مِنْ شَطِّ عُمَانَ، لِيَكُونَ أَمْنَعُ لَهُمْ، وَتَرَكَ الْعِيَالَ وَالْأَثْقَالَ، وَتَرَكَ مَعَهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعَسْكَرِ، وَسَارَ بِبَقِيَّةِ

- (١) هِنَاءَةُ: هِنَاءَةُ بِنِ مَالِكِ بِنِ فَهْمٍ، مِنَ الْأَزْدِ، جَدُّ جَاهِلِيٍّ. كَانَتْ مَنَازِلُ بَنِيهِ فِي جِهَاتِ عُمَانَ، مِنْ نَسْلِ «الْأَيْفِ بِنِ حِمَامٍ» وَيُحْيَى بِنِ زَيْدٍ» مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ، لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي تَهْذِيبِ التَهْذِيبِ، وَ«عَقْبَةُ بِنِ مَسْلَمٍ» وَوَلَاةُ الْمَنْصُورِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَالْبَصْرَةِ. انظُر: الزَّرْكَلِيُّ، خَيْرُ الدِّينِ: الْأَعْلَامُ، ج ٨، ص ٩٦.
- (٢) فَرَاهِيدٌ: فَرَاهِيدُ بِنِ مَالِكِ بِنِ فَهْمٍ، جَدُّ جَاهِلِيٍّ، يَنْسَبُ إِلَيْهِ بَنُو جِشْمٍ، وَفِي بَطُونِهِمْ: بَنُو هَانِيٍّ، وَبَنُو بَكْرِ، وَبَنُو وَهَبٍ، وَبَنُو ضَحْيَانَ، وَمِنْ بَنِي حَدِيدِ بِنِ جِشْمٍ، كَانَتْ مِنْهُمْ بَعْمَانُ الْمَوَازِعِ «ضَحْيَانَ بِنِ مَازِعَةَ» وَمِنْ بَنِي فَرَاهِيدِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بِنِ الْحَسَنِ بِنِ دَرِيدٍ، وَمِنْ فَرَاهِيدِ الْخَلِيلِ أَحْمَدُ الْفَرَاهِيدِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ «الْعَيْنِ» وَكِتَابِ «الْعَرُوضِ» وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بِنِ مُحَمَّدِ بِنِ زَيْدِ النَّحْوِيِّ الشَّهِيرِ الْمَعْرُوفُ بِـ «الْمَبْزُودِ» وَمِنْهُمْ بَلْحُ بِنِ عَقْبَةَ الشَّارِيِّ، وَالرَّبِيعُ بِنِ حَبِيبِ بِنِ عَمْرٍو الْفَرَاهِيدِيُّ الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ. انظُر الْعَوْتِيُّ، سَلْمَةُ بِنِ مَسْلَمٍ: الْأَنْسَابُ، وَزَارَةُ التَّرَاثِ الْقَوْمِيَّةِ وَالثَّقَافَةِ، مَسْقُطٌ، سُلْطَنَةُ عُمَانَ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.
- (٣) الشَّحْرُ: الشَّحْرُ هُوَ الشَّطُّ، وَهُوَ صَقَعَ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْهِنْدِ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمَنِ. انظُر: الْحَمَوِيُّ، يَاقُوتُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ: مَعْجَمُ الْبِلَادِ، ج ٣، ص ٣٢٧.
- (٤) مَهْرَةٌ بِنُ جِيدَانَ بِنِ الْحَافِ بِنِ قَضَاعَةَ بِنِ مَالِكِ بِنِ حَمِيرٍ: جَدُّ جَاهِلِيٍّ يَمَانِيٍّ. كَانَتْ بِلَادُ بَنِيهِ فِي الشَّحْرِ (بَيْنَ عَدَنَ وَعُمَانَ) عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَإِلَيْهِمْ تَنْسَبُ الْإِبِلُ الْمَهْرِيَّةُ (وَجَمْعُهَا الْمَهَارِيُّ) بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا، كَمَا فِي الصَّحَاحِ) وَإِلَى مَهْرَةَ يَرْجِعُ كُلُّ مَهْرِيٍّ. انظُر: الزَّرْكَلِيُّ، خَيْرُ الدِّينِ: الْأَعْلَامُ، ج ٧، ص ٣١٤.
- (٥) قَلْهَاتٌ: أَوْلَى الْعَوَاصِمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ غَيْرِهَا لِعَمَانِ، وَهِيَ الْمَعْهَدُ الْمَلَائِكِيُّ وَالْمَرْكَزُ السُّلْطَانِيُّ الْمَهْمُ، فَكَانَتْ الدَّوْلَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى لِعَمَانَ، كَانَتْ عَاصِمَةَ مَالِكِ بِنِ فَهْمٍ عِنْدَ نَزْوِهِ عُمَانَ، ثُمَّ مَا زَالَتْ عَرْشُهُ فِي السَّاحِلِ، وَمَنْهَجُ قَصْرِهِ فِي الدَّخْلِ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ رِثَاسَةُ الْقَطْرِ إِلَى صُحَارَ، وَلَكِنْ قَلْهَاتُ الْيَوْمِ اسْمُ بَلَا مَسْمِيٍّ، وَآثَرُ بَعْدَ عَيْنٍ. انظُر: السِّيَابِيُّ، سَالِمُ بِنِ حَمُودِ بِنِ شَامْسٍ: الْعُنْوَانُ فِي تَارِيخِ عُمَانَ، ص ٥٤ - ٥٥.

العسكر، وجعل على المقدمة ابنه هناة في ألفي فارس، وسار حتى نزل بناحية الجوف^(١)، فعسكر معسكره، وضرب مضاربه بالصحراء، وأرسل إلى الفرس، يطلب إليهم النزول في قطرٍ من أقطار عُمان، وأن يمكنوه، ويفسحوا له في الماء والكلأ، ليقيم معهم.

فلما وصلت رسله إلى المرزبان وأصحابه ائتمروا في ما بينهم، وتشاوروا، حتى طال ترديد الكلام والتشاور بينهم، ثم أجمع رأيهم على صرفه، وقالوا: ما نحب هذا العربي ينزل معنا، فيضيق علينا أرضنا وبلادنا، فلا حاجة لنا إلى قربه وجواره.

فلما وصل جوابهم إلى مالك، أرسل إليهم: إنه لا بد لي من النزول (٣٢) في قطرٍ من عُمان، وأن تواسوني في الماء والكلأ والمرعى، فإن تركتموني طوعاً، نزلت في البلاد، وحمدتكم، وإن أبيتم، أقمتُ على كرهكم، فإن قاتلتموني قاتلتكم، فإن ظهرت عليكم، قتلت المقاتلة، وسبيت الذرية، ولم أترك أحداً منكم ينزل عُمان أبداً. فأبوا أن يتركوه طوعاً، وجعلوا يستعدون لحربه وقتاله، وأقام مالك بناحية الجوف حتى أراح واستراح، وتأهب لحرب الفرس ولقائهم، وكان هنالك إلى أن استعدت الفرس لحربه وقتاله.

ثم إن المرزبان أمر أن ينفخ في البوق، وتضرب الطبول، وركب من صحار في جنوده وعساكره في عسكر جم، يقال: إنه كان في زهاء أربعين ألفاً، وقيل: ثلاثين ألفاً، ومعه الفيلة، وسار يريد الجوف، للقاء مالك، ونزل بصحراء

(١) الجوف: موضع بأرض عُمان، يقال: إن سامة بن لؤي مات فيه. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٣. أما السيابي فقد عرفه بما يأتي: الجوف اسم يقع على بلدان العوامر تغريباً، فيشمل إزكي وأعمالها، ونزوى وأعمالها، وبهلا وتوابعها، والحمر وما إليها، إلى الجبل الأخضر شمالاً، وجبل الكور غرباً وتحده من الجهة الجنوبية آدم، فالرمل الجنوبي إلى الفهود. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص ١٤.



سلّوت^(١)، قريباً من نزوى^(٢). فبلغ ذلك مالك بن فهم، فركب في ستة آلاف، حتى أتى صحراء سلّوت، فعسكر بها، بإزاء عسكر المرزبان، فمكثوا يومهم ذلك، لم يكن بينهم حرب.

ثم إن مالك بن فهم بات ليلته يعبئُ عساكره يمناً ويسرة وقلباً، ويكتب الكتاب، ويوقف فرسان الأزد مواقفهم، فولى الميمنة ابنه هناة، وولى الميسرة ابنه فراهيد، ووقف هو في القلب في أهل النجدة والشدة. وبات المرزبان يكتب كتابه، ويوقف أصحابه مواقفهم، واستعد كلا الفريقين.

وركب مالك فرساً أبلق، ولبس درعين، ولبس عليهما غلالة حمراء، وتكمم على رأسه بكمة حديد، وتعمم عليها بعمامة صفراء، وركب معه ولده، وفرسان الأزد على تلك التعبئة، وقد تقنّعوا بالدروع والبيض والجواشن، ولم يظهر منهم غير الحدق.

فلما توقفوا للحرب، جعل مالك يدور على أصحابه راية راية، وكتيبة كتيبة، ويقول: يا معشر الأزد، أهل النجدة والحفاظ، حاموا على أحسابكم، وذبّوا عن أبنائكم، وقاتلوا وناصرحوا ملككم وسلطانكم، فإنكم إن انهزمت

(١) صحراء سلّوت: تقع صحراء سلّوت قرب نزوى، بين نزوى وبهلا، وقعت فيها المعركة الشهيرة بين جيش مالك بن فهم والفرس المرازبة.

(٢) نزوى: مدينة عُمانية تقع على سفح الجبل الأخضر في المنطقة الداخلية، أنشأها عدمان بن عمرو الأزدي، نزله السبيون. كما سكنها الخيار بن يحيى من أبناء امرئ القيس، وسكن أخوه الآخر بسمد نزوى، ومنهم انتشرت ذريتهم بنزوى، وتوسعت المدينة أيام الأئمة الخروصيين، ثم في عصر النباهنة، وكذلك الأئمة اليعاربة. حيث اتخذت عاصمة للإمامة في عُمان منذ بداية عهد الإمامة الثانية سنة ١٧٧هـ، وقال ياقوت: يعمل في نزوى صنف من الثياب منمقة بالحرير، جيدة فائقة، لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها، ومآزر من ذلك الصنف، يبالغ في ثمنها. انظر نزوى عبر التاريخ، حصاد ندوة المنتدى الأدبي في نزوى، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨١. وللمزيد من التفاصيل انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص ٦٣ - ٦٦.

تبعتمكم العجم بجنودها، فاخطفوكم، واصطادوكم بين كل حجر ومدى، وباد ملككم وسلطانكم، (٣٣) فوظنوا أنفسكم على الحرب، وعليكم بالصبر والحفاظ، فإن هذا اليوم له ما بعده. وجعل يحرضهم، ويأمرهم بالصبر والحفاظ.

ثم إن المرزبان زحف بجميع عساكره وقواده، وجعل الفيلة أمامه. وأقبل مالك وأصحابه، ونادى بالحملة عليهم، وقال: يا معشر الأزدي، احملوا معي فداكم أبي وأمي، على هذه الفيلة فاكشفوها بأسيا فكم وأستكم. ثم حمل، وحمّلوا معه على الفيلة بالرمح والسيوف. ورشقوها بالسهم، فولّت الفيلة راجعة على عسكر المرزبان، فوطئت منهم خلقاً كثيراً، وحمل مالك وكافة أصحابه على المرزبان وأصحابه، فانتفضت صفوف العجم، وجالوا جولة، ثم تراجعت العجم بعضها إلى بعض، وأقبلت إلى حدها وحديدها، وصاح المرزبان بأصحابه وأمرهم بالحملة، فحملوا، والتقى الجمعان، واختلف الضرب والطعان، واشتد القتال، وعظم النزال، فلم تسمع إلا صليل الحديد، ووقع السيوف، فاقتلوا يومهم ذلك، إلى أن حال بينهم الليل، وانصرف بعضهم عن بعض، وقد كثر القتل والجراح في الجميع.

ثم ابتكروا من الغد، فاقتلوا قتالاً شديداً، وقتل من الفرس خلق كثير، وثبتت لهم الأزدي، إلى أن حال بينهم الليل.

فلما أصبحوا في اليوم الثالث، زحف الفريقان بعضهم إلى بعض، فوقفوا مواقفهم تحت راياتهم، وأقبل أربعة نفر من المرازبة والأساورة، يعد الواحد منهم بألف رجل، حتى دنوا من مالك، فقالوا: هلمّ إلينا ن نصفك من أنفسنا، ويبارك منا واحد، واحد، فتقدم مالك إليهم، وخرج منهم واحد، فطارده مالك ساعة، فعطف عليه مالك، فطعنه برمحه في صلبه، فخرّ عن فرسه إلى الأرض، فضربه بالسيف، فقتله.



ثم حمل الفارس الثاني على مالك، وضرب مالكا، فلم تصنع ضربته شيئاً، وضربه مالك على مفرق رأسه، فقدَّ البيضة والرأس، وخرَّ الفارس ميتاً.

ثم حمل الفارس الثالث، فضربه مالك على عاتقه، فقسمه نصفين، ووصل السيف إلى الدابة، فقطعها نصفين.

فلما رأى الفارس الرابع ما صنع مالك بأصحابه، كاعت نفسه، وولى راجعاً نحو أصحابه، حتى دخل فيهم. وانصرف مالك (٣٤) إلى موقفه، وقد تفاعل بالظفر، وفرحت بذلك الأزدي فرحاً شديداً، ونشطوا للحرب.

فلما رأى المرزبان ما صنع مالك بقواده الثلاثة، دخلته الحمية والغضب، وخرج من بين أصحابه، وقال: لاخير في الحياة بعدهم، ونادى مالكا، وقال: أيها العربي، اخرج إليّ، إن كنت تحاولُ ملكاً، فأئنا ظفر بصاحبه، كان له ما يحاول، ولا نعرض أصحابنا للهلاك.

فخرج إليه مالك برباطة جأش وشدة قلب، فتجاولا بين الصنفين ملياً، وقد قبض الجمعان أعتة خيولهم، ينظرون ما يكون منهما، ثم إن المرزبان حمل على مالك بالسيف حملة الأسد الباسل، فراغ عنه مالك، وضربه بسيفه على مفرق رأسه، فقدَّ البيضة والدرع، وأبان رأسه عن جسده، فزحف الفريقان بعضهما إلى بعض، واقتتلوا من نصف النهار إلى العصر، وأكل أصحاب المرزبان السيف، وصدقتهم الأزدي الضرب والطعن، فولّوا منهزمين، على وجوههم هارين، حتى انتهوا عسكرهم، وقد قتل منهم خلق كثير، وكثرت الجراح في عامتهم، فعند ذلك، أرسلوا إلى مالك، يطلبون منه الصلح، وأن يكفَّ عنهم الحرب، ويؤجلهم إلى سنة، ليخرجوا أهلهم من عُمان، وأعطوه على ذلك عهداً وجزية، فأجابهم مالك إلى ذلك، وأعطاهم عهداً أن لا يعارضهم حتى

يبدأوه بحرب، وكف عنهم الحرب، وعادوا إلى صحار^(١)، وما حولها من الشطوط، فكانوا هناك، والأزد في عُمان. وانحاز مالك إلى جانب قلهات، فقيل: إن الفرس، في تلك المهادنة، طمسوا أنهاراً كثيرة وأعموها، وكان النبي سليمان بن داؤد قد حفر فيها عشرة آلاف فلج.

ثم إن الفرس كتبوا إلى دارا بن دارا بقدم مالك إلى عُمان بمن معه، وما جرى بينهم وبينه من الحرب، وقتل قائده المرزبان، وجل أصحابهم، وأخبروه بما هم فيه من الضعف والعجز، واستأذنوه في التحمل إليه بأهلهم وذرائعهم. فلما وصل كتابهم إليه، وقرأه، غضب غضباً شديداً، وداخله القلق، وأخذته الحمية لمن قُتل من أصحابه وقواده، فعند ذلك، دعا بقائد من عظماء مرابته، وأساورته، وعقد له على ثلاثة آلاف من أجلاء أصحابه ومرابته، وبعثهم مدداً لأصحابه الذين بعُمان، فتحملوا إلى البحرين، ثم تخلصوا إلى عُمان، وكل هذا لم يدْرِ به مالك.

(١) صحار: مدينة عُمانية تحمل اسم صحار بن سام بن نوح، وقبيلة صحار من العرب البائدة، عاش بها، كانت مقر حكم عبد وجيفر ابني اللندي، عندما حمل إليهما عمرو بن العاص رسالة الرسول ﷺ، وأسلما، وأسلم معهما العُمانيون. بلغت المدينة ذروتها في العهد الإسلامي، فكانت حاضرة عُمان، وليس على البحر من مدينة أكبر منها، وكانت ممر الصين، وخزانة الشرق، وأعظم مدن عُمان عمراناً وأكثرها مالاً. ووصفها ياقوت الحموي بقوله: صحار قصبة عُمان مما يلي الجبل، وتوأم قصبتها مما يلي الساحل، وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالأجر والساج، كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها، وإليها ينسب أبو علي محمد بن زوزان الصحاري الشاعر العُماني، وكان قد نكب، فخرج إلى بغداد، فقال يتشوق إلى بلده:

لحي الله دهرأ شردتني صروفه عن الأهل حتى صرت مفترباً فردا
ألا أيها الركب اليماني بلغوا تحية نأي السدار لقيتم رُشدا
إذا ما حللتكم في صحار فالمعوا بمسجد بشار وجوزوا به قصدا

انظر الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ج ١٥، ص ٤٣ - ٤٤. والحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٣ - ٣٩٤. وللزمزيد من التفاصيل، انظر: السيايبي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص ٥٣ - ٥٤.



فلما وصلوا إلى أصحابهم، أخذوا يتأهبون للحرب، حتى انقضى أجل الهدنة، فجعل مالك يستطلع أخبارهم، (٣٥) فبلغه وصول المدد إليهم، فكتب لهم: إني قد وفيت لكم بما كان بيني وبينكم من العهد وتأكيده الأجل، وأنتم بعد حلول بعُمان، وبلغني أنه قد أتاكم من قبل الملك مدد عظيم، وأنكم تستعدون لحربي وقتالي، فإما أن تخرجوا من عُمان طوعاً، وإلا زحفُ عليكم بخيالي ورجلي، ووطئت ساحتكم، وقتلت مقاتلتكم، وسببت الذراري، وغنمت الأموال.

فلما وصل رسوله إليهم، هالهم أمره، وعظموا رسالته إليهم مع قلة عسكره وكثرتهم، وما هم فيه من القوة والمنعة، وزادهم غيظاً وحنقاً، وردوا عليه أقبح رد، فعند ذلك زحف عليهم مالك في خيله ورجاله، وسار حتى وطئ أرضهم، واستعدت الفرس لقتاله ومعهم الفيلة، فلما قربوا من معسكره، عبأ أصحابه راية راية، وكتيبة كتيبة، وجعل على الميمنة هناة بن مالك، وعلى الميسرة فراهيد، وقام هو وبقية أولاده في القلب، والتقوا هم والفرس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودارت رحى الحرب بينهم ملياً من النهار. ثم انكشفت العجم، وكان معهم فيل عظيم، فتركوه، فدنا منه هناة، فضربه على خرطومه، فولى، وله صباح، واتبعه معن بن مالك، فغرقه، فسقط.

ثم إن العجم ثابوا وتراجعوا، فحملوا على الأزدي حملة رجل واحد، فجالت الأزدي جولة، ونادى مالك: يا معشر الأزدي، اقصدوا إلى لوائهم فاكشفوه من كل وجه. وحمل بهم على العجم حملة رجل واحد، حتى كشفوا اللواء، واختلط الضرب، والتحم القتال، وارتفع الغبار، وثار العجاج حتى حجب الشمس، فلم تسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف، وتراموا بالسهام، فتقصدت، وتجالدوا بالسيوف، فتكسرت، وتطاعنوا بالرماح، فتحطمت، وصبروا صبراً جميلاً، وكثر القتال والجراح في الفريقين.

ثم لم يكن للفرس ثبات، وولّوا منهزمين على وجوههم، فاتبعهم فرسان الأزد يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجعلوا يطلبونهم حيثما تقفوههم وأدركوهم، ولم يقلت^(١) منهم إلا من ستره الليل.

وتحمل بقية الفرس في السفن، وركبوا البحر، وعبروا إلى فارس. فاستولى مالك على عُمان، وغنم جميع (٣٦) أموال الفرس، وأسر منهم خلقاً كثيراً، ومكثوا في السجن زمناً طويلاً، ثم أطلقهم، ومنّ عليهم بأرواحهم، وكساهم، وزودهم، وأوصلهم في السفن إلى أرض فارس. وملك عُمان وما يليها من الأطراف، وساسها سياسة حسنة، وسار فيها سيرة جميلة، وله ولأولاده في مسيرهم إلى عُمان، وحرّبهم للفرس أشعار كثيرة، وشواهد، تركتها اختصاراً.

ثم جاءت إلى عُمان قبائل كثيرة من الأزد، فأول من لحق بمالك من الأزد عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء^(٢)، وولده الحجر^(٣) والأسود^(٤)، وتفرعت من الحجر والأسود بعُمان قبائل كثيرة.

(١) في الأصل: «يفت»، والصحيح ما أثبتناه في النص.

(٢) عمران بن عمرو بن ماء السماء: عمران الوضّاح بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب، وهو غسان بن الأزد، فولد رجلين هما: الأسود بن عمران، والحجر بن عمران. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ١١٧.

(٣) الحجر: هو الحجر بن عمران بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب، وهو غسان بن الأزد: «إنه كان نبياً، وبنوه بطون كثيرة منها: زهران، وزيد مناة، وطابخة وبنو إباد، وممن ينسب إليه في الإسلام الحافظ بن عبد الغني بن سعيد الأزدي وآل بيته، وسعيد بن بشر بن مروان الأزدي الحجري. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ١١٧. والزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٦٩.

(٤) الأسود: والصحيح الأسود وهو الأسود بن عمران بن عمرو مزقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن زاد الركب، وهو غسان بن الأزد. ولده ستة رهط: العتيك بن الأسود، وسهيل بن الأسود، ومالك بن الأسود، وأبأ وائل بن الأسود، والحارث بن الأسود وسليمة بن الأسود، وأهم هند بنت سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. انظر التفاصيل في: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ١١١-١١٨.



ثم خرج ربيعة بن الحارث بن عبد الله بن عامر الغطريف^(١) وإخوته.
 وخرجت ملادس^(٢) بن عمرو بن عدي بن حارثة، فدخلت في هداد.
 ثم خرجت عمران بن عمرو بن الأزد^(٣).
 ثم خرجت اليحمد بن حمى^(٤).
 ثم خرجت بنو غنم بن غالب بن عثمان^(٥).
 ثم خرجت الحدان وأخوها زياد، وهو الندب الأصغر^(٦).
 ثم خرجت معولة، وهم بنو شمس^(٧).
 ثم خرجت الندب الأكبر^(٨). وخرجت الضيق^(٩).

-
- (١) ثم خرجت الربعة، واسمه ربيعة بن الحارث بن عبد الله بن عامر الغطريف، وإخوته من بني الحارث بن عبد الله. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٢) ملادس: والصحيح ملارس. «وخرجت ملارس بن عمرو بن عدي بن حارثة فدخلت في هداد على نسب فيهم». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٣) هكذا وردت أيضاً في الأنساب «ثم خرجت عمران بن عمرو بن الأزد». انظر العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٤) وفي الأنساب: «ثم خرجت اليحمد بن حمى، واسم حمى عبد الله بن عثمان بن نصر بن زهران». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٥) وفي الأنساب: «ثم خرجت بنو غنم بن غالب بن عثمان، ويطونها جذيمة بن غنم، وسعد بن غنم». العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٦) وفي الأنساب: «ثم خرجت الحدان، وإخوتها زياد، وهوب الندب الأصغر، وبالسرارة منهم كثير». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٧) وفي الأنساب: «ثم خرجت معولة، وهم بنو شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٨) وفي الأنساب: «ثم خرجت الندب، وهو الندب الأكبر، ونكل بن النهي بن الهور بن الهنو بن الأزد، فدخلت الندب في بني غالب بن عثمان، فقالوا الندب بن غالب». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.
- (٩) وفي الأنساب: «وخرجت الضيق بن عمرو بن الأزد، فدخلت في عبد القيس بن غالب، فاتنسب منهم». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.

وخرج ناس من بني يشكر^(١).

وخرج ناس من بني غامد^(٢)، وخرج ناس من حواله.

خرجت هذه القبائل كلها على راياتها، لا يمزون على أحد إلا أكلوه، حتى وصلوا عُمان فلمؤوها، وأقاموا في بلد ريف (وخير)^(٣) واتساع، وسمت الأزد عُمان عُماناً، لأن منازلها كانت على وادٍ لهم بمأرب^(٤)، يقال له عُمان، فشبَّهوها به، والعجم تسميها مزون، وقال بعض العرب شعراً:

إن كسرى سمى عُمان مزوناً ومزون ياصح خير البلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل ومراع ومشرَب غير صاد^(٥)

لم تزل قبائل الأزد تنتقل إلى عُمان، حتى كثروا بها، وقويت يدهم، واشتدت شوكتهم، وملئوها، حتى انتشروا إلى البحرين، وهجر^(٦).

(١) وفي الأنساب: «وخرج ناس من بني يشكر بن مبشر بن صعْب بن دهمان بن نصر بن زهران». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.

(٢) وفي الأنساب: «وخرج ناس من بني غامد بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. وخرجت ناس من حواله». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٠٥.

(٣) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٤.

(٤) مأرب: اسم مكان في اليمن، وهي بلاد الأزد فيها. قال سهيلي: مأرب اسم قصر كان لهم. وقيل: هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ، كما كان اسماً تبعاً لكل من ولي اليمن والشحر وحضرموت، وكان في بلاد مأرب سدٌ عظيم، عُرف بسدِّ مأرب، دمره سيل العرم، الذي دمر بدوره أيضاً الضياع، والحدائق، والجنان، والقصور، والدور، وباعد الله بين أسفار من كان مقيماً حوله، حيث تفرقوا في جزيرة العرب وبلاد الشام. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤ - ٣٥.

(٥) انظر البيتين في السالمي، نور الدين: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٩.

(٦) هجر: الهجرة بلفظة حمير والعرب العاربة القرية. وهجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٣.



ثم نزل عُمان سامة بن لؤي بن غالب^(١)، نزل (٣٧) بتوام^(٢) وهي الجوى، في جوار الأزدي، وكان فيها ناس من بني سعد^(٣)، وناس من بني عبد القيس^(٤)، وزوج ابنته بأسد بن عمران بن عمرو.

ونزل بعمان ناس من بني تميم، آل خزيمة بن خازم^(٥)، ونزلها ناس من بني النبت^(٦)، ومنازلهم عبري^(٧)، والسليف^(٨)، وتنعم، والسر.

(١) سامة بن لؤي بن غالب: سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ومن قریش. السام عروق الذهب، والواحدة سامة، وبه سمي سامة بن لؤي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٧٨.

(٢) توام: اسم قصبه في عُمان مما يلي الساحل، وصحار قصبته مما يلي الجبل، ينسب إليها الدر وبها قرى كثيرة، والتوأم: جمع توأم، جمع عزيز. وقال نصر: توأم قرية بعُمان بها منبر لبني سامة.

(٣) سعد: سعد بن زيد مائة بن تميم، من عدنان: جد جاهلي. كانت منازل بنيه في يرين وما تلاها ورمالها، ثم تفرقت بطون منهم بين قطر وعُمان وأطراف البحرين، إلى ما يلي البصرة، ونزل بعضهم في العراق. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٨٥.

(٤) عبد القيس: عبد القيس بن أقصى بن دهمي، من أسد ربيعة، من عدنان، جد جاهلي، النسب إليه عبيدي، وقيسي، وعبد قيس، واقتصر ابن الأثير على عبيدي، كانت ديار بنيه تهامة، ثم خرجوا إلى البحرين واستقروا بها، وهم بطون كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٤٩. وانظر نسب بني عبد القيس في: العوتبي. سلمة بن سلم: الأنساب، ج ١، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٥) خزيمه بن خازم: والصحيح خزيمه بن خازم التميمي، وال، من أكابر القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون. شهد الوقائع الكثيرة، وقاد الجيوش، وولي على البصرة أيام الرشيد، والجزيرة في أيام الأمين. ولما عظم الخلاف بين الأمين والمأمون انحاز إلى أصحاب المأمون، واشترك في حصار بغداد إلى أن قتل الأمين، فأقام ببغداد حتى مات فيها سن ٢٠٣هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٦) نبت: نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ: جد جاهلي يمانى قديم. بنوه قبائل ويطون من أصولها «الأزدي» و«خثعم» و«بجيلة». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٧.

(٧) عبري: كرسي بلاد الظاهرة، وقاعدة ملكها، وحماما المنيع. من أجمل بلاد الظاهرة وأفخرها، وأوسعها مقاماً، وأفسحها مناخاً، وأطلقها هواءً، وأنضرها رياضاً. ولها يخضع كثير من قبائل ذلك الأفق، وبلاد السز هي عينها الباصرة وهامتها العالية. هي عاصمة الظاهرة، واقعة في تربة صالحة، قابلة للفراس على مختلف أنواعه. وهي النافذة التي تطل على عُمان الداخل، والباب الذي يمهّد السبيل للواصل إلى عُمان من الجهة الغربية. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص ٧٦ - ٧٧.

(٨) السليف: قرية تابعة لولاية عبري في منطقة الظاهرة من سلطنة عُمان.

ونزلها ناس من بني الحارث بن كعب، ومنازلهم بضنك^(١).

ونزلها ناس من قضاة، نحو مائة رجل، وهم بضنك أيضاً.

ونزلها من بني رواحة بن قطيعة بن عبس^(٢)، منهم أبو الهيثم^(٣).

واستقوى ملك مالك بَعْمَان، وكثر ماله، وهابته جميع القبائل، من يمن ونزار، وكانت له جرأة وإقدام، ما لم يكن لغيره من الملوك، وكان ينزل إلى شاطئ قلعات، وينتقل إلى غيرها. ونزل بناحيته ملك من ملوك الأزدي، يقال له مالك بن زهير^(٤)، وكان عظيم الشأن، كاد أن يكون مثل مالك بن فهم في العزّ والقدرة، فخشي مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد، وأن يقع بينهما حرب، فخطب منه ابنته^(٥)، فزوجها، على أن يكون لأولادها منه التقدمة والكبر، على سائر أولاده من غيرها، فأجابها مالك بن فهم إلى ذلك، وتزوجها، فولدت له سليمة بن مالك.

وملك مالك عُمان سبعين سنة، لم ينازعه في ملكه عربي ولا عجمي.

(١) ضنك: من أفخر البلاد وأوسعها، في قاع خصب بين حزون جائمة، روضة من رياض القنا، وارقة الظل، وافية القطوف، مغروسة بما يعود عليها نفع العميم. من أطيّب بلاد الجور، وأوسعها عمراناً. في ضنك أخلاط من القبائل العديدة، إذ هي من أمهات القرى. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) قطيعة بن عبس: قطيعة بن عبس بن بغيض، من غطفان، من عدنان، جدّ جاهلي. النسبة إليه «قطمي» بضم أوله وفتح ثانيه. من نسله حذيفة بن اليمان الصحابي، وحزم وسهيل وعبد الواحد القطعيون، من رجال الحديث، وخالد بن برد، وآله الوليد دمشق. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٠.

(٣) وردت في الأصل: «أبو الهشم»، ويقصد بذلك: أبو الهيثم العبسي الراحي. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٤) مالك بن زهير: ملك عُماني قديم لم نعر على ترجمة له.

(٥) واسمها الحزام بنت مالك بن زهير. انظر: السالمي، نور الدين: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٣١.



وكان عمره مائة وعشرين سنة^(١).

وقيل: هو الملك الذي ذكره الله تعالى:

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. وقيل: الملك الذي ذكره الله، هو مندلة بن الجلندي بن كركر^(٢)، من ولد مالك بن فهم، وهو جدّ الصفاق^(٣). وقيل: هو الجلندي بن المستكير. وقيل: هو المستير بن سعود بن جرار بن عبد العزى ابن معولة بن شمس بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد. وليس هو كذلك، بل والقول الأول هو الأصح، لأن الجلندي هذا قبل الإسلام إلّا بقليل، وقيل: أدرك الإسلام. وولده عبد^(٤) وجيفر^(٥)، وقصة السفينة كانت في زمن موسى عليه السلام، وبين نبينا محمد عليه السلام، وبين موسى، أعوام ودهور.

(١) عاش مائة وعشرين سنة، وامتدحه أوس بن زيد العبدي، وكان عظيم القدر في بعد، وهو في جوار مالك بن فهم فقال:

إن الأسد الكرام إن جل جار فمع النجم لا يخاف غريبا
عزٌّ من كان مالك له جار لست في الأزد حللت غريبا

انظر السالمي، نور الدين، تحفة الأعيان، ص ٣١.

(٢) مندلة بن الجلندي بن كركر: ملك عُماني قديم، لم نعر له على ترجمة.

(٣) الصفاق: ملك عُماني قديم، لم نعر له على ترجمة.

(٤) الجلندي بن كركر: ملك عُماني قديم، لم نعر له على ترجمة.

(٥) عبد بن الجلندي: ملك عُماني، عاش في صدر الإسلام، دعاه النبي عليه السلام إلى الإسلام برسالة بعث بها إليه مع عمرو بن العاص، فنزل عمرو في مدينة صحار، وبعث إلى عبد وأخيه جيفر، وقد ذكر أن أبا بكر أمر عبد على سرية لمقاتلة المرتدين، فقام بمهمته خير قيام، وأشاد حسان بن ثابت به وبرأيه، وجعل أبو بكر الصديق أخذ الصدقات من أهل عُمان على يده هو وأخوه جيفر بن الجلندي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص ١١١.

(٦) جيفر بن الجلندي: ملك عُماني، كتب إليه النبي عليه السلام يدعو إلى الإسلام، وبعث الصحيفة مع عمرو بن العاص، ونزل عمرو صحار، وقابل جيفر، ودفع إليه بالصحيفة، فلما قرأها، أسلم جيفر ومن معه، وانتشر الإسلام في عُمان كلها إلّا الفرس، فقاتلهم جيفر وأخوه عبد، وأخرجوهم من عُمان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص ٤٦.

فصل (مقتل مالك بن فهم)

وقيل: إن مالك بن فهم قتله ولده سليمة خطأ، وسبب ذلك، قيل: إن مالكا جعل على أولاده الحرس بالنوبة، كل ليلة على رجل منهم، ومعه جماعة من خواصه وأمنائه، وكان سليمة أحب إخوته إلى (٣٨) أبيه، وأحظاهم لديه، وأكرمهم عليه، وأرفعهم منزلة عنده، وكان يعلمه الرمي، حتى أخذق، وصار حاذقاً ماهراً، فحسده إخوته لمكانه من أبيه، وكانوا يطلبون له عثرة مع أبيه، فلم يجدوا له عثرة. فأقبل ذات يوم نفر منهم إلى أبيهم، فقالوا: يا أبانا، إنك جعلت على كل واحد منا نوبة من الحرس، وكل منا قائم بنوبته، ما خلا أخانا سليمة، فإنه إذا كانت نوبته، انفرد عن أصحابه، وتشاغل بالنوم عن الحرس، فلا تكن لك منه كفاية ولا مغنى. وجعلوا يوهنون أمره، وينسبونونه إلى العجز والتقصير. فقال أبوهم: إن كلاً منكم قائم بما عليه، وليس من أحد منكم تقصير، وقد فهمت قولكم في ولدي سليمة، فإنه لم تنزل الأخوة تحسد بعضها بعضاً، لإيثار الآباء بعضهم على بعض، وإن ظني فيه، كعلمي به. فانصرفوا عنه، ولم يبلغوا ما أملوه.

ثم إن مالكا داخله الشك فيما تكلموا به من أمر سليمة، فأراد ليختبر دعواهم، فلما كانت نوبة سليمة في الحرس، وقد خرج سليمة في فرسان قومه، وكان من عادته، إذا خرج للحرس، انفرد عن أصحابه، وكمن قريباً من دار أبيه، فلما كانت تلك الليلة، خرج مع أصحابه، وانفرد عنهم كعادته، وكمن في مكانه الأول. وكان مالك (قد)^(١) خرج في تلك الليلة متتكرراً مستخفياً، لينظر هل يصح قول أولاده في سليمة، وكان سليمة قد أخذته في تلك الساعة سنة، وهو على ظهر فرسه، فلما رأى الفرس شخص مالك من بعيد، صهل،

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٩.



فانتبه سليمة من سنته مذعوراً، ورأى الفرس ناصباً أذنيه، وكان معوداً الفرس إذا رأى شيئاً، ينصب أذنيه مقابلاً لما يرى، فيرمي الفارس السهم بين أذني الفرس، فلا يخطئ ما رماه الفارس، ففوق سليمة سهمه، ويممه نحو مالك، وهو لا يعلم أن ذلك الشخص أبوه، فسمع مالك صوت السهم، وقد خرج من كبد القوس، فهتف به: لا ترمي يا بني، أنا أبوك. فقال: يا أبت، ملك السهم قصده، فأصاب مالكاً في لبة قلبه. فقال مالك حين أصابه السهم قصيدة طويلة انتخبْتُ، منها هذه الأبيات:

جزاه الله من ولد جزاءً	سليمة إنه سأمأ جزاني
أعلّمه الرماية كل يوم	فلما اشتدّ ساعده رماني
توخاني بقدح شكّ لبي	دقيق قد برته الراحتان
فأهوى سهمه كالبرق حتى	أصاب به الفؤاد وما عداني
ألا سُلتَ يمينك حين ترمي	وطارت منك حاملمة البنان ^(١)

فلما مات مالك، أنشأ ولده هناة يقول هذه الأبيات:

لو كان يبقى على الأيام ذو شرف	بمجده لم يمت فهم وما ولدا
حلّت على ملك الأملاك جائحة	هدّت بناء العلا والمجد فانقصدا
أبا جذيمة لا يبعد ولا غلبت	به المنايا وقد أودى وقد بعدا
لو كان يُفدى لبيت العزّ ذو كرم	فذاك من حلّ سهل الأرض والجلدا
ياراعي الملك أضحي الملك بعدك لا	تدري الرعاة أحرار الملك أم قصدا ^(٢)

(١) انظر القصيدة كاملة في: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج ١، ص ٣٦-٣٧.

(٢) انظر الأبيات في: الخصيي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمال، ج ٢، ص ١٧٧. وفي السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج ١، ص ٣٦-٣٧.

(ذكر أخبار سليمة بعد موت أبيه)

ولما قتل سليمة أباه، تخوّف من إخوته، واعتزلهم، وأجمع على الخروج من بينهم، فسار إليه أخوه هناة في جماعة من وجوه قومه، فاجتمعوا إليه، وكرّهوا إليه الخروج، وكان أكثر تخوّفه من ناحية أخيه معن، فقال لهم: إني لا أستطيع المقام معكم، وقد قتلت أباكم، وكان ذلك من سبب حسد إخوتي لي، وقد يبلغني من معن ما أكره، وإني لأخشى أن يتوقع عليّ في بعض سفهاء قومه، فناشدوه الله والرّحم، أن يقعد عندهم، وضمن له هناة بتسليم الدّية عنه إلى أخوته من ماله، وأعفوه عن القود، فقبل ذلك سليمة، وأقام معهم.

وسلّم هناة عنه الدّية من ماله إلى إخوته، فقبلها الإخوة وعفوا، إلا معن، فإنه قبلها ولم يعف، وطمع هناة أن يصلح ذات بينهم، وكان حسن السيرة في إخوته وقومه.

ثم إن معناً خلا له زمن، لا يتعرض لسليمة بشيء أبداً، حتى أكل الدّية، ثم إنه جعل يطلب غفلة سليمة، ويغري به سفهاء قومه، من حيث لا يعلم به أحد، فبلغ ذلك سليمة، فأقسم لا يقيم بأرض عُمان، وأجمع رأيهم على ركوب البحر، فخرج هارباً في نفر من قومه، وقطع البحر، حتى نزل بئر فارس، وأقام بجاسك^(١)، وتزوج بامرأة منهم من قوم يقال لهم الاسفاهية، فولده منها يسمون بنو الاسفاهية.

فبينما سليمة ذات يوم قاعد تذكر أرض عُمان، وانفراده عنها، (٤٠) وعن إخوته، وما كانوا فيه من العزّ والسلطان، فقال هذين البيتين:

(١) جاسك: جزيرة كبيرة بين جزيرة قيس، وهي المعروفة بكيش، قبالة مدينة هرمز. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٥.



كفى حزناً أني مقيم ببلدة أخلائي عنها نازحون بعيدُ
أقلبُ في البلاد فلا أرى وجوه أخلائي الذين أريدُ^(١)

ثم إنه رحل، ونزل بأرض كرمان^(٢)، وأقام عند بعض ملوكها، وعزفهم بحسبه ونسبه، وكيف حسده إخوته، وكيف قتل أباه، وكيف كان خروجه عن إخوته.

فلما عرفوا مكانه وشرفه، كتموا أمره، مخافة أن يعرض له بسوء، لأجل ما كان من أبيه وأخيه جذيمة الأبرش^(٣)، في ملوك فارس، وأكرموا مثواه، وأعجبهم ما رأوا من فصاحته وجماله، وكمال أمره، فرفعوا قدره، وأرادوا أن يزوجه من كريمة من كرائم نسائهم. وكان ذلك في زمن ملكهم ولد دارا بن دارا^(٤)، وكان كثير العسف والظلم، جباراً غشوماً على رعية وأهل مملكته، وقد

(١) انظر البيهقي في: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، ج ٢، ص ١٧٨. وفي السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج ١، ص ٣٨.

(٢) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين بلاد فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع، تشبه البصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات، سميت كرمان بكرمان بن فلوج بن لظي بن يافث بن نوح عليه السلام. وقيل: إنما سميت بكرمان بن فارك بن سام بن نوح، لأنه نزلها لما تلبلت الألسن واستوطنها، فسميت به، فتحت كرمان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عثمان بن أبي العاص الثقفي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٣) جذيمة بن الأبرش: جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي، ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق، وكان أعز من سبقة من ملوك هذه الدولة، اجتمع له ما بين الحيرة، والأنبار، والرقعة، وعين التمر، والقططانية، وبقة، وهيت، وأطراف البر إلى العمير ويبرين، وما وراء ذلك. وهو أول من غزا بالجيوش المنظمة، وأول من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب. وكان يقال له: «الوضاح» و«الأبرش» لبرص فيه. طمع إلى امتلاك مشارف الشام وأرض الجزيرة، فغزاها، وحارب ملكها (عمرو بن الظرب - أبا الزباء) فقتله وانتهب أملاكه، وانصرف، فراسلت الزبباء جذيمة وعرضت عليه نفسها زوجة، فغزاها في جمع قليل، فقتلته بثأر أبيها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١١٤.

(٤) دارا بن دارا: هو دارا بن دارا بن بهمن بن أسفنديار، تولى الحكم بعد والده، وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا. كان شاباً غراً جميلاً حقوداً جباراً سعي السيرة في رعيته، واستوحش منه الخاصة والعامة. دام ملكه أربع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢١٢ - ٢١٣.

أضربَ بهم، وكان إذا تزوجت امرأة من نسائهم، ولم تزفَ إليه قبل زوجها، قتلها وقتل أهلها وبعلمها، ولا يقدر أحد أن يبتني بامرأة، إلا بعد أن يفتضها الملك ويجامعها، كانت بكرأ أو ثيبأ.

فأخبروا سليمة بصنيع الملك فيهم، وشكوا إليه جوره، وأنهم لا يقدرون عليه، لكثرة حجابيه وحزاسه، فقال سليمة: ماذا لي عليكم إن كفتكموه، وأرحتكم منه؟ فقالوا: أتى لك ذلك، ولم يقدر عليه من كان قبلنا من أهل العز والسلطان؟ فقال: تدبير الأمر عليّ، فماذا لي عليكم؟ قالوا: ما شئت، قال: إذا كان الغد، فليحضر عندي أهل الوفاء والعهد والتقديم منكم.

فلما كان الغد، اجتمع إليه عظماء كرمان وأشرفها أهل الوفاء، فجرى الكلام بينهم، فقال سليمة: إن أمكتموني مما أشرط عليكم، دبّرت الأمر، فقالوا كلهم: لك ما طلبت. فقال: أريدُ أن تصيروا ملكه وسلطانه لي، ولعقبى من بعدي، وعلى أن آخذ جميع غلات كرمان وخراجها، إلى أن أتمكن، وأنتخب من العرب من أردت، وأجعلهم معي، وعلى أن تزوجوني من كرائم نسائكم. فأعطوه ذلك، وضربوا على يده، وقالوا: لك الوفاء بجميع ما طلبت وشرطت. وبايعوه على قتل الملك، وأعطوه العهود والمواثيق على الوفاء، وكنتموا أمرهم. وكان فيهم من بيت الملك، وهم قوامه ونظام (٤١) ملكه، ولكن كثر عليهم ظلمه، فكرهوه، ورأوا قتله راحة لهم.

انظروا أيها السامعون في عاقبة الظلم والجور، أذاه إلى أن تقتله أقرباؤه، ولو عدل لأحبه البعداء والأذنياء، وتمنّوا له طول العمر والنصر على الأعداء.

فلما فرغوا من البيعة، وزوجوه من كرائم نسائهم، وكل هذا لم يعلم الملك منه شيء، وأشهروا التزويج لرجل من أهل كرمان، لثلا يعلم الملك بشيء، فلما فرغوا من أمر التزويج، عاهدهم سليمة على ليلة معلومة، ليزفوه



إلى الملك، وقال: اشهروا أمر التزويج، ليتهيأ له الملك، وليتأهب لمباشرة العرس.

فلما كانت تلك الليلة، أشهروا الزفة، وعمدوا إلى سليمة، فألبسوه الحلل الفاخرة، والحلي السنّي، وضمخوه بالأطياب، وكان شاباً حسناً جميلاً، وكان قد شحذ سكيناً، وجعلها في سراويله، وزفوه في الخدم والحشم، حتى انتهوا به إلى الحصن، ففتحت لهم الأبواب، ودخلوا به، فنظر إليه الملك في ضوء المشاميع، وهو في تلك الهيئة الحسنة الجميلة، هاله منظره، وسلب له وعقله، فأوماً إلى النساء والخدم لينصرفوا، فانصرفوا، فأغلق الأبواب، وأرعى الستور، وبقي هو وسليمة في غرفة واحدة، فأهوى إليه يقبله ويضمه إلى صدره، فاسترخى سليمة، وجعل يلاعبه ويداعبه، كما تفعل الجارية، حتى تمكن منه، فأخرج السكين، وضربه في خاصرته، وقتله، ولبس سليمة درع الملك، وتقلد السيف، وجعل على رأسه البيضة، وبات متأباً، ولم يعلم أحد بما صنع بالملك، وبات الذين بايعوه في خوف عظيم، لا يدرون ما يكون من أمر سليمة والملك.

فلما طلع الفجر، وثب سليمة إلى الأبواب، ففتحتها، وخرج على الحراس وخاصة الملك وحجابه، فوضع فيهم السيف، حتى أباد عامتهم، والباب العامد مغلق لم يفتحه، ووقع الضجيج في الحصن، وعلت الأصوات، فأقبل أهل البيعة وغيرهم من أهل البلد بالسلاح التام، فأشرف عليهم سليمة من أعلى الحصن، وعليه الدرع والبيضة، ويده سيف الملك، يقطر دماً، ورمى إليهم برأس الملك وجثته، فلما نظروا إليه، هالهم ما رأوا من أمر سليمة وجراته، وسُرَّ بذلك كثير من أهل البلد، وخاف من لم يسره ذلك، ولم يقدر (أن)^(١) يظهر حرباً ولا كلاماً، واستقام (٤٢) الأمر لسليمة بأرض كرمان، وسلّمت له جميع رعاياها طوعاً وكرهاً، ورغبة وهيبة.

(١) إضافة يقتضيها السياق.

ثم جعلوا في رجل الملك حبلاً، وأمروا الصبيان يسحبونه، ويطوفون به في شوارع البلد وسككها.

ولما استقر الأمر لسلمية، أهدوا إليه عرسه، فابتنى بها، وتمهد له الأمر، واستولى على كرمان وثورها ونواحيها، وأطاعوه، ومكنوه من أنفسهم وأموالهم، وأعانوه في جميع أموره، فلم يزل كذلك، حتى حسدوه، وبغوا عليه، وقالوا: إلى متى يملكنا هذا العربي، ونحن أولو القوّة والمنعة؟ وجعلوا يتعرضون له في أطراف ملكه.

فكتب سليمة إلى أخيه هناة بن مالك بعُمان، يستصرخه، ويطلب منه المعونة والمدد من فرسان الأزدي ورجالهم، يشدّ بهم عضده، ويقيم بهم أود من اعوجّ عليه من أهل مملكته، فأمدّه بثلاثة آلاف من فرسان الأزدي وشجعانهم، وحملهم في المراكب، حتى أوصلهم أرض كرمان، فتحصنوا عند سليمة، فشدّ بهم عضده، وأقام بهم من تعاوج عليه من العجم.

ولم يزل أمره مستقيماً بأرض كرمان، واشتدّ ملكه، وقوي سلطانه، وولد له عشرة أولاد، كلهم ذكور، وهم: عبد، وحماية، وسعد، ورواحه، ومجاشن، وكلاب، وأسدي، وزاهر، وأسود، وعثمان.

وتوفي سليمة بأرض كرمان، فاختلف رأي أولاده من بعده، ودخل الناس بينهم، فكان سبب زوال ملكهم، ورجوع الملك إلى العجم، فغلبت الفرس عليهم، واستولوا على ملك أبيهم، واضمحلّ أمرهم، ففترقوا بأرض كرمان، وفرقة توجهت إلى عُمان، وجمهور بني سليمة بأرض كرمان، لهم بأس وشدة، وعدد كثير، وبُعمان الأقل منهم.

ثم لم تكن للفرس رجعة إلى عُمان، بعد أن جلاهم مالك عنها، إلى أن انقضى ملكه، وملك أولاده من بعده، وصار ملكها إلى الجلندي بن المستنير



المعولي، وصار ملك فارس إلى بني ساسان، وهم رهط الأكاسرة، فكان الصلح بينهم وبين الجنندي بعمان، فكانوا يجعلون لهم بها أربعة آلاف من الأكاسرة والمرازبة، مع عامل لهم بها مع ملوك الأزد، فكانت الفرس في السواحل وشطوط البحر والأزد ملوكاً في البادية والجبال وأطراف عمان، وكل الأمور منوطة بهم، وكان كل من غضب عليه كسرى أو خافه على نفسه وملكه، أرسله إلى عمان، (٤٣) يحبس به. ولم يزالوا كذلك، إلى أن أظهر الله الإسلام بعمان.

الباب الخامس

في معرفة الرسل
صلوات الله عليهم أجمعين





أول الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، آدم ^(١) ﷺ. ثم ابنه شيث ^(٢)، أنزل الله عليه سبعين صحيفة، وهو نبي ورسول. ثم إدريس ^(٣)، وهو أخنوخ، نبي ورسول، أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وفرض عليه صلاتين، في طرف النهار، غدوة وعشيّة، وفرض عليه الحج إلى الكعبة البيت الحرام، كما فرض على آدم وشيث من قبله.

ثم بعث الله نوحاً ^(٤) ﷺ، واسمه: ساكن بن لمك بن ياجور بن أخنوخ، وهو إدريس ﷺ، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلم يؤمنوا، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون، ابتعثه الله بالدين الذي أمر به ملائكته، وأوحى الله إليه، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، ولا تشرك بي شيئاً، وادع قومك إلى ذلك. ومما فرض الله عليه، برّ الوالدين، وأن يوفوا بالعهد، وأن

(١) انظر قصة آدم كاملة في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ١٢ - ٢٦.
 (٢) شيث بن آدم: عندما بلغ شيث مبلغ الرجال، أوحى الله تعالى إلى آدم أن يأخذ من شيث العهد والمواثيق، فبرز حتى صار إلى موضع خالٍ من الأرض، فجعل يوصي شيث بتقوى الله، ويحذره نعم الله. فلما فرغ من وصيته، أوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل والملائكة أن اهبطوا إلى شيث وآدم، وخذوا على شيث العهد والميثاق، واكتبوا عليه كتاباً، وكونوا من الشاهدين. انظر: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٧.

(٣) إدريس: وهو أول من بعث بعد آدم ﷺ، وهو جد نوح ﷺ، وكان أشدّ الناس عبادة، بعثه الله على قومه، وكانوا من السحرة، وأول من لعن الآباء والأمهات، وقطعوا الأرحام، وأطاعوا الشيطان، فدعاهم إدريس إلى طاعة الله، وفرض الله تعالى عليه صلاتين طرفي النهار: غدوة وعشيّة، وفرض عليه الحج إلى الكعبة البيت الحرام، وفرض عليه الأحكام والحدود، وترك السحر، فلما دعا قومه إلى ذلك أبوا، وهموا بقتله، فرفعه الله إليه، وأسكنه الجنة. انظر: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٩ - ٣٠.

(٤) انظر قصة النبي نوح في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٣١ - ٣٧.

لا يقربوا الزنى، وأن لا يأكلوا مال اليتامى ظلماً، وكان نوح يتلو الكتاب من الصدر الأول في صلاته، وفرض عليه كل يوم ثلاث صلوات: أول النهار، ووسطه، وآخره، وكان لا يصلي جماعة، وكان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فريضة من ربه، فدعا قومه إلى طاعة الله، وما أمر ربه، فكذبوه، وشتموه، وضربوه.

ثم أخذ في عمل السفينة، بعدما أذن الله له في عملها، وأمره أن يحمل الناس في أعلاها، وأن يجعل آدم وحواء بتابوتيها في وسطها، والدواب والوحوش في أسفلها، وحمل فيها من كل زوجين اثنين، مما يلد ويبيض، إلا ما يتولد من الطين كالحشرات، فإنه لم يحمله. فلما استوت السفينة، أوحى الله إليه أن العلامة إذا فار التنور الذي في دارك، فاركب السفينة أنت ومن معك.

فلما فار التنور، ركب نوح في ثمانين امرأة وثمانين رجلاً، وحمل فيها من كل زوجين اثنين، والذين سبق عليهم القول (٤٤) من أهله امرأته وولده، فلم يركبا في السفينة، وفتح الله أبواب السماء بماء منهمر، وفجر الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قدر، وارتفع الماء فوق أعلى جبل في الأرض أربعين ذراعاً. وركب نوح لعشر خلون من رجب، ونزل لعشر خلون من المحرم، تمام ستة أشهر.

وكانت تجري بهم في موج كالجبال، فإذا أتت الحرم، طافت بمكان البيت سبعة أشواط، ورفع البيت عن الغرق، وقيل: كانت الكعبة من درة من جوهر الجنة، وبقي منه الحجر الأسود في جبل أبي قبيس^(١). ثم سارت السفينة حتى

(١) جبل أبي قبيس: اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان، ومكة، بينما، سمي باسم رجل من مذحج، كان يكنى أبا قبيس، لأنه أول من بنى فيه قبة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٨٠.



انتهت (إلى)^(١) جبل الجودي^(٢) بأرض الموصل، وقيل: إنه بالصين، ورفع يومئذ ثمانين فرسخاً، والله أعلم.

وأتى الماء على جميع الدنيا، ففرق كل من عليها من الخلق، فلما نشفت الأرض، نزل نوح بمن معه بأرض بابل، فموضعهم يسمى سوق ثمانين، ولم تكن للذين ركبوا مع نوح ذرية، والناس كلهم من أولاد نوح الثلاثة، وهم سام، وحام، ويافث: فالزنج، والسند، والهند، والنوبة، والحبشة، والبربر، من أولاد حام والعرب، والفرس، والروم، من أولاد سام. وياجوج وماجوج والترك والصقالب من أولاد يافث.

ووصى نوح أولاده بطاعة الله، وأن يؤمنوا بالله والرسول من قبلهم. واستخلف نوح ولده سام، وكان أفضل أولاده، ومنه كانت الأنبياء، صلوات الله عليهم، والأولياء، والملوك، وخيار الناس، وكان سام يصلي في كل يوم ثلاثين ركعة، وكان يصوم عاشوراء، وهو اليوم الذي استوت فيه السفينة على الجودي، وخرج سام مع أبيه، وعلمه المناسك، وكان يقول في تليته: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك لبيك، وقيل: نزلت عليه صحف.

ولم تزل الناس على طريقة واحدة، ومنهاج واحد، إلى أن مات سام، فتبليت الألسن، وتكلم كل ناسٍ بلغة، وتكلم أبو عاد بالعربية، فهم العرب العاربة.

(١) إضافة يقتضيتها السياق.

(٢) جبل الجودي: جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح ﷺ لما نضب الماء. ومسجد نوح ﷺ موجود بالجودي. انظر: الحموي، ياقوت ابن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧٩.

ثم أرسل الله هوداً^(١) إلى عاد، وهو هود بن عابر بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، فدعا إلى ما دعا إليه من قبله، فكذبوه، فحبس الله عنهم الغيث، (٤٥) وأخذهم بالسنين، ونالهم الضرُّ، فبعثوا ثلاثة رجال منهم إلى الحرم، ليستسقوا لهم، وهم: قيل بن عاد، والتيم بن هزال، ومرثد بن سعيد. وقيل بعثوا أربعة: قيل، وشداد، ولقمان، ولقيم، فساروا إلى الحرم، فاستقوا، فلم يسقوا، وأرسل الله عليهم الريح العقيم، في يوم نحسٍ مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، سخَّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، فترى القوم فيها صرعى، كأنهم أعجاز نخل خاوية.

فبقيت منهم بقية كانوا عنهم بمنزح، وهم ثمود^(٢) فأرسل الله عليهم صالح^(٣) بن كاین بن راشك بن كاشح بن الأروع بن مهل بن هود عليه السلام، فدعاهم إلى ما دعت الرسل من قبله، وكان يصوم يوم عاشوراء، وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز، وكان لهم عيد يجتمعون فيه، فدعاهم صالح إلى طاعة الله، فسألوه أن يريهم آية، فأخرج لهم من صخرة كانت قريباً منهم ناقة يتبعها فصيلها، لم يَرَ الراؤون أحسن منها، ومن فصيلها، وقد كان شرط عليهم إن مسَّوها بسوء، أخذهم عذاب أليم، وأن لهم شرب يوم، ولها شرب يوم معلوم.

وُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنها إذا كان يوم شربها، تضع شفتيها على الماء،

(١) انظر قصة النبي هود في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٣٧ - ٤٠.

(٢) ثمود: نعدون بن عابر بن إرم، من بني سام بن نوح، رأس قبيلة من العرب العاربة في الجاهلية الأولى. كانت إقامته في بابل، ورحل عنها بعشيرته إلى الحجر (بين المدينة والشام)، ثم انتشروا بين الشام والحجاز، وبقيت آثارهم في الحجر المعروفة بمدائن صالح إلى اليوم. وفيها عجب الآثار، بيوت محفورة في الصخور. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) صالح: انظر قصة النبي صالح في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٤٠ - ٤٤.



فتشرب ماءهم كله، فيخرج منها لبن، فيشبعهم كلهم، فكفروا بنعمة الله، وكان فيهم تسعة رهط يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، فُسّاق، سُراب الخمر، كانوا من أكابره، فعقروا الناقة، وقسموا لحمها في ثمود، وخرجوا يطلبون الفصيل.

وبلغ الخبر إلى صالح، فقال: أدركوا الفصيل، فلعلكم إن أدركتموه لا تعذبون. وخرج صالح معهم، فلما (رأى)^(١) الفصيل صالحاً، نادى: يا صالح، يا أماء، ثلاثة أصوات، فقال صالح لقومه: استعدوا للعذاب. وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء، فأتتهم الصيحة يوم الأحد، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

ثم إن الله تعالى، بمنه ولطفه، بعث خليله ونبيه إبراهيم^(٢)، صلوات الله عليه، في زمن نمروذ بن كنعان^(٣) بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام، وهو من الأربعة الذين ملكوا الأرض، وهم: نمروذ، وشداد^(٤)، وسليمان بن

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٤٣.

(٢) انظر قصة النبي إبراهيم في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٤٥ - ٥١.

(٣) نمروذ بن كنعان: هو نمروذ بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح، وكان في زمانه الكهنة والمنجمون، وقالوا له: سيولد في مملكتك مولود يكون سبب هلاكك وهلاك ملكك على يديه في هذه السنة، وأنه يدعو إلى غير دينك. فأمر بعزل النساء عن الرجال، وكل حيلي ولدت غلاماً أمر بقتله، وكان من قدر الله أن أزر أباً إبراهيم صلوات الله عليه، فد وقع امرأته على طهر منها، فحملت إبراهيم خليل الرحمن، فلما جاءها المخاض خرجت هاربة وخباته في شجرة، وأخبرت والده بمكانه، فأخذه وجعله في سرداب تحت الأرض، وكانت أمه تختلف إليه وترضعه، وهو إبراهيم النبي عليه السلام. وكان هلاك نمروذ على يده. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٤٥.

(٤) شداد: شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن حمير، من قحطان، ملك يمني جاهلي قديم، من ملوك الدولة الحميرية، اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حمير وقحطان، بعد وفاة النعمان بن يعفر، فولّوه الملك في صنعاء، فكان حازماً مغواراً، غزا البلاد إلى أن بلغ أرمينيا، وعاد إلى الشام، فزحف إلى المغرب، بيني المدن ويتخذ المصانع. ولما رجع إلى اليمن مضى إلى مأرب، فبنى فيه قصراً بجانب السد، ولم يكن في الدنيا مثله، ولما مات نقتب له مغارة في جبل شبام ودفن فيها، ومعه جميع أمواله، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٥٨ - ١٥٩. وانظر التفاصيل في: الحميري نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥٤ - ٥٥.

داؤد (٤٦) ﷺ، وذو القرنين، وكان في زمانه الكهنة والمنجمون، وهو إبراهيم بن آزر بن تارح بن ياجور بن شاروع بن فالخ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ﷺ، وقيل: كان مولده بالسوس^(١)، وقيل: ببابل، وقيل بكوثا^(٢)، والله أعلم.

وابتلاه الله بعشر كلمات، فأتمهنَّ، خمس منهن بالرأس، وخمس بالبدن، فاللواتي في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الشعر. واللواتي في البدن: تغليم الأظفار، وتنف الإبطين، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء. وقيل: هنَّ مناسك الحج.

وقيل: ابتلاه الله بالكواكب، والشمس والقمر، فأحسن في ذلك، وعرف ربّه، إنه دائم لا يزول.

وابتلاه بالنار، فصبر، وفضائله وشرفه كثير، لا يحصى. وكفى ما قص الله في كتابه، أنه جعله إماماً للناس، واتخذة خليلاً.

وهو أول من ضاف الضيف، وأطعم الطعام، وسنَّ الحج، وقعد قواعد البيت بعد الغرق، وأول من اختتن، وأول من أوفى بعهده، وأطاع ربّه، في ذبح ولده إلى أن فداه الله بذبح عظيم، وهو أول من شاب، وأول من كسر

(١) السوس: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي ﷺ. قال حمزة: السوس تعريب الشوش ومعناه الحسن والزه والطيب واللطيف. وقال ابن المقفع: أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان هو سور السوس، ولا يعرف من بناه. وقيل: إن أول من بنى كور السوس وحفر نهرها أردشير بن بهمن القديم بن اسفنديار بن كشتاسب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) كوثة: وتعرف باسم كوثة ربي في العراق، وبها مشهد إبراهيم الخليل ﷺ، وبها مولده، وهي من أرض بابل، وبها طرّح إبراهيم ﷺ في النار. فتحت في عهد عمر بن الخطاب، على يد سعد بن أبي وقاص. قال زهير بن جؤنة:

لقينا بكوثة شهريار نقوده عشية كوثة والأسته جائرة

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.



الصليب، وأول من طهر البيت العتيق من الأوثان، وأول من اتخذ المقام، وفضائله لا تحصى.

وفي الخبر، إن البيت انهدم، فبنته العمالقة^(١) من بعد إبراهيم، ثم انهدم، فبنته جرهم ملوك اليمن، ثم انهدم فبنته قريش، في زمن رسول الله ﷺ، ووضع الحجر الأسود في الركن رسول الله ﷺ.

ثم أرسل الله لوطاً، وهو لوط^(٢) بن هارون بن رباح، واسمه بالعربية آزر، فكفى بما قصَّ الله في كتابه من قصته وقومه وهلاكهم، وأنجى الله لوطاً وأهله وجميع مواشيه، إلا امرأته كانت من الغابرين، وهو ابن أخ إبراهيم، ومدائنتهم خمس، أهلك الله أربعاً، وبقيت واحدة.

ثم أرسل الله إسماعيل، وإسحاق^(٣)، ويعقوب^(٤)، ثم يوسف^(٥)، وأيوب^(٦)،

(١) العمالقة: عملاق أو عمليق بن لاوذ بن إرم: جد جاهلي قديم، من العرب العاربة. بنوه العمالقة، وكانوا ببابل، فغلبتهم عليها الفرس، فانتقلوا إلى تهامة بالحجاز، ثم تفرقوا في الحجاز، والبحرين وعمان، والجزيرة، والشام. قال الطبري: كانوا عرباً ولسانهم عربي. وكان منهم ملوك العراق الجزيرة وجابرة الشام (الكنعانيون) وفراعنة مصر. وتكرر في التوراة ذكر قتالهم اليهود، قال يوست: العماليق شعب قوي ذكر أولاً في قصة كدر لعومر، ولا يعرف أصلهم، وعدهم بلعام أول الشعوب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٨.

(٢) انظر قصة النبي لوط في: القلھاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٥١-٥٢.

(٣) إسحاق: وهو أصغر ولد إبراهيم ﷺ، وجعل إبراهيم الوصية إليه، وآمن بكلمة التقوى وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن يتبع ملّة أبيه إبراهيم، فعمل نبي الله إسحاق بما أمره أبوه حتى ولد له يعقوب والعيص. انظر: القلھاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) يعقوب: يعقوب بن إسحاق ﷺ، انظر قصة نبوته في: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٣٧.

(٥) يوسف: يوسف بن يعقوب ﷺ، النبي الذي أعطاه الله الحسن والجمال ما لم يعطه أحداً من ولد آدم، أبغضه أخوته، وكمنوا له العداوة في سبب الرؤيا التي ذكرها الله في محكم كتابه العزيز القرآن. انظر قصة النبي يوسف في: القلھاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٥٥-٥٦.

(٦) أيوب: وهو أيوب بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، كان أعبد الناس في زمانه، وكان من =

ثم أرسل الله موسى وهارون^(١١)، وشعياً^(١٢)، ويونس^(١٣)، (٤٧) ويوشع بن نون^(١٤)، وكلم الله موسى تكليماً، وانزل عليه التوراة، وأرسل داود^(١٥)، وأنزل عليه الزبور، وأرسل سليمان^(١٦)، وملّكه الدنيا جميعها، والجن والأنس، والشياطين،

= أحسن الناس صنعا بمن يمزّه من السائلين، ورث الكرم عن جدّه إبراهيم عليه السلام، وكان يأمر بكلمة التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، ابتلاه الله بالجدي، فغطى جسده كله، ولم يبق له إلا عيناه ينظر بهما إلى السماء ويقول: يارب صبرني على بلائك، وأفرغ علي رحمتك، ومنّ علي بعافيتك. ثم شرب من العين وردّ الله عليه ملكه وأولاده وقصوره. انظر القصة كاملة في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤ - ٥٥.

(١) انظر قصة نبوة موسى وهارون في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٥٦ - ٦٠.

(٢) شعيب: هو النبي شعيب بن نون من ولده الهون بن الهيرة بن الأزدي، بعثه الله إلى قومه، فلما أمرهم بطاعة الله وعبادته، وترك عبادة الأصنام كذبوه وعصوه، فأخذهم عذاب يوم الظلة. ويقال: إنه أصابهم في بيوتهم حرّ شديد، فخرجوا يلتمسون الزوج، فأتاهم كهيئة سحابة، فخرجوا يسعون إليها، فلما أظلمت أخذتهم الصاعقة، فأصبحوا في ديارهم جائعين. انظر قصة النبي شعيب في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٦٠ - ٦١.

(٣) يونس: يونس بن متى النبي عليه السلام، قصته مع الحوت الذي ابتلعه مشهورة، أرسله الله نبياً على بني إسرائيل بعدما خرج من بطن الحوت، وأنذرهم بالعذاب لما عصوه، وعندما أقبلت العيون علموا أن العذاب نازل بهم، فآمنوا. انظر قصة النبي يونس في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٦٩ - ٧٤.

(٤) يوشع بن نون: كان في العهد الذي نزل فيه الوحي على موسى عليه السلام، واستخلفه الله تعالى على قومه من بعده. كان كثير الصلاة، يصلي في اليوم مائة وعشرين ركعة، واشترى سيفاً وقوساً يجاهد في سبيل ربه. وكان يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحثهم على طاعة الله، واتباع رسله، والإيمان بما جاؤوا به من التوحيد. انظر: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٦١ - ٦٢.

(٥) داود: هو داود بن إيشا بن عبيد بن بهش بن فارط بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم. أتاه الله تعالى الملك والنبوة، فقسم الدهر ثلاثة أيام: يوم لقضائه بين الناس، ويوم لخلوته ونسائه، ويوم لعبادة ربه قائم في المحراب. انظر قصة النبي داود في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٦٢ - ٦٥.

(٦) سليمان: سليمان بن داود بن إيشا بن عبيد بن بهش بن فارط بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم، ملّكه داود الملك على بني إسرائيل وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وعليهم ووليهم بعد أبيه وهو ابن أربعين سنة، وفهمه الله منطق الطير، وحشر له الجن والإنس، وسخر له الريح عاصفة، وسخر له الشياطين يغوصون له في البحر يخرجون له اللؤلؤ والمرجان، وأسأل له =



والعقاريت، والطيير، والوحوش، وكل من في الأرض، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء، حيث أصاب. وأرسل زكريا ويحيى^(١)، والياس^(٢)، والعزيز^(٣)، وعيسى ابن مريم^(٤)، وأنزل عليه الإنجيل، وقيل: إن عيسى دعا إلى طاعة الله، وهو ابن ثلاثين سنة، ومدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام، ثم رفعه الله إليه، وأنزل الله عليه المائدة، قيل: إنها: كانت خبزاً وسمكاً، وقد كانوا طلبوا منه ذلك، فدعا الله، كما قال الله في كتابه: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ

= عين القطر، وهي عين النحاس. وأخبار سليمان وأحاديثه كثيرة منها ما جرى له عند بلقيس. ولما عبد غير الله في بيته نزع الله عنه خاتمه وملكه، وأراه الذل والهوان، فكان يخدم كل يوم عند الصيادين بسمكتين إلى أن رُدَّ عليه خاتمه وملكه. انظر: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٦٥-٦٩.

(١) زكريا ويحيى: نبيان من أنبياء بني إسرائيل ﷺ، وقد سمي يحيى بهذا الاسم لأن أباه زكريا أوتي يحيى وهو يومئذ ابن خمس وتسعين سنة، وكانت زوجته في سنه. أخرجه الله حياة للأرض يذكره ويسبحه ويقدمه، من شيخ كبير وامرأة عجوز. كان يحيى يلبس ثياب الصوف والشعر، وساح في الأرض يعبد الله ليلاً ونهاراً، وكان إذا صلى بكى حتى يبكي من سمعه لبيكاته. قتله ملك بني إسرائيل بعدما رفض أن يحلل له الزواج من ابنته ذبحاً في محرابه، وجعل رأسه في طشت، وجاؤوا به إلى الملك والرأس يتكلم ويقول: «إنها لا تحل لك». فهرب والده زكريا ودخل في جوف سدره، فجاءه جند الملك وقتلوه، وحملوا رأسه إلى الملك والرأس يتكلم ويقول أيضاً: لا تحل هذه المرأة لك. انظر تفاصيل قصة زكريا ويحيى ﷺ في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٨٠-٨٦.

(٢) الياس: هو الياس التشبي، ويقال: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن حرون، وقيل الياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران. وقالوا: وكان إرساله إلى أهل بعلبك غربي دمشق، فدعاهم إلى الله ﷻ، وأن يتركوا عبادة صنم لهم يسمونه «بعلا» فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله، فهرب منهم، واختفى عنهم حتى أهلك الله ملكهم، وولي غيره، فأتاه الياس، وعرض عليه الإسلام، فأسلم، وأسلم من قومه خلق عظيم. انظر تفاصيل قصة الياس في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م، ج ١، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) العزيز: عزيز بن جررة، ويقال ابن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزنا بن أسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران، ويقال: عزيز بن سروخا، جاء في بعض الآثار أن قبره في دمشق، كان صالحاً حكيماً. انظر قصة العزيز الكاملة في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧.

(٤) عيسى بن مريم: انظر قصته كاملة في: القلھاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج ٢، ص ٨٦-٩٠.

تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَمَآخِرَنَا وَمَايَةَ مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ • قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُزِيلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ [المائدة: ١١٤، ١١٥] فلما عصوا بعدها أعمهم الله بعقابه، ومسخهم قردة وخنازير.

وفي الخبر أن عيسى قام فيهم، بعدما أنزل الله عليه الإنجيل ستين ونصفاً، وُرُفِعَ وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، وستة أشهر، وعاشت أمه بعده خمس سنين، وولدتها، وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وماتت، ولها من العمر تسع وأربعون سنة، وستة أشهر، والله أعلم. وقيل إن أمه ماتت قبله، والله أعلم.

ومن كلام عيسى ﷺ: يا علماء السوء، جعلتم الدنيا فوق رؤوسكم، والحكمة تحت أقدامكم. يا علماء السوء جلستم على باب الجنة، لا دخلتم، ولا تركتم الناس يدخلون، يا علماء السوء، لا تأخذوا للعلم ثمناً، فإنكم إن فعلتم ذلك شقيتم، تظهرون للناس السكينة، وتلبسون ثياب الصوف، وتفترشون المسوح، وقلوبكم مثل قلوب الذئاب.

ومن كلامه: الدنيا حُلِقَتْ مزرعة، فمن زرع خيراً، حصد في الآخرة خيراً، ومن زرع الشرّ، حصد الشر. (٤٨).

ومن كلامه: النفس نور كل حي، والحكمة نور كل قلب، والتقوى رأس كل حكمة، والحق باب كل قلب، والتقوى رأس كل خير.

ثم أرسل الله سيدنا ونبينا محمد ﷺ، بما أرسل النبيين من قبله، فنسخت شريعته جميع الشرائع، إلى يوم القيامة، وجعله خاتم رسله، وبعثه إلى الخلق كافة، وجعل كتابه معجزاً، لا يمكن الإتيان بمثله، وخصه بخروج الماء من أصابعه، وليفة القدر، ويوم الجمعة، ومنعه من قول الشعر، فلا يتأتى له، وهو أفصح الخلق لساناً، وأعطى (نوابغ) (١) الكلم، وكان يرى من خلفه، كما يرى

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٥٤.



من قدامة، وليست له ظلّة إذا مشى في الشمس، وتؤثر قدمه، إذا مشى في الصخرة الصلدا، ولا تؤثر في الرمل والثرى، ولا يحطّ عليه الذباب، وحُصّ بصلاة العشاء الآخرة، وصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، وصلاة الكسوفين، وصلاة الاستسقاء، وصلاة العيدين، وصلاة الليل، والأذان، والإقامة، وصلاة الوتر، وحُصّ بإباحة الغنيمة، وكان أفرس من ركب الفرس من العالمين، وكان لا يهزم، إذا لقي العدو، وإن كثروا، وأبيح له الوصال في الصوم، وحرم الله نكاح أزواجه على الخلق، وجعلهنّ أمهات المؤمنين، وحُصّ بإسقاط المهر والنكاح بلا ولي، ولا شهود، وحُصّ بهبة المرأة له نفسها، وحرم عليه نكاح الإماء أبدأ، إلا ما يشتري لنفسه، وهو أكثر النبيين أمه، ويشهد لجميع الأنبياء، فلذلك كان خاتمهم، وله الشفاعة، ولواء الحمد، والحوض المورود، ونهر الكوثر، وأول من يدخل الجنة. وقال في خلقه وعظمه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومن شرفه أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه لم يتاده الله في القرآن باسمه تعظيماً، كما نادى الرسل: يا آدم، ويا نوح، ويا إبراهيم، ويا موسى، ويا عيسى. ومن شرفه أن السماوات حرست من الشياطين، ورفعت له الدنيا ومن فيها إلى النفخة.

وأقسم الله على هدايته، فقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتَىٰ * إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤].

وأقسم على رسالته، فقال: ﴿يَسَّ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١ - ٤].

وأقسم (٤٩) عل محبته، فقال: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٣].

وأقسم على براءته من العيوب، فقال: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ • وَمَا لَا تُبْصِرُونَ • إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ • وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٢].

ونهى الله المؤمنين أن يدعوه باسمه، فقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ لِيُنْزِلَ عَلَيْكُمْ كُدُوعًا بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

وقد ناداه الله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١].

ونهى عن رفع الصوت على صوته، بقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

وأقسم الله بحياته، فقال: ﴿لَعَنُوكَ إِنَّمْ لِي سَكْرَتِيهِمْ يَعْهَدُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

ونصره بالرعب من مسيرة شهرين من بين يديه ومن خلفه، وأيده بالملائكة، ونصره بريح الصبا، ورفع ذكره، فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

وقرن اسمه مع اسمه، وأمر أهل السماوات والأرض بالصلاة عليه، وصلى عليه وملائكته، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وشق له اسماً من سمائه، فالله المحمود، والنبى محمد، وسماه الرؤوف الرحيم، وقرن طاعته بطاعته، فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]. فجعل الله الأمر إليه، لطهارته عنده، وأمانته على خلقه، وجعله مغنياً لعباده، فقال: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].



ومن شرفه ما نزل عليه في عتابه، لم يسمع السامعون لأحد من قبله، ولا من بعده، في الأولين وفي الآخرين، بأحسن منه، فبدأه بالعفو، قبل التأنيب في المخاطبة، وقبل أن يعرف الذنب، فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَقِّي يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمِ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

وأُنزل الله فيه: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ومن شرفه، وضع الأغلال والأصار عن العباد، وجعله الله على عباده.

وشرفه كثير، لا يعد ولا يحصى ولا يحصر، ولا يستوعب، ولا يقدر أحد

على إتيان عشر عشر عشره، ولو عمر المجتهد ألوفاً من (٥٠) الأعوام.

وسأشرح، إن شاء الله، بدء أمره إلى آخره، من مولده ﷺ، إلى وفاته،

وأذكر جميع حروبه وغزواته، وبالله أستعين، وعليه أتوكل، وهو حسبي، ونعم الوكيل.

الباب السادس

في ظهور النبي محمد ﷺ





وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. قيل: حملت به أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وولد ليلة الاثنين، لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول، وقيل: كان الطالع عشرون درجة من برج الدلو، والمشتري وزحل مقترنين في ثلاث درجات من برج العقرب، وهي درجة وسط السماء، وهي اليوم الثامن من نيسان، عام الفيل، وقيل: لعامين، وقيل: ثلاث وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل: بعد قدوم الفيل بسبعة وخمسين يوماً، لاثنتين وثمانين سنة وثمانمائة سنة لذي القرنين، والله أعلم.

وليلة مولده، اهتز إيوان كسرى، وسقطت معه أربع عشرة شرافة، فهال ذلك كسرى، وعزم على كتمانته من وزرائه، فلم تحتمله نفسه، وضاق به صدره، فلما أصبح الصباح، أخذ بزّته ولباسه، وقعد تحت تاجه، وأرسل إلى وزرائه وأهل مملكته، فلما حضروا عنده، قال: أخبروني، لماذا أرسلت إليكم؟ قالوا: لتسألنا عن شيء، فإن كان عندنا منه علم أخبرناك. فقصّ عليهم خبر الإيوان، وكان في وزرائه رجل، يقال له الموبدان، فقال: أصلح الله الملك، وأنا رأيت رؤيا أهالتي، وأفلقتني، فقال الملك: هات رؤياك، قال: رأيت إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً، حتى انتشرت في دجلة وبلادها، فقال الملك: أي

شيء يكون ذلك؟ قال الموبذان: لا أدري، غير أن حدثاً يكون في ناحية المغرب. (٥١)

فبينما هم في ذلك يتحاورون، إذا أقبل عليهم راكب بخمود نار فارس، وكانت قبل ذلك لم تخمد ألف عام، فهاله ذلك أكثر مما رأى من الإيوان، ورؤيا الموبذان، (وبينما)^(١) هم في ذلك إذا أتاهم آتٍ بغور بحيرة ساوة^(٢)، وفاض وادي السماوة^(٣)، فاشتد جزعه، واستشار وزراءه وأصحابه، فقال بعضهم: إن في ناحية العرب علماء الكهنة، فلو بعثت إلى عاملك النعمان بن المنذر، فيبعث إليك بأعلم من فيهم، فأرسل إليه أن ابعث إليَّ بأعلم من في بلادك، فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن ثعلبة الغساني^(٤)، وقد أتى عليه نيف على ثلاثمائة سنة، وكان على دين النصرانية، فلما قدم إلى كسرى، قال له: أخبرني لِمَ بعثت إليك؟ قال: لتسألني، فإن يك عندي شيء، وإلا أتيت

(١) إضافة يقتضيه السياق.

(٢) بحيرة ساوة: ساوة مدينة حسنة بين الري وهمذان، وفي حديث سطيح في أعلام النبوة: وخدمت نار فارس، وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، فليست الشام لسطيح شاماً... وقد ذكرها أبو عبدالله محمد بن خليفة السنسي شاعر سيف الدولة بن يزيد فقال:

ولم تدرِ ما أعلام مرو وساوة ولم تمس في جيحون تلمس العبرا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٩.

(٣) وادي السماوة: السماوة ماء بالبادية، سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها، كانت أم النعمان سميت بها، فكان اسمها ماء، فسمتها العرب ماء السماء. وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام مسماة بهذا الماء. قال جرير:

صَبَّحْتُ عُمانَ الخيل رهواً كأنها قطأ هاج من فوق السماوة ناهل

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٤) عبد المسيح: عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقبيلة الغساني: معمر من الدهاة، من أهل الحيرة (في العراق) له شعر وأخبار. يقال: إنه باني قصر الحيرة، عاش زمناً طويلاً في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وظل على النصرانية. واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة. وفي أمالي المرتضى خسر عن رجل من أهل الحيرة كان يحضر أساساً لبناء، فظهر له قبر عبد المسيح بن بقبيلة وعند رأسه أبيات من شعره. وهو ابن أخت سطيح الكاهن. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ١٥٣.



رجلاً من بني عمي بمشارك الشام، فيخبرني عن سؤال الملك من غير أن أسأله.

فأخبره بايوان الملك، ورؤيا الموبدان، وخمود نار فارس، وغور البحيرة، وإفاضة الوادي، فقال عبد المسيح: ليس عندي في هذا شيء، ولكن أنظرنني حتى أقدم إلى الشام، وآتيكم بعلم ذلك، فمضى عبد المسيح، فتوجه إلى الشام، حتى قدمها، وقد أشرف في طريقه على الموت بالعطش، فلما قدم على سطيح^(١)، وقف بين يديه، فلم يجبه سطيح جواباً، ولم يرفع إليه رأسه، فلما استبطأه عبد المسيح، أنشأ يرجز ويقول شعراً:

أصمُّ أم يسمُعُ غطريفُ اليمن	أم فلزفان لم ينشأ والعنن
يا فاصل الخطة أعيث منَّ ومَن	أتاك شيخُ الجنِّ من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حَجَن	أبيض ففصفاض الديدن والبدن
رسول قبيل المُعجم سري للوسن	يجوب في الأرض علنداة شرن
ترفعني وجن تهوي بي وجن	حتى أنا عاري الحافي والفظن ^(٢)

فلما أتم أرجوزته، رفع إليه سطيح رأسه، فقال: «عبد المسيح على جمل مشيخ، أتى إلى سطيح، وقد أشفى إلى الضريح، بعثك ملك بني ساسان

(١) سطيح: سطيح الكاهن، هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذئب، من بني مازن، من الأزد: كاهن جاهلي غساني. من المعمرين، يعرف بسطيح. كان العرب يحتكمون إليه، ويرضون بقضائه، حتى إن عبد المطلب بن هاشم على جلاله وقدره ومقامه - رضي به حكماً بينه وبين جماعة من قيس عيلان في خلاف على ماء الطائف، كانوا يقولون: إنه لهم. وكان يضرب المثل بجودة رأيه. وقال الفيروزآبادي: سطيح، كاهن بني ذئب، ما كان فيه عظم سوى رأسه. وزاد الزبيدي: كان أبداً منبسطاً منسطقاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال: كان يطوي كما تطوى الحصيرة، ويتكلم بكل أعجوبة. وهو من أهل الجابية، من مشارف الشام. مات فيها بعد مولد النبي ﷺ بقليل. وكان الناس يأتونه فيقولون: جتناك بأمر؟ فما هو؟ فيجيبهم على ما في أنفسهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٤.

(٢) انظر الآيات في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٦٩. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

لارتكاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إيلاً صعباً، تقود (٥٢) خيلاً عواباً، حتى انتشرت بدجلة وبلادها.

فقال عبد المسيح: أي شيء يكون ذلك؟ فقال سطيح: إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة^(١)، وفاض وادي السماوة، وغارت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح بشام، يملك (منهم)^(٢) ملوك وملكات، على عدد الشُرُفات، وكل ما هو آت آت.

وذكر الجاحظ^(٣) أن سطيحاً قضى مكانه. ثم إن عبد المسيح، رجع إلى كسرى، فلما كان ببعض الطريق، أنشأ يقول:

شَمَّرَ فَإِنَّكَ مَاضِي الِهْمِ تَشْمِيرُ	لا يَفِرُ عَنكَ إِدْلاجٌ وَتَهْجِيرُ
إِنَّ يُمَسِّسَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمُ	فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوارُ دَهَارِيرُ
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتَهُ	وَالهَرْمِزَانَ وَسَابورَ وَسَابورُ
فَرُبَّمَا رَبِّمًا أَضْحُوا بِمَنْزِلَةٍ	تَخَافُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المِهاصِيرُ
وَالنَّاسَ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا	أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ
وَهُمْ بَنُو الأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَباً	فَذاكَ بِالغَيْبِ مَحْظُوظٌ وَمَنْصُورُ
وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونانِ فِي قَرْنٍ	فَالخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ ^(٤)

(١) صاحب الهراوة: هو النبي الأكرم محمد بن عبدالله ﷺ.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٤٩.

(٣) الجاحظ: (١٦٣ - ٢٥٥هـ / ٧٨٠ - ٨٦٩م): عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي،

أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره، وكان مشوّه الخلق. ومات والكتاب على صدره. قتله مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة. منها «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«سحر البيان» و«التبصر والتجارة». انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٧٠ - ٤٧٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٧٤.

(٤) انظر الأبيات في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٦٩، مع اختلاف في كثير من الألفاظ.



فلما وصل إلى كسرى، أخبره بما قال سطيح، فقال: إلى أن تملك منا أربعة عشر، تكون أمور عظام.

ثم إن النبي ﷺ، أخذته حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية^(١)، لأن نساء قريش كن لا يرضعن أولادهن، وعندها سُقَّ صدره، وملئ حكمة وإيماناً، بعد أن استخرج حظ الشيطان منه. وأرضعته أيضاً قريية الأسلمية^(٢)، جارية أبي لهب^(٣)، وحضنته أم أيمن بركة الحبشية^(٤)، كان ورثها من أبيه، فلما كبر أعتقها، وزوجها زيد بن حارثة.

(١) حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية: حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجعة بن جابر السعدي البكري الهوازني: من أمهات النبي ﷺ في الرضاع. كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية، وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لإرضاع الأطفال، ويفضّلن من يكون أبوه حياً ليتزّه، إلا أن محمداً كان يتيماً، مات أبوه عبد الله، فتسلمته حليلة من أمه أمة، ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها، ثم في المدينة، وعادت به إلى أمه. وماتت آمنة وعمره ست سنين، فكفله جدّه عبد المطلب. وقدمت حليلة إلى مكة بعد أن تزوج رسول الله ﷺ بخديجة، وشكت إليه الجذب، فكلم خديجة بشأنها، فأعطاها أربعين شاة. وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلمما. وجاءت إلى النبي يوم حنين، وهو على الجعرانة، فقام إليها وبسط لها رداءه، فجلست عليه، ولها رواية عن النبي ﷺ، وروى عنها عبد الله بن جعفر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ٦٩ - ٧٠. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٧١.

(٢) قريية الأسلمية: والصحيح ثوية، وهي أول مرضعة للنبي ﷺ، كانت جارية أبي لهب. أرضعت النبي بلبن ابنها مسروح، وكانت تدخل على النبي بعد أن تزوج خديجة، فكانت تكرمها. وأعتقها أبو لهب، لثا هاجر النبي إلى المدينة، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وحلّة حتى ماتت بعد فتح خيبر سنة ١٠٧هـ/٦٢٨م. ومات ابنها مسروح قبلها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٠٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ٤٧.

(٣) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، عم الرسول ﷺ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنياً عتياً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره، وحرص عليهم وقتلهم وفيه الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ • مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ وكان أحمر الوجه، مشرقاً، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام، ولم يشهد بها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٢.

(٤) بركة الحبشية: هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، وهي أم أيمن، غلبت عليها كنيته، كنيت بابنها أيمن بن عبيد، وهي أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بن حارثة بن عبيد الحبشي، فولدت له أسامة، يقال لها مولاة رسول الله ﷺ، وخادم رسول الله. هاجرت إلى الحبشة، وإلى المدينة، تعرف بأبى الظباء، انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ٣٦.

وتوفي أبوه، وهو في بطن أمه له شهران، وقيل: سبعة، وقيل: مات أبوه وهو ابن ثمانية وعشرين شهراً.

وماتت أمه، وهو ابن أربع سنين. وقيل: ابن ست سنين. وكفله جدّه عبدالمطلب، ولما بلغ ثمانين سنين، وشهرين وعشرة أيام، توفي جدّه عبدالمطلب، فوليه عمه أبو طالب.

ولما بلغ اثنتي عشرة سنة، وشهرين وعشرة أيام، خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، فلما بلغ بصرى^(١)، رآه بحيرا الراهب^(٢)، فعرفه بصفته، فجاءه، فأخذ يديه، وقال: هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين.

وخرج ثانية إلى الشام، في صحبة ميسرة^(٣)، غلام خديجة بنت خويلد^(٤)،

(١) بصرى: مدينة بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، فتحت سنة ١٣ هـ. ذكرها كثير من الشعراء في أشعارهم. قال الأعرابي:
أيا رفقة من آل بصرى تحملوا رسالتنا لُقيت من رفقة رشدا
وقال الصمة بن عبد الله القشيري:

نظرت وطرف العين يتبع الهوى بشرقي بصرى نظرة المتطاول

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤١.

(٢) بحيرا الراهب: الراهب بحيرا كاهن نصراني من عبد القيس، كان في صومعة له في بصرى الشام، وكان إليه علم أهل النصرانية، تعرف على شارات النبوة عندما لقي الرسول ﷺ وهو في طريقه إلى الشام مع عمه أبي طالب. وقال له: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرف ليبيغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده. ويقال أيضاً: إن بحيرا من أحبار يهود تيماء وكان اسمه جرجيس أو جرس. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري: السيرة النبوية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٦، ج ١، ص ١٩١ - ١٩٤.

(٣) ميسرة: ميسرة أبو طيبة الحنظلي، روى يزيد بن مفضل بن ميسرة عن أبيه مفضل، عن أبيه ميسرة حنظلي عن النبي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «سنة يعذبون يوم القيامة: الأمراء بالجور، والعرب بالعصية، والعلماء بالحسد، والدهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهل». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٤) خديجة بنت خويلد: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قریش، زوجة رسول الله ﷺ الأولى، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة، ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، ومات أبوها يوم الفجار، وتزوجت بأبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها. وكانت ذات مال كثير، وتجارة =



(٥٣) في تجارة لها، قبل أن يتزوجها، فلما قدم الشام، نزل تحت ظل شجرة، قريباً من صومعة راهب، فقال الراهب: ما نزل تحت ظل هذه الشجرة إلا نبي، وكان ميسرة يقول: إذا كان الهاجرة، واشتد الحر، نزل ملكان، يظلاله من الشمس، وهو يسير على بعيره.

ولما رجع من سفره ذلك تزوج بخديجة بنت خويلد، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وشهر وعشرة أيام، وروى عنه أنه أصدقها اثنتي عشرة أوقية ذهباً، وهي أول من آمن به ﷺ، وهي يومئذ بنت أربعين سنة.

ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة، شهد بنيان الكعبة، ووضع الحجر الأسود بيده.

= تبعثها إلى الشام، تستأجر الرجال، وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى بحوران، وعاد رابحاً، فدمت له من عرض عليه الزواج بها، فأرسلت عمها عمرو بن أسعد، فحضر، فتزوجها رسول الله قبل النبوة، فولدت له القاسم، والظاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. كانت أول من أسلم من الرجال والنساء. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٨٠ - ٨٦.

فصل في بدء الرسالة

قيل: إن النبي ﷺ، كان يأتيه الوحي في المنام ستة أشهر، ثم قرن معه اسرافيل، ثلاث سنين. فلما بلغ أربعين سنة ويوماً، أتاه جبريل ﷺ، وابتعثه الله بشيراً ونذيراً، وكانت مبدأ النبوة يوم الاثنين، لثمانية ليال خلون من شهر ربيع الأول، وذلك أن النبي كان يخرج بعيداً من الناس، ويقبل بغار في جبل حراء^(١)، فيأتيه جبريل، فيسمع صوته، ولا يراه، فيفزع، ويأتي إلى خديجة، فيخبرها بما يسمع، فتقول: لا تخف، إن ربك يريد بك خيراً.

فبينما رسول الله ﷺ، قاعداً بالغار، إذ سمع صوتاً، قال: فنظرت يمنة ويسرة، فلم أر شيئاً، ثم نظرت إلى فوقي، فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض، يعني الملك الذي ناداه، قال النبي: فرعبت، ثم نزل، فأخذني، وضغطني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، وقال: يا محمد، أبشر، فأنا جبريل، وأنت رسول الله إلى هذه الأمة، ثم أخرج قطعة نمط، فقال لي: إقرأ، فقلت: والله ما قرأت كتاباً قط، وما أرى شيئاً أقرأه، وإني لأُمي، فقال: إقرأ، فقلت: وما أقرأ؟ فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • أَلَمْ يَرَأْ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]، ثم قال لي: انزل، فنزلت، ونزل من قرار الجبل إلى الأرض، فأجلسني على دربوك، وهو البساط، وعليه ثوبان أخضران، (٥٤) ثم ضرب برجله الأرض، فخرجت عين ماء، فتوضأ، وتوضأت كما توضأ، وأول ما علمني الوضوء، ثم قام

(١) جبل حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، ومنهم من يؤثته فلا يعرفه، قال جرير:

ألسنا أكرم الثقليين طراً
وأعظمهم بطن حراء نارا؟

وكان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد الله في غار من هذا الجبل، وفيه أتاه جبريل ﷺ. وقال عزام بن الأصبح: وهو من جبال مكة، شامخ، أرفع من جبل ثبير، ارتقى رسول الله ﷺ ذروته ومعه نفر من أصحابه، فتحرك، فقال له: إسكن يا حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. انظر:

الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.



جبريل وصلى، وصليت معه ركعتين، ثم قال لي: هكذا الصلاة يا محمد، ثم انصرف.

فأتيت خديجة، وقد صنعت لي طعاماً، وأرسلت في طلبي، فلم تجدني، فلما رأته وجدته متغير اللون، كأن في وجهي غباراً، فمسحته، فلم يذهب، فقالت: ما لك يا ابن عبد الله؟ فقلت: رأيتك الذي كنت أخبرتك، أني كنت أسمع صوته، ولا أراه، فقد والله بدا لي اليوم، قالت: وكيف ذلك؟ فقصت عليها ما كان، فقالت: ألم أخبرك أن ربك لن يصنع بك إلا خيراً؟.

فلبست خديجة ثوبها، ثم انطلقت إلى عداس الراهب، وهو عالم من علمائهم، يقال له شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف^(١)، فقال لها: ما لك يا سيدة نساء قريش؟ وكانت تسمى بهذا الاسم في نساء قريش، فقالت: أنشدك الله يا عداس، هل سمعت في ما سمعت بجبريل؟ فقال عداس: ذلك ظاهر ربنا، ما لك تذكرينه بهذا البلد؟ أنبئني، فذكرت له ما ذكر لها النبي ﷺ، فقال: نعم والله، إنه لرسول الله.

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل^(٢)، وهو عمها، وكان ورقة طلب الدين، فخالف دين آبائه، وتنصر قبل أن يبعث النبي ﷺ، فأخبرته بما ذكر النبي لها،

(١) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: من زعماء قريش في الجاهلية. أدرك الإسلام، وقتل على الوثنية. وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَبِينَ﴾ وهم سبعة عشر رجلاً من قريش، اقتسموا عقبات مكة في بدء ظهور الإسلام، وجعلوا ذابهم في موسم الحج أن يصدوا الناس عن النبي ﷺ، ولما كانت وقعة بدر، حضرها شيبة مع مشركهم، ونحر ذبائح لإطعام رجالهم، وقتل فيها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٨١.

(٢) ورقة بن نوفل: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع عن أكل ذبائحها، تنصر وقرأ كتب الأديان، أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. عندما نزل الوحي على الرسول ﷺ، أخذته خديجة إليه، فأخبره الرسول ما رأى، فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزل على موسى». وقد سئل النبي ﷺ عن ورقة فقال: «يبعث يوم القيامة أمة واحدة». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ١١٤ - ١١٥.

فقال: والله لئن كانتا رجلا جبريل استقرتا على الأرض، فقد نزل على خير خلق الله، فأرسلني إلى محمد. فأرسلت إليه، فأتاهما، فسأله ورقة: هل أمرك جبريل بشيء؟ قال: لا والله. قال: هل أمرك أن تدعو أحداً؟ قال: لا، قال ورقة: أما والله لئن بقيت إلى دعوتك لأبليّن الله عذراً في نصرتك. فمات ورقة قبل أن يدعو النبي ﷺ، وفشا أمر النبي ﷺ.



فصل في أول من آمن بالنبي محمد ﷺ

أول من آمن بالنبي محمد ﷺ، خديجة بنت خويلد، ثم أبو بكر الصديق ﷺ، ثم علي بن أبي طالب^(١)، وقيل: إن علياً ولد في الإسلام، ثم زيد بن حارثة^(٢).

وكان أبو بكر رجلاً مهياً نجياً، ذا خلق ومعروف، وكان تاجراً، وكان رجال (٥٥) قومه يأتونه ويألفونه، فكان يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه، ويجلس إليه، فأسلم على يديه الزبير بن العوام^(٣)، وعثمان

(١) علي بن أبي طالب: واسم أبي طالب عبد مناف عبد المطلب بن هاشم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وبويع الخلافة يوم قتل عثمان بن عفان الذي اشتملت الفتنة ضده من لدن معاوية، واستمرت مع علي كرم الله وجهه إلى أن انتهت بموقعة صفين، وعدة من قتل معه في وقعة الجمل ثمانية آلاف، منهم من الأزدي خاصة أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وبقية من سائر الناس. وكان بين وقعة الجمل ووقعة صفين مع معاوية سبعة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، بقي في الخلافة حتى مقتله على يد عبدالرحمن بن ملجم في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ، وهو أول من وضع النحو وسنّ العربية وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم الأدياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ج ٤، ص ١٧٣ - ١٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٨٧ - ١١٧.

(٢) زيد بن حارثة: زيد بن شراحيل (أو شرجيل) الكلبي: صحابي اختطف في الجاهلية صغيراً، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها، فبناه النبي قبل الإسلام، وأعتقه وزوجه بنت عمته، واستمر الناس يسمونه «زيد بن محمد» حتى نزلت آية ﴿أَدْرُوهُمْ لِكِبَائِهِمْ﴾ وهو من أقدم الصحابة إسلاماً، وكان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمره عليها، وكان يحبه ويقدمه. جعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها سنة ٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٥٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٥٠ - ٣٥٣.

(٣) الزبير بن العوام: الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبدالله الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سلّ سيفه في الإسلام، وهو ابن عمّة النبي ﷺ، أسلم وله ١٢ سنة. وشهد بدرأً وأحدأً وغيرهما. وكان على بعض الكراديس في اليرموك. وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب. قالوا: كان في صدر ابن العوام أمثال العيون من الطعن والرمي، وجعله عمر في من يصلح للخلافة بعده. وكان موسراً، كثير المتاجر، خلف أملاكاً بيعت بنحو أربعين مليون درهم، وكان طويلاً جداً، إذا ركب تخط رجلاه الأرض. قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي السباع (على بعد ٧ =

ابن عفان^(١)، وطلحة بن عبيد الله^(٢)، وسعد بن أبي وقاص^(٣)، وعبد الرحمن

= فراسخ من البصرة) وكان خفيف اللحية، أسمر اللون، كثير الشعر، له ٣٨ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٠٧ - ٣١١. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٤٣.

(١) عثمان بن عفان: (٤٧ ق.هـ - ٣٥هـ/ ٥٧٧ - ٦٥٦ م): بن أبي العاص بن أمية، من قريش، أمير المؤمنين ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، كان غنياً شريفاً في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الإسلام قام بتجهيز جيش العسرة بماله، صارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ، افتتحت في أيامه أرمينيا وخراسان وكرمان، وسجستان وإفريقيا، وقبرص، وأتم جمع القرآن. كان أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة وأمر بالأذان الأول يوم الجمعة، واتخذ الشرطة، نعم عليه الناس اختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والأعمال، فجاءته الوفود من الكوفة والبصرة ومصر، وطلبوا منه عزل أقرابه فامتنع، فحاصروه في داره يراودونه أن يخلع نفسه، فلم يفعل، فحاصروه أربعين يوماً، وتسور عليه بعضهم الجدار، فقتلوه صبيحة عيد الأضحى في بيته في المدينة سنة ٣٥هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢١٠. وابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٧٨ - ٥٨٥.

(٢) طلحة بن عبيد الله: طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد صحابي شجاع من الأجداد. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. كان من دهاة قريش، وكان يقال له ولأبي بكر: «القرنان». ويقال له: «طلحة الجوده» أو «طلحة الخير» و«طلحة الفياض». شهد أحدًا، وشهد الخندق وسائر المشاهد. وكانت له تجارة وافرّة مع العراق. قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة ودفن بالبصرة سنة ٣٦هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٢٤. و انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٨٤ - ٨٨.

(٣) سعد بن أبي وقاص: هو سعد بن مالك، يكنى أبا إسحاق، وأمّه همنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس. أسلم بعد سنة، وقيل: بعد أربع، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأبلى يوم أحد بلاءً عظيمًا، وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، واستعمل عمر بن الخطاب سعدًا على الجيوش التي سيرها لقتال الفرس، وكان أمير الجيش الذي هزم الفرس في القادسية، وهو الذي فتح المدائن بالعراق، وهو الذي بنى الكوفة، وولي العراق، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة، توفي سعد سنة خمس وخمسين هجرية بالعقيق على بعد سبعة أميال من المدينة، فحمل على أعناق الرجال إلى المدينة، ودفن في البقيع. وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة. انظر: أبو الحسن علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٥٥ - ٤٥٦. وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: تهذيب التهذيب، ج١، ص٦٩٨ - ٦٩٩.



ابن عوف^(١)، ثم جاء بعثمان بن مظعون^(٢)، وأبي عبيدة عامر بن الجراح^(٣)،
وأبي سلمة بن عبد الأسود^(٤)، والأرقم بن أبي الأرقم^(٥).

(١) عبد الرحمن بن عوف: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد الزهري القرشي: صحابي، من أكابرهم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الإسلام، قيل: هو الثامن. وكان من الأجواد الشجعان العقلاء. اسمه في الجاهلية «عبد الكعبة» أو «أبو عمرو» وسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين. وأسلم، وشهد بدرأً وأحدأً والمشاهد كلها. وجرح يوم أحد ٢١ جراحاً. كان يحترف التجارة والبيع والشراء، فاجتمعت له ثروة كبيرة. وتصدق يوماً بقافلة فيها سبعمائة راحلة تحمل الحنطة والدقيق والطعام. ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسین ألف دينار في سبيل الله. كانت وفاته في المدينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٣٢١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٤٧٥ - ٤٨٠.

(٢) عثمان بن مظعون: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب: صحابي كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحزم الخمر. وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين. وأراد التبتل والسياحة في الأرض زهداً بالحياة، فمنعه رسول الله، فاتخذ بيتاً يتعبد فيه، فأتاه النبي ﷺ، فأخذ بعضادتي البيت، وقال: يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية (مرتين أو ثلاثاً) وإن خير الدين عند الله الحنفية السمحة. وشهد بدرأً. ولما مات جاءه النبي ﷺ وقبلة ميتاً، حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢١٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٨٩ - ٥٩٢.

(٣) أبو عبيدة عامر بن الجراح: عامر بن عبد الله الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال ابن عساکر: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة. وكان لقبه أمين الأمة. ولد بمكة. وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها. وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، بعد خالد بن الوليد، فتم له فتح الديار الشامية، وبلغ الفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالاً، توفي بطاعون عمواس، ودفن في غور بيسان، وانقرض عقبه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٥٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٢٥ - ١٢٨.

(٤) أبو سلمى بن عبد الأسد: والصحیح أبو سلمة بن عبد الأسد هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. اسمه عبد الله بن عبد الأسد، وأمه بريرة بنت عبد المطلب، فهو ابن عمّة النبي ﷺ. كان قديم الإسلام، أسلم مع أبي عبيدة بن الحارث، وعثمان بن مظعون، والأرقم بن الأرقم. وهاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته أم سلمة، ثم عاد وهاجر إلى المدينة. وشهد بدرأً وجرحاً بأحد جرحاً أندمل ثم انتفض، فمات منه في جمادى الآخر سنة ثلاث من الهجرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٦، ص ١٥٢. وانظر أيضاً: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٩٥ - ٢٩٧.

(٥) الأرقم بن الأرقم: الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، أبو عبد الله: صحابي، رفيع الشأن، لم =

فلما أسلموا، وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً، جعل أبو بكر يلحُّ على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: يا أبا بكر، إننا قليلون. فلم يزل به حتى أظهر أمره ﷺ، وفرَّق المسلمين في نواحي المسجد، وقام أبو بكر خطيباً، ورسول الله جالس، فكان أبو بكر أول خطيب في الإسلام، دعا إلى الله ورسوله، فثار المشركون على أبي بكر والمسلمين، يضربونهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، وأخذ الفاسق عتبة بن ربيعة^(١)، يضرب أبا بكر ﷺ، بنعلين مخصوفتين، فأثر في وجهه ﷺ، وجاءت بنو تميم لأمه أم الخير^(٢)، وقالوا: (أطعميه)^(٣) واسقيه، فلما دخلت وألّحت عليه، جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما لي علم بصاحبك، قال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب^(٤)، فاسأليها عنه، ففعلت، فجاءت إلى أبي بكر، فقالت: إنِّي أظنُّ

= يسبقه إلى الإسلام غير ستة من الصحابة. كانت داره بمكة، عند الصفا، تسمى «دار الإسلام» وفيها كان رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، ومن أسلم فيها عمر بن الخطاب، وشهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله. ونفله النبي ﷺ يوم بدر سيفاً، واستعمله على الصدقات. توفي بالمدينة سنة ٥٥هـ، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٢٨٨.

(١) عتبة بن ربيعة: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيباً، نافذ القول. نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب، فإنهما سادا بغير مال. أدرك الإسلام، وطفى، فشهد بدرًا مع المشركين. وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم «بدر» فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والحزمة وعبيدة بن الحارث، وقتلوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٢) أم الخير: أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة القرشية التميمية، واسمها سلمى، وهي أم أبي بكر الصديق، أسلمت قديماً مع ابنها أبي بكر، وتوفيت أم الخير قبل أبي قحافة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٢٦.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٥٢.

(٤) أم جميل بنت الخطاب: هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية، أخت عمر بن الخطاب، وهي امرأة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد العشرة. أسلمت قديماً أول الإسلام مع زوجها سعيد، قبل إسلام أخيها عمر، وكانت سبب إسلام أخيها عمر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٢٢٠.



أن ينتقم الله لك. فقال أبو بكر: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت أم جميل: هذه أمك تسمع، فقال: لا عليك منها، قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. فحلف لا يأكل ولا يشرب، حتى يأتي رسول الله ﷺ.

فلما هدأت الرجال، وسكن الناس، أخرجتاه أم جميل بنت الخطاب، وأم الخير، وهو يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكبَّ عليه وقبله، فرقَّ له رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ليس بي إلا ما نال هذا الفاسق مني، هذه أُمِّي بزت بولدها، فادعها إلى الله، وادع لها الله، فأسلمت، فأقاموا مع رسول الله في الدار شهراً، وكانوا (تسعة)^(١) وثلاثين رجلاً.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٥٣.

فصل: في إسلام حمزة^(١) ﷺ

وكان حمزة أسلم يوم ضُرب أبو بكر ﷺ، وسبب إسلامه أن أبا جهل^(٢)، لعنه الله، مَرَّ برسول الله وهو جالس، على الصفا (٥٦) فأذاهُ وشتمهُ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، وكانت مولاة لعبدالله بن جدعان^(٣)، في مسكن لها، فوق الصفا، تسمع ذلك، فأقبل حمزة متوشحاً قوسه، راجعاً من القنص، فمَرَّ بالمولاة، فقالت: يا أبا عماره، ما لقي ابن أخيك محمد (أباً)^(٤) ما لقي من أبي الحكم بن هشام.

(١) حمزة: حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم، أبو عماره، من قريش: عم النبي ﷺ، وأحد صناديد قريش وساداتهم في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ في مكة. وكان أعز قريش وأشدها شكيمة. ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي ﷺ ونال منه، فقصده الحمزة، فضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزة سيمتعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبي ﷺ إلى المدينة، وحضر موقعة بدر وغيرها. قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله ﷺ كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الأفاعيل. وقتل يوم أحد، فدفنه المسلمون في المدينة، وانقرض عقبه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٧٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٦٧ - ٧٠.

(٢) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. قال صاحب عيون الأخبار: «سؤدت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه، فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام. وكان يقال له (أبو الحكم)، فدعا المسلمون (أبا جهل)». استمر يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه، لا يقتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٧.

(٣) عبدالله بن جدعان: عبدالله بن جدعان التميمي القرشي، أحد الأجداد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة. كانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي، ففرق، وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات اشتهر منها قوله:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

له أخبار كثيرة، أورد الأصفهاني بعضها متفرقة. وسماه يعقوبي بين حكام العرب في الجاهلية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٧٦.

(٤) هكذا وردت في الأصول والصحيح «أنفأ».



فغضب حمزة، فخرج سريعاً، ودخل المسجد، فرأى أبا جهل جالساً مع قومه عند الكعبة، فضربه بقوسه ضربة شجّه بها شجة منكراً، وقال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول كما يقول، فردّ علي ذلك إن استطعت. وتمّ حمزة على إسلامه، فعرفت قريش أنه سيمنعه، فكفّوا عنه بعض ما كانوا ينالونه.

فصل في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قيل: دعا رسول الله ﷺ، فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام، يوم الأربعاء، فأسلم عمر يوم الخميس، وذلك أن قريشاً اجتمعوا، فتشاوروا في أمر النبي، فقالوا: أي رجل ينطلق إلى محمد يقتله، فقال عمر: أنا، فمضى في طلب رسول الله ﷺ، فلقه سعد بن أبي وقاص، فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً، قال: أنت؟ قال: نعم، قال: أنت أصغر من ذلك، فقال عمر: لعلك أصبأت إلى محمد، فأبدأ بك، فأقتلك أولاً، فقال سعد: أتريد قتل محمد؟ أو تدعك بنو عبد مناف أن تمشي على الأرض؟ إعلم أنني قد آمنت بمحمد، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فسلّ عمر سيفه، وكشف سعد عن سيفه، وشدّ كل واحد منهما على صاحبه، حتى كادا أن يختلطا، فقال سعد: ما لك لا تصنع هذا بأختك آمنة^(١)، وزوجها سعيد بن زيد^(٢)، فقال: أهما أسلما؟ قال: نعم.

فتركه، ومضى إلى منزل أخته، فإذا هي وزوجها يقرأون سورة طه، فقال: عمر: ما هذه الهمهمة التي أسمعها؟ فقالت أخته: لا شيء، قال: أخبرت أنكما اتبعتما دين محمد، ويطش بلحية سعيد، وضرب به الأرض، وجلس على صدره، فجاءته أخته لتجرّه عنه، فلطمها لطمه فحجّ وجهها، فقالت: يا عدو الله، أتضربني على أن أوحده الله تعالى؟ والله لقد أسلمنا، ونشهد أن

(١) آمنة: بنت الخطاب. والصحيح فاطمة بنت الخطاب زوجة سعيد بن زيد، وردت ترجمتها سابقاً.

(٢) سعيد بن زيد: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور: صحابي، من خيارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، إلا بدرأ، وكان غائباً في مهمة أرسله بها النبي ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين، وكان من ذوي الرأي والبالغة. وشهد اليرموك، وحضر حصار دمشق. وولاه أبو عبيدة دمشق. مولده بمكة ووفاته بالمدينة سنة ٥١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٩٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٧٦ - ٤٧٨.



لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، على رغم من أنفك، فاصنع ما أنت صانع. (٥٧)

فلما سمع عمر ذلك، قام عنه، وقال: اعرضنا عليّ الصحيفة التي كتبنا تدرسانها، فتمنعت، وقالت: ويحك، فقال: قد وقع في قلبي ما قلبت، فأعطينها، أنظر إليها، وأعطيك الموثيق أن لا أخونك فيها، قالت: فانطلق فاغتسل.

فخرج عمر ليغتسل، فقال زوجها: أتدفعين إليه كتاب الله، وهو كافر: قالت: أرجو أن يهدي الله أخي، فلما جاء عمر، دفعت إليه الصحيفة، فقرأها، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦]. قال عمر: ينبغي لمن هذه صفة أن لا يعبد معه غيره، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]. قال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فكبر زوجها من جوف البيت، ثم خرج، فقال: يا عمر، سبقت فيك دعوة رسول الله ﷺ، بالأمس. فقال عمر: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ. فنهض معه خُباب^(١)، وسعيد^(٢)، حتى أتوا منزل حمزة، فدقوا الباب، فخرج بعض أصحاب الرسول، فنظر من شق الباب، ثم رجع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر، نعوذ بالله من شره، فقال النبي: افتحوا له الباب، فإن جاء بخير، قبلناه، وإن جاء بشر قتلناه. ففتح له الباب،

(١) خباب: هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، أبو يحيى، أو أبو عبد الله، صحابي من السابقين، قيل: أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلام. كان في الجاهلية قيناً يعمل السيوف بمكة، ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه فصبر، إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة، فمات فيها سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، وهو ابن ٧٣ سنة. ولما رجع علي من صفين مزّ بقره، فقال: رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً. روى له البخاري ومسلم ٣٢ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ١٤٧ - ١٥٠.

(٢) سعيد: هو سعيد بن زيد، وردت ترجمته سابقاً.

واستقبله رسول الله ﷺ، في صحن الدار، وأخذ بساعده، وقال: يا عمر، ما جاء بك؟ فلما غمز النبي ساعده، ارتعد عمر، وقال: إني جئتكم مسلماً يا رسول الله، فقال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله، فقالها عمر، فكبر رسول الله ﷺ، وكبر المسلمون، فقال عمر: يا رسول الله، لا ينبغي أن يكتبكم هذا الدين.

وكان النبي يسرُّ أمره ستينين، أو ثلاث سنين، فلما كان من اتبعه أربعين رجلاً، وذلك سنة ست من نبوته نزلت عليه: ﴿ فَأَصْدَعْ يَمًا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

فقام ﷺ على الصفا ونادى بأعلى صوته في أيام الموسم: يا أيها الناس، إني رسول الله رب العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم، قالها ثلاثاً. ثم انطلق، حتى انتهى إلى المروة، فرماه أبو جهل، لعنه الله، بحجر، فشقَّه بين عينيه، واتبعته الناس بالحجارة، فمضى حتى أتى الجبل، فاستند إلى موضع يقال له المتكأ، والناس في (٥٨) طلبه.

وأخبر علي أن محمداً قتل، فانطلق إلى خديجة فأخبرها الخبر، ثم قال: ناوليني شيئاً فيه ماء، وخذي معك شيئاً من الطعام، وانطلقني بنا، نلتمس رسول الله ﷺ، فمضيا، حتى جاوزا الجبل، فقال علي: يا خديجة، استبطني الوادي، وأنا أستظهره، فجعلنا يناديانه.

وهبط جبريل عليه السلام، فبكى رسول الله ﷺ، وقال: ما ترى ما صنع بي قومي؟ كذبوني وطردوني. فأخذ جبريل بيده، وأقعدته على الجبل، ثم أخرج من تحت جناحيه درنوكة من درانيك الجنة، منسوجة بالدر والياقوت، وهو البساط، وبسطه، حتى جلله جبال تهامة، ثم أقعد النبي ﷺ، وقال له: أتريد أن تعلم كرامتك على الله؟ ادع إليك تلك الشجرة تجيبك، فدعاها، فأقبلت إليه،



حتى خزت ساجدة بين يديه، فقال: يا محمد، مرها ترجع، فأمرها، فرجعت إلى مكانها.

وهبط عليه إسماعيل، حارس سماء الدنيا، فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد أمرت أن أطيعك، أفتأمرني أن أنثر عليهم نجوم السماء، فتحرقهم؟

وأقبل ملك الشمس، وقال: إن الله أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن أجمع عليهم الشمس فتحرقهم؟

وأقبل ملك الأرض، فقال: أفتأمرني أن آمر الأرض، فتجعلهم في بطنها؟

وأقبل ملك الجبال، فسلم عليه، وقال: أفتأمرني أن أنسف عليهم الجبال فتحطمهم؟

وأقبل ملك البحار، وقال، بعد التسليم عليه: أفتأمرني أن آمر البحار، فتغرقهم.

فقال النبي ﷺ: قد أمرتم بطاعتي؟ قالوا: نعم، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني لم أبعث عذاباً، وإنما بُعثت رحمة، دعوني وقومي، فإنهم لا يعلمون.

ونظر جبريل إلى خديجة، وهي تجول في الوادي، فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى خديجة؟ وقد بكت لبكائها ملائكة السماء، ادعها إليك، واقراءها مني السلام، وقل لها: إن جبريل يقرؤك السلام، وبشرها بأن لها بيتاً في الجنة من قصب، لا صحب فيه ولا نصب، من لؤلؤ مكلل بالذهب.

فدعاها رسول الله ﷺ، والدماء تسيل من وجهه، وهو يمسخها، ويردها أن تقع على الأرض، ويقول: أخشى أن يغضب رب الأرض (٥٩) على من فيها.

ثم إن رسول الله ﷺ، مَرَّ بسوق ذي المجاز^(١)، وعليه حلّة حمراء، وهو ينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله، وإني رسول الله، تفلحوا. وعمه عبد العزى^(٢)، ينادي: أيها الناس، لا تطيعوه، فإنه كذاب، وقد رمى النبي بالحجارة، حتى أدمي عقباه وكعباه، وأوذني، وسبّ، وشتم، وهو يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده، ويجادلهم بالتي هي أحسن.

وقيل: كانت بنت رسول الله ﷺ، عند عتبة بن أبي لهب، فأراد عتبة السفر إلى الشام، فقال: لأتینَّ محمداً، فأذيه في ربه، فمضى إليه، وقال: يا محمد، إني كافر بالنجم إذا هوى، والذي دنا فتدلى، وتفل في وجه النبي، فقال النبي: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، وكان أبو طالب حاضراً، فوجم لها، فقال: ما أغناك يا ابن أخي عن هذا، ورجع عتبة إلى أبيه، فأخبره بما كان.

ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب، فقال: هذه الأرض مسبعة، فقال أبو لهب: يا معاشر قريش أعينونا هذه الليلة، فإني أخاف دعوة محمد على ولدي، فجمعوا أحمالهم، ونام عتبة فوقها، وأحاطوا به، فجاء الأسد، فجعل يشمّ وجوههم، ثم ضرب بيده وجه عتبة، فخدشه، فصاح عتبة قتلني رب محمد، ومات مكانه. ولحسان بن ثابت^(٣)، شعر في هذا المعنى، يقول:

(١) سوق ذي المجاز: سوق في مكة.

(٢) عبد العزى: أبو لهب بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، عم الرسول ﷺ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، كان أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام، كان غنياً عتياً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره، وحرّض عليهم وقتلهم، وفيه نزلت الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ﴾. كان أحمر الوجه مشرقاً، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات سنة ٢٤هـ/٦٢٤م قبل وقعة بدر بأيام، ولم يشهدا. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ١٢.

(٣) حسان بن ثابت: بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، عمي قبل وفاته، لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً، لعله أصابته، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه. وكان يضرب بلسانه روتة أنفه من طوله. قال أبو عبيدة: «فضل حسان الشعراء الثلاثة». كان شاعر الأنصار =



سائل بني الأشعر إن جتتهم
لا وسّع الله له قبره
رمى رسول الله من بينهم
فاستوجب الدعوة منه بما
أن سلط الله له كلبه
حتى أتاه وسط أصحابه
فالتقم الرأس بيافوخه
ثم علا بعد بأنيابه
وقد كان هذا لكم عبرة
وإن يرجع العام إلى أهله

ما كان من أنباء بني واسع
بل ضيق الله على القاطع
دون قريش رمية القاذع
بين للناظر والسامع
يمشي الهونا مشية الخادع
وقد علته سنة الهاجع
والنحر منه نقرة الجائع
منعفراً وسط دم ناقع (٦٠)
للسيد المتبوع والتابع
فما أكيل السبع بالراجع^(١)

وقيل: اجتمع المشركون إلى أبي طالب، وذكروا له شأن النبي ﷺ، فقالوا: إن ابن أخيك سفة أحلامنا، وسب آلهتنا، وشم آباءنا، وإننا ندفع إليك عمارة بن الوليد بن المغيرة^(٢)، فخذها واتخذها ولداً، وادفع لنا ابن أخيك نقتله،

= الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. كان شديد الهجاء، فحل الشعر. قال المبرز (في الكامل) أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة نسق، كلهم شاعر، منهم سعيد بن عمر عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. توفي بالمدينة سنة ٥٤هـ/٦٧٤م، وله ديوان شعر بقي محفوظاً منه، وقد انقرض عقب حسان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٧٥ - ١٧٦. وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٨٠.

١ - انظر القصيدة كاملة في: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥٠. مع اختلاف في كثير من الألفاظ.

(٢) الوليد بن المغيرة: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له: «العدل» لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو «البيت» جميعها، والوليد يكسو وحده. وكان ممن حزم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. وهو الذي جمع قريشاً وقال: إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسالونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه أحداً مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه، «ساحر لأنه =

فإنه خالف دين آبائك، وفارق قومك، وسفّه أحلامهم، فقال: والله لبئس ما تسومونني، تعطونني ابنكم أغذوه لكم وأربيه، وأعطيكم ولدي تقتلونه، فهذا والله لا يكون أبداً، ثم قال للنبي: فاصدع بأمرك، لن يصلوا إليك بجمعهم، (ولأبي طالب شعر في المعنى)^(١):

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أُغَيَّب في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارٍ مسبة	لوجدتني سمحاً بذاك متيناً ^(٢)

وقد كان أشدّ المشركين عداوة للنبي ﷺ وأعظمهم أذى له، وأكثرهم استهزاءً به خمسة نفر: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل^(٣)، أبو عمرو بن العاص السهمي^(٤)، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن قيس

= يفرق بين المرء وأخيه الزوج وزوجته. وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد خالد بن الوليد. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ١٢٢.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٥٧.

(٢) انظر الأبيات في: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، دار المعارف للطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ج ٨، ص ١١٥. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) العاص بن وائل: العاص أو (العاصي) بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش: أحد الحكام في الجاهلية. كان نديماً لهشام بن المغيرة، وأدرك الإسلام، وظل على الشرك، ويعدّ من المستهزئين ومن الزنادقة الذي ماتوا كفاراً وثنيين، وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار. وقيل في خبر موته: خرج يوماً على راحلته، ومعه أبناء له يتنزه، ونزل في أحد الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض، صاح، فلم يروا شيئاً، وانفضحت رجله حتى صارت مثل عتق البعير، ومات، فقالوا: لدغته الأرض. وكانت أمه من بني «بلي» من قضاة، اسمها «سلمى» وفيه يقول ابن الزبير من أبيات:

أصاب ابن سلمى خلة من صديقه ولولا ابن سلمى لم يكن لك راتق

وهو والد عمرو بن العاص. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٤٧.

(٤) عمرو بن العاص: عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي: أو عبدالله: فاتح مصر، أحد دهاة العرب وأولي الرأي والحزم والمكيدة والفهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة =



المخزومي^(١)، والأسود بن المطلب الأسدي، فأهلكهم الله جميعاً في يوم واحد، بأنواع من العذاب، وذلك أن جبريل عليه السلام، كان واقفاً عند النبي صلى الله عليه وسلم عند المقام، قبل هلاك هؤلاء بيوم، وهؤلاء الرهط يطوفون بالبيت، فكلما مرَّ رجل منهم، قال جبريل: يا محمد، أي رجل هذا؟ قال النبي: بش الرجل هذا، قال جبريل: قد كفيته، حتى مزوا كلهم، وكانوا يستهزئون بكتاب الله ونبيه، فقال جبريل: كيف تراهم يا محمد؟ قال: ما أصحَّ أجسامهم يا جبريل، ما أرى بهم قلبه، قال جبريل: وربك يا محمد، لا يمسين منهم أحد غداً على وجه الأرض.

فأما الوليد بن المغيرة، فإنه مرَّ برجل من خزاعة يرئس نبلاً، فوطئ على شيء منها، فطارت شظية منها برجله، فقطعت منها عرق النساء، فمات.

وأما العاص بن وائل، (٦١) فإنه أصاب بمكة مطر شديد بالليل، فلما أصبح، قال لولده: شد لي على بعيري، حتى أطوف على شعاب مكة فأتزّه، ففعل، فأتى على شعب من شعاب مكة، وأناخ بعيره، فضرته حية في رجله، فانفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعيره، فنادى: قتلني ربُّ محمد، فطلبوا الحية، فلم يقدروا عليها، فانطلقوا به محمولاً على سرير، وهو ينادي: قتلني ربُّ محمد، فمات من يومه.

= الحديبية. وولاه النبي على إمرة جيش «ذات السلاسل» وأمه بأبي بكر وعمر. ثم استعمله على عُمان. ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي فتح قنسرين، وصالح على حلب وإنطاكية ومنبج، وولاه عمر فلسطين ثم مصر ففتحها، وعزله عثمان. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية، فولاه معاوية على مصر سنة ٣٨هـ، وأطلق له خراجها ست سنين، فجمع أموالاً طائلة. توفي بالسقطاط. أخباره كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٧٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٣٢ - ٢٣٥.

(١) الحارث بن قيس المخزومي، والأسود بن المطلب الأسدي: من أشرف قريش، اجتمعوا مع بقية أشرفها: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البحتري بن هشام، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، أبو جهل هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف. وبعثوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فكلّموه، وخاصموه حتى تعذروا فيه، ثم انصرف عنهم حزينة لما رأى مباعدهم إياه. انظر تفاصيل الحادثة في: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣١٥ - ٣١٩.

وأما الحارث بن قيس، فإنه أكل سمكاً مملوحاً في الليل، فأخذه عطش شديد، فجعل يشرب من الماء ولا يروى، وكلما تنفس قال: قتلني ربّ محمد، حتى شرب قربة ماء، فانفتق بطنه، فمات.

وأما الأسود بن عبد يغوث، فإنه انطلق إلى بعض مياه بني كنانة، فجعل يحذرهم النبي ﷺ، وينهاهم عن اتباعه، فقال لهم: إن قلتم إن محمداً ساحر صدقتم، وإن قلتم: إنه مجنون، صدقتم، ومن أخذه، ودفعه إلينا، فله مائة من الإبل. ثم رجع إلى أهله، وقد شوه الله خلقه، وسود جلده، وصار كالحبشي، فلما أتى أهله، أنكروه، ولم يعرفوه، وأغلقوا دونه الباب، فجعل يقول لهم: أنا الأسود بن عبد يغوث. قالوا: كذبت بل أنت لص، اخرج عنا، فلما طرده، جعل يطوف في شعاب مكة، ويقول: قتلني ربّ محمد، فلم يزل كذلك حتى مات.

وأما الأسود بن عبد المطلب، فإنه كان له ابن يتجر إلى الشام، وقد خرج إلى الشام، ووعدته أن يرجع يوم كذا، وقت كذا، وقاس له المراحل، فأبطأ عليه، فقال لغلامه: اخرج بنا إلى الصحراء، نلتقي ولدي، فقد أبطأ علينا، فخرجنا، فقال للغلام: هل ترى شيئاً؟ قال: أرى سواداً، قال: انطلق بنا إليه، فعسى أن يكون ذلك ولدي، فانطلقا إليه، فإذا هي سمرة قد رفعت لهما، وأتى جبريل، فجعل يضرب وجهه بأغصان تلك السمرة، ونادى الأسود: أدركني يا غلام، فإن رب محمد قتلني، فقال الغلام: ما أرى أحداً يضربك. فلم يزل يضربه جبريل، حتى مات.

فأنزل الله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمَسْتَهْزِئِينَ • الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٩٥، ٩٦].

أي يعلمون عقابي في الآخرة، مع عذابي لهم في عاجل الدنيا، وأراح الله نبيّه منهم.



فصل (في الهجرة الأولى إلى الحبشة)

وأخذ المشركون يعذبون من أسلم، ويفتنونهم عن دينهم، فلما كثر عليهم الإيذاء، استأذنوا النبي أن يهاجروا إلى أرض الحبشة عند النجاشي، فأذن لهم، فهاجروا إليها، وكانوا نيفاً وثلاثين رجلاً، وثمانى نسوة، سوى الصبيان الذين خرجوا بهم.

ويروى عن أم سلمة^(١) أنها قالت: لَمَّا قَدِمْنَا الْحَبِشَةَ^(٢)، أَصَبْنَا خَيْرَ دَارٍ، وَجَاوَرْنَا رَجُلًا حَسَنَ الْجَوَارِ، (٦٢) تَعْنِي النَّجَاشِيَّ. فَبَعَثْتُ قُرَيْشَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ^(٣)، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، إِلَى النَّجَاشِيِّ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ رَدَّنَا إِلَيْهِمْ، وَأَهْدُوا إِلَيْهِ مِنْ طَرَفِ بِلَادِهِمْ، وَأَهْدُوا لِلْبَطَارِقَةِ أَيْضًا، وَنَزَلُوا عَنْهُمْ.

ثم دخلوا عند النجاشي، فسجدوا له، وسلّموا عليه، وقالوا: أيها الملك، إن قومنا لك ناصحون، ولسعيتك شاكرون، ولإصلاحك محبون، وإنهم

(١) أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاز الراكب ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، فولدت له عمر وسلمة ودرة وزينب، هاجرت إلى الحبشة، ثم إلى المدينة. تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث بعد وقعة بدر. توفيت سنة ٥٩هـ ودفنت بالقيع. انظر: عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ج٤، ص ١٩٣٦.

(٢) الحبشة: مملكة قديمة في إفريقيا، قبالة جزيرة العرب من جهة البحر الأحمر. لا يعرف زمن ظهورها، ويقال: إنها أسست حوالي عام ١٠٠٠ق.م. وأن الذي أسسها هو الابن الأكبر للملك سليمان من مملكة سبأ. وكانت الحبشة بعاصمتها أكسوم وثنية، ثم اعتنقت المسيحية على يد فرومتيوس، وهو أسقف قبلي أوفده بطريك الاسكندرية في القرن الرابع الميلادي. وإليها هاجر المسلمون الهجرتين الأولى والثانية. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٥٣.

(٣) عبد الله بن أبي ربيعة: عبد الله بن أبي ربيعة، واسمه عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أبو عبد الرحمن المكي والد عمر الشاعر. له صحة. كان اسمه بحير، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وولاه الجند ومخاليفها، فلم يزل عليها حتى قتل عمر، وأقره عثمان، فجاء لينصره، فوقع عن راحته، فمات قرب مكة. انظر: ابن حجر العسقلاني، دار المعارف العظيمة، الهند، حيدر آباد، ١٣٢٦هـ، ج٥، ص ٢٠٨.

بعثونا لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك، لأنهم قوم رجل كذاب، خرج فينا، يزعم أنه رسول، ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء، وقد ابتدعوا ديناً سوى دينك، ودين من مضى من آباءنا، لا نعرفه، وفارقوا أشرافهم، وخيارهم، وأهل رأيهم، وانقطعوا بأمرهم عنهم، ثم خرجوا إليك لتمنعهم من عشائهم، وآبائهم، فادفعهم إلينا، نردّهم على آبائهم وعشائهم.

فالت البطارقة: صدقوا أيها الملك، فارددهم، فهم أعلم بقومهم. وقال له: وآية ذلك أنهم لا يسجدون لك رغبة عنك وعن دينك.

قال النجاشي: لم أكن لأردّ قوماً نزلوا بلادي، وجاؤوا إلي.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فمضى المسلمون إليه، فلما وصلوا، صاح جعفر^(١) بالباب: يستأذن عليك حزب الله، فقال النجاشي: نعم، فليدخلوا بأمان الله وذمته، فقال عمرو لصاحبه: ألا تسمع كيف يرطنون، والرطن: كلام لا يفهم، وساءهما ما أجابهما به النجاشي، ثم دخلوا، ولم يسجدوا، فقال عمرو: ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك؟ فقال النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا

(١) جعفر: جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له «جعفر الطيار» وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هناك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخير سنة ٧هـ. وحضر وقعة مؤتة باللقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية على صدره وصبر حتى وقع شهيداً، وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوضه عن يديه. بنجاحين في الجنة، وقال حسان:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٢٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٥٠ - ٣٥٢.



لي؟ فقالوا: نسجد لله الذي خلقك وملّكك، وإنما كانت تلك التّحية لنا، ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبياً صادقاً، وأمرنا بالتّحية التي رضيها الله لنا، وهي السلام عليكم، تحية أهل الجنة.

فعرّف النّجاشي ذلك حق، وأنه كذلك في التوراة والإنجيل، فقال: أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال: إن هذين يزعمان أنكم فارقتم دينهما، ولم تتبعوا دين اليهود، ولا ديني، فأنتم على أي دين؟ فقال جعفر: إنك ملك، ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام، ولا الظلم، وأنا أجيب عن أصحابي، وهذان الرجلان، فليتكلم أحدهما، وينصت الآخر، فقال عمرو لجعفر: تكلم، قال جعفر للنّجاشي: سل هذين الرجلين، أعبيد نحن أم أحرار، فإن كنّا عبيداً قد أبقتنا، فارددنا إليهم، فسألهما النّجاشي: أعبيد هؤلاء أم أحرار؟ قال عمرو: بل هم (٦٣) أحرار كرام. قال النّجاشي: نجوا من العبودية. فقال جعفر: سلهما، هل أخذنا أموال الناس بغير حق، فعلينا قضاؤها؟ فقال النّجاشي: يا عمرو، وإن كان قنطاراً، فعليّ قضاؤه، فقال عمرو: ولا قيراطاً. قال النّجاشي: فما تطلبان منهم؟ قال عمرو: كُنّا وهم على دين واحد، دين آبائنا، فتركوه، واتبعوا غيره. فقال النّجاشي: ما هذا الدين الذي اتبعتموه؟ وما الدين الذي تركتموه؟ أصدقني يا جعفر.

قال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه، فتركناه، فهو دين الشيطان، كنا نترك عبادة الله ونعبد الحجارة، وأما الذي تحوّلنا إليه، فدين الله الإسلام، بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه، وصدقه، وعفاه، فدعانا لنعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، ونخلع كل معبود دونه، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر، وأمرنا بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وصلة الرحم، وعلمنا الأخلاق الحسنة، وتلا علينا تنزيلاً لا يشبهه غيره، فصدقناه، وآمنا به وعرفنا أن جاء به من عند الله، فهو الحق المبين، ففارقنا عند ذلك قومنا، فأدونا وفتنونا،

فلما بلغ بنا ما نكره، ولم نقدر على الامتناع، أمرنا نبينا ﷺ، أن نخرج إلى بلادك، اختياراً منه لك عن سواك، لأنك تمنع من الظلم، وإن كتابك مثل كتاب ابن مريم، فقال النجاشي: تكلمت بشيء عظيم، فعلى رسلك.

فأمر النجاشي بضرب الناقوس، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب، فقال النجاشي: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى والقيامة نبياً مرسلًا؟ فقالوا: اللهم نعم، بشرنا به عيسى، وقال: من آمن به، فقد آمن بي، ومن كفر به، فقد كفر بي. قال النجاشي: يا جعفر، اقرأ عليّ مما يُقرأ عليكم. فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع، وقال: يا جعفر: زدنا من هذا الحديث الحسن الطيب، فقرأ عليه سورة الكهف، فأراد عمرو أن يغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه. فقال النجاشي: ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ عليهم جعفر سورة مريم، فلما أتى على ذكر عيسى، رفع النجاشي نفثة من سواكه (٦٤)، وقال: والله ما زاد عيسى على ما قال نبيكم قدر هذا.

ثم قال لجعفر وأصحابه: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، أعني آمنين، من سبكم أو آذاكم غرم. (ثم^(١)) قال: لا دهوزة اليوم عليكم حزب إبراهيم. فقال عمرو: ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده، ومن اتبعهم.

ثم ردّ النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي ساقاه إليه، وقال: إنما هديتكم رشوة، فإن الله ملكني، ولم يأخذ مني رشوة.

قال جعفر: فانصرفنا، فكنا في خير دار وحسن جوار. وانصرف عمرو وصاحبه إلى قریش.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٦١.



فصل (في مقاطعة قريش لبني هاشم)

ثم إن قريشاً تعاهدت مع النبي، وتقاسمت على عداوته، وذلك أنه لما فشا الإسلام في القبائل، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم كتاباً إلى بني هاشم وعبد المطلب، أن لا ينكحوا إليهم، ولا يبايعوهم، ولا يشترؤا منهم، ولا يخالطوهم، ولا يكلموهم ولا ينصرونهم، ولا يتركوهم ينتفعون بشيء من المنافع، فكتبوا العهود على بعضهم بعض، ثم غدوا على من أسلم، فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاء والفتنة على المسلمين، وقال المشركون: لا صلح ولا رحم، إلا على قتل هذا الصابئي، فدخل أبو طالب والنبي وبنو عمه، ومن اتبعهم من المؤمنين، والمشركون الذين حموهم، وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب كلهم إلى شعب أبي طالب، غير أبي لهب، فإنه انضم إلى قبائل قريش، وظاهرهم على النبي.

وأذت قريش رسول الله ﷺ، وضربوا أصحابه في كل طريق، وحصروهم في الشعب، ولم يتركوا أحداً يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً، وإذا خرجوا من الشعب إلى الموسم، نادى منادي الوليد بن المغيرة: أيما رجل تجدوه يشتري طعاماً، فزيدوا عليه. فبقوا على ذلك ثلاث سنين، حتى بلغ بهم الجهد الشديد، وسمع أصوات صبيانهم، يتصارخون من الجوع، وكانوا لا يصل إليهم شيء من الطعام إلا سراً، ممن أراد صلتهم مستخفياً.

ثم قام في نقض العهد نفر من قريش، ولدتهم نساء من بني هاشم، منهم: هشام بن عمر^(١)، وزهير بن أبي

(١) هشام بن عمر: والصحيح هشام بن عمرو: وهو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي. وكان ذا شرف في قومه، وهو الذي نقض الصحيفة. ويقال: إنه كان يأتي بالعرير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً، وقد أقره طعاماً، حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه، ثم ضرب جنبه، فيدخل =

أمية^(١)، وأبو البختری^(٢)، والمطعم بن عدي^(٣)، فخرج النبي وأصحابه من الحصار.

ومات أبو طالب في سنة عشر من النبوة، (٦٥) ودفن في مكة، ولم يسلم.

وماتت خديجة رضي الله عنها، بعد أيام. وقيل: إنها ماتت بعد شهر وخمسة أيام، وولدت للنبي ولدين ذكرين، هما: القاسم^(٤)، وعبد الله^(٥)، وماتا أطفالاً قبل

= الشعب عليهم، ويقدم لهم الطعام. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٤-١٥.

(١) زهير بن أبي أمية: زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب. كان من المسيئين إلى الرسول ﷺ. من أشرف قريش، وقد ذكره أبو طالب في القصيدة اللامية التي أوضح فيها لقريش أنه غير مُسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً، حتى يهلك دونه. فقال في مطلعها:

ولما رأيت القوم لا وُدَّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالمداوة والأذى وقد طاعوا أمر العدو المزابل

انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٩١-٣٠٢.

(٢) أبو البختری: من أشرف قريش الذين اجتمعوا بالنبي ﷺ، فكلّموه، وخاصموه، وانصرف عنهم حزناً لما رأى مبادعتهم له. انظر التفاصيل في: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣١٥-٣١٩.

(٣) المطعم بن عدي: المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من قريش: رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار، وهو الذي أجاز رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف، وعاد متوجهاً إلى مكة، ونزل بقرب حراء، فبعث إلى بعض حلفاء قريش ليجيروه في دخول مكة، فامتنعوا، فبعث إلى المطعم بن عدي بذلك، فسلح المطعم وأهل بيته، وخرج بهم حتى أتوا المسجد، فأرسل من يدعو النبي ﷺ للدخول، فدخل مكة، وطاف بالبيت، وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله آمنًا، وهو الذي أجاز سعد بن عبادة، وقد دخل مكة معتمراً، وتعلقت به قريش، فأجاره مطعم. مات المطعم قبل وقعة بدر، وله بضع وتسعون سنة، وفيه يقول حسان من قصيدة:

فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده اليوم مطعماً

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٥٢.

(٤) القاسم: هو القاسم بن محمد بن عبد المطلب الهاشمي، ابن الرسول ﷺ من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وبه كان يكنى، وهو أكبر بنيه، وكان مولده ووفاته قبل بعثة الرسول ﷺ. ودفن بمكة.

انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠٢.

(٥) عبد الله: عبد الله، ويلقب بالطيب والطاهر، لولادته بعد الوحي، ولد بمكة بعد الإسلام، ومات =



الإسلام، وأربع بنات، وهن: زينب^(١)، ورقية^(٢)، وأم كلثوم^(٣)، وفاطمة^(٤)، وأدركن الإسلام، وأسلمن، وكل أولاده ماتوا قبله، إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

فلما مات أبو طالب، وماتت خديجة، لزم النبي بيته، وأقلَّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال.

= بها، وبعضهم يعدُّ الطيب والظاهر اثنين. انظر: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢٢٣.

(١) زينب: زينب بنت سيد البشر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، القرشية الهاشمية: كبرى بناته. تزوج بها ابن خالها أبو العاص بن الربيع، وولدت له علياً وأمامة، فمات علي صغيراً، وبقيت أمامة، فتزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد وفاة فاطمة الزهراء رضوان الله عليها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٦٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) رقية: رقية بنت محمد النبي العربي القرشي صلوات الله وسلامه عليه، وأمها خديجة أم المؤمنين، ولدت ونشأت في الجاهلية، وتزوجت عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب. ولما ظهر الإسلام ونزلت آية: ﴿بَنَّتْ يَدًا أَبِي لَهَبٍ﴾ غضب أبو لهب، فأمر بمفارقتها، ففارقتها، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وتزوجها في الإسلام عثمان بن عفان، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين الأولى والثانية. ثم استقرت في المدينة، وتوفيت ورسول الله ﷺ بيدرس سنة ٢هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١١٤ - ١١٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٣١.

(٣) أم كلثوم: بنت من بنات رسول الله ﷺ من زوجته الأولى خديجة بنت خويلد. تزوجها في الجاهلية عتبة بن أبي لهب، وفارقها للسبب الذي من أجله فارق أخوه عتبة أختها رقية. وهاجرت إلى المدينة مع عيال رسول الله ﷺ. فلما توفيت أختها رقية سنة ٢هـ، تزوجها عثمان بن عفان سنة ٣هـ، وتوفيت عنده في المدينة، فقال النبي ﷺ: «لو أن لنا ثالثة لزوجنا عثمان بها». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٧٤ - ٣٧٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٣١.

(٤) فاطمة الزهراء (١٧ ق.هـ - ١١هـ/٦٠٥ - ٦٣٢ م). فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد، من نابهات قريش. وإحدى الفصيحات العاقلات، تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الثامنة عشرة من عمرها، وولدت له الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب. وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. وهي أول من جعل له النعش في الإسلام، عملته لها أسماء بنت عميس. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢١٣ - ٢١٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٣٢.

ثم إن النبي ﷺ، خرج إلى الطائف^(١)، ومعه زيد بن حارثة، في ليالٍ بقين من شوال، فقام بها عشرة أيام، وقيل: شهراً. وأتى إلى ثلاثة أخوة من ثقيف، وسألهم أن يجيئوه إلى الإسلام، وينصروه على من خالفه من قومه، وكانوا هم رؤساء الطائف، فقال واحد منهم: ما تثاب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الثاني: أما وجد الله أحداً غيرك يرسله؟ وقال الثالث: والله أكلمك، فإن كان الله أرسلك، فأنت أعظم خطراً من أن أكلمك، وإن كنت كاذباً فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله عنهم، وقد يئس من آل ثقيف، فقال لهم: فإذا لم تفعلوا، فآكتموا عليَّ إذاً.

وقد كره رسول الله أن يبلغ ذلك قومه، فيخبرهم عليه، فلم يكتموا عليه، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يستونونه ويشتمونه، ويصيحون عليه، ويرموناه بالحجارة، حتى إن رجله لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى شجَّ في رأسه.

واجتمع عليه الناس، حتى ألجؤوه على حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة، هما فيه، فرجع عنه من اتبعهما، وجلس هو وزيد تحت ظل خمره، ودعا الله ﷻ بدعوات.

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، وهو محزون، فلما نزل، قام في جوف الليل يصلي، فصرف الله إليه نقرأً من جن نصيبين^(٢)، فاستمعوا قراءته، فلما

(١) الطائف: هو وادي وِجْ، وهو بلاد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً. وهي مدينة ذات زرع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، وبها مياه جارئة، وجل أهلها من ثقيف وحميم وقوم من قريش، وهي على ظهر جبل غزوان. وقال ابن عباس: سميت الطائف لأن إبراهيم ﷺ، لما أسكن ذريته مكة سأل الله أن يرزق أهلها من الثمرات، فأمر الله ﷻ قطعة من الأرض أن تسير بشجرها حتى تستقر بمكان الطائف، فأقبلت وطافت بالبيت، ثم أقرها الله بمكان الطائف، فسميت الطائف لطوافها بالبيت. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨-٩.

(٢) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل بين الموصل والشام، وفي قراها أربعون ألف بستان، وعليها سور كانت الروم بنته، وأتمه كسرى أبو شروان عند فتحه إياها. فتحها عبد الله بن عبد الله بن عتيان سنة ١٧هـ. وإلى هذه المدينة ينسب عدد كبير من العلماء. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٩.



قضاها، ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا، فقصّ الله خبرهم بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْعِجْنِ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فلما أراد النبي ﷺ، أن يدخل على قريش، لم يدر كيف يدخل عليهم، وقد أخرجوه منها، فأرسل رجلاً من (٦٦) خزاعة إلى مطعم بن عدي، ليدخل في جواره، فقال ابن عدي: نعم، فأمر مطعم بنه وقومه، وقال لهم: البسوا سلاحكم، فقد أجزت محمدًا، فكونوا عند البيت.

وقام على راحلته، ونادى: يا معشر قريش، إني قد أجزت محمدًا، فلا يهيجه أحد منكم، فلما سمع أبو جهل كلامه، قال: أجزنا من أجزت. فأنتهى رسول الله ﷺ، إلى الركن، واستلمه، وصلى ركعتين، ثم انصرف إلى بيته، ومطعم وأولاده وقومه مطيفون حوله.

ثم قام بمكة، وكان يقف بالموسم، يدعو القبائل، وكان يقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأبو لهب يقول: لا تطيعوه. ثم أتى كندة^(١)، في منازلهم وأتى كلباً^(٢)، وبني حنيفة^(٣)، وعامر بن صعصعة^(٤)، فدعاهم إلى الله ﷻ، وعرض عليهم الإسلام.

(١) كندة: كندة بن عفير بن عدي بن الحارث من كهلان: جدّ جاهلي يمني. قيل: اسمه ثور، وكندة لقبه. كان لبنيه ملك بالحجاز واليمن، في الجاهلية. وكان لهم صنم اسمه «دريج» أقاموه بالنجير (حصن باليمن، قرب حضرموت) وآخر اسمه «الجلسد» سدنته بنو شكامة، من أحفاده. وتلبيتهم: «لييك لا شريك لك تملكه أو تهلكه». ولا بن الكلبي كتاب ملوك كندة. ولما ظهر الإسلام، وفد على النبي ﷺ وفد «كندة» من حضرموت، فأسلموا. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٣٤. انظر أنساب كندة في العوتبي، سلمة بن سلم: الأنساب، ج ١، ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

(٢) كلب: كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة، جدّ جاهلي، حيثما أطبق لفظ «كلبي» فالنسبة إليه. من نسله بنو كلدنة، وبنو أوس، وبنو ثور، وبنو ربيعة. من منازلهم القديمة (صوار) فوق الكوفة، وكانوا يزلون دومة الجندل وتبوكتاً وأطراف الشام، وصنمهم في الجاهلية «وده» نصبوه بدومة الجندل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٣٠.

(٣) حنيفة بن لجم بن صعصع، من بني بكر بن وائل، من عدنان: جدّ جاهلي. كانت منازل بنيه «اليمامة» ومنهم مسيلمة الكذاب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٤) عامر بن صعصعة: عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، من قيس عيلان، من العدنانية: جدّ جاهلي. بنوه بطون كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٥١.

فصل في إسلام جن نصيبين

ثم إن رسول الله ﷺ، أمر بإنذار الجن، وصرّفوا إليه مرّة ثانية.

قال عبد الله بن مسعود^(١) رضي الله عنه: خرجت مع رسول الله ﷺ، بأعلى مكة، فدخلنا شعب الحجون، فخطّ لي رسول الله خطاً، وأمرني بالجلوس فيه، وقال لي: لا تخرج منه حتى أعود إليك، فجلستُ فيه، ومضى النبي، فافتتح القرآن، فكنت أرى النسور تهوي إليه، وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على رسول الله ﷺ، وغشيتة نسور كثيرة، حالت بيني وبينه، حتى ما كنت أسمع له صوتاً. ثم طفقوا يمضون كقطع السحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله منهم مع الفجر، وأتى إليّ فقال: أنمت؟ فقلت: لا والله، ولقد هممت مراراً، أن استغيث بالناس، حتى سمعتك تفزعهم بعضي، وتقول: اجلسوا. قال النبي: والله لو خرجت، لم آمن عليك أن يختطفك أحد منهم. ثم قال لي: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم، رأيت رجالاً سوداً، عليهم ثياب بيض، قال: أولئك جن نصيبين، سألوني الزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة، فقالوا: يا رسول الله، يقدرها بنو آدم، يعنون العظام، لأن الروث لدوابهم، فنهى رسول الله عن الاستجمار (٦٧) بالعظام والروث، فقلت: يا رسول الله، وما يغني عنهم ذلك؟ قال: إنهم لا يجدون عظماً، إلا وجدوا عليه لحمة يوم أكل، ولا روثه، إلا وجدوا عليها حبّها يوم أُكلت.

(١) عبد الله بن مسعود: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً، وقرباً من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سزوه، ورفيقه في ترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت، يمشي معه. نظر إليه عمر يوماً، وقال: وعاء مليء علماً. وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان بن عفان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ١٣٧. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣٨١ - ٣٨٧.



وقيل: إن الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة، يطرون في الهواء،
وصنف كالحيات والكلاب، وصنف يحلون ويطعنون. وقيل: إن من الجن
لأجسام عاقلة خفيفة، تغلب عليهم النارية والهوائية، والله أعلم.

فصل في تزويج النبي ﷺ بعائشة وسودة^(١)

وذلك أنه لما ماتت خديجة، أتت خولة بنت حكيم^(٢)، امرأة عثمان بن مظعون، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: بمن؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: من البكر؟ قالت: بنت أحب الخلق إليك أبي بكر. قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك، واتبعتك على دينك، قال: فاذهبي فاذكريني عليهما. قالت: فدخلت بيت أبي بكر ﷺ، فقلت: يا أم رومان^(٣)، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قالت: وما ذلك؟ قالت: سألتني رسول الله ﷺ، أخطب عليه عائشة، قالت: انتظري أبا بكر. فجاء أبو بكر ﷺ، فذكرت له، فقال: هل تصلح له، إنها لصغيرة، فأرسل أبو بكر، ابنته إلى النبي ﷺ، وقال لها: قولي للنبي: هل تصلح لك الحلة؟ فأتت عائشة إلى النبي، وقالت: يقول لك أبي: هل تصلح لك الحلة، فقال لها النبي: ارجعي إلى أبيك، وقولي له: إنها لصالحة، فرجعت إلى أبيها، وقالت: يقول: إنها لصالحة. فأتى أبو بكر

(١) سودة بنت زمعة: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، من لؤي، من قريش، إحدى أزواج النبي ﷺ. كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس، وأسلمت، ثم أسلم زوجها. وهاجروا إلى الحبشة في الهجرة الثانية. ثم عادا إلى مكة. فتوفي السكران، فتزوجها النبي ﷺ بعد خديجة. توفيت في المدينة سنة ٥٥هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٥٧ - ١٥٨. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٤٥.

(٢) خولة بنت حكيم: خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأرقص بن مزة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، امرأة عثمان بن مظعون، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت امرأة صالحة، روى عنها سعد بن أبي وقاص في النزول في السفر. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٨٣٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٩٣.

(٣) أم رومان: أم رومان بنت عامر بن عويمر، من كنانة: الصحابية، زوجة أبي بكر الصديق، وأم عائشة. توفيت في حياة الرسول ﷺ، فنزل في قبرها واستغفر لها، وقال: «اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٢٠ - ٣٢١. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣٦.



إلى النبي، وزوجه بها، وأصدقها أربعمائة وثمانين درهماً. وقيل: إن أبا بكر سلّم مهرها من ماله.

قالت خولة بنت حكيم: ثم دخلت على سودة بنت زمعة، فقلت: لقد ساق الله إليك الخير والبركة. قالت: فما ذلك؟ فقلت: أرسلني النبي أخطبك عليه، قالت: وددت ذلك، فأدخلني على أبي، فدخلتُ على أبيها، وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إن النبي أرسلني أخطب عليه (٦٨) ابنتك. قال كفؤ كريم، فما تقول صاحبتك؟ فقلت: تحب ذلك، فقال: ادعيها إليّ، فدعتها، فأنت، فقال: أي بنته، إن هذه تزعم أن محمداً أرسل إليك، وهو كفؤ كريم، فماذا تقولين؟ أتحيين أن أزوجه بك؟ قالت: نعم، قال: يا سودة، ادعيه إليّ، فجاء النبي إليه، وزوجه بها أخوها عبيد الله، بأمر أبيه، وكان تزوجه بها سنة عشر من نبوته ﷺ.

فصل في بدء إسلام الأنصار

وذلك في سنة إحدى عشرة من النبوة، خرج النبي يعرض نفسه على القبائل أيام الموسم، كما كان يصنع من قبل في كل موسم. فبينما هو عند العقبة^(١)، إذ لقي رهطاً من الخزرج، قال: ألا تجلسون أحدثكم؟ قالوا: بلا، فجلسوا إليه، فدعاهم إلى الله ﷻ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا (من اليهود)^(٢) يقولون: قد أظننا زمان نبي يبعث، فلما كلمهم النبي ﷺ، قالوا: والله إنه النبي الذي تعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه أحد من القبائل. فأمنوا به، (وكانوا)^(٣) ستة أنفس: أسعد بن زرارة^(٤)، وعوف بن الحرث^(٥)، وهو ابن عفراء^(٦)، ورافع بن

(١) العقبة: العقبة التي بويح فيها النبي ﷺ بمكة، فهي عقبة بين منى ومكة، وعندها مسجد، ومنها ترمى جمرة العقبة، وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدء أمره يوافي الموسم بسوق عكاظ وذو المجاز ومجنة، ويتبع القبائل في رحالها، حتى إذا كانت سنة إحدى عشرة من النبوة، لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبة فدعاهم إلى الإسلام، وعرض عليهم أن يمنعوه، فقالوا: هذا والله النبي الذي تعدنا به اليهود، يجذونه مكتوباً في توراتهم، فأمنوا به وصدقوه. ثم لما كانت سنة اثني عشرة من النبوة وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً، فلما كانت سنة ثلاث عشرة من النبوة أتى منهم سبعون رجلاً وامرأتان، ودعوا الرسول إلى الهجرة إلى المدينة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢١.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٦٥.

(٣) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٦٦.

(٤) أسعد بن زرارة: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي، غلبت عليه كنيته، واشتهر بها، كان عقيماً نقيباً، شهد العقبتين الأولى والثانية، وبيع فيهما. انظر الترجمة كاملة في: ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٥) عوف بن الحرث: والصحيح عوف بن الحارث وهو عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن النجار. لم يرد ذكره في كتب تراجم الصحابة، ذكره ابن هشام في السيرة: انظر ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١١١.

(٦) عفراء بنت عبيد: عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية، أم معاذ ومعوذ وعوف، وبها تعرف أولادها، وكلهم من الأنصار. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، ج ٧، ص ١٩٧.



مالك العجلاني^(١)، وقطبة بن عامر بن حديدة^(٢)، وعقبة بن عامر^(٣)، وجابر بن عبد الله بن رباب^(٤). فلما رجعوا إلى المدينة^(٥)، ذكروا لهم أمر النبي ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، فلم تبَقْ دار من دور المدينة إلّا وفيه ذكر رسول الله ﷺ، وذلك لسابق

(١) رافع بن مالك العجلاني: رافع بن مالك العجلاني بن عمرو بن عامر بن رزيق الزرقبي الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا مالك، ويكنى أبا رفاعه، بدري، شهد العقبتين الأولى والثانية، وشهد بدرأ فيما ذكره موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، ولم يذكره ابن اسحاق في البدرين. قال أحمد بن زهير: سمعت سعد بن عبد الحميد بن جعفر يقول: رافع بن مالك أحد الستة النقباء، وأحد الاثني عشر، وأحد السبعين. قتل يوم أحد شهيداً. قال أبو عمر: الستة النقباء كلهم قتلوا. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٦٤. وابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) قطبة بن عامر بن حديدة: قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي. يكنى أبا زيد. شهد العقبتين الأولى والثانية، وشهد بدرأ وأحدأ والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح. وجرح يوم أحد تسعة جراحات، ورمى يوم بدر حجراً بين الصفيين. وقال: لا أفز حتى يفز هذا الحجر. توفي في خلافة عثمان بن عفان. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٤٠٦.

(٣) عقبة بن عامر: عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعه بن مودعة بن عدي بن غنم بن ربيعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني، أبو حماد، صحابي، روى عن النبي ﷺ، ولي أمة مصر من قبل معاوية سنة ٤٤هـ. وتوفي في عهد معاوية سنة ٥٨هـ، ودفن بالمقطم، وهو أحد من جمع القرآن، ومصنفه بمصر. انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) جابر بن عبد الله بن رباب: الصحيح جابر بن عبد الله بن رباب بن النعمان بن سنان بن عبيد الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. كانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي، يؤخذ عنه العلم، روى عنه البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً. عمّر طويلاً مولده سنة ١٦ ق، هـ. ووفاته سنة ٧٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١٠٤. وابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٧٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٦٩.

(٥) المدينة: مدينة رسول الله ﷺ، سميت يثرب لأن أول من سكنها يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح ﷺ، فلما نزلها الرسول ﷺ بعد هجرته أصبحت تعرف باسم المدينة المنورة، ومدينة الرسول، اتخذ منها مركزاً للدعوة الإسلامية، ونجح في تحصينها ضدّ المشركين. كانت عاصمة الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم. وتعدّ المدينة ثاني المدن الإسلامية بعد مكة المكرمة. قال ابن عباس ﷺ: من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، إنما هي طيبة. وقال النبي ﷺ لما هاجر: «إنك أخرجتني من أحب أرضك إليّ، فأسكنتني أحب أرض إليك». فأسكنه المدينة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٠. وغريبال، محمد شفيق: الموسوعة الميسرة، ج ٢، ص ١٦٧٤.

العلم، إذ سبقت لهم من الله السعادة، وهم من غير قومه، وكذب قومه وشتموه، وسموه ساحراً، وكاذباً، (وشاعراً)^(١) ومجنوناً، وكاهناً، واقترحوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يكون له بيت من زخرف، وأن يكون له كنز وجنة، يأكل منها، وأن يرقى في السماء، فيأتيهم بكتاب يقرأوه، وأن يأتيهم بالله والملائكة قبيلاً. وكم أصاب النبي منهم من الأذى والبلاء، فانظر أيها العاقل بعين بصيرتك، واعلم أنها لا تنفع القرابة، وإنما للمرء ما قُضي عليه وقُدر.

ثم انظر فيما لحق النبي من البلاء والأذى من الكفار، أكان ذلك لهوانه على ربه أم كان الله عاجزاً عن دفعهم عن نبيه أن يصلوا إليه بسوء، فلا والله، بل كان الله قوياً عزيزاً، وكان النبي على الله كريماً، وإنما أراد الله ليرفع بذلك درجات (٦٩) نبيه، ويضاعف حسناته، فكذلك ما أصاب المؤمن في دينه، فلكرامته على ربه، وليكفر بذلك عنه السيئات، وترفع له الدرجات، أو يكون عقوبة لذنب سلف منه، فلا يعاقب عليه في الآخرة، والله أكرم من أن يعاقب على ذنب مرتين، فطوبى لمن عوقب في دنياه على ذنبه، أو يكون ذلك له رفعاً إلى درجات، لم يبلغها عمله، فقدّر له ذلك، ليعظم أجره وثوابه، ويبلغه الدرجات العلى.

وقد قيل عن النبي ﷺ: (الأنبياء أشد الناس بلاءً في الدنيا، ثم الأمتل فالأمتل).

وقيل: إذا أحب الله عبداً زوى، عنه الدنيا، كما يزوي الوالد الشفيق المكاره عن ولده.

وكذلك قيل: ما أصاب الكافر في الدنيا من ثروة وعافية، فإنما ذلك حظه من الدنيا، وما له في الآخرة من نصيب، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾. ولبيوتهم أنوباً وسرراً عليها يتكئون * وزخرفاً وإن كُتِلَ ذَلِكَ لَمَا مَنَعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥].

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٦٦.



فالواجب على العبد أن يشكر مولاه على كل حال، وليعلم أن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه، وليكن خائفاً، وجللاً، وراجياً موقناً، وليعلم أن الله غافر الذنب، وقابل التوب، وإن الله شديد العقاب، وليحذر من الإصرار على صغائر الذنوب، فإنه لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار، وليتق المعصية جهده، فإذا بدت منه فليتبعتها باستغفار، فإن كانت معصيته فيها حق لله وحده، أجزاه الاستغفار، وإن كان الحق فيها للعباد، فلا يجزيه الاستغفار، إلا بعد التخلص من الحق الذي لزمه، إلى من لزمه، أو براءة من صاحبه، ولا يمنعن أحدكم الحياء من التخلص، وطلب البراءة، فإن فضوح الدنيا، أيسر من فضوح الآخرة، وليكن المرء على أهبة لهجوم الموت عليه، فإنه لا يدري متى يهجم عليه، فلا يمكنه التخلص، إذا حضره الموت، ولا يطولن الأمل، فإن الأجل قريب، فاستيقظوا، واستعدوا، واصبروا سوية، تستريحوا دهرأ طويلاً، لا غاية له، ولا نهاية، وتنجوا من عذاب أليم، لا انقضاء له، (٧٠) وانظروا فيما مضى من العمر، هل تجدون لما أصبتم من نعيم لذة؟ أو لما أصابكم من ألم شدة؟ وأضرب لكم مثلاً: رجلان أتى عليهما شهر رمضان، فصام أحدهما، ولم يصم الآخر، حتى انقضى شهر رمضان، فأصبحا جميعاً مفطرين، فلم يجد الصائم تعب الصوم، وبقي له الأجر، ولا المفطر لذة ما أكل في شهر رمضان، وبقي عليه الوزر.

وأنتموا أيها الإخوان جميع خصال الإيمان، فإنه لا يتم إلا بجميع خصاله، وإذا انقضت منه خصلة، ذهب جميعه، واعلموا أن الله لا يقبل، إلا ممن تم إيمانه، فلو كان مثلاً رجل مجتهد، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويقرأ القرآن، وينفق على الفقراء والمساكين، وبذل نفسه في محاربة المشركين، حتى قتل غير مولد دبره، إلا أنه كان يدين بتحليل الخمر، وقتل على هذا غير تائب منه، ولا مقلع عنه، لم ينفعه ذلك الاجتهاد، ولا الصوم، ولا الصلاة، ولا الصدقة، ولا جهاده للمشركين، حتى قتل غير مولد دبره، واسألوا أيها الإخوان التوفيق، لإتمام الإيمان، وما يقرب لمرضاته، إنه جواد كريم.

الباب السابع

في ذكر المعراج
وذكر طرف من الجنة والنار





قيل: أسري بالنبي ﷺ، من المسجد الحرام^(١)، إلى المسجد الأقصى^(٢)، ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، في السنة الثانية عشرة من النبوة، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً.

وقيل: ليلة سبع عشرة من ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة.

وقيل: بسنة وشهرين.

وقيل: ليلة سبع وعشرين من رجب.

واختلف أيضاً فيه من أي موضع، والأصح أنه من المسجد، كما قال تعالى.

واختلف فيه، هل كان في اليقظة أم في النوم؟ والأصح أنه في اليقظة، لأنه لو كان في النوم، لم يكن معجزة، ولم يستبعده المشركون، ولا كذبوا به، ولا ارتد من ارتد، لأن الرؤيا لا يعدّ فيها مثل هذا.

(١) المسجد الحرام: أو البيت الحرام، أو الكعبة المشرفة، بناء مربع أقامه النبي إبراهيم ﷺ، وجدّته قريش قبل البعثة، وجدّد بعد ذلك غير مرة. معبد قريش الأكبر، وكان مقرّ أصنامها إلى أن طهره محمد ﷺ عام الفتح، وحطّم الأصنام. كان مكشوفاً، ثم سقّف وكسي بالديباج، حجّ إليه العرب في الجاهلية، وحجّ إليه المسلمون من مختلف الأقطار، ويسمى البيت العتيق، والبيت الحرام والكعبة المشرفة والمسجد الحرام. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٢، ص ١٤٦٥.

(٢) المسجد الأقصى: مسجد كبير ببيت المقدس، ثاني مسجد بُني بعد المسجد الحرام، بدأه داود وأتمه سليمان كمعبد، ثم جدّد بعد ذلك غير مرّة، كان كنيسة، ثم مسجداً، وكان قبلة للصلاة زمناً، ثم عادت القبلة إلى الكعبة، أسرى الله سبحانه وتعالى بالنبي محمد ﷺ إليه من المسجد الحرام بمكة، وعرج منه إلى السماء. جدّد بناء المسجد في عهد الملك الأموي عبد الملك بن مروان. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٢، ص ١٦٩٦.

واختلف أيضاً فيه، هل كان بالروح دون الجسد؟ أم بالروح والجسد معاً؟ والله أعلم.

رُوي عن النبي ﷺ، أنه قال: بينما أنا في الحطيم، وربما قال مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ، فشق من نحري إلى مرقا بطني، فأخرج قلبي، ثم أوتي بطشت من ذهب مملوءة من ماء زمزم، فغسل قلبي وبطني، وحشيت (٧١) حكمة وإيماناً، ثم أعيد، ثم أوتيتُ بالبراق، وهي دابةٌ دون البغل، وفوق الحمار، أبيض، يقع حافره عند منتهى طرفه، وحملت عليه، وانطلق بي جبريل ﷺ، حتى أتيتُ بيت المقدس^(١)، فربطه في الحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليتُ فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء فيه خمر، وإناء فيه لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، فشربت قدر نصفه، ثم ناولته جبريل، فقال: لو شربته كله لهديت أمتك كلها، فقلت: اردده علي يا جبريل، فقال: قُضي الأمر بسعادة من يؤمن، وشقاوة من يكفر.

ثم انطلق بي جبريل إلى سماء الدنيا، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، ففتح لنا، فلما خلصتُ، فإذا فيها آدم صلوات الله عليه، وقيل لي: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فرد علي السلام، وقال: مرحباً بالولد الصالح.

(١) بيت المقدس: المدينة المقدسة، تقع في فلسطين وتتوسطها، أقيمت فوق تل صخري، تجددت عظمتها حين اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية، ويقال: إن أمه هيلانة أعادت بناء الكثير من الأماكن المقدسة فيها. فتحت المدينة في زمن عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ، تحتوي مدينة بيت المقدس على كثير من الأماكن المقدسة لدى اتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلام، والمسيحية، واليهودية، وأهمها: المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة، سيطر عليها الصليبيون زمن الحملات الصليبية، وأسوا فيها مملكة عرفت باسم مملكة بيت المقدس (المملكة اللاتينية)، قضى عليها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧م. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٤٥٤.



ثم صعد بي إلى السماء الثانية، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أرسل؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، ففتح لنا، فلما خلصتُ فإذا أنا بيحيى^(١)، وعيسى، وهما أبناء خالة، فسلمت عليهما، فردّا عليّ السلام، وقالوا: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أرسل؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، ثم فتح، فلما خلصت، فإذا برجل فُضِّل على الناس بالحسن والجمال، كما فُضِّل القمر على الكواكب، فقلت: من هذا يا أخي جبريل؟ قال: هو أخوك يوسف، فدنوت منه وسلمت عليه.

ثم صعد بي إلى السماء الرابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم، ففتح، فلما خلصت، فإذا برجل، فقلت: من هذا؟ قال جبريل: هذا إدريس، رفعه الله مكاناً علياً، وهو مسند ظهره إلى دواوين الخلائق التي فيها أمورهم.

(١) يحيى: النبي يحيى بن زكريا عليه السلام، ولد قبل عيسى المسيح عليه السلام بستة أشهر، وكان عمر أبيه اثنتين وتسعين سنة، وأمه ثمانى وتسعين سنة. نبى صغيراً، فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، وكان لا يأتي النساء، ولا يلعب مع الصبيان. ويحيى أول من آمن بعيسى المسيح وصدقه، وذلك أن أمه كانت حاملاً بعد، فاستقبلت مريم بنت عمران وهي حامل بعيسى، فقالت لها: يا مريم أحامل أنت؟ فقالت: لماذا تسأليني؟ قالت: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. وقيل: صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين، وسماه الله تعالى يحيى، ولم يكن قبله من تسمى بهذا الاسم. وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة، فكان مما نسخ أنه حزم نكاح بنت الأخ، وكان لملكهم هيرودوس بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها، فنهاه يحيى عنها، فطلبت منه أن يذبح يحيى بن زكريا، فدعا يحيى، ودعا بطست، فذبحه، فلما رأت الرأس قالت: اليوم قزت عيني، فصعدت إلى سطح قصرها، فسقطت منه إلى الأرض ولها كلاب ضارية تحته، فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظر، وآخر ما أكلته منها عيناها. وبعث الله بختنصر عليهم، فقتل منهم سبعين ألفاً. وقيل: كان قتل يحيى بن زكريا قبل رفع عيسى المسيح عليه السلام بستة ونصف، والله أعلم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٩٨-٣٠٦.

ثم صعد بي إلى السماء الخامسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم، ففتح لنا فلما خلعنا، فإذا برجل جالس، ومعه قوم يقص عليهم، فقلت: (٧٢) يا جبريل، من هذا؟ ومن هؤلاء؟ قال: هذا هارون المجيب والذين حوله بنو إسرائيل.

ثم صعدنا إلى السماء السادسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ، ومن خليفة، ثم دخلنا، فإذا برجل جالس، فجاوزناه، فبكى الرجل، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: موسى، فقلت: ما باله يبكي؟ قال: تزعم بنو إسرائيل أنه أكرم بني آدم على الله.

ثم صعدنا إلى السماء السابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قالوا: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به، ثم دخلنا، فإذا برجل أشمط جالس على كرسي عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس، بيض الوجوه، وقوم في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهراً، فاغتسلوا منه، فخرجوا، وقد صارت ألوانهم مثل أصحابهم، ثم جاءوا، فجلسوا إلى أصحابهم، فقلت: يا جبريل، من هذا الأشمط؟ ومن هؤلاء؟ وما هذه الأنهار؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، أول من أشمط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه، فهم قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأما الذين في ألوانهم شيء، فقوم قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ثم تابوا، فتاب الله عليهم. وأما الأنهار الثلاثة، فأدناها رحمة الله، والثاني: نعمة الله، والثالث: الشراب الطهور. وإبراهيم مسند ظهره إلى بيت، فقلت لجبريل: ما هذا البيت؟ قال: هو البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه، إلى يوم القيامة.



ثم مضينا حتى أتينا سدرة المنتهى، فإذا بشجرة لها أوراق، الواحدة منها قد غطت الدنيا بما فيها، ونبقها مثل قلال هجر، يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فسألت جبريل عنها، فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات.

ويخرج أيضاً من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن، لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر، لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهي على خد السماء السابعة مما يلي الجنة، وعروقها وأغصانها تحت الكرسي (٧٣).

قال ﷺ: «انتهيتُ إلى سدرة المنتهى، وأنا أعرف أنها سدرة، ورقها وثمرها، فغشيتها من نور الله ما غشيتها، وغشيتها الملائكة، كأنهم جراد من ذهب من خشية الله، فلما غشيتها ما غشيتها، تحولت، حتى لا يستطيع أحد أن ينعتها، وفيها من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ومقام جبريل في وسطها، فلما انتهيت إليها، قال لي جبريل: تقدّم، قلت: بل تقدم أنت يا جبريل، قال: بل تقدم أنت يا محمد، أنت أكرم على الله مني، فتقدمتُ، وجبريل على أثري، حتى انتهى بي حجاب فراش الذهب، فحركت الحجاب، فقيل، من هذا؟ فقال: جبريل ومعى محمد. قال الملك: الله أكبر، وأخرج يده من تحت الحجاب، فاحتلمني، وتخلّف جبريل، فقلت له: إلى أين؟ قال: يا محمد، وما منّا إلا له مقام معلوم، إن هذا منتهى الخلائق، وإنما أذن لي في الدنو إلى الحجاب لاحترامك وإجلالك.

فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ، فحرك الحجاب، فقيل: من هذا؟ قال: صاحب حجاب الذهب، ومعى محمد رسول العرب، فقال الملك: الله أكبر، فأخرج يده من تحت الحجاب، فاحتلمني حتى وضعني بين يديه.

فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب، حتى جاوز بي سبعين حجاً، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، ما بين الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام. ثم دلى لي رفر ف أخضر، يغلب ضوء الشمس، فوضعتُ عليه، فاحتملني حتى وصل بي إلى العرش، فلما رأيت العرش، اتضع عندي كل شيء دونه، فقربني الله فكننت قاب قوسين أو أدنى، وتدلت قطرة من العرش.

فوقعت على لساني، فما ذاق الذائقون شيئاً قط أحلى منها، فأنبأني الله بها نبأ الأولين والآخرين، وانطلق لساني بعدما كل من هيئة الرحمن، فقلت: التحيات لله، والصلوات والطيبات، فقال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال الله تعالى: هل تعلم يا محمد فيما اختصم الملاء الأعلى، قلت: أنت أعلم يا رب بذلك، وبكل شيء، وأنت علام الغيوب، قال: اختصموا في الدرجات والحسنات، فهل تدري (٧٤) يا محمد ما الدرجات والحسنات؟ قلت: أنت أعلم يا رب. قال: الدرجات: إسباغ الوضوء في المكاره، والمشى إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، والحسنات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والتهدج بالليل والناس نيام. ثم قال: (يا) ^(١) محمد، آمن الرسول، قلت: نعم أي وربي، قال: ومن؟ قلت: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، كما فرقت اليهود والنصارى. قال: فماذا قالوا؟ قلت: قالوا سمعنا قولك، وأطعنا أمرك. قال: صدقت، فسل تُعطي، فقلت: غفرانك ربنا وإليك المصير، قال: قد غفرت لك ولأمتك، سل تُعطي، قلت: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، قال: قد غفرت الخطايا والنسيان لك ولأمتك، وما استكروها عليه، قلت: ربنا ولا تحمّل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا من اليهود، قال: ذلك لك ولأمتك، قلت: ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، قال:

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٧١.



قد فعلت ذلك بك وبأمتك، قال ربنا اعف عنا من الخسف، واغفر لنا من القذف، وارحمنا من المسخ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، قال: فعلت ذلك بك وبأمتك.

ثم قال لي: سل تُعطي، قلت: يا رب، إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، ورفعت إدريس مكاناً علياً، وآتيت سليمان ملكاً عظيماً، وآتيت داؤد زبوراً، فما لي يا رب؟ فقال: اتخذتك حبيباً، كما اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمتك كما كلمت موسى تكليماً، وأعطيتك فاتحة الكتاب، وخواتم سورة البقرة، وكنزاً من كنوز عرشي، ولم أعطها نبياً من قبلك، وجعلت لك ولأمتك الأرض مسجداً، وترابها طهوراً، وأطعمتك وأمتك الفيء، ولم أطعمه أحداً قبلك، ونصرتك بالرعب على عدوك، مسيرة شهر، وأنزلت عليك سيد الكتب كلها، ومهيماً عليها قرآناً فرّقناه، ورفعت لك ذكرك، حتى تذكر، كما ذكرت شريعة من شرائع ديني، وأعطيتك مكان التوراة المثنائي، ومكان الإنجيل المبين، ومكان الزبور الحواميم، وفضلتك بالمفضل، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس، وجعلتهم أمةً وسطاً، وجعلتهم الأولين، وهم الآخرون، فخذ ما آتيتك، وكن من الشاكرين.

ثم أفضى إليّ أموراً بعدها، لم يأذن لي أن أخبركم بها. (٧٥) ثم فرضت عليّ وعلى أمتي في كل يوم، خمسون صلاةً.

فلما عهد إليّ بعهد، وتركني عنده ما شاء، قال لي: ارجع إلى قومك، فبلغهم عني. فحملني الرفرف الأخضر الذي كنت عليه، يرفعي ويخفضني، حتى هوى بي إلى سدرة المنتهى، فإذا جبريل عليه السلام أبصره خلفي بقلبي، كما أبصره بعيني أمامي، فقال: أبشر يا محمد، فإنك خير خلق الله، وصفوته من النبيين، حيّاك الله بما لم يحيي به أحداً من خلقه،

لا نبياً مرسلًا، ولا ملكاً مقرباً، ولقد بلغك مكاناً، لم يصل إليه أحد من أهل السماوات والأرضين. فهتأك الله كرامته، وما جباك من المنزلة الأثيرة، والكرامة الفاتقة، فخذ ذلك بشكر، فإن الله منعم، يحب الشاكرين، فحمدت الله على ذلك.

ثم قال لي جبريل: يا محمد، انطلق إلى الجنة، حتى أريك ما لك فيها، فتزداد بذلك زهادة في الدنيا إلى زهادتك، وفي الآخرة رغبة إلى رغبتك. فسرنا نهوي منقضين، أسرع من السهم والريح، حتى وصلنا، بإذن الله، إلى الجنة، فهدأت إلي نفسي، وثاب إلي فؤادي، وجعلت أسأل جبريل عما كنت رأيت في عليين من البحور والنار والنور وغيرها. فقال: سبحان الله، تلك سواد سرادقات عرش العزة التي أحاطت به، فهي سترة الخلائق من نور العرش والحجاب، ولولا ذلك لاحترق ما تحتها من خلق الله، وما لم تره، أكثر وأعجب، فقلت: سبحان الله العظيم، ما أكثر عجائب خلقه.

وقلت: يا جبريل، ومن الملائكة الذين رأيتهم في تلك البحور وتلك الصفوف بعد الصفوف، كأنهم بنيان مرصوص؟ قال: يا رسول الله، هم الروحانيون الذين يقول الله فيهم: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨].

ومنهم الروح الأعظم، ثم إسرافيل بعد ذلك.

قلت: يا جبريل، من الصف الآخر الذين في البحر الأعلى، فوق الصفوف كلها قد أحاطوا بالعرش؟ قال: هم الكروبيون أشرف الملائكة وعظمائهم، وما يجترئ أحد من الملائكة أن ينظر إلى الكروبيين، وهم أعظم شأنًا من أن أطبق (أن)^(١) أصفهم لك، وكفى بما رأيت منهم.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٧٣.



ثم طاف بي جبريل في الجنة، بإذن الله تعالى، فما ترك فيها مكاناً إلا رأيت، وأخبرني عنه، فرأيت القصور (٧٦) من الدرّ والياقوت والزبرجد، ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر، قضبانها اللؤلؤ، وعروقها الفضة الراسخة، فلأنا أعرف بكل درجة وقصر وبيت وخيمة وثمر في الجنة من بما في مسجدي هذا.

ورأيت نهراً يخرج من أصله ماء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، على رضاض من المسك الأذفر، ودرّ وياقوت. فقال جبريل: هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى، وهو التسنيم، يخرج من تحت العرش، إلى دورهم وقصورهم وبيوتهم وغرفهم، يمزجون به أشربتهم من العسل واللبن والخمر، وذلك قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]. ثم انطلق يطوف بي في الجنة، حتى انتهينا إلى شجرة، لم أر مثلها في الجنة، فلما وقفت تحتها، رفعت رأسي، فلم أر شيئاً من خلق (الله) (١) غيرها، لعظمتها، وتفترق أغصانها، ووجدت فيها ريحاً طيبة، لم أشم في الجنة ريحاً أطيب منها، فقلبت بصري فيها، فإذا هي ورقها حلل طرائف من ثياب الجنة، من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر، وثمرها أمثال القلال العظام، من كل ثمرة خلق الله في السموات والأرضين، من ألوان شتى، وريح شتى، فعجبت من تلك الشجرة، وما رأيت من حسنها، قلت: وما هذه الشجرة؟ قال: هذه التي ذكرها تعالى:

ولكثير من أمتك ورهطك حسن مقييل، ونعم طويل.

ورأيت في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كل مفروع منه معد، ينظر به صاحبه، أولياء الله وَرِجَالِهِ، فتعاطمني الذي رأيت، وقلت: لمثل هذا فليعمل العاملون.

(١) استندراك من النسخة الأصلية ب، ص ٧٣.

فصل: ومن غير المعراج

وفي الجنة شجرة، يخرج من أصلها خيل من ذهب، ذوات أجنحة وأسرجة من ذهب، ملجمة بالدرّ، فيركبها أولياء الله، فتطير بهم حيث يشاؤون، فيقول الذين دونهم: يا أهل الجنة، انصفونا. ثم يقولون: (يا رب) ^(١)، بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟ فيقول لهم (٧٧): كانوا يقومون الليل، وأنتم تنامون، ويصومون النهار، وأنتم تأكلون، وينفقون، وأنتم تبخلون، ويقاتلون، وأنتم تجبنون.

وقال رسول الله ﷺ: في الجنة قصر من لؤلؤ، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر، في كل بيت (سبعون) ^(٢) سرير، على كل سرير سبعون فراشاً، من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، لكل حورية سبعون وصيفة، عند كل وصيفة سبعون مائدة، كل مائدة لا تشبه الأخرى، ويعطى ولي الله من القوّة ما يأتي على ذلك كله.

وجنة عدن كلها من الياقوت الأحمر، وجنة الفردوس من اللؤلؤ، ودار الجلال من الزمرد الأخضر، وجنة المأوى من الذهب الأحمر، وجنة النعيم من الفضة البيضاء، ودار السلام من درّة بيضاء، بلا علاقة من فوقه، ولا دعامة من تحته، له سبعون مقصورة.

وفي الجنة نخل عروقتها من ذهب، وكرتها من ذهب، وعراجينها من ذهب، وشماريخها من الذهب، لها رطب مثل الدلاء، أشدُّ بياضاً من اللبن والفضة، وألّين من الزبد والسمن، وأذكى من المسك والكافور، وأحلى من السكر والعسل.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٧٤.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٧٤.



وجنة عدن هي بطنان الجنان، وهي الدرجة العليا، والجنان وسطها، قد حفّت بها الجنان، وفيها التسنيم يجيء من معالي الجنة إلى بيوت الجنان التي حولها، وهي مغلقة مذ خلقها الله تعالى، حتى يدخلها النبيون والشهداء والصالحون.

وخلق الله الجنة، وجعل ترابها المسك، وأرضها الفضة، ورضراضها الدرّ والياقوت، وجعل حيطانها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ولبنة من درّ، ولبنة من زمرد، وجعل ما بين اللبتين المسك الأذفر، وغرس أشجارها بقدرته، وقيل: في الجنة ست شجرات: واحدة لثمارهم، وخمس لحللهم، يجمع ولي الله سبعين حلّة، فيواربها بين إصبعيه.

وقال ابن عباس: لما خلق الله جنة عدن، قال لها: تزييني، فتزينت، ثم قال لها: أظهري أنهارك، فأظهرت السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم، ففجّر منها في الجنان أنهار الخمر، وأنهار العسل، وأنهار اللبن، وقال: أظهري سررك، وحللك، وكراسيك، وحليك (٧٨) وحوار عينك، فأظهرت، فقال لها: تكلمي، فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله ﷻ: وعزّتي وجلالي، لا يدخلنك بخيل.

قال المؤلف: البخيل: الذي لا يؤدي ما افترض الله عليه من ماله.

وجنة الفردوس وسط جنة عدن كالتاج على رأس الملك، وفيها درجة الوسيلة، وهي أعلى الدرجات، وهي للنبي محمد ﷺ، وفيها قصر من ذهب، يقال له عدن، وفيه أربعة آلاف باب.

ويروى أن في الجنة نهراً يقال له الجدول، تنبت على شاطئيه الحور العين كنبات الزعفران، ينشقّ النبات عن حواجبها كالأهلة، وأشجار عينيها كقوادم النسور، يغشى الشمس ضوءها، لو أخرجت كفها، لاقتبس به أهل السماوات والأرض.

ويروى أن في الجنة حوراء، يقال لها لعبة، خلقت من أربعة أشياء: الزعفران الرطب، والمسك الأذفر، والعنبر الأشهب، والكافور الأبيض، وأن جميع أهل الجنة لها عشاق من حسننها، وجمالها وبهائها وكمالها، مكتوب على نحرها: من أراد أن يكون له مثلي، فليعمل بطاعة ربي. وحولها سبعون ألف وصيفة، يقلن: يا ويح المشتاقين إلينا، لو عاينونا، لصبروا على طاعة الله، ولو نشروا بالمناشير، وقرضوا بالمقاريض، حتى يصيروا إلينا، ونصير إليهم، شعراً:

حورية ما إن لها مثبه	في الحسن والنعمة واللين
إن مسها الماء على لينها	جرت مع الماء على الطين
تزهو بوجه حسن بهج	أبهج من روض البساتين
تقول بالغنج لأترابها	إذا مشت في الخرد العين
يا طليبي لو كنت لي طالباً	لما تشاغلتم بمن دوني
يا عاشقي لو كنت لي عاشقاً	ما كنت في الأحباب تجفوني
سبحان من صورها لعبة	وجلّ من قال لها كوني

فالحوراء قد وصفها رسول الله ﷺ، قال: خلقت من الزعفران، وعُجنت بماء الحياة، وألبست من اللؤلؤ والمرجان، شعرها مرصع باللؤلؤ، وهي في بياض الدرّ، وصفاء المرجان، مطهرة من الطرق والأذى، يُرى مخ ساقها من وراء ثيابها، مهفهفة، مرهفة، متوجة، دعجة، غنجة، مكحلة، مطيبة، بهية، شهية، لاعبة، مخدرة، منعمة، (٧٩) راضية مرضية، ضاحكة مضحكة، خود خدلجة، مسفرة نيرة، لعوب كعوب، مسورة مخلخلة، إذا خطرت في دحداح قصرها، مالت الأشجار إليها. قال لها خالقها: كوني، فكانت، وهي تنادي: نحن الخالدات، فلا نموت أبداً، نحن الناعمات فلا نبأس أبداً، نحن الضاحكات فلا نحزن أبداً، طوبى لمن كتأ له، وكان لنا.



يا ابن آدم، إن الحور العين لبسها الأرجوان، وقباها المرجان، وخدامها الولدان، ومقامها الجنان، دار الأمان، أمشاطهنّ الذهب، ومجامرهنّ ومداهنهنّ اللؤلؤ، وموائدهنّ الياقوت.

ويروى عن النبي ﷺ، أنه قال: أوحى الله إلى جبريل عليه السلام، أن اهبط إلى الجنة الفردوس، فانظر ما أعددت فيها لأولياي، فهبط، فإذا هو بأربع قوائم: قائمة بيضاء، وقائمة حمراء، وقائمة خضراء، وقائمة صفراء، وإذا في أعلاها غرفة من ياقوتة حمراء، لها اثنا عشر ألف مصراع من الزبرجد الأخضر، ما بين المصراع إلى المصراع اثنا عشر ألف ذراع، فيها رياح الرحمة تخفق، وأنهار تطرد، فبينما هم كذلك، إذ تجلّت لهم حورية من الحور العين، كأن الشمس والقمر يخرجان من جبينها، وكأن حاجبيها أجنحة النسور، ولها اثنا عشرة ألف ذؤابة، مرصع شعرها بالدرّ والجوهر، تمشي في الجنة باثنتي عشرة ألف مشية، كلما مشيت مشية، تبدّل حليها وحللها، ومشى عن يمينها ألف وصيفة، بأيديهن صبائر الرياحان والمسك والزعفران، وعن شمالها اثنا عشرة ألف وصيفة بأيديهنّ الحلبي والحلل. فبينما جبريل ينظر إليها، إذ ابتسمت في وجهه، فأضاءت جنة الفردوس من ضوء ثناياها، فخرّ جبريل ساجداً، وهو يقول: سبحانك لا إله إلا أنت.

وفي الجنة حوراء يقال لها العيناء، إذا أرادت أن تمشي في الجنة، أتت إليها سبعون ألف حورية من الحور العين، فهنّ عن يمينها وعن شمالها يحملن أذيالها، فترفع أذيالها إلى عنقها، فتقول لها الحور العين: يا عيناء، لو رآك ولي الله، كيف كان يفعل؟ (٨٠) فتقول: كان يقتل نفسه في الدنيا.

قال المؤلف: معناه يجهد نفسه في العمل والطاعة، والانتهاه عن المعصية، لا القتل بعينه، لأنه لو قتل أحد نفسه، لكان من أهل النار، لم يصل إلى عيناء.

ثم تقول: إِنَّا لِلصَّائِمِينَ، إِنَّا لِلْقَائِمِينَ، إِنَّا لِلرَّاكِعِينَ، إِنَّا لِلسَّاجِدِينَ، إِنَّا لِلْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِنَّا لَمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، إِنَّا لَمَنْ أَفْشَى السَّلَامَ، إِنَّا لَمَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا.

ويروى أن لوليَّ الله في جنة الفردوس قصرًا من درة بيضاء، في جوف ذلك القصر بيوت، طول كل بيت ألف ذراع، وعرضه كذلك، في ذلك البيت سبعة بيوت: الأول من الفضة، والثاني من الذهب، والثالث من اللؤلؤ، والرابع من الزمرد، والخامس من الزبرجد، والسادس من الدر، والسابع من النور. وأبواب البيوت من العنبر، على كل باب ألف سرير من الزعفران والكافور الأبيض، على كل سرير ألف فراش من السندس الأخضر، على كل فراش حورية خلقها الله من الطيب، من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى مفرق رأسها من الكافور الأبيض، وعلى كل واحدة منهن ستون ألف حلة من حلال الجنة، وفي أذن كل واحدة قرطان من الذهب، وشفان من الياقوت الأحمر، إذا أقبلت على زوجها يرى الياقوتتين تضيئان من ورائها كالشمس بهية للناظرين، ولكل واحدة منهن ثلاثون ألف ذؤابة من المسك، تسحبها في تراب الجنة، تحمل كل ذؤابة سبعون ألف وصيفة، مكتوب على جباههن: هذا ثواب الله لأوليائه جزاء بما كانوا يعملون.

ويروى عن النبي ﷺ، أنه قرأ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ﴾ * ثُمَّ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٥﴾. فقال لأصحابه: أتدرون ما شغل أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شغلهم افتضاض الأبقار، منهم من يفتض ثمانية آلاف بقر، ومنهم من يفتض عشرة آلاف بقر، كل على قدر عمله في الدنيا.



ويروى عنه، من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه (٨١) قال: القرآن ألف ألف حرف، وسبعة وعشرون ألف حرف، من قرأه صابراً محتسباً، كان له بكل حرف زوجة من الحور العين.

وعن النبي ﷺ، قال: يقول الله ﻋﻠﻴﻚ، لولته: إصعد إلى منزلك، فيصعد إلى قصر من لؤلؤة بيضاء، فيتلقاه ملك، فيقول له: هذه مفاتيح قصرك، ما فتح مذخُلُك، إلى أن جئت، فيدخل إلى غرفة حمراء مبطنة بخضراء، وخضراء مبطنة بحمراء، وفيها زوجاته، وما تشتهي نفسه.

وقيل: إذا استقر بولي الله قراره، قال: فيا سبحان الله، ما رأيت شيئاً في الدنيا، إلا رأيت في الجنة، إلا المراكب، فيؤتى بنجبية من الدر، فيقال له: إركب، فيركب، وإذا أهل الجنة على مثل حاله، فيقال لهم: انطلقوا بنا إلى السوق، فيأتون إلى سوق ليس فيه بيع ولا شراء، فيه الصور، فما يأتي على صورة إلا ودخل فيها، فيخرج، وقد ازداد حسنه وبهاؤه سبعين ضعفاً، فيرجع إلى زوجته، وقد ازدادت في الحسن سبعين ضعفاً، وتقول: الله أهدى إلي بعدك هدية حلياً وحللاً، وألف وصيفة، كأنهن بيض مكنون، وإذا على باب خيمته ألف أمرد، فيقولون: نحن قهارمك على ضياعك، كل واحد منا على مسيرة ألف عام.

وقيل: في جنة عدن قصر من ذهب، حوله البروج والمروج، له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حبرة، وإن ولي الله يكون على سريره، بين سماطين من اللؤلؤ المكنون، والغلمان قيام على رأسه، عليهم أقبية الديقاج، ومناطق الدر، مسورون، مخلخلون، مقرطون، فتأتي الملائكة من عند رب العالمين، فيقولون للحاجب الأول: استأذن لنا على ولي الله، فيقول: أين أنا من ولي الله، ولكن أذكر للذي يليني، ويذكر للذي يليه، حتى ينتهي إلى الخاصة، فيقولون: يا ولي الله، الملائكة على الباب يستأذنون عليك، فيقول: أئذنوا لهم.

وقيل: تأتي ريح فتلقي الاستئذان في أذن ولي الله، فيأذن لهم، فيدخلون، وهم بين سماطين من الدرّ، حتى يصلوا إليه، فيقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، وعند كل ملك هدية لا تشبه الأخرى، كلما خرج ملك، دخل آخر، وتدخل عليهم ريح طيبة تنسيهم كل ريح وجدوها في الدنيا، فهم كذلك يختلفون عليهم.

ويروى أن علامة ما بينهم وبين الخدم، إذا أرادوا الطعام، أن يقولوا (٨٢) سبحانك اللهم، فإذا قالوا، علم الخدم أنهم يريدون الطعام، فيدخلون عليهم من أربعة آلاف باب بالموائد، فتوضع بين أيديهم ميلاً في ميل، فيقوم على رأس ولي الله سبعون ألف غلام، بيد كل غلام صحيفة، واحدة من ذهب، والأخرى من فضة، في كل صحيفة لون من الطعام، لا يشبه ما في الأخرى، فيأكل مقدار أربعين عاماً، كلما شبع شرب، انهضم الطعام، فيخرج جشاء أطيب من ريح المسك، وما شرب، فيرشح عرقاً، أذكى من المسك الأذفر.

ثم تأتي الطير، كأمثال النجب، قد اصطفت بين يديه، وتكلمت بلسان طلق ذلق، تقول: يا ولي الله، كل مني، فإني رعيت في روضة كذا وكذا، فإذا اشتهى واحدة منهم، سقطت بين يديه على سبعين لوناً من ألوان الشوي والقلي والمطبوخ، فيأكل، وهي تسبح الله، فإذا شبع، نهضت سليمة كما كانت، فتقع على غصن من تلك الأغصان، وهي تفخر على الطير، فتقول: من مثلي، وقد أكل ولي الله من لحمي؟

ويروى أن ولي الله يقول للطير: أطعمني، فتطعمه من إحدى شقيه طيخاً ليس كالطيخ، ومن الأخرى شواء ليس كالشوي.

وإذا اشتهى ولي الله الوقوف على البحر، والتنزه على ساحله، وهو رمل من كافور أصفر، فإذا انتهى، نظر إلى الحوت في البحر، أو ما إليه، فيأتيه وقشره



من الذهب والفضة، وإذا خرج للتنزه في ميادين الجنة، على خيل من ذهب، فيصيدون من ظباها بلا شبك، ولا حبل.

وعلى رأس كل ولي تاج من ذهب، له سبعون ركنًا، على كل ركن ياقوتة بيضاء، تضيء مسيرة ثلاثة أيام للراكب المتعب، وعلى جبينه الأكاليل من الجواهر، وعلى ولي الله سبعون طاقًا من سندس واستبرق مختلفة الألوان. والذي يلي جسده من حرير أبيض.

وقيل: في دار ولي الله لؤلؤة مجوفة، فيها شجرة، تطلع منها الحلل، فيأخذ ولي الله، الحلة منظومة بالدرّ والجوهر، محكمة بأكامها وأزارها. وقيل: أدنى أهل الجنة منزلة، من ينظر إلى ملكه مسيرة ألف عام، ينظر إلى أقصاه، كما ينظر إلى أدناه، ويقوم على رأسه ثمانون ألف غلام، لو طلع أحدهم على الشمس والقمر لانكسفا من حسنهم وجمالهم، وهي صفة اللؤلؤ المكنون.

قيل: يا رسول الله، (٨٣) هذا الخادم، فكيف المخدوم؟! قال: كما بين البدر ليلة تمامه، وبين الكواكب.

وقال رسول الله ﷺ: أهل الجنة جرد مرد، مكحلون، مجبرون، مسرورون، منعمون مخلخلون، يعطى كل واحد منهم قوة مائة رجل في الطعام والشراب والشهوة، ويجد لذة شهوته، بعد فراغه من إنعامه مقدار أربعين عاماً، قد ألبس الله وجوههم النور، وأجسادهم الحرير، فهم بيض الألوان، صفر الحلل، في يد كل واحد منهم عشرة خواتم من الذهب، لكل إصبع خاتمان، مزوجون بالخور، متوجون بتيجان الذهب والجوهر، على رأس كل واحد تاج من الجواهر، ذلك التاج أخف من الريش، له سبعون ذؤابة، (كل ذؤابة)^(١) تساوي ما بين المشرق والمغرب، وجهته نور، وذلك قوله تعالى: ﴿تَقَرُّوْا فِي وُجُوْهِهٖمْ نَضْرَةَ النَّعِيْمِ﴾ [المطففين: ٢٤]. يبدو ضوء الشمس من ضياء وجوههم، وفي يد كل واحد منهم ثلاثة

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٠.

أسوره: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. إما أصفر بين أبيضين، وإما أبيض بين أصفرين. وفي صدره وشاحان وطوق، وفي رجله خلخالان.

قيل لابن عباس: كيف يعرف الرجال من النساء واللباس واحداً؟ قال: الرجال عليهم التيجان، والنساء عليهن الخمر، إذا أقبل ولي الله ترى قرطيه يضيئان، فإذا دخل عليهم، استقبلته الحوراء من الحور العين، عليها سبعون حلّة، كل حلّة لا تشبه الأخرى، ليس فيها مفصل، إلا وعليه حلّة، يوجد ريحها من مسيرة مائة عام، من نظر وجهها، أبصر وجهه فيها، من صفاء وجهها، وإذا نظر إلى صدرها، أبصر كبدها من رقة بدنّها، ويبصر مخّ ساقها من رقة عظمتها وجلدها، وهي في بيت فرسخ في فرسخ، ورفعته مثل ذلك، عليه أربعة آلاف مصراع من ذهب، فيه بساط من ذهب مكلل باللؤلؤ، وقد فرش على طول البيت، وفيه سرير، عليه الفرش، وهو بمنزلة سبعين غرفة من غرف الدنيا.

فإذا اشتهى ولي الله ثمرة، طارت إليه الثمرة، حتى يأكل منها، أو يذهب به سيره، حتى يأكل منها، وهذا كلّ ثواب المتقين، الذين يتقون شرب الخمر والفواحش، وما حرّم الله.

إخواني (٨٤) اصبروا قليلاً، تستريحوا دهرًا طويلاً، كي تناولوا هذه النعم الجزيلة التي لا يقدر أحد على وصفها، فإنما دنياكم هذه ماضية ذاهبة، أين الأخلاء والأصحاب، والآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والملوك، والرؤساء الأكابر؟ الذين كنتم أنتم وإياهم في عصر واحد، هل تقدرّون على إحصاء من قد مات، ممن تحفظونه حياً، تمشون على وجه الأرض انتم وإياه، ممن هو أكبر منكم، وأصغر سنًا، وممن ولد بعدكم، مضوا، فكانهم ما كانوا، قدموا إلى ما قدموا، فاعتبروا بهم أيها الإخوان، فإنكم لا محالة بهم لاقون، ولما صاروا إليه صائرون، تمرّ بكم الأيام والساعات، وتسوقكم الأنفاس والأوقات، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور.



رجع إلى المعراج

قال رسول الله ﷺ: «ثم عرض عليّ النار، فنظرت إلى أغلالها، وسلاسلها، وحياتها، وعقاربها، وغساقها، ويحمومها، فنظرت، فإذا أنا بقوم لهم مشافر كالإبل، قد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل على أفواههم صخراً من النار، فيخرج من أسافلهم، قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً.

ثم انطلقت، فإذا أنا بقوم بطونهم كالبيوت، وهم على سابلة آل فرعون، فإذا خرج من آل فرعون صديد، فيسقونه، فتسيل بطونهم، فيقعون، فتوطأهم آل فرعون بأرجلهم، وهم يعرضون على النار، غدواً وعشيا، قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا، مثلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس، ومن الربا أن يشتري الرجل مالاً أو شيئاً بالخيار، يريد به الغلة فقط، أو يدين دارهم، يأخذ من غلة المائة كذا وكذا، لارية^(١) على دور السنة، وللربا سبعون باباً، أدناها كناكح أمه».

فاتقوا الله، يا أهل الدرهم، لا تهلكوا أنفسكم، فإن الله قد أغناكم بالحلال عن الحرام، وجعل لكم في البيوعات أبواباً حلالاً، تأخذون منها الأرباح صافية بلا تبعة، فاتقوا الله، ثم اتقوا الله، واحذروا البيوعات الفاسدة، والمعاملات المشتبهة، ولا تهلكوا أنفسكم، فتدخلوا النار وبئس القرار، فأنتم ميتون قريباً لا محالة، انظروا إلى من كنتم (٨٥) تحفظونهم، كم جمعوا من الأموال بالمعاملات الفاسدة، فماتوا عنها، وتركوها ميراثاً حلالاً لغيرهم، وبقي عليهم الوزر، فأدخلوا أنفسهم النار.

(١) اللارية: اسم عملة مثل بها المؤلف.

واعلموا أن الأرزاق مبسوطة عليكم من الله، فتيقظوا قبل الفوات، وتداركوا أنفسكم قبل الموت، واسمعوا نصحي وعوا، فستذكرون ما أقول لكم، ومن كان معه دراهم، فليعامل بها معاملة صحيحة، أو يشتري بها سلعاً، فعسى أن يرزقه الله ربحاً حلالاً، أكثر مما يأخذ من المعاملة الفاسدة، والله ولي التوفيق.

قال رسول الله ﷺ: ثم انطلقت، فإذا بنساء معلقات بأثدائهن، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي يزنين، ويقتلن أولادهن. ثم مضينا من الجحيم.



ومن غير المعراج

وإذا سيق أهل النار إلى النار، ودنوا منها، واستقبلتهم الملائكة الغلاظ الشداد بمقامع الحديد، فإذا دخلوا النار، لم يبق منهم عضو، إلا استقبله عذاب، إما حية تنهشه، أو نار تحرقه، أو ملك يضربه، فإذا ضربه الملك، هوى في النار سبعين عاماً، لا يبلغ قرارها، ثم يرفعه اللهب، فيضربه الملك، فيهوي، فهو كذلك، كلما بدا رأسه، ضربه ضربة فيهوي بها، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قيل: إنهم يبدلون في اليوم سبعين مرة، وقيل: سبعين ألف مرة، وإذا عطش، نادى الشراب، فيؤتى بالحميم، فإذا تناوله، سقطت أصابعه، فإذا قربه من وجهه، سقط لحم وجهه، ثم يدخله في فيه، فتسقط أضراسه ولهاته، ويدخل بطنه، فتقع أمعائه، وينضج جلده، وذلك قوله تعالى: ﴿يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ * ﴿وَكُلَّمَا مَقَّعْنَاهُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢٠، ٢١]. فيعذبون ما شاء الله، ثم يدعون خزنة جهنم، ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب، فلا يجيبونهم، ثم يدعون مالكا أربعين عاماً، فلا يجيبهم، فيقولون: قد دعونا الخزنة، ودعونا مالكا، فلم نُجب، هلم بنا نجزع، فلا يغني عنهم، ثم يقولون: هلموا بنا نصبر، فيصبرون، فلا يغني عنهم، فيقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]، فهذا العذاب للكافرين. ولكن المسلم إذا جرت (٨٦) عليه المعصية، ثم تاب وندم وأقبح، يرجى له من الله أن يمن عليه، ويرحمه، والله غفور رحيم.

ويقال: إن أدراك النار سبعة أدراك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وبعض الدراكات أسف من بعض، ما بين النار والنار خمسمائة عام، والباب الأعلى منها، يضعف عن ناركم هذه سبعين ضعفاً.

وقيل: إن نار الدنيا خلقت من نار جهنم، وضربت بالماء ستين مرة، ولولا ذلك لما انتفع بها أهل الدنيا، وقيل: إذا كان يوم القيامة، تُرَدُّ هذه النار إلى نار جهنم، فتستجير بالله، وتستغيث من نار جهنم.

وقيل: إن الله أمر بالنار، فأوقدت ألفي عام، حتى احمرت، ثم أوقدت ألفي عام، حتى ابيضت، ثم أوقدت ألفي عام، حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة. والنيران سبع: أولها جهنم، ولظى، وسقر، والحطمة، والجحيم، والسعير، والهاوية، وهي أسفل النيران.

وسميت جهنم لسعتها وغزرها وعمقها. وقيل: سُميت جهنم لأنها تجهم يوم القيامة على الخلائق، فتأكل وجوههم.

وعن النبي ﷺ، أنه قال: لجهنم سبعة أبواب، ولكل باب منها سبعون وادياً، كل وادٍ مسيرة سبعين عاماً، لكل وادٍ (سبعون) ^(١) ألف شعبة، ولكل شعبة ألف مفازة، ولكل مفازة سبعون (ألف) ^(٢) شق، في كل شق سبعون ألف ثعبان، في كل ثعبان سبعون ألف عقرب، في كل عقرب سبعون ألف فقارة، في كل فقارة قلة سم. فلا ينتهي الكافر والمنافق، حتى يواقع ذلك كله.

قال كعب: إن آثاماً وادٍ من أودية جهنم، يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم، فيغمسون في ذلك الصديد حتى تنخلع مفاصلهم، فيخرجون منها، وقد جدد الله لهم جلوداً جديدة، فيلقون في النار، وهي التي قال الله ﷻ: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطْوِفُونَ فِيهَا وَيَبْنَونَ وَبَيْنَ حَمِيرٍ آثَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]. وقال: ﴿ يُسْحَبُونَ * فِي السَّيْرِ تُرَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]. وقوله تعالى في نار الدنيا: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَعْتًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٣]. أي جعلنا هذه النار التي في أيديكم لتذكروا بها نار جهنم.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٤.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٤.



وقيل: في جهنم وإد، يقال له غي، أبعدها قعرأ، وأشدّها حرأ، وفيه بئر تسمى الههب، كلما خبت جهنم، فتح الله تلك (٨٧) البئر، فتسعر منها جهنم.

وقال ابن عباس: إن اليهود يجدون في كتبهم أنّ ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين ألف سنة.

وقيل: يأمر الله، فيؤتى بجهنم، فتجبيء، وهي تدبّ على أربع قوائم، تجرها ملائكة غلاظ شداد، بسبعين ألف زمام، حتى تقف بين يدي الجبار، وهي ترمي بشرر كالقصر العظيم، ولها زفير ودوي، فتخرّ بين يدي الله ساجدة، وتقول: يا رب هل خلقت خلقاً تعذبني به، فيقول: لا وعزتي وجلالي، إنما خلقتك لأنتقم بك ممن أكل رزقي، وشكر غيري، فتخرّ ساجدة لله تعالى، ثم يقال لها: ازفري في وجوه أعداء الله، فتزفر، فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا طائر يطير بجناحيه، إلا جثا على ركبتيه، وتخرج منها حيات من نار، تسمع أكلها في بني آدم، كالخيل في آجام القصب.

وعن أبي هريرة^(١)، عن النبي ﷺ، قال: غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وله أربعون إهاباً، ما بين الإهابين ذراعان، محشوان عقارب كأمثال البغال، وحيات عظام، وضرسه مثل أحد، وما بين إصبعيه مسيرة فرسخ، وشفته السفلى متدلّية إلى صدره، والعليا قالصة إلى وجهه، وهم فيها كالحون.

(١) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة (٦٠٢ - ٦٧٩م)، صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه (٥٣٧٤) حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل من صحابي وتابعي، وولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولاً بالعبادة، فعزله، وكان أكثر مقامه بالمدينة، وتوفي فيها. وكان يفتي، قد جمع شيخ الإسلام تقي الدين السبكي جزءاً سمي (فتاوى أبي هريرة) ولعبد الحسين شرف الدين كتاب في سيرته. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٣٠٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٤٥٧.

ولظى، سُميت بذلك، لشدة التها بها. وسقر، لأنها تذيب الأجساد، وتعصرها، وتلوحها وتلوح الأرواح، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ • لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ﴾ [المدثر: ٢٧، ٢٨]. لا تبقي لحماً ولا عظماً إلا أكلته. ثم يُعاد خلقاً جديداً، ﴿ لَوْلَا أَنَّهُ لَلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٩]. مغبرة مسودة. وسميت الحطمة لحطمها من فيها، وتدفق الشيء بالشيء، وتبلعه، ولأنها تحطم الكافرين، وتدفقهم، وتسرحهم.

وسُميت الجحيم لعظم جمرها، وهو جمر أسود ليس له نور، ولشدة أدوارها وتوقدها وسُميت السعير، لاستعارها وتوقدها، وشدة تلهبها وتأججها، وقوله تعالى: ﴿ كَلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧]، أي تأججاً، ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٥٥]. أي تأججاً.

وسُميت الهاوية، لأن من فيها يهوي بها، فلا يبلغ قعرها، وهم فيها أبداً معذبون، لا يستقرون ولا يجدون قراراً.

وقيل: إن النار ظاهرها من نحاس، وباطنها من رصاص، وأرضها عذاب، وسقفها سخط الله، حرها شديد، وقعرها بعيد، وشراب أهلها الصديد، وعذابها باقٍ لا يبيد، (٨٨) فالنار من فوقهم، والنار من تحتهم، والنار من خلفهم، والنار من قدامهم، والنار عن أيانهم، والنار عن شمائلهم، قد أحاطت بهم، وأطبقت عليهم، فهم فيها معذبون، لا يفتر عنهم، وهم فيها ملبسون، قد اسودت وجوههم، وضمت آذانهم، ونضجت جلودهم، لا تقال لهم عثرة، ولا تفرج عنهم شدة، إذا استغاثوا لا يُغاثون، وإن دعوا لا يجابون، إلا أن يُقال لهم اخشوا فيها ولا تكلمون، طعامهم الجحيم، وشرابهم الحميم، ومثواهم في العذاب الأليم، لباسهم القطران، وتغشى وجوههم النيران، فهم في الذل والهوان، لا يقضى عليهم فيموتوا، وما هم منها بمخرجين، قد وُكِّلت بهم ملائكة غلاظ شداد، فيقولون لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب، فيقولون لهم: أو لم تأتكم رسلكم بالبينات، قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.



ثم يدعون مالكا: يا مالك، ليقضي علينا ربك، فيجيهم بعد ألف سنة، إنكم ماكثون. ثم يقولون: ادعوا ربكم، فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا آثِنَيْنِ وَأَحْيِيْنَا آثِنَيْنِ فَاعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]، فيقول الله مجيباً لهم: ذلك بأنه إذا دعا الله وحده كفرتم، وإن يُشرك به تؤمنوا، فالحكم لله العلي الكبير. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢].

فيجيهم الله: ﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]. فيقول الله: ﴿أَوْلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]. ثم يقولون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ • رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عَدْنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، فيقول الله لهم: ﴿قَالَ آخِشُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فلا يتكلمون بعدها أبداً.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: كم جسد صحيح، ووجه صحيح، ولسان فصيح، غدا في أطباق جهنم يصيح.

أيها الغافل المغرور، بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء، دع التفكير فيما أنت مُرتحل عنه، واصرف الفكر في موعدك فإنك أُخبرت أن النار مورد الجميع، لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْكُرُوا إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا • ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]. فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة على شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك الورود، فمساك (٨٩) تستعد للنجاة بالتشمير إلى أعمالها، وتأمل حال الخلائق، وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها

وأهلها، واقفين ينتظرون حقائق أنبيائها، وتشفيح شفعاها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلتهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فأيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق المخلصون من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية: أين فلان المُسَوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع الحديد، ويستقبلونه بعظام التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يُخَلَّد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، فشرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تجمعمهم، والهاوية تجمعهم، فيتمنون فيها الهلاك، وما لهم عنها من فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصي، وسُودت وجوههم من المعاصي، ينادون من أكنافها، ويضجون في أطرافها: يا مالك، قد حقَّ بنا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك، قد نضجت منا الجلود، يا مالك، أخرجنا منها، فإننا لا نعود.

فتقول الزبانية: هيهات، ولا تحين مناص، ولا أمان ولا خروج لكم من دار الهوان.

فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، فيأخذون في البكاء والعيويل، حتى تفرغ الدموع، فيكون الدماء، حتى تكون وجوههم كهيئة الأخدود، لو أُجريت فيها السفن لجرت، وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والدعاء والزفير، فذلك يستروحون به، لكنهم يمنعون من ذلك، وعذاب الله لا يوصف، ولا يكيف، وإنما هذه تذكرة وموعظة، وكفى بالقرآن واعظاً، لمن تدبر آياته ووعاها.



فانظر لنفسك أيها الإنسان، فإنما الدنيا طريق تمرُّ بك على عقبة كأداء، فيستريح فيها المخفون، ويتعب فيها المثقلون، ثم تفضي بك إلى هاتين المنزلتين اللتين مرَّ ذكرهما، بما فيهما من النعيم والعذاب الأليم، فلا بدَّ لك من واحدة منهما، فحاول ما دامت فيك المكنة، والرأي عندك، والأمر لك، قبل أن يصير الرأي لغيرك، أن يكون إفضاؤك من هذه العقبة إلى دار النعيم، وتفكّر في قوله (٩٠) تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]. والوفد لا يكون إلا ركباناً. ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [مريم: ٨٦]. فواحد يخرج من قبره، فإذا البراق على رأسه، والحلل بين يديه، فيلبس الحلل، ويضع التاج على رأسه، ويركب والملائكة مطيفون به، يزفونه إلى جنات النعيم، لا يترك من عزّه وكرمه على الله أن يمشي إلى الجنة على قدميه، وآخر يخرج من قبره، وإذا الزبانية قد أحاطت به، وألبسته السلاسل والأغلال، والأنكال والسرابيل من القطران والعذاب والخزي والهوان، وقد أحاط به، ولا يُخلى أن يمشي على قدميه من هوانه على ربه، بل يُسحب على وجهه إلى سواء الجحيم، فيحلّ به العذاب الأليم، نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه، الذي لا طاقة لنا به. ثم الطاقة الكبرى، والمصيبة العظمى، الخلود في النار، إذ لو كان العذاب منقطعاً لكان الأمر أيسر، ولكن الشأن في الخلود.

قلت: فأى (قلب)^(١) يحتمل هذا؟! وأي نفس تصير على هذا؟ والله قد هدانا الطريق، وبين لنا، وأعذر وأنذر، فلا حجة لنا بعد ذلك، ﴿هَلْ أَرَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ • إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٦﴾ [الإنسان: ١-٣]، نسأل الله أن يهدينا لمرضاته، ويوفقنا لطاعته، ويختم بالخير أعمالنا، ويسدد في جميع الأمور أحوالنا، إنه سميع مجيب.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٨.

رجع على ذكر المعراج

قال رسول الله ﷺ: ثم مررنا بالسموات منحدرين من سماء إلى سماء، حتى انتهينا إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض الله عليك وعلى أمتك؟ فقلت: خمسين صلاة. قال موسى: أنا أعلم بالناس منك، وقد بلوت بني إسرائيل، وعالجتهم أشدَّ معالجة، وإن أمتك أضعف الأمم، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك.

قال النبي: فرجعتُ إلى سدرة المنتهى، فخررت ساجداً، فقلت: يا رب، فرضت عليّ وعلى أمتي خمسين صلاة، ولن أستطيع (أن) أقوم بها أنا، ولا أمتي، فخفف عني عشراً.

فرجعتُ إلى موسى، وقلت: خفف الله عني عشراً، فقال: إرجع إليه فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم.

قال: فرجعت، ولم أزل ما بين ربي وموسى، حتى ردها إلى خمس صلوات.

ثم قال لي موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقلت: قد استحييت من ربي، وما أنا براجع. قال: فنوديت إني يوم خلقت السماوات والأرض، فرضت (٩١) عليك وعلى أمتك في اليوم والليلة خمس صلوات، وما يبدل القول لدي، فقم بها أنت وأمتك، فخمس بخمسين، أجزئي بالحسنة عشراً.

قال النبي: فرضيت كل الرضى، وكان موسى أشدهم عليّ حين مررت به، وخيرهم لي، حين رجعت إليه. ثم انصرفت مع صاحبي وأخي جبريل،

(١) إضافة يقتضيها السياق.



لا يفوتني (ولا أفوته)^(١)، حتى انتهى بي إلى مضجعي. وكان ذلك في ليلة واحدة من لياليكم، فأنا سيد ولد آدم، ولا فخر.

قيل: لما رجع النبي ﷺ ليلة أُسري به، وكان بذى طوى^(٢)، قال: «يا جبريل، أخاف أن لا يصدقوني»، قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق.

وقال النبي ﷺ: «لَمَّا أصبحت بمكة قبضت بيدي، وعرفت أن الناس مكذبي».

فقعده رسول الله ﷺ، حزيناً معزلاً، فمرَّ به أبو جهل، فأتاه، وجلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل استفدت شيئاً الليلة؟ قال: نعم، أُسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، فلم يرَ أبو جهل أن ينكره مخافة أن يمنعه الحديث، قال: أتحدّث قومك بما حدثتني؟ قال: نعم، قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلموا، فانفضّت المجالس حتى جلسوا إليهما، قال: حدّث قومك بما حدثتني، قال: نعم، أُسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، فكانوا بين مصفّق يديه، ورافع يده على رأسه متعجبين من الكذب، وارتدّ ناس ممن كان آمن به وصدقه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أَوْقَدْ قال؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق، لأنني أصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوه أو روحه، فلذلك سمي أبو بكر الصديق ﷺ.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٨.

(٢) طوى: واد في مكة، وقال الداودي، هو الأبطح، وليس كما قال. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥.

وكان فيهم من قد سافر إلى بيت المقدس، فقالوا: هل تستطيع أن تتعت لنا المسجد؟ قال: نعم، فجعل ينعته لهم، حتى التبس عليه، فجيء بالمسجد بين يديه، فكان ينعته وهو ينظره، فقال القوم: أما النعت؟ فقد أصاب.

ثم قالوا: يا محمد، أخبرنا عن عيرنا، فهم أهم إلينا من قولك، هل لقيتها؟ قال: نعم، مررت على عير بني فلان، (٩٢) وهي بالروحاء، قد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، ومررت بعير فلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذئ مرو^(١)، (ونفر بكرهما)^(٢) حتى رمى بفلان، وانكسرت يده، فلما رجعا، سألوها عن ذلك، فقالا: نعم، فكان ذلك، فقالوا: هذه آية، أخبرنا عن عيرنا، متى تجيء؟ قال: مررت بها في التنعيم^(٣)، قالوا: فما عدتها وأحمالها وهيئتها؟ قال: كنت في شغل عن ذلك، ثم مثلت له بين يديه، فقال: نعم، هيئتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق، عليه غاراتان مخيطتان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس، قالوا: وهذه آية.

ثم خرجوا يتنشدون عند الثنية، وهم يقولون: والله لقد قصص محمد شيئاً، وأتى بيئته، حتى أتوا كدئ^(٤) وجلسوا إليه، فجعلوا ينتظرون حتى تطلع الشمس،

(١) ذو مرو: والصحيح ذو المروة: وهي قرية بوادي القرى، وقيل: بين خشب ووادي القرى. انظر:

الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٦.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٩.

(٣) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف، على فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة، وسمي بذلك لأن جبالاً عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم، والوادي نعمان؛ وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة وسقايها على طريق المدينة، ومنه يحرم المكثون بالعمرة. قال محمد بن عبد الله النميري:

فلم تَزْ عيني مثل سرب رأيت	خرجن من التنعيم معمرات
مسررن بفسخ ثم رحن عشية	يلببن للرحمن مؤتجرات
تضوع مسكاً بطن نعمان إن مشت	به زينب في نسوة عطرات

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩ - ٥٠.

(٤) كدئ: الضم والقصر، جمع كذبة وهي صلابة تكون في الأرض، يُقال للحافر إذا بلغ إلى حجر =



فيرون، أصدق محمد؟ أم يكذب؟ فبينما هم كذلك، إذ قال قائل منهم: والله هذه الشمس قد طلعت. وقال آخر: والله هذه الإبل قد طلعت، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيبتان، وفيها فلان وفلان، كما قال محمد، فأروا منه الصدق والحق، فلم يؤمنوا، ولم يفلحوا، وقالوا: ما سمعنا بمثل هذا، إن هذا لسحر مبین.

وقيل: التقى الأحنس بن شريك^(١)، وأبو جهل بن هشام، فقال الأحنس لأبي جهل: أخبرني عن محمد، أهو صادق أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا أحد يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، منذ نشأ، ولكن إذا ذهب بنو لؤي بالسقاية، واللواء، والحجاجة، والندوة، والنبوة، فما يكون لسائر قريش؟. فهم يصدقونه سريرة، ويكذبونه علانية، حسداً منهم، إذ خصه الله بالفضل العظيم، وما يحسدون إلا أنفسهم، وما يشعرون، ولكن الشيطان سؤل لهم، وأملى لهم، وذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلْمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَ لَك وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣٣].

= لا يمكنه معه الحفر قد بلغ الكدية: وهو موضع بمكة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤١.

(١) الأحنس بن شريك: والصحيح الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة بن كلاب. سمي الأحنس، لأنه خنس بالقوم يوم بدر، وإنما اسمه أبي، وهو ابن بني علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة. وكان ممن ذكرهم أبو طالب في قصيدته اللامية الشهيرة. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٠١-٣٣٧.

الباب الثامن

في ذكر بيعة العقبة





فلما كانت سنة ثلاث عشرة من النبوة، واعد رسول الله ﷺ، رجلاً من الأنصار عند العقبة، في أوسط أيام التشريق. قال عمر بن كعب بن مالك^(١): خرجنا مع حجاج قومنا إلى مكة، ومعنا أبو جابر عبد الله بن حزام^(٢)، سيد من ساداتنا، وكنا نكتم أمرنا على من عندنا (٩٣) من مشركي قومنا، دعوانه إلى الإسلام، وأخبرناه أنا واعدنا رسول الله ﷺ، فأسلم، وشهد معنا العقبة. فبتنا تلك الليلة في رحالنا، حتى إذا مضى من الليل ثلثاه، خرجنا إلى الميعاد مستخفين، نتسلل واحداً واحداً، وكنا ثلاثة وسبعين رجلاً، ومعنا امرأتان: سمية بنت كعب^(٣)

(١) عمر بن كعب بن مالك: والصحيح معد بن كعب بن مالك. وجاءت الرواية عند ابن إسحاق كما يأتي: قال ابن إسحاق: حدثني معد بن كعب أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وأوعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا... انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٨٣.

(٢) عبد الله بن حزم: والصحيح عبد الله بن عمرو بن حرام: وهو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، أبو جابر الأنصاري الخزرجي السلمي، صحابي من أجلائهم. وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا الرسول ﷺ، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وأحداً، واستشهد سنة ٣هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١١١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٣) سمية بنت كعب: والصحيح نسيبة بنت كعب. وهي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن، وهي أم عمارة، وكانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ، وشهدت معها أختها. وزوجها هو زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب بن زيد وعبد الله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مسيلمة الكذاب الحنفي، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ١٠٩ - ١١٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

أم عمار^(١) بن ياسر^(٢)، وأسماء بنت عمر بن معدي^(٣)، فاجتمعنا بالشعب نتنظر رسول الله ﷺ، فجاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يوافق لابن أخيه. فلما جلسنا، قال العباس: إنكم تعلمون منزلة محمد عندنا، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على ديننا، فهو في عز من قومه ومنعه في بلده، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن يخالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم لا تقدرين على منعه بعد خروجه إليكم، فمن الآن دعوه، فهو في عز ومنعه من قومه وبلده.

قال كعب: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله ﷺ، وخذ لنفسك ولربك من الشرط ما أحببت. فتكلم رسول الله، وتلا القرآن، ودعا إلى الله تعالى، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون

(١) هي نسيبة بنت كعب وليست سمية، وبالتالي ليست أم ياسر كما ذكر المؤلف.

(٢) عمار بن ياسر: (٥٧ ق.هـ - ٣٧هـ/٥٦٧ - ٦٥٧م): عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى العنسى القحطاني، أبو اليقظان، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهريه. هاجر إلى المدينة، وشهد بدرأ وأحدأ والخندق وبيعة الرضوان، كان النبي ﷺ يلقبه (الطيب المطيب). وفي الحديث: «ما خيّر عمار بين أمرين إلا اختار أورشدهما. وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام (بناه في المدينة وسماه قباء) وولاه عمر الكوفة، فأقام زمناً، وعزله عنها. وشهد الجمل وصفين مع علي، وقتل في صفين سنة ٣٧هـ، وعمره ثلاث وتسعون سنة، له ٦٢ حديثاً، وضع عبدالله السبيني كتاباً في سيرته اسمه (عمار بن ياسر). انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٢٢ - ١٢٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٣٦.

(٣) أسماء بنت عمر بن معدي: والصحيح أسماء بنت عمرو بن عدي: وهي أسماء بنت عمرو بن عدي بن نايي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، أم منيع الأنصارية السلمية. من المبايعات تحت العقبة، وهي ابنة عمّة معاذ بن جبل. روى عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، وكان ممن شهد العقبة، ويابح رسول الله ﷺ، وذكر قصة البيعة، فقال: واجتمعنا بالشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً وامرأتان: نسيبة بنت كعب أم عمار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نايي إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٤.



منه نساءكم وأنفسكم وأبناءكم». فأخذ بيده البراء^(١)، وقال: والذي بعثك بالحق لمنعتك مما تمنع منه أوزنا، يعني محال الأزر، وهو كناية عن النساء.

قال: فبايعنا رسول الله، ونحن أهل الحرب والسلاح، ورثناها كابراً عن كابري، فعرض في الحديث الهيثم بن التيهان^(٢)، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين اليهود حبالاً، ونحن قاطعوها، فهل عسيت إن فعلنا ذلك، وأظهرك الله، أن ترجع إلى قومك، وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ، فقال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني، وأنا منكم، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمتم».

وقالوا له: الشرط لنا عليك، أن تكون في بلدنا حياً وميتاً، قال: نعم، وقال: «أخرجوا منكم إثني عشر رجلاً يكونون نقباء على قومهم»، فأخرجوا (٩٤) تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فقال رسول الله: «أنتم كفلاء على قومكم بما أخذ عليكم»، قالوا: نعم فما لنا بذلك يا رسول الله؟ قال: لكم الجنة.

(١) البراء: البراء بن معرور بن صخر الخزرجي الأنصاري: صحابي من القراء المقدمين، شهد العقبة، وكان أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار. وهو أول من تكلم منهم ليلة العقبة حين لقي السبعون من الأنصار رسول الله ﷺ، وبايعوه، وأول من مات من النقباء. توفي قبل الهجرة بشهر واحد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٥٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٤٧.

(٢) الهيثم بن التيهان: والصحيح أبو الهيثم بن التيهان: وهو مالك بن التيهان بن مالك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر، أبو الهيثم، البلوي، من بلي بن الحاف بن قضاة، حليف بني عبد الأشهل، شهد بيعتي العقبة الأولى والثانية، وكان أحد الستة الذين لقوا قبل ذلك رسول الله ﷺ بالعقبة. قيل: إنه أول من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة، وشهد بدرأً وأحداً والمشاهد كلها. وتوفي في خلافة عمر ستة عشرين أو إحدى وعشرين، وقيل: بل قتل يوم صفين مع علي ستة وثلاثين. وقيل: بل بقي حتى مات بعدها ببسيرة. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص٩٨. والزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٥٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٢ - ١٤.

قالوا: ربح البيع فلا نقيله، ولا نستقبل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْحَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَارِيثِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]. فجميع المؤمنين داخلون في هذه الآية.

ومرّ إعرابي، والنبى يقرأ هذه الآية، فقال: كلام من هذا؟ قال النبى: كلام الله، قال الأعرابي: بيع والله مريح، لا نقيله ولا نستقبله، فخرج الأعرابي إلى الغزو، فاستشهد. وأنشد أبو علي الكوفي^(١)، شعراً:

من يشتري قبة في العدن عالية في ظل طوبى رفيفات مبانيها
دلالها المصطفى والله بائعها ممن أراد وجبريل مناديها

ثم قالوا: يا رسول الله، ابسط يدك، فبسط رسول الله ﷺ يده، فبايعوه، على أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئاً.

ثم قال رسول الله ﷺ: «انفضوا إلى رحالكم». قال: فانفضنا، فلما أصبحنا، عدت علينا قريش في منازلنا، وقالوا: يا معشر الخزرج، إنا قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا، لتستخرجوه من بين أظهرنا، وتبايعوه على حربنا، والله ما مرّ حي من العرب أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم، فانبعت مشركوا قومنا هنالك يحلفون لهم، ما كان من هذا شيء، وما علمناه، وقد صدقوا، إذ هم لم يعلموا، ونحن ينظر بعضنا إلى بعض.

(١) أبو علي الكوفي: هو أحمد بن محمد بن عمار، أبو علي، فاضل إمامي، عارف بالحديث والأصول، من أهل الكوفة، من كتبه: «أخبار آباء النبي ﷺ» و«إيمان أبي طالب» و«كتاب المدح والذم» و«المذمومون» و«المبيضة» وهم الفرق التي خالفت بني العباس في البيعة والرأي، وكان شعارها لبس البياض خلافاً للعباسيين المعروفين بالسوداء. توفي أبو علي الكوفي سنة ٢٣٦هـ. انظر: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١٤٠.



ثم إن قريشاً أتوا عبدالله بن أبي بن سلول^(١)، فذكروا له ما سمعوا من أصحابه، فقال: إن هذا الأمر لجسيم، وما كان أصحابي ليتقولوا عليّ بمثل هذا، وما علمته، فانصرفوا عنه، وقال كعب بن مالك^(٢) آياتاً يذكر فيها النقباء، وهي هذه:

فأبلغ أبا سفيان أن قد أضاءنا	بأحمد نور من هدى الله ساطعُ
ودونك فاعلم أن نقض عهدنا	أباه الملا منا الذين تبايعوا
أباه بن عمرو والبراء كلاهما	وأسعد يأباه عليك ورافعُ (٩٥)
وسعد أباه الساعديّ ومنذر	لأنفك إن حاولت ذلك جادعُ
وما ابن الربيع إن تناولت عقده	بمسلمة لا يطمعن ثمّ طامعُ
وأيضاً فلا يعطيكم ابن رواحة	وإحقاره من دونه السمّ نافعُ
وفاءً به والخزرجي ابن صامت	بمندوحة عمّا تحاول واسعُ
وأيضاً فلا يعطيكم بن رواحة	وإحقاره من دونه السمّ نافعُ
أبو هيثم أيضاً وفيّ بمثلها	صبور لما أعطى من الحق جامعُ
وما ابن حضير إن أريد بمطمع	فهل أنت عن إحموقة الغي نازعُ

(١) عبدالله بن أبي سلول: عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب المشهور بآبن سلول، وسلول جدّه لأبيه من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم. وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيّة. ولما نهى النبي ﷺ لوقعة أحد، انخزل ابن أبي وكان معه ثلاثمائة رجل، فعاد بهم إلى المدينة. وفعل ذلك يوم التهنؤ لغزوة تبوك. وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمعت بهم، وكلما سمع بسينة نشرها وله في ذلك أخبار، ولما مات تقدم النبي ﷺ، فضلى عليه، ولم يكن ذلك من رأي عمر، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ...﴾. وكان عملاقاً يركب الفرس، فتخطب إبهاماه في الأرض. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٦٥.

(٢) كعب بن مالك: كعب بن عمرو بن القين، الأنصاري السلمي الخزرجي: صحابي، من أكابر الشعراء. من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية. وكان في الإسلام من شعراء النبي ﷺ، وشهد أكثر الوقائع. ثم كان من أصحاب عثمان، وأنجده يوم الثورة، وحرض الأنصار على نصرته. ولما قتل عثمان قعد عن نصره علي، فلم يشهد حروبه. وعمي في آخر عمره، وعاش سبعاً وسبعين سنة. له ديوان شعر مطبوع جمعه سامي العاني في بغداد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٤٦١ - ٤٦٢. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٢٩.

وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه
أولك نجوم أسعد يهتدي بها
خوون لما تنوي من الأمر مانع
ونجمك نحسّ في دجى الليل طالع^(١)

وجملة من شهد العقبة من الأوس: أحد عشر رجلاً، من الخزرج: من بني النجار، اثنا عشر رجلاً، ومن بني الحارث بن الخزرج سبعة رجال، ومن بني عوف بن الخزرج ستة رجال، ومن بني الجشم بن الخزرج خمسة وثلاثون رجلاً، ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان، فذلك ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان. وقال حسان بن ثابت:

كذب امرؤ أضحى يعد قبيلة
فسل البرية هل أجبنا ربنا
ما ضرنا أن البرية كلها
ولرب مغتبط بحسن بلاتنا
نحن الذين سروا بمكة بعدما
مشيا على خوف فلم نر مثله
عقد العهود ببيعة محفوظة
مشياً يعد أبر من مشاننا
ألا ترى فينا له خوّانا
نصرت بأجمعها النبي سوانا
ورسوله للحق حين دعانا
جهدت لتدرك في الحروب ذرانا
لو يستطيع عن الهدى لثاننا
نام الرقيب فزاننا مسراننا
حتى عقدنا للنبي وثيقة
وكفى بنا فضلاً على من غيرنا
فيما أحب ومثلها أعطانا
حب النبي محمد إيانا^(٢)

ثم إن النبي أمر أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا، وأقام النبي ﷺ بمكة، ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه أحد بمكة إلا أخذ وحبس، وفتن عن دينه، وهاجر جميع المؤمنين، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر رضي الله عنهما.

(١) انظر القصيدة في: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية ج ٢، ص ٨٧-٨٨، مع اختلاف في بعض الألفاظ. وفي القلهاقي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ١٥٥.

(٢) انظر القصيدة في: القلهاقي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج ٢، ص ١٥٧.



وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن النبي في الهجرة، وهو يقول (٩٦) له: «لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحباً».

ثم إن أبا بكر خرج من مكة، يريد أرض الحبشة مهاجراً، حتى إذا بلغ ترك العماد^(١)، لقي ابن الدغنة^(٢)، وهو سيد القادة، فقال له: إلى أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي، أريد أن أسبح في الأرض، أعبد ربي، فقال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٍ، فارجع، فاعبد ربك ببلدك.

فرجع أبو بكر، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف عشيته في أشرف قريش، فقال: إن أبا بكر مثله لا يخرج، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، ووفى ابن الدغنة لأبي بكر بالذمة، فلبث أبو بكر يعبد ربه في داره، ولا يشتغل بغير صلاته وقراءته، ثم بدا له، فبنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه، ويقراً القرآن، فيزدحمن عليه نساء المشركين، وأبناؤهم يتعجبون، وينظرون إليه، وكان ﷺ بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ، فغاظ من ذلك أشرف قريش، فأرسلوا إلى أبي الدغنة، وقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في بيته، فقد تجاوز ذلك، وبنى مسجداً بفناء داره، فأعلن فيه بالصلاة والقراءة، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فانه، فإن أحب أن يقتصر على عبادة ربه سرّاً فعل، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك، فاسأله، فليرد عليك جوارك، فإننا كرهنا أن نخفرك في ذمتك، ولسنا مقرين أبا بكر على الاستعلان في بلدنا.

(١) ترك العماد: موضع بعينه قرب مكة في ديار بني سليم، يسكنه بنو صبيحة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٤٩.

(٢) ابن الدغنة: هو أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمه بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا جميعاً، فسموا الأحابيش (لأنهم تحالفوا في أسفل مكة يقال له وادي الأحبش) وكان ابن الدغنة سيد الأحابيش. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢.

فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال له: قد علمت ما عاقدتك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد عليّ جوارِي. فقال أبو بكر: إنّي أردّ إليك ذمتك وجوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله.

ثم إن أبا بكر تجهّز، يريد المدينة، فقال له النبي ﷺ: «على رسلك، فإنّي أرجو أن يؤذن لي». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على النبي ﷺ، حتى أمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة. وكان قد رأى في المنام أنه قد هاجر من مكة إلى أرض ذات نخل، فقال: ظننت أنها اليمامة^(١)، أو هجر، فإذا هي المدينة، فأمره الله بالهجرة إليها، وهو (٩٧) ابن ثلاث وخمسين سنة، وقد هاجر قبل هجرته جماعة من المسلمين.

(١) اليمامة: اليمامة اسم إقليم في نجد، وقاعدتها هجر، وتسمى اليمامة جَوْأً والعروض بفتح العين، وكان اسمها قديماً جَوْأً، فسميت باليمامة بنت سهم بن طسم، قال أهل السير: كانت منازل طسم وجديس باليمامة. وقال الكسائي: اليمام من الحمام البري، التي تكون في البيوت والحمام البري. وقال الأصمعي: اليمام ضرب من الحمام البري. كان فتح اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السنة الثانية عشرة للهجرة، وفتحها خالد بن الوليد، حيث دخل في معركة طاحنة مع جيش مسيلمة الكذاب من بني حنيفة، وقتل مسيلمة في هذه المعركة على يد وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤١ - ٤٤٢. وابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١٨ - ٢٢٤.

الباب التاسع

في ذكر هجرة النبي ﷺ ،
من مكة إلى المدينة





قيل: لَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ظُهُورَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَزْدَادُونَ عِنْدَهُ، اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قَرِيشٍ لِلتَّشَاوُرِ فِي دَارِ النَّدْوَةِ^(١)، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعَمُ أَنَّكُمْ إِنْ بَايَعْتُمُوهُ، كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَإِذَا مِتُّمْ، بُعِثْتُمْ إِلَى جَنَاتٍ أَحْسَنَ مِنْ جَنَاتِ الْأَرْضِ، وَإِنْ لَمْ تَبَايَعُوهُ، كَانَ لَكُمْ مِنْهُ ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ إِلَى النَّارِ تُحْرَقُونَ بِهَا.

فبينما هم كذلك، إذ دخل عليهم إبليس، لعنه الله، في صورة شيخ، قالوا: من أنت أيها الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع باجتماعكم، فحضركم، ليسمع ما تقولون، عسى أن لا يعدمكم رأيي شيخ.

ثم ذكروا شأن محمد، فقال بعضهم: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، وإننا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن معه، فأجمعوا فيه على رأيي. فقال هشام بن عروة^(٢): أوثقوه بالحديد، وأغلقوا عليه، ثم تربصوا به ما أصاب

(١) دار الندوة: دار اتخذها قصي بن كلاب بعدما تبئنت قريش بأمره، كان باب دار الندوة في المسجد، وفيها كانت قريش تقضي أمورها، وبعد موت قصي أصبحت دار الندوة لبني عبد الدار، ثم لولده، حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار لمعاوية، فجعلها دار الإمارة بمكة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١-٢٣.

(٢) هشام بن عروة: بعد المراجعة والتدقيق في مصادر التاريخ الإسلامي الرئيسية وبخاصة السيرة النبوية وتاريخ الطبري تبين أن الذين اجتمعوا من أشرف قريش في دار الندوة للتشاور في أمر الرسول ﷺ هم: من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان صخر بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عددي، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلفة. ومن بني أسد بن عبد المزي: أبو البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج. ومن بني جمح: أمية بن خلف. ولم يرد ذكر هشام بن عروة، والقول الذي =

من قبله، كزهير، والنابغة^(١)، من الموت. فقال الشيخ: والله لو حبستموه، لخرج إلى أصحابه، وانتزعوه من أيديكم.

فقال أبو البختری: نخرجه من بين أظهرنا، ونفیه من بلدنا. فقال الشيخ النجدي: ما هذا لكم برأي، ألا ترون إلى حسن منطقه، وحلاوة حديثه، وغلبته على قلوب الرجال، بما يأتي به؟ فوالله، لو فعلتم ذلك، ما أمنتُ عليكم أن يأتي إلى حيّ من العرب، فيغلب عليهم بحسن حديثه، فيبايعوه، ثم يسير بهم إليكم، فيطأكم بهم.

فقال أبو جهل^(٢): "والله إن لي فيه لرأياً، وهو أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً نجدأ جلدأ، فنعطى كل واحد منهم سيفاً صارماً، فيعمدون إليه، ويضربونه

= نسبه إليه مؤلف المخطوطة منسوب إلى: وقال قائل منهم. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٥٥. والطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٤٣. (١) النابغة: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان عمرو بن العلاء يفضلته على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظياً عند النعمان بن المنذر، وحتى شئب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة، ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في ديوان مطبوع. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمراً طويلاً. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٥٤.

(٢) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية. قال صاحب عيون الأخبار: سؤدت قريش أبا جهل لم يطرّ شاربه، فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام وكان يقال له «أبو الحكم» فدعاه المسلمون «أبا جهل» سألته الأخص بن شريق الثقفى، وكانا قد سمعا شيئاً من القرآن: ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه... والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، واستمر في عناده يثير الناس على النبي ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم، والعمل على إيدائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدا مع المشركين، وكان من قتلاها سنة ٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٧.



ضربة رجل واحد، فيقتلونه، فنستريح منه، ويتفرق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، ويرضون بالعقل، فنعقله لهم جميعاً. فقال الشيخ النجدي: القول ما قال هذا الرجل، وهو الرأي عندي، فاجتمع القوم كلهم على ذلك.

فأتى جبريل عليه السلام، إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما كان من اجتماعهم، وقال له: لا تبيتن الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وأمره بالهجرة إلى المدينة. فلما كانت العتمة، اجتمع القوم على بابه، وترصدوا له، حتى ينام، فبيتونه، فلما رأى النبي مكانهم، قال لعلي: نم على فراشي الليلة، واتشح ببردي الحضرمي (٩٨) الأخضر، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه. فبات علي تلك الليلة على فراش النبي.

وخرج النبي إلى أبي بكر، فقال له: قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: نعم، فعمدا إلى الغار^(١)، وكان خروجهما ليلة الاثنين، لثلاث بقين من شهر صفر، وقيل: لأربع خلون من ربيع الأول.

ويروى أن أبا بكر قال لعائشة: لو رأيتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ صعدنا إلى الغار، وقدمنا رسول الله تقطران دماً، وأما قدماي (فعاذا)^(٢) كأنهما صنوان، وكان أبو بكر يمشي تارة قدام النبي، فيذكر الطلب من خلفهما، فيمشي خلفه، ثم يذكر الرصد، فيمشي قدامه، شفقة على النبي منه، حتى انتهى إلى الغار، فقال أبو بكر: دعني أدخل قبلك، التمس الغار إن كان فيه شيء، فدخل أبو بكر

(١) الغار: مغارة في الجبل كأنه سرت، والغار المذكور هنا هو غار ثور الذي لجأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق أثناء الهجرة، وهو غار بجبل ثور بمكة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٢.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٩٥.

إلى الغار، ثم خرج، وصعد فوق سطحه، فجعل يرزن برجليه، يستوثق منه، ثم نزل، ودخل هو والنبي، فكان أبو بكر كلما رأى حجراً في الغار، ألقمه قطعة من ثوبه، حتى قطع جميع ثوبه، وبقي حجر واحد، فسده بعقبه، وكان فيه حية، فلسعته، فرقاها له النبي ﷺ.

فلما أصبحا، قال له النبي ﷺ^(١): أين ثوبك يا أبا بكر؟! فأخبره بما صنع، فقال النبي صلوات الله عليه وسلامه: اللهم، اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة، فأوحى الله إليه، إن الله قد استجاب دعائك.

ثم دعا النبي شجرة كانت قريباً من الغار على باب الغار، فبعث الله حمامتين، فباضتا على باب الغار، ونسج العنكبوت على باب الغار. وقيل: لذلك نهى النبي ﷺ، عن قتل العنكبوت، وقال: هي جند من جنود الله. وجعل الجزاء في الحمام.

وبات المشركون يحرسون علياً على فراش النبي ﷺ، فلما أصبح، ثاروا عليه، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقتفوا أثره، حتى أتوا إلى الغار، فظنّوه قديماً، لما رأوا عليه من نسج العنكبوت، وبيض الحمام، ونبت الشجرة، فقالوا: إنه لو دخل الغار لانكسر بيض الحمام، ولا نقشع نسج العنكبوت، وأثره قد انتهى إلى هاهنا. فإما أنه ساخ في الأرض، أو صعد إلى السماء، وبقوا متحيرين، لا يدرون أين ذهب.

وأمر أبو جهل منادياً ينادي في مكة أعلاها وأسفلها: من جاء بمحمد وصاحبه، أو ذلّ عليهما، أو جاء بأحدهما، فله مائة من الإبل. فأقبل فتيان من قريش يطلبونهما، فقال أبو بكر للنبي: لو نظر أحد منهم إلى قدمه لرآنا، فقال النبي: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، فأنزل الله (٩٩): ﴿إِلَّا نَصُورُهُ

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٩٦.



فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ لَنَا اللَّهُ مَعَنَا ﴿ [التوبة: ٤٠].

فمكثا في الغار ثلاثة أيام، يبيت معهما عبد الله بن أبي بكر^(١)، وهو غلام
شاب ثقف لقرن، فيدلج من عندهما بسحر، ويصبح عند قريش كالبايت معهم،
فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه، وأخبرهما به، ويأتي إليهما حين يختلط
الظلام، ويأتيهما بطعامهما عامر بن فهيرة^(٢)، بغلس، فيغيب بهما.

ثم استأجرا رجلاً من بني الدئل، وهو علي دين كفار قريش، يدلهما على
الطريق.

قالت عائشة رضي الله عنها، لما أراد النبي وأبو بكر الخروج إلى المدينة، جهزناهما
أحسن الجهاز، ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر
من نطاقها، فسدت به فم الجراب، فمن ذلك سميت ذات النطاقين، واحتمل
أبو بكر جميع ماله، وكان خمسة آلاف درهم، وقيل: ستة آلاف درهم، وكان
أبو بكر قد علف راحلتين، كانتا عنده، ورق (السدر)^(٣)، وهو «الخبط» أربعة

(١) عبد الله بن أبي بكر: عبد الله بن أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمي القرشي: صحابي. من
العقلاء الشجعان. أسلم قديماً، وكان يحمل الطعام وأخبار قريش إلى النبي ﷺ وأبي بكر: إذ هما في
الغار. وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وأصيب يوم الطائف بسهم، فلم يؤذ في حينه، وانتفض عليه
بعد ذلك، فتوفي بعلته، له شعر، اشتهرت منه أبيات في زوجته «عاتكة» أوردها ابن حجر في الإصابة.
انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٩٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في
معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٨٨.

(٢) عامر بن فهيرة: عامر بن فهيرة التيمي، مولى أبي بكر الصديق، يقال: أصله من الأزد. ويقال: من
عز بن وائل. استرق في الجاهلية، فاشتراه أبو بكر الصديق، فأعتقه، وهو من السابقين إلى الإسلام،
وممن كان يُعذب من أجل إسلامه، وكان رفيق أبي بكر في الهجرة. ثم شهد بدرأً وأحدأً، واستشهد
في بئر معونة. انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٨٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن
محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٣٤.

(٣) «سمر» في النسخة الأصلية ب، ص ٩٧.

أشهر، فأخذ الرجل الدثلي الراحلتين، فأتاها بغار ثور، فركبا، وأردف أبو بكر خادمه عامر بن فهيرة، ليخدمهما في الطريق.

قال أبو بكر: فأدلجنا، فحشنا يومنا وليلتنا، حتى قام قائم الظهيرة، فضربت بيصري، هل أرى ظلاً نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرة، فاهوينا إليها، فسويت بقية ظلها لرسول الله ﷺ، وفرشت له فروة، وقلت اضطجع يا رسول الله، فاضطجع، فخرجت (أنظر^(١)) هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا براعي غنم، قلت: لمن أنت؟ قال: لرجل من قريش، فسماه لي، فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فاعتقل شاة، فأمرته، فنفض من ضرعها التراب، وأمرته، فنفض كفيه من الغبار، ومعني إداوة على فمها خرقة، فحلب لي كثيفة من الغنم، فصببت الماء على القدر، حتى يبرد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ، وقلت: إشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل.

فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدر كنا أحد منهم إلا سراقه بن مالك ابن جعشم^(٢)، على فرس، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، قال: لا تحزن، إن الله معنا، حتى إذا دنا منا، وكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين. فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، (١٠٠) وبكيت، فقال: لِمَ تبكي؟ فقلت: والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك، فدعا رسول الله ﷺ، على سراقه، وقال: اللهم اكفنا شره بما شئت. فساخت قوائم فرسه إلى بطنها

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٩٧.

(٢) سراقه بن مالك بن جعشم: سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي الكتاني، أبو سفيان، صحابي، له شعر. كان ينزل قديداً. له في كتب الحديث تسعة عشر حديثاً، وكان في الجاهلية قائماً، أخرجه أبو سفيان ليقاتف أثر الرسول ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤١٢، وانظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٨٠.



في أرض صلدة، فنزل عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجينني مما أنا فيه، فوالله لأعmin على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي، فخذ منها ما شئت، وإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا، فخذ منها حاجتك، فقال النبي: لا حاجة لي فيها. فدعا له، فانطلق، ورجع إلى أصحابه.

قال سراقه: وكان كفار قريش جعلوا لمن يأتي بمحمد وصاحبه مائة من الإبل، وقد كنت في مجلس من مجالس قومي، إذ أقبل رجل منهم، فقال: إني رأيت سواداً بالساحل، أظنه محمداً وصاحبه، فعرفت أنه هما، فقلت: ليسا هما، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقا بأغنماننا. قال سراقه: وقد عرض رسول الله ﷺ رمحه عليه، لثلا يعرف من البعد.

ثم إن النبي ﷺ، سار هو وأصحابه، أبو بكر ومولاه عامر ودليلهم عبدالله بن الأريقط^(١)، فمروا على خيمة أم معبد الخزاعية^(٢)، وكانت برزة جلدة تختبئ بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً، يشترون من عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرطون مستنون، فقالت: والله لو كان عندنا (شيء)^(٣) ما أعوزكم القرى.

(١) عبدالله بن الأريقط: والصحيح عبدالله بن أرقط، وهو دليل رسول الله ﷺ وصاحبه أثناء الهجرة، حيث سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل عُسفان، ثم سلك بهما أسفل أمج، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخزار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لفقاً. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٦.

(٢) أم معبد الخزاعية: هي عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة، أم معبد الخزاعية، ويقال عاتكة بنت خالد بن خليف. وهي التي نزل عليها رسول الله ﷺ في خيمتها حين خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً، وذلك الموضع يدعى إلى اليوم خيمة أم معبد. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٨٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٨٦.

(٣) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٩٨.

فَنظَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فِي كَسْرِ الْخِيْمَةِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الشَّاهُ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ؟ فَقَالَتْ: شَاهٌ خَلْفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ. قَالَ: هَلْ بِهَا مِنْ لَبْنٍ؟ قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أُحْلِبَهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ بِأَبِي وَأُمِّي، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا لَبْنًا، فَاحْلِبِيهَا. فَدَعَاهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَسَحَ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةَ عَلَى ضَرْعِهَا، وَسَمَّى اللَّهَ، وَدَعَا لَهَا اللَّهَ فِي شَاتِهَا، فَتَفَاحَتْ عَلَيْهِ، وَدَرَّتْ، وَاجْتَرَّتْ وَدَعَا بِإِنَاءِ تَرْبِضِ الرَّهْطِ، أَيِ تَرْوِي الْجَمَاعَةَ، فَحَلَبَ فِيهَا ثَجًّا حَتَّى مَلَأَهَا، ثُمَّ سَقَى أُمَّ مَعْبِدٍ حَتَّى رَوِيَتْ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا، وَشَرِبَ هُوَ آخِرَهُمْ، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا حَتَّى امْتَلَأَ، وَتَرَكَ لَهَا، وَبَايَعَهَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَارْتَحَلُوا عَنْهَا.

فَقَلَّ مَا لَبِثَ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ، يَسُوقُ أَغْنَامًا عَجَافًا، تَسَاوَكْنَ (١٠١) هَزَالًا، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبِدٍ اللَّبْنَ، عَجِبَ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبْنُ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ، وَالشَّاهُ عَازِبٌ حِيَالٍ، وَلَا حَلُوبَةٌ بِالْبَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِبَارِكٌ، مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبِدٍ، قَالَتْ: (رَأَيْتُ)^(١) رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاعَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهَ، حَسَنَ الْخَلْقِ، رُبْعَةَ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، أَبْيَضَ فِي اللَّوْنِ، مَشْرَبٌ بِحَمْرَةٍ، يَبْلُغُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، لَمْ يَبْلُغِ الشَّيْبَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ، مُعْتَدِلٌ، إِنْ صَمِتَ فَعَلِيهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاءٌ، وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُمْ وَأَحْلَاهُمْ مِنْ قَرِيبٍ، حَلْوُ الْمَنْطِقِ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، أَزْجُ الْحَوَاجِبِ فِي غَيْرِ قَرْنٍ، أَقْنَى الْأَنْفِ، سَهْلُ الْخَدَيْنِ، ضَلِيعُ الْفَمِ، أَشْنَبُ، مَفْلَجُ الْأَسْنَانِ، بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ، يَقُولُ وَاصْفَهُ: لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، لَهُ رَفَقَاءُ يَحْفَقُونَ بِهِ، إِنْ قَالَ، أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ، تَبَادَرُوا لِأَمْرِهِ، مُحْفُودٌ مُحْسُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مَنْفَرٌ.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ٩٨.



قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وقيل: أصبح بمكة صوت عال، يسمعونه، ولا يدرون من صاحبه، ينشده هذه الأبيات:

جزا الله رب العرش خير جزائه	رفيقين قالوا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به	فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيالقصي ما زوى عنكم به	من فخار لا يباري وسؤدد
ليهنّ بني كعب مقام فنائهم	ومقعدها للعالمين بمرصّد
سلوا أحتكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلّبت	بدر صريح ضرة الشاة مزبد
فغادها وهناً كحالب لقحة	تردها في مصدر ثم مورّد
ليهنّ أبا بكر سعادة جدّه	بصحبه من يسعد الله يسعد ^(١)

وبقيت الشاة التي حلبها رسول الله ﷺ، عندها، (تحلبها)^(٢) صيوحاً وغبوقاً، إلى زمن عمر بن الخطاب، إلى سنة ثمانى عشرة من الهجرة.

ولقيهم في طريقهم، بريدة بن الحصيب^(٣) في سبعين ركباً في أهل بيته، ثم قال النبي: من أنت؟ قال بريدة (١٠٢): فالتفت النبي إلى أبي بكر، وقال

(١) انظر الأبيات في: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٠٦. وانظر الأبيات في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتحقيق عبد الرحمن البرقوتي، دار الأندلس، بيروت، لبنان ١٩٦٦م، ص ١٤٢-١٤٣. وقد ردّ حسان بن ثابت يجاب الهاتف قائلاً:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم	وقدس من يسري إليهم ويفتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم	وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بمد الضلالة رهيم	وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٩٩.

(٣) بريدة بن الحصيب: بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه. وسكن =

برد الأمر وصلح. ثم قال النبي للرجل: ممن أنت؟ قال: من أسلم، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: سلمنا، قال النبي: ومن أي حي؟ قال: من بني سهم، قال: إخرج سهمك، قال بريدة: ومن أنت؟ قال: أنا محمد رسول الله، قال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله. فأسلم بريدة، وأسلم من كان معه جميعاً، فلما أصبح، قال بريدة للنبي: لا تدخل إلا معك لواء، فجعل بريدة عمامته في رمح، وشدها، ومشى بين يدي النبي ﷺ، وقال: يا نبي الله، تنزل معي؟ فقال النبي: إن ناقتي مأمورة، فقال بريدة: الحمد لله، أسلم بنو سهم طائعين، غير مكرهين.

ثم إنهم لقوا الزبير في ركب من المسلمين، قافلين من الشام تجاراً، فكساهم الزبير ثياباً بيضاء.

قيل: وأقبل رسول الله إلى المدينة مردفاً أبا بكر ﷺ، وأبو بكر شيخ يعرف، والنبي ﷺ، شاب لا يعرف، فيتلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الذي يهديني السبيل، فيحسب أنه يعني الطريق، وهو يعني سبيل الخير.

= المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها. له ١٦٧ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٦٧ - ٣٧٠، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٥٠.

الباب العاشر

في ذكر قدوم النبي ﷺ ،
إلى المدينة





روي عن عروة^(١)، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: جمع المسلمون بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، وكانوا يعمدون كل يوم إلى الحرة^(٢)، ينتظرونه، حتى يردهم حرّ الظهيرة. فأقبلوا يوماً، بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، وصعد رجل من اليهود على أطم من أطام المدينة لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ، وأصحابه لابسين البياض، يزول بهم السراب، فلم يتمالك اليهودي أن صاح بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرونه. وثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل في بني عمرو بن عوف^(٣)، وهم أهل

(١) عروة: عروة بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي: شاعر، من رجال الفتوح في صدر الإسلام، عاش مدة في الجاهلية، وشهد مع أبيه بعض حروبها. وأسلم، ويقال: إنه اجتمع بالنبي ﷺ. ثم عاش إلى خلافة علي، وشهد معه صفين. قال البلاذري: كتب عمر بن الخطاب إلى عمار بن ياسر، وهو عامله على الكوفة، بعد شهرين من وقعة نهاوند سنة ٢١هـ، يأمره أن يعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري ودستي في ثمانية آلاف، ففعل، وسار عروة إلى من هناك، فجمعت الديلم، وأمدهم أهل الري فقتلوه، فأظهره الله عليهم واجتاحهم، وذهب إلى عمر، فأخبره بالفتح، فسماه البشير. وكان ممن شهد وقعة القادسية، ويشير إلى ذلك بقوله من أبيات:

برزت لأهل القادسية معلماً ما كل من يغشى الكريهة يعلم

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٢) الحرة: هي حرة واقم، إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم. وقيل: واقم اسم أطم من أطام المدينة إليه تضاف الحرة. وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ. قال محمد بن بحرة الساعدي:

فإن تقتلوننا يوم حرة واقم فنحن على الإسلام أول من قتل

ونحن تركناكم بيدر أدلة وأبنا بأسياف لنا منكم نفل

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٣) عمرو بن عوف: عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة، من الأزدي، من الفحطانية: جد جاهلي، =

قباء^(١)، فنزل على كلثوم بن الهدم^(٢)، وقيل: نزل على سعيد بن خيشمة^(٣)، وكان عزباً، لا أهل له، وقيل: تنازع القوم، أيهم ينزل عليهم النبي ﷺ، فقال ﷺ: أنزل الليلة على بني النجار، أخوال بني عبدالمطلب، لأكرمهم، فإذا أصبحت، غدوت حيث أمرت.

وكان قدومه يوم الاثنين (١٠٣) نصف النهار، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

وأقام رسول الله في قباء، في بني عمرو بن عوف الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وقيل: بضعة عشر يوماً، وأسس مسجدهم، وخرج عنهم يوم الجمعة، فجمع في بني سالم، فكانت أول جمعة جمعها (في الإسلام)^(٤)، وخطب في بني سالم بن عوف^(٥)، هذه الخطبة:

= كان له من الولد «عوف» ومنه سلالته، وهي بطون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٢.

(١) قباء: وهي قرية على ميلين من المدينة المنورة على يسار القاصد إلى مكة، بها أثر بنيان كثير، وهناك مسجد التقوى، وقيل: إنه مسجد رسول الله ﷺ. وإليها ينسب عدد كبير من أهل العلم. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) كلثوم بن الهدم: كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي. كان يسكن قباء، ويعرف بصاحب رسول الله ﷺ، وكان شيخاً كبيراً. أسلم قبل وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ بقباء. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٦٧-٤٦٨.

(٣) سعيد بن خيشمة: والصحيح سعد بن خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النخاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري. صحابي، أحد القباء الاثني عشر بالعقبة. يقال: إن رسول الله ﷺ نزل عنده بعد هجرته إلى المدينة. وكان يقال لبيت سعد بن خيشمة «بيت الأعزب». حضر غزوة بدر الكبرى واستشهد فيها سنة ٢هـ. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ص ٨٧، ١٣٨. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٨٤.

(٤) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٠١.

(٥) سالم بن عوف: سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج: جد جاهلي. من بني مالك بن العجلان، سيد الأنصار، وعدة من الصحابة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٧٢.



«الحمد لله، أحمدوه، وأستعينه، وأستغفره، وأستهديه، وأؤمن به، ولا أكفره، وأُعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وإني عبده ورسوله، أرسلني بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله، فقد رشد، ومن عصى الله ورسوله، فقد غوى وفرط، وضلّ ضلالاً بعيداً.

أوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذرکم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك (ذكرنا)^(١)، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تتقون به من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية، ولا ينوي بذلك، إلا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفقر المرء إلى ما قدّم، وما كان من هوى ذلك ليودّ أن لو كان بينه وبين ذلك أمداً بعيداً، ويحذرکم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِّلْمَيِّدِ﴾ [ق: ٢٩]، فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السرّ والعلانية، فإنه من يتق الله، يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله، فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يوقى مقتته وعقوبته وسخطه، تبيض به الوجوه، ويرضي الرّب، ويرفع الدرجة. خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، وانهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم، وسماكم المسلمين من قبل، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من يحيى عن بينة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٠١.

فأكثرُوا ذكر الله، واعلموا أنه خير من الدنيا وما فيها، واعملوا لما بعد الموت، فإن من (١٠٤) يصلح ما بينه وبين الله، يكفه ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي الحق على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس، ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم ركب رسول الله ﷺ ناقته، وأرخصي لها الزمام، فلا يمز بدور من دور الأنصار، إلا دعاه أهلها إلى النزول معهم، ويقولون له: هلم إلى العدد والعدة والمنعة. ويقول لهم: خلّوا زمامها، فإنها مأمورة، حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، وبركت على باب المسجد، (وهو يومئذ مرید لغلّامين يتيمين من بني النجار)^(١)، في حجر معاذ بن عفراء^(٢)، أو أسعد بن زرارة، فلم ينزل رسول الله ﷺ، عنها، ثم وثبت، وسارت غير بعيد، ورسول الله واضع لها زمامها، لا يشنها، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها الأول، فبركت فيه، ووضعت جرانها، ونزل رسول الله ﷺ، عنها، فاحتمل أبو أيوب^(٣)، رحله،

(١) ورد في الأصل: (وهو يومئذ في يد العلاء بن يمين، من بني عبد النجار) والصحيح ما أثبتناه في النص، والمريد: هو الموضع الذي يجفف فيه التمر. واليتمان هما: سهل، وسهيل ابنا رافع بن عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. وقد شهد سهل بدرأ والمشاهد كلها، ومات في خلافة عمر. ولم يشهد سهيل بدرأ، وشهد غيرها، ومات قبل أخيه سهيل. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٤٠.

(٢) معاذ بن عفراء: هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، يعرف بابن عفراء وهي أمه، وهي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن النجار. صحابي من الأنصار، وهو الذي سأله النبي ﷺ لدى هجرته إلى المدينة عن أصحاب المرید الذي بركت عنده ناقة الرسول ﷺ، فأجابته بأنه لغلّامين يتيمين من بني النجار وفي حجره وهما سهل وسهيل، وقال له: سأرضيهما منه، فأمر رسول الله ﷺ بهدم المرید وأمر أن يبنى مكانه مسجد. وعمل فيه رسول الله ﷺ. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٤٠ - ١٤١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ١٩٠ - ١٩٢.

(٣) أبو أيوب: أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، من بني النجار، صحابي، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق، وسائر المشاهد. وكان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد. عاش إلى أيام بني أمية، وكان يسكن المدينة، فرحل إلى الشام. ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية، =



ووضعه في بيته، فدعت الأنصار رسول الله إلى النزول معهم، فقال: المرء عند رحله. فنزل عند أبي أيوب خالد بن زيد، فسأله عن المنزل، لمن هو، فأخبره معاذ، وقال: هو لبيمين عندي. فدعاها رسول الله ﷺ، فاشتراه منهما، وبناه مسجداً، فكان ينقل معهم اللبن في بنيانه، وهو يقول: اللهم إن الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة».

ثم إن عبد الله بن الأريقط، رجع من المدينة إلى مكة، فأخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه، فخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبيه إلى المدينة، وصحبهم طلحة بن عبيد الله، ومعهم أم رومان، وهي أم عائشة، وعبد الرحمن، حتى قدموا المدينة، وبعث رسول الله ﷺ، إلى علي بن أبي طالب، وأتى رافع، ليخرجها بأهله سودة بنت زمعة، وبناته، فخرجوا بهم، حتى بلغوا المدينة، فبنى رسول الله ﷺ بعائشة، في شهر شوال، وهي بنت تسع سنين، ومكثت معه تسع سنين.

وفي هذه السنة، زيدت صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر ركعتين، إلا المغرب، فإنها ثلاث في الحضر والسفر، وكذلك الفجر، ركعتان في الحضر والسفر.

وفي هذه السنة، آخا النبي ﷺ، (١٠٥) بين المهاجرين والأنصار، على الحق والمساواة، يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً وثلاثمائة رجل، نصف من المهاجرين، ونصف من الأنصار، وكان ذلك قبل بدر، ثم أنزل الله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦] فنسخت ما كان قبلها، ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثة أرحامه.

= صحبه أبو أيوب غازياً، فحضر الوقائع ومرض، فأوصى أن يوغل به في أرض العدو، فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٩٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ١٢١ - ١٢٣.

وفي هذه السنة، مات البراء، وهو أول من تكلم ليلة العقبة، مات قبل قدوم النبي بشهر، فلما قدم رسول الله ﷺ، صلى عليه، ودعا له، وهو أول من مات من النقباء.

وفيها مات أسعد بن زرارة، وهو من النقباء، مات قبل أن يتم بناء المسجد، ودفن بالبقيع^(١)، وهو أول من دفن به على قول الأنصار، وأما المهاجرون، يقولون: أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون. فلما مات أسعد بن زرارة، جاء بنو النجار إلى النبي ﷺ، وقالوا: مات نقيبنا، فنقب علينا. فقال: أنا نقيبكم. وفيها مات كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث، وكان كبير السن شريفاً في قومه، أسلم قبل قدوم النبي بقليل.

ومات فيها من المشركين: العاص بن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة بمكة. قيل: لما حضرت الوليد الوفاة جزع، فقال له أبو جهل: ما يجزئك؟ قال: والله ما بي جزع من الموت، ولكن أخاف أن يظهر دين أبي كبشة بمكة، فقال أبو سفيان^(٢): لا تخف أنا ضامن لك أن لا يظهر.

وفي هذه السنة، أسلم عبدالله بن سلام^(٣)، وكان حبراً من أحبار اليهود،

(١) البقيع: بقيق الفرقد، أصل البقيع في اللغة: هو الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سمي بقيق الفرقد، والفرقد: كبار العوسج، وهو مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٣.

(٢) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي من سادات قريش في الجاهلية. وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. قاد قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله ﷺ، واسلم يوم فتح مكة سنة ٨هـ. شهد حنيناً والطائف، ففقت عينه يوم الطائف، ثم فقت الأخرى يوم اليرموك، فعمي. ولما توفي رسول الله كان أبو سفيان عاملاً في نجران. ثم أتى الشام، وتوفي بالمدينة، وقيل بالشام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٩ - ١٠.

(٣) عبدالله بن سلام: عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف: صحابي، قيل: إنه من =



وقد قرأ الكتب والتوراة والإنجيل، ووجد صفة النبي ﷺ، فلما قدم النبي أتاه، وقال: إني أسألك عن مسائل، إن أنبأتني عنها صدقتك، وآمنت بك. فسأله عن ألف مسألة وخمسمائة مسألة، فأجابه النبي عنها، فأمن به، ودخل في الإسلام. ومسائله موجودة مشروحة، تركتها خوف الإطالة.

وفي هذه السنة، أسلم سلمان الفارسي^(١). روي عن ابن عباس، قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصفهان^(٢) من قرية، يقال

= نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. وفيه الآية: ﴿وَتَكِيدُ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾. «ومن عنده علم الكتاب»، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيقاً من خشب، واعتزلها. وأقام بالمدينة إلى أن مات. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٦٥ - ٢٦٦. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٩٠.

(١) سلمان الفارسي: سلمان الفارسي، صحابي: من مقدمهم. كان يسمى سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمراً طويلاً، واختلفوا في ما كان يسمى به في بلاده، وقالوا: نشأ في قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقبه ركب من بني كلب، فاستخدموه، ثم استعبده، وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة، فجاء به إلى المدينة. وعلم سلمان بخبر الإسلام، فقصد النبي ﷺ بقاء، وسمع كلامه ولازمه أياماً. وأبى أن «يتحرر» بالإسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه، فأظهر إسلامه، وكان قوي الجسم صحيح الرأي، عالماً بالشرائع وغيرها. وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار، كلاهما يقول: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا آل البيت». وسئل عنه علي فقال: امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم الأول والآخر، وكان بحراً لا ينزف. وجعل أميراً على المدائن، فأقام فيها حتى توفي. وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به. ينسج الخوص ويأكل خبز الشعير من كسب يده. به في كتب الحديث ٦٠ حديثاً. «ولابن بابويه القمي كتاب «أخبار سلمان وزهده وفضائله ومثله للجلودي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١١١ - ١١٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥١٠ - ٥١٥.

(٢) أصفهان: أو أصبهان مدينة عظيمة مشهورة، سميت بأصبهان بن فلوج بن لظي بن يوران بن يافث، وقال ابن الكلبي: سميت بأصبهان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام، ومعناها بالفارسية بلاد الفرسان. وقالوا: ولم يكن يحمل لواء ملوك الفرس من آل ساسان إلا أهل أصفهان. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

لها آجي، وكان أبي دهقان^(١) قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، أجلسني في بيته، كما تجلس الجارية، واجتهدت في المجوسية^(٢)، حتى كنت قاطن النار^(٣) التي يوقدونها، حتى لا أتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فأرسلني في ضيعة، وقال لي: لا تحتبس عليّ، فمررت بكنيسة النصارى، فسمعت أصواتهم، وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمرهم (١٠٦) فوالله ما تركتهم، حتى غربت الشمس، ولم أتِ الضيعة، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ فقالوا: بالشام، فرجعت إلى أبي، فأخبرته الخبر، فقال: يا بني، ليس في ذلك الدين خير، ودينك ودين آبائك خير منه. فقلت: كلاً، إنه خير من ديننا، فخافني، وقيدني، وحبسني في بيته، فبعثت إلى النصارى، إذا قدم عليهم ركب من الشام، فليخبروني.

فلما قدم عليهم ركب الشام من النصارى، أرسلوا إليّ، فلما قضى الركب حوائجهم، وأرادوا الرجوع، ألقى الحديد من رجلي، وخرجت معهم، حتى قدمت الشام، فسألت عن أفاضل أهل هذا الدين، فدلت على رجل في كنيسة، فجيته، وقلت له: إني رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك، أخدمك، وأتعلم منك، وأصلي معك. فقال: أدخل، فدخلت معهم.

- (١) دهقان: الدهقان شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض، يُلجأ إليه في معرفة ذلك. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٨.
- (٢) المجوسية: عقيدة فارس القديمة ودينها الأول، ويقول المجوس بأصلين اثنين مديريين قديمين، يقسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصالح والفساد، يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة، وبالفارسية: يزدان وأهرمن، ولهم في ذلك تفصيل مذهب، وسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين إحداهما: بيان سبب النور بالظلمة، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاز مبدأ الخلاص. وزعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها، أمن النور حدث والنور لا يحدث شراً جزئياً، فكيف يحدث أصل الشر، أم شيء آخر؟ ولا شيء يشترك النور في الإحداث والقدم. وبهذا يظهر خيط المجوس. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهر علي بن محمد: الفصل في الملل والنحل، ج ٢، ص ٧٢-٧٣.
- (٣) قاطن النار: خادمها الذي يخدمها ويمتعها من أن تخبو، لتعظيمهم إياها. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٩.



وكان يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فأتوا إليه شيئاً من الصدقة، وأمره أن يتصدق بها عنهم، فكنزه لنفسه، ولم يعطه الفقراء والمساكين، فبغضته بغضاً شديداً.

فلما مات، اجتمعت النصارى ليدفنوه، أخبرتهم بفعله، فقالوا: وما علمك بذلك؟ فقلت: أنا أدلكم على كنزه، فأريتهم موضعه، فاستخرجوه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها، قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ثم رموه بالحجارة.

ثم جاؤوا برجل آخر، فجعلوه مكانه، فرأته رجلاً زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، فأحبته حُباً شديداً، فأقمتُ معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: إلی من توصي بي، وبما تأمرني، فأشار إلى رجل بالموصل^(١)، فلحقت به، فكنت عنده، ووجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، أوصى بي إلى رجل بنصيبين، فسرت إليه، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل، فما لبث أن مات، وأمرني أن آتي رجلاً بعمورية^(٢)، فلحقت به، فوجدته

(١) الموصل: المدينة المشهورة العظيمة، سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وقيل: إن الملك الذي أحدثها اسمه الموصل، وهي مدينة قديمة الأس على طرف نهر دجلة. فيها قبر النبي جرجيس. إليها ينسب عدد كبير من العلماء. قال السري بن أحمد الرفاء الشاعر الموصل ي شوقها:

سقى ربي الموصل الفيحاء من بلد جود من المزن يحكي جود أهلها
أو أندب العيش فيها أم أنوح على أيامها أم أعزّي في لياليها
أرض يحن إليها من يفارقها ويحمد العيش فيها من يدانيها

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) عمورية: مدينة ببلاد الروم، سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، وهي تلك التي فتحها المعتصم سنة ٢٢٣هـ، وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قضة طويلة. وقد ذكرها أبو تمام، فقال:

يا يوم وقعت عمورية انصرفت عنك المنى حُفلاً معسولة الحلب

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٨.

خير رجل على أمر أصحابه، فاكتسبت، حتى حصلت لي بقيرات وغنيمات، ثم نزل به الموت، فقلت له: من توصي بي؟ فقال: والله لا أعلم أحداً على ما كنا عليه، أمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي، يبعث على دين إبراهيم، صلوات الله عليه، يخرج بأرض العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين، ذات نخل، وبه علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل (١٠٧) الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلد، فافعل.

قال: فمكثت بعمورية ما شاء الله، ثم مرّ بي نفر من كلب تجار، فأعطيتهم بقيراتي وغنماتي، ليحملوني إلى أرض العرب، فحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى^(١)، ظلموني، وباعوني على رجل من اليهود، فمكثت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد التي وصفها صاحبي.

فبينما أنا عنده، إذ قدم علينا ابن عم له من بني قريظة^(٢)، فاشتراني منه، وحملني إلى المدينة، فعرفتها بصفة صاحبي، وبعث الله رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لم أسمع له بذكر، حتى هاجر إلى المدينة، فوالله إنني أحمل على رأسي عذقاً لسيدي، وهو جالس، إذا أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال:

(١) وادي القرى: وهو وادٍ بين المدينة المنورة والشام من أعمال المدينة كثير القرى فتحها النبي ﷺ سنة سبع عنوة، ثم صلحوا على الجزية، أجلى عمر يهودها فيمن أجلى، فقسما بين من قاتل عليها. قال جميل:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بوادي القرى إني إذا لسعيد
وهل أرين جملاً به وهي أيمم
ومارت من جبل الوصال جديد

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٥.

(٢) بنو قريظة: قوم من اليهود كانوا يسكنون يثرب قبل الإسلام، والتي سميت المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها سنة ٦٢٢م. وفي غزوة الخندق أعان بنو قريظة المشركين ضد الرسول ﷺ، فحاصروهم لمدة خمس عشرة ليلة، ثم نزلوا على حكمه، فحكم فيهم سعد بن معاذ الأوسي يقتل من جرت عليه المواصي، ويسبي النساء والذرية، وأن يقسم ما لهم بين المسلمين. انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٩م، ص ٣٤-٣٥.



قاتل الله بني قيلة^(١)، يعني الأنصار، والله إنهم الآن مجتمعون بقاء على رجل قدم عليهم اليوم من مكة، يزعمون أنه نبي. قال: فلما سمعت تلك الكلمة، أخذتني الرعدة، فنزلت عن النخلة، فقلت: ماذا يقول؟ حتى غضب سيدي، وكلمني كلمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟!

وقد كان عندي شيء جمعته، فلما أمسيت، أخذته، وذهبت به إلى رسول الله ﷺ، وهو بقاء، فدخلتُ عليه، وقلت: إنه بلغني أنك رجل صالح، ولك أصحاب معك غرباء، ذوو حاجة، وهذا شيء عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، وقربته إليه، فقال لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة من العلامات، ثم انصرفت، فجمعت شيئاً.

ثم تحول رسول الله ﷺ من قباء إلى المدينة، فمضيت إليه، وقلت له: هذه هدية أكرمتك بها، فأكل منها، وأمر أصحابه، فأكلوا، فقلت في نفسي: وهذه أيضاً علامة، فمضت اثنتان. وروي أن الطعام الذي أهده سلمان خبز ولحم.

قال: ثم جتته وهو بقيق الفرقد، وقد تبع جنازة رجل من أصحابه، فسلمت عليه وهو جالس، ثم استدرت إلى ظهره، هل أرى الخاتم؟ فكأنه علم ما أردت، فكشف رداءه عن ظهره، فرأيت الخاتم، فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي، فقال لي: تحوّل، فتحوّلت، فقصصت عليه ما جرى عليّ، من أوله إلى آخره. فأعجب ذلك رسول الله ﷺ، أن يسمع أصحابه.

(١) قيلة: هي قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة، أم الأوس والخزرج. قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج:

بهايل من أولاد قيلة لم يجد عليهم خليط في مخالطة عتبا
مسامح أبطال يراحوون للندي يرون عليهم فعل آبائهم نجبا

انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

ثم شغلني الرقّ حتى فاتتني بدر^(١)، ثم قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، (١٠٨) فكاتبته صاحبي على ثلاثمائة نخلة، أفسلها له واسقيها، وأعملها حتى تثمر، فقال رسول الله ﷺ، أعينوا أحاكم، فأعانوني، فمنهم من أعانني بثلاثين صرمة، ومنهم بعشرين صرمة، ومنهم بخمس عشرة، ومنهم بعشر، كل على قدر ما عنده، حتى اجتمعت إليّ ثلاثمائة صرمة، فقال النبي ﷺ: إذهب يا سلمان، فاحفر لها، فإذا حفرت، فأتني، أضعها بيدي، فذهبت، فحفرت لها، حيث أمرني صاحبي، وذلك بدار البقيرة.

ثم أتيت النبي ﷺ، فسار عندي، فجعلنا نقرب إليه الصرم، ويضع بيده، فوالله ما ماتت منها صرمة، وأثمرت في حولها. فأديتها إلى صاحبي، وبقيت عليّ أربعون أوقية، كنت كاتبته عليها مع النخل، فأتى رسول الله ﷺ، بمثل بيضة دجاجة ذهباً، من بعض المغازي، فدعاني، وقال: خذ هذه فأد ما عليك، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليّ؟ قال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك. فأخذتها، فوزنت له منها أربعين أوقية، وعُتقت.

وشهدت مع رسول الله ﷺ، الخندق^(٢)، ثم لم يفتني معه مشهد، وأمر رسول الله ﷺ أن أكسي، فكساني أبو بكر رضي الله عنه، ثوبه.

(١) بدر: بدر ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار، وهو ساحل البحر، ويقال: إنه ينتسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وبه سميت قريش، وابنه بدر بن قريش، وبه سميت بدر التي كانت بها الواقعة المباركة، لأنه كان احتفرها، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله تعالى بها الإسلام، وكان لها أثرها في نفوس العرب جميعاً. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٧-٣٥٨. وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٤-٣٣.

(٢) الخندق: يوم الخندق هو اليوم الذي وقعت فيه غزوة الأحزاب سنة ٥هـ، حين قدمت قريش لمهاجمة المدينة المنورة بعشرة آلاف نزلوا في مجمع الأسيال من رومة، فأمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق شمالي المدينة، لأن الجهات الأخرى كانت محصنة. وهزم الله المشركين في هذه الغزوة، بعدما تفرقت كلمتهم. انظر لتوسعة المادة: حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج ١، ص ٩٦-١٠٠.



وقيل: إن أبا بكر اشترى سلمان، فأعتقه، وقيل: أعتقته امرأة، يقال لها خليسة^(١)، وأسلمت، فكافأها رسول الله ﷺ بأن غرس لها ثلاثمائة فسيلة.

وروي أن سلمان عاش ثلاثمائة سنة، ومات بالمدائن^(٢)، وقيل: رجع إلى أصفهان، أي في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان له أخ بشيراز^(٣)، وله نسل هناك، وله بنت بأصفهان، وبتان بمصر، وابن يقال له كثير، والله أعلم.

وقيل: إن أئمة أهل المغرب وهم الرستميون من نسل سلمان، والله أعلم.

وفي هذه السنة، أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري، وهو أحد بني النجار، وهو شاعر النبي، أن ينافح عنه، وعن أصحابه، فكان شعره على قريش كوقع السيوف، وفي نسخة أشد من وقع السيوف، وذلك أنه لما هاجر النبي وأصحابه، تناولته شعراء قريش بالهجاء، وتناولت الأنصار، فمشت إليه رجال الأنصار، فقالوا: يا رسول الله، إن قريشاً أغرت بك وبنا

(١) خليسة: خليسة، مولاة سلمان الفارسي. لها ذكر في قصة إسلام سلمان، رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن سلمان الفارسي، وذكر قصة إسلامه، قال: «فمزمي أعراب من كلب، فاحتملوني، حتى أتوا بي يثرب، فاشترتني امرأة يقال لها: «خليسة بنت فلان» حليف بني النجار بثلاثمائة درهم، قال: فمكثت معها ستة عشر شهراً حتى قدم محمد ﷺ المدينة، قال: «فأتيت». وذكر إسلامه فقال: «فأرسل إليها النبي ﷺ علي بن أبي طالب يقول لها: إما أن تعتقي سلمان وإما أن أعتقه. وكانت قد أسلمت، فقالت: قل للنبي: إن شئت أعتقته، وإن شئت فهو لك. قال رسول الله ﷺ، أعتقته أنت. فأعتقته، قال: فغرس لها رسول الله ﷺ ثلاثمائة فسيلة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٨٧.

(٢) المدائن: مدينة قديمة في العراق بناها كسرى أنوشروان بن قباد، وأقام بها هو ومن كان معه من ملوك بني ساسان إلى أيام عمر بن الخطاب، ويقال: إن أول من اختط مدينة في هذا الموضع أردشير بن بابك. وكان فتح المدائن على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦هـ. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٤-٧٥.

(٣) شيراز: مدينة مشهورة في بلاد فارس، سميت بشيراز بن طهمورث، بنى سورها الملك ابن كاليجار سلطان الدولة بن بويه سنة ٤٣٦هـ، وجعل لها أحد عشر باباً، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء من كل فرة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠-٣٨١.

شعراءهم، فتناولت عرضك وأعراضنا بالهجاء، وفينا شعراء، فقال: قولوا لشعرائكم، وليصيبوا منهم ما أصابوا منا، فأمروا (١٠٩) كعب بن مالك، فقال: فلم يصنع شيئاً، فأمروا عبد الله بن رواحة^(١)، قال: فلم يصنع شيئاً، فأتوا حسان بن ثابت، فقالوا: إن رسول الله ﷺ، أمرك أن تناصح، وفي نسخة تنافح عنه وعن أحساب قومك، فقال: لا والله، حتى آتي رسول الله ﷺ، فأسأله (فأتى النبي، فأمره النبي، وقال له: امض إلى أبي بكر فاسأله)^(٢) عن معاييب القوم، فإنه أعلم قومه بقريش، لينسب القوم بما فيهم، وإنك لن تزال تعان بروح القدس، ما نافحت عن نبيك وقومك. وقال النبي لحسان: [كيف تصنع بأبي سفيان المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب]^(٣)، فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لأسلنك كما تسل الشعرية من العجين، مما قاله في ذلك اليوم شعراً:

(١) عبد الله بن رواحة: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد، صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد القباة الاثني عشر، وشهد بدرأ وأحدًا والخندق والحديبية، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة، فاستشهد فيها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٣٥ - ٢٣٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٨٦.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٠٧.

(٣) وردت في الأصل أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب: والصحيح ما أثبتناه في النص: المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، أبو سفيان الهاشمي القرشي، أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاع. كان يألفه في صباهما. ولما أظهر النبي الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة، وهجاه، وهجا الصحابة. واستمر على ذلك إلى أن قوي المسلمون، وتداول الناس خبير تحرك النبي لفتح مكة، ثم تنكر وقصد رسول الله ﷺ، فلما رآه أعرض عنه النبي، فتحول المغيرة إلى الجهة التي تحول إليها بصره، فأعرض، فأدرك المغيرة أنه مقتول لا محالة، فأسلم ورسول الله معرض عنه. وشهد فتح مكة، ثم وقعة حنين وأبلى بلاءً حسناً، فرضي عنه النبي، ثم كان من أخصائه. له شعر في الجاهلية هجاء بالإسلام، وشعر كثير في الإسلام هجاء بالمشركين. مات بالمدينة سنة ٢٠هـ. وصلى عليه عمر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٣٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٧٦.



عفت ذات الأصابع فالجواء
ديار من بني حسان قفر
ألا أبلغ أبا سفيان عني
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه
هجوتَ محمداً براً تقيّاً
أتهجوه ولست له بكفءٍ
فإن أبي ووالدتي وعرضي
فسوف يجيكم حسان عنه
لساني صارم لا عيب فيه
إلى عذراء منزلها خلاءً
تعفتها الروامس والسماءُ
مغلغلة فقد برح الخفاءُ
وعند الله في ذلك الجزاءُ
أمين الله شيمته الوفاءُ
فشرُّكما لخيركما الفداءُ
لعرض محمد منكم وقاءُ
يصوغ المكرمات كما يشاءُ
وبحري ما تكدره الدلاءُ^(١)

فقال له النبي ﷺ: أنت حسان، ولسانك حسام. فأخرج حسان لسانه، فقال ﷺ: ما سرتني مقول على وجه الأرض كمقول حسان، حتى ظننت أن لو شئت لفريت به الأدم.

وقيل عنه ﷺ، أنه قال: إهج المشركين، وجبريل معك. وقال: قل يا حسان، وجبريل يؤيدك.

وعاش حسان مائة وعشرين سنة، ستين منها في الجاهلية، وستين في الإسلام. ومن قوله هذه الأبيات:

لساني وسيفي صارمان كلاهما
فلا الجهد ينسيني حيائي وعفتي
وأكثر أهلي من عيالي سواهم
فإن أك ذا مال كثير أجد به
وبيلغ ما لا يبلغ السيف مذودي
ولا وقعت الدهر يفللن مبردي
وأطوي على الماء القراح المبرد^(١١٠)
وإن يعتصر عودي على العدم يجمد

(١) انظر القصيدة كاملة في: شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي،

وإني ليدعوني الندى فأجيبه
وإني لقوَال لدى الليث مرحباً
ومن قوله أيضاً:

ونحن إذا ما الحرب حلّ ضرامها
فمني زمام السابقين إلى الوغى
ونحن إذا لم ييرم الناس أمرهم
ولو وزنت رضوى بحلم سراتنا
ونحن إذا ما الآل أمسى كأنما
لنطعم في المشتى ونطعن بالقنى
وتلفى لدى أبياتنا حين يحتذى
رفيع عماد البيت يمنع عرضه
فجادت على الحالات بالموت والدم
إذا الفشل الرعديد لم يتقدّم
نكون على حق من الأمر مبرم
لمال برضوى حلمنا وبرمرم
على حافتيه مملس اللون عندم
إذا الحرب كانت كالحريق المضمرم
مجالس فيها كل خرق معمم
من الذم ميمون النقية خضرم^(١)

(١) انظر القصيدة كاملة في: شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي، ص ١٧٨ - ١٨٨. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) انظر القصيدة كاملة في: شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي، ص ٦٢ - ٦٤. مع اختلاف في كثير من الألفاظ.

الباب الحادي عشر

في ذكر الأمور الحادثة

في السنة الثانية من الهجرة





ففي هذه السنة، تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة بنت النبي ﷺ، في شهر صفر، لليال بقين منه، وقيل: في شهر رجب، وبنى بها في شهر ذي الحجة، وقيل: تزوجها في رمضان، وهي بنت ثمانى عشرة سنة، وأهديت إليه في بردين، وعليها دملجان من فضة، ومعها خميلة ومرفقة من آدم حشوها ليف.

وهي الوسادة، ومنخل، ورحى، وقدح، وجرياب، وفراش من غليظ الكتان، حشوه ليف. وروي أن النبي ﷺ، خطب حين زوّج علياً بفاطمة، فقال: «الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامهم، وأحكمهم بعزته، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد ﷺ».

ثم إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأمرأ مفترضاً، نسخ به الآثام، وأوشح بها الأرحام، وألزمها الأنام، فقال ﷺ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤]، فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه (١١١) يجري إلى قدره، وقدره يجري إلى أجله، فلكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء، ويثبت، وعنده أم الكتاب.

ثم إن الله أمر أن يزوج علياً بفاطمة، وقد زوجته إياها على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت يا علي؟ فقال علي: رضيت.».

ويروى أنه دعا لهما، فولدت فاطمة الحسن^(١)، والحسين^(٢).

وقيل: إن أبا بكر خطب فاطمة من النبي، فقال: انتظر فيها أمر الله، وخطبها عمر، فقال له مثل ذلك.

وفي هذه السنة، حُوِّلت القبلة إلى الكعبة، يوم الثلاثاء، للنصف من شعبان، أو يوم الاثنين للنصف من رجب، وهي أول ما نسخ من الشريعة، وذلك أن النبي ﷺ، (والمسلمين)^(٣) يصلون في مكة متوجهين إلى الكعبة، فلما هاجر، أمره الله أن يصلي إلى بيت المقدس، فصلى إليه سبعة عشر شهراً، فقالت اليهود: يزعم محمد أنه نبي، ولم نره أحدث في نبوته شيئاً، أليس يصلي إلى قبلتنا، ويستن بستنتنا؟ فإن كانت هذه نبوة، فنحن أقدم وأوفر نصيباً.

(١) الحسن: الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامة، ولد في المدينة المنورة، وأمّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلاً حليماً محباً للخير فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة، حج عشرين حجة ماشياً، بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ. انصرف الحسن إلى المدينة، حيث أقام فيها إلى أن توفي مسموماً (في قول بعضهم) ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام، وولد له أحد عشر ابناً وبنت واحدة، وإليه نسبة الحسينين كافة، وكان على نقش خاتمه (الله أكبر وبه أستعين). انظر الزركلي: خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ١١٣ - ١١٥.

(٢) الحسين: الحسين بن علي (٤ - ٦١هـ/ ٦٢٥ - ٦٨٢م) بن أبي طالب الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبدالله، السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء. وفي الحديث: «الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة»، ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرض الأمويين بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ خلفه ابنه يزيد، فخرج الحسين إلى العراق مع ذراريه، وعلم يزيد بسفره، فوجه إليه جيشاً اعترضه بكر بلاء (قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف، وقتل الحسين في العاشر من محرم سنة ٦١هـ على يد شمر بن ذي الجوشن، وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق (عاصمة الأمويين). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٤٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٢ - ٢٧.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.



فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فشق عليه، وزاده شوقاً إلى الكعبة، وقال لجبريل: وددت لو أن الله صرفني من قبله بيت المقدس إلى استقبال الكعبة، قال: إنما أنا عبد مثلك، وعرج جبريل، وجعل النبي يديم النظر إلى السماء، رجاء أن ينزل (عليه)^(١) جبريل بتحويل القبلة.

فبينما هو يصلي الظهر، إذ نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، الآية فحوّل وجهه إلى الكعبة، فكان فعله هذا أصلاً يقاس عليه هذه المسألة: من عميت عليه القبلة، ثم استبانته له، وهو في الصلاة فليستقبل القبلة، ويتم الصلاة.

فعند ذلك قالت اليهود للنبي ﷺ: ما أمرك ربك بهذا، وإنما هو شيء يتدعه من نفسك، فكان هذا ابتلاء من الله لعباده، فمن عصمه الله ثبت على الإسلام، ومن خذله شكّ وتردّد، وارتدّ عن الإسلام. وقال المؤمنون: كيف حال من مات من إخواننا؟، فأنزل الله، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ لِيَمَنِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي هذه السنة، رأى عبد الله بن زيد^(٢)، الأذان في المنام، وسببه أنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق، وقال آخرون: الناقوس. فبينما هم كذلك إذ نام عبد الله بن زيد (١١٢) الخزرجي، فرأى رجلاً، عليه ثوبان أخضران، وفي يده ناقوس، فقال: أتبايعني هذا الناقوس؟ فقال: لماذا تريده؟ قال: أريد (أن)^(٣) أجمع به الناس للصلاة، فقال: أنا أعلمكم خيراً من هذا، وعلمه الأذان.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٠.

(٢) عبد الله بن زيد: عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب النجاري الأنصاري: صحابي، من أهل المدينة. كان شجاعاً، شهد بدرًا. وقتل مسيلمة الكذاب، يوم اليمامة، له ٤٨ حديثاً، قتل في وقعة الحزة سنة ٦٣هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٥٠ - ٢٥١. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٨٨.

(٣) إضافة يقتضيهما السياق.

ثم انتبه، فمضى إلى النبي ﷺ، فأخبره بذلك، فقال ﷺ: «إنها رؤيا حق، علمه بلالاً^(١)، فإنه أبرع منك صوتاً»، فعلمه إياه، فأذن بلال، ثم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: رأيت هذا في المنام، فقال النبي ﷺ: الحمد لله.

وفي هذه السنة، نزلت فريضة رمضان، بعدما صرفت القبلة بشهر. وأمر رسول الله بزكاة الفطر، وذلك قبل نزول فرض الزكاة في الأموال، وأمر أن يخرج عن الحرّ والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، صاع مما يقتاتاه الإنسان، قيل: في سنته، وقيل: في شهره، والأفضل قبل أن يغدو إلى المصلى، ليكون الفقراء أغنياء في ذلك اليوم، وكانت فريضة رمضان، إذا صام يومه، وحل الإفطار، فطر، فمن نام، أو صلى العشاء الآخرة، حُرّم عليه ما يحرم على الصائم، إلى القابلة، فأجهد الناس ذلك الصوم.

وقيل: إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، كان كثير الاشتغال بالنهار في شهر رمضان، فأوى إلى داره، بعد أن حلّ الإفطار، فسأل أهله الطعام، فقالوا: إنه قد برد، فقامت زوجته تسخن له الطعام، ثم أتت به إليه، فوجده نائماً، فأيقظته، وقد حرم عليه الأكل، فأصبح صائماً، فقيل: إنه مات من جهد الصوم.

واعترف قوم من أصحابه ﷺ، بالجماع في الليل، وأظن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جامع زوجته، بعد أن صلى العشاء الآخرة في رمضان، فأتى النبي ﷺ، وهو يبكي، فشكى إليه ما صنع، فقال النبي ﷺ: ما كنت جديراً بذلك يا عمر، فأنزل الله الرخصة، وأحلّ الأكل والشرب، والجماع في الليل

(١) بلال: بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله، مؤذن رسول الله ﷺ، وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، وأحد السابقين إلى الإسلام. وفي الحديث: «بلال سابق الحبشة» وكان شديد السمرة، نحيفاً طويلاً، خفيف العارضين، له شعر كثيف، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك. وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم. توفي في دمشق، روى له البخاري ومسلم ٢٤ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٧٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٤١٥ - ٤١٨.



في شهر الصيام، حتى يطلع الفجر بقوله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ (١١٣) وَعَمَّا عَنْكُمْ فَأَتَيْنَ بَيْتُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴿ [البقرة: ١٨٧].

وقيل: كان في بدء الصيام يُتَخَيَّرُ، فمن شاء صام، ومن شاء أطمع، ولم يصم، وهو صحيح حاضر في بلده، ثم نسخ التخيير في الحضر، وبقي في السفر.

وفي هذه السنة، خرج رسول الله ﷺ، إلى المصلى، وصلى بالناس صلاة العيد.

وفي هذه السنة، ولد عبد الله بن الزبير^(١)، لعشرين شهراً من الهجرة، وهو أول من ولد في الهجرة من المهاجرين، فكبر النبي ﷺ وأصحابه، وكان المسلمون يتحدثون أن اليهود قد سحرتهم، فلا يولد لهم ولد، فكان تكبيرهم سروراً بذلك، وأمه أسماء بنت أبي بكر^(٢).

(١) عبد الله بن الزبير (١ - ٧٣هـ / ٦٢٢ - ٦٩٢م): عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول من ولد في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقيا زمن عثمان، وبيع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، بعد موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج بن يوسف الثقفي، في أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف. ونشبت بينهما حروب أتى المؤرخون على تفصيلها، انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه، وقاتل قتال الأبطال، وهو في عشر الثمانين. وكان من خطباء قريش المعدودين، يُشَبِّه في ذلك بأبي بكر. مدة خلافته تسع سنين، وكان نقش الدراهم في أيامه بأحد الوجهين «محمد رسول الله» والآخر «أمر الله بالوفاء والعدل»، وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٤١ - ٢٤٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٨٧.

(٢) أسماء بنت أبي بكر: أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من قريش، صحابية، من الفضيلات. آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة، وهي أخت عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن =

وفي هذه السنة، بني مسجد قباء، قدّم جداره النبي إلى موضعه اليوم، ووضع أساسه بيده، ونقل الحجارة بيده. ويروى عنه ﷺ أنه قال: «من توضأ وصلى في مسجد قباء، كان له أجر عمره»، وكان عمر ﷺ يأتيه يوم الاثنين، ويوم الخميس.

وفي هذه السنة، كانت غزوة بدر، في السابع عشر من شهر رمضان، يوم الجمعة، وبدر: اسم بئر لرجل كان يُدعى بدرأ. وسبب هيجان تلك الواقعة، قتل عمرو بن الحضرمي^(١)، وذلك أن رسول الله ﷺ، أرسل عبدالله بن جحش الأسدي^(٢)، مع نفر من المهاجرين، قيل: ثمانية، وقيل: إثنا عشر، إلى بطن نخلة^(٣)، مترصدين لعير قريش، مستخبرين أحوالهم، وكتب لعبدالله كتاباً، وذلك قبل قتال بدر بشهرين، فلما نزلوا بطن نخلة، مرّت بهم عير لقريش،

= الزبير، تزوجها الزبير بن العوام، فولدت له عدّة أبناء بينهم عبدالله. ثم طلقها الزبير، فعاشت بمكة مع ابنها عبدالله إلى أن قتل، فعميت بعد مقتله، وتوفيت بمكة. شهدت اليرموك مع ابنها عبدالله وزوجها. وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر. وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبدالله مشهور. عاشت مئة سنة، وهي محتفظة بعقلها. وسميت ذات النطاقين، لأنها صنعت للنبي ﷺ طعاماً حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشده به، فشقّت نطاقها، وشدّت به الطعام. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٧ - ٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٣٠٥.

(١) عمرو بن الحضرمي: هو عمرو بن عبدالله بن عماد بن أكبر، أحد الضداف، واسم الضداف: عمرو بن مالك أحد الشكون بن أشرس بن كندي. وابنته صفية بنت الحضرمي زوجة زيد بن عمرو بن نفيل. كان عمرو بن الحضرمي قائد قافلة قريش التي اعتراضتها سرية عبدالله بن جحش، رماه واقد بن عبدالله التميمي بسهم فقتله. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٤٤ - ٢٥٣ - ٢٥٥.

(٢) عبدالله بن جحش الأسدي: عبدالله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي، صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحيشة، ثم إلى المدينة. وكان من أمراء السرايا. وهو صهر رسول الله ﷺ، أخو زينب أم المؤمنين قتل يوم أحد شهيداً، فدفن هو والحمزة في قبر واحد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٩٤ - ١٩٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٧٦.

(٣) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة المنورة على طريق البصرة، بينهما الطرف على الطريق، وهو بعد أبرق العزاف للقاصد إلى مكة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٩ - ٤٥٠.



تحمل زيباً وأدمأ، وتجارة من تجارة الطائف، وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة^(١)، وأخوه نوفل^(٢)، والحكم بن كيسان^(٣)، فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ، هابوهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن^(٤)، حالقاً رأسه، فلما رآه المشركون آمنوا، وقالوا: قوم عمار، لا بأس عليكم منهم، وكان ذلك أول رجب، والمسلمون يظنون أنه من آخر جمادى، فقتلوا من قدروا عليه، وأخذوا ما معهم، ورمى واقد بن عبد الله الحنظلي^(٥) (عمراً^(٦))،

(١) عثمان بن عبد الله بن المغيرة: عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي أحد وجوه قريش في القافلة التي كانت تحمل زيباً وأدمأ وتجارة من تجارة قريش. أسره واقد بن عبد الله التميمي هو والحكم بن كيسان، وأقبل عبد الله بن جحش بالعبير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فأفدهما رسول الله ﷺ. ولحق عثمان بن عبد الله بمكة، فمات كافراً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥٣-٢٥٥.

(٢) نوفل بن عبد الله بن المغيرة: نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، أحد وجوه قريش في القافلة التي كان قادمة من الشام تحمل تجارة من تجارة قريش، داهمتها سرية عبد الله بن جحش، وقد تمكن من الإفلات من القتل والأسر. في حين أسر أخوه عثمان بن عبد الله. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٣) الحكم بن كيسان: هو مولى هشام بن المغيرة، كان في قافلة قريش. وأسره واقد بن عبد الله التميمي هو وعبد الله بن عثمان وأقبل بهما إلى المدينة، فأفدهما رسول الله ﷺ. وبقي الحكم بن كيسان في المدينة، فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ، حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥٣-٢٥٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٤.

(٤) عكاشة بن محصن: عكاشة بن محصن بن حريث الأسدي، من بني غنم، صحابي من أمراء السرايا، يعد من أهل المدينة. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وقتل في حرب الردة ببزاحة (بأرض نجد) قتل طليمة بن خويلد الأسدي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٦٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٥) واقد بن عبد الله الحنظلي: وفي السيرة النبوية: واقد بن عبد الله التميمي، وهو الذي رمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وكان واقد في سرية عبد الله بن جحش، كما أسر عثمان بن عبد المخزومي والحكم بن كيسان، وأخذ عبر قريش إلى المدينة المنورة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٦٤. وانظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٦) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٢.

فقتله واستأثروا عثمان والحكم، وشدّ المسلمون عليهم، واستاقوا العير، فغير المشركون أصحاب (١١٤) رسول الله، وقالوا: استحلوا الشهر الحرام، ووقف (النبي) ^(١) عن العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ منهما شيئاً، وقال: «ما أمرتم بقتال في الشهر الحرام»، فعظم ذلك على أصحاب السرية، وظنوا أنهم هلكوا، وأدى رسول الله دية عمرو، لعهد بنيه وبين أهل مكة، أن لا يقاتلوا سنيناً، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، الآية. ففرح المسلمون بنزولها، وأخذ رسول الله خمس العير، وقسم الباقي بين السرية، فكانت أول غنيمة في الإسلام.

وكان قد تخلف عن السرية سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن أبي غزوان ^(٢)، أضلا بغيراً لهما. وأرسلت قريش بفدي الأسيرين إلى النبي ﷺ، فقال النبي: لئن رجع إلينا صاحبانا، فأديناكم، وإن قتلا، قتلناهما بهما. فرجع سعد وعتبة، ففاداهما رسول الله، فأما الحكم فأسلم، وأما عثمان رجع إلى مكة كافراً. ثم أغار كرز بن جابر القرشي ^(٣)، على سرح أهل المدينة، فبلغ ذلك النبي، فركب في أثره، فسبقه كرز، فرجع النبي.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٢.

(٢) عتبة بن أبي غزوان: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله، باني مدينة البصرة. صحابي قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا. ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. ووجهه عمر إلى أرض البصرة والياً عليها، وكانت تسمى «الأبلة» أو «أرض الهند» فاختطها عتبة ومضرها. وسار إلى ميسان وأبرقباد، فافتحهما. وقدم المدينة لأمر خاطب به عمر، ثم عاد، فمات في الطريق. وكان طويلاً جميلاً من الرماة المعدودين، روى عن النبي ﷺ أربعة أحاديث. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٥٨ - ٥٥٩. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٠١.

(٣) كرز بن جابر القرشي: هو كرز بن جابر الفهري، أغار على سرح المدينة بعد قدوم الرسول ﷺ من غزوة المشيرة لبليال قليلة، فاستعمل الرسول ﷺ زيد بن حارثة على المدينة، وخرج في طلب كرز، حتى بلغ وادي سفوان، ولم يدره، وتسمى هذه الغزوة غزوة سفوان أو غزوة بدر الأولى. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٤٣ - ٤٤٤.



ثم أقبل أبو سفيان في عير لقريش، وفيها عمرو بن العاص وجماعة من أربعين راكباً من كبار قريش، وفيها تجارة عظيمة، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، بلغ ذلك النبي ﷺ، فندب أصحابه إليهم، وأخبرهم بكترة المال، وقلة العدو، وقال: «أخرجوا إلى العير، لعل الله ينفلكموها»، وما ظن رسول الله أن يلقي حرباً.

فخرج النبي ﷺ، يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، وقيل: ثلاث خلون منه على رأس تسعة عشر (شهرًا)^(١) من الهجرة، واستخلف على المدينة عمرو بن أم كلثوم^(٢)، وخرج ومعه ثلاثمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أصح ما قيل على عدة أصحاب طالوت، مائتان وسبعون من الأنصار، والباقون من المهاجرين، وقيل سبعة وسبعون من المهاجرين والباقون من الأنصار، وكانت الإبل معهم سبعين جملاً، يتعاقبون عليها، وكانت معهم فرسان: فرس للمقداد^(٣)، وفرس لمرثد بن أبي مرثد^(٤)، وقيل: للزبير. وكانت الدروع ستة، والسيوف ثمانية. وكان رسول الله ﷺ قدّم جاسوسين، وهما بسبس بن عمرو^(٥)، وعدي بن

(١) استدرالك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٢.

(٢) عمرو بن أم كلثوم: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم (ابن أم كلثوم) صحابي، شجاع. كان ضريب البصر، أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد موقعة بدر. وكان يؤذن لرسول الله ﷺ في المدينة مع بلال. وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة، يصلي بالناس في عامة غزواته. وحضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليها درع سابعة، فقاتل - وهو أعمى - ورجع بعدها إلى المدينة، فتوفي فيها، قبيل وفاة عمر بن الخطاب. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٥١ - ٣٥٢. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٣.

(٣) فرس المقداد: لا يمكن أن تكون الفرس للمقداد فهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وكان من المهاجرين إلى المدينة، فكيف تكون له فرس مع قافلة المشركين وهو في المدينة؟

(٤) مرثد بن أبي مرثد: هو مرثد بن أبي مرثد كنان بن الحصين الغنوي، له ولأبيه صحبة، وشهد بدرًا وكان حليفًا حمزة بن عبدالمطلب، وقتل مرثد يوم الرجيع في حياة رسول الله ﷺ. روى حديثه عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده. قلت: كان قتله في صفر سنة أربع. وكان زميل النبي ﷺ. انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٨٢.

(٥) بسبس بن عمرو: هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خراشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان، والبعض ينسبه =

الرعاء^(١)، فلما بلغا إلى الصفراء، موضع بينه وبين المدينة ثلاث مراحل، سمعا جاريتين من جهينة^(٢)، (١١٥) تقولان: إنما تأتي العير غداً، أو بعد غد. فلما سمعا قولهما، رجعا، فأخبرا النبي ﷺ، بما قالت الجاريتان.

ثم إن أبا سفيان أعقبهما، فرأى مناخهما، وأخذ بعرة من أبعاد بعيرهما، ففتها، فإذا فيها النوى، فقال: والله هذه علائف يثرب، فضرب وجوه العير إلى الساحل، وترك بدرأ، وأسرع في الذهاب.

وبلغه خروج النبي لأخذ ما معه، فاستأجر ضميم بن عمرو الغفاري^(٣)، فبعثه إلى قريش، يستنفرهم لحفظ أموالهم.

ونزل جبريل ﷺ، على النبي ﷺ، يخبره، أن الله وعدهم إحدى الطائفتين: إما العير، وإما قريش.

= إلى جهينة. كان حليف بني ساعدة، وقد شهد بدرأ، وأرسله الرسول ﷺ مع عدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتحسنان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(١) عدي بن الرعاء: والصحيح عدي بن أبي الزغباء الجهني، واسمه سنان بن سبيع بن ثعلبة النجاري، حليف بني النجار، أرسله رسول الله ﷺ مع بسيس بن عمرو إلى بدر يتحسنان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب. ثم ارتحل رسول الله ﷺ قد قدمهما، وأخبروه بمسير قريش إليه لتمنع غيرها. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٦٦. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ١١.

(٢) جهينة: جهينة بن زيد بن ليث، من قضاة جدّ جاهلي، النسبة إليه «جهني» نزل كثيرون من بيته بعد الإسلام بالكوفة والبصرة وصعيد مصر. وبعضهم في بلاد إخميم وحلب وغيرها من البلاد الشامية. ولا يزال منهم كثيرون الآن على شاطئ البحر الأحمر، من جنوبي ديرة «بلى» إلى جنوبي ينبع. وفي جنوبي سنار بالسودان قبيلة تدعى جهينة، قد تكون من جهينة قضاة، كان لها ذكر في حروب المهدي والتعايشي بالسودان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٤٢.

(٣) ضميم بن عمرو الغفاري: وفي السيرة الرواية مختلفة: «وقد كان خُفاف بن أيماة بن رخصة الغفاري، أو أبوه أيماة بن رخصة الغفاري بعث إلى قريش حين مزوا به ابناً له بجزائر (أي ذباح) أهداها لهم، وقال: إن أحببتم أن نمذكم بسلاح ورجال فعلنا. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٧٣.



وكانت عاتكة بنت عبد المطلب^(١)، قد رأت في المنام، قبل قدوم ضميم إلى مكة بثلاثة أيام رؤيا أفزعها، رأت راكباً على بعير له، فوقف بالأبطح^(٢)، ثم صرخ بأعلى صوته: يا آل غدر، انفروا لمصارعكم، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله، إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة، وصرخ بمثلها، ثم مثل به بعيره على ظهر أبي قبيس، فقال مثل ذلك، ثم أخذ صخرة، فأرسلها، فأقبلت تهوى، حتى إذا بلغت أسفل الجبل، انقضت، فلم يبق بيت بمكة إلا ودخلته منها فلقة.

فذكرت للعباس، واستكتمته، فلقي الوليد بن عتبة، وكان صديقاً له، فأخبره بالرؤيا واستكتمه، فغشا الحديث بين قريش، فلقي أبو جهل العباس، فقال: يا أبا الفضل، متى حدثت فيكم هذه النبية؟ فقال العباس: وما ذلك؟ فقال الرؤيا التي رأتها عاتكة، وزعمت أنه قيل: انفروا في ثلاث، فتربص بكم هذه الثلاث، فإن كان ما قالت حقاً، وإلا كتبنا عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب. يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم؟ فقال العباس: فجحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت.

فلما كان اليوم الثالث، غدوت إلى المسجد، فرأيت أبا جهل يستند على باب المسجد، وإذا هو قد سمع صوت ضميم، يصرخ ببطن الوادي، وقد

(١) عاتكة بنت عبد المطلب: عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم: شاعرة، لها في ديوان «الحماسة» أبيات مختارة. هي من عمات النبي ﷺ. اختلف في إسلامها، والثابت أنها كانت يوم وقعة بدر (سنة ١٢هـ/٦٢٤م) بمكة مع مشركي قريش. قال ابن سعد: أسلمت بمكة، وهاجرت إلى المدينة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٨٣ - ١٨٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٤٢.

(٢) الأبطح: الأبطح مكان يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينها واحدة، وربما كان أقرب إلى منى، وهو المحضب، وهو خيف بني كنانة، وقد قيل: إنه ذو طوى، وليس به. قال ابن دريد: الأبطح والبطحاء الرمل المنبسط على وجه الأرض. انظر: الحموري، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٤.

وقف على بعيره، وجدعه وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث.

فعند ذلك تجهز الناس، وكانوا بين خارج بنفسه، وباعث أحداً مكانه، فلم يتخلف من قريش أحد إلا أبو لهب، فإنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة^(١).

فلما أرادوا المسير، ذكروا ما بينهم (١١٦) وبين كنانة ومدلج، فقالوا: نخشى أن يأتونا^(٢) من خلفنا، فتصدى لهم إبليس، لعنه الله، في هيئة سراقه بن مالك بن جعشم، وكان من أشرف كنانة، وقال: إني جار لكم من كنانة ومدلج، فخرجوا سراعاً مع القيان والدوف، وكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً، وخيلهم مائة فرس.

فبلغ الخبر إلى النبي ﷺ، أن قريشاً خرجوا ليمنعوا عيرهم، فاستشار أصحابه، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال فأحسن، وقام المقداد، فقال، فأحسن، وقال: امض لما أمرك ربك، ولسنا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَأَذَهَبَ آتَى وَرَبُّكَ فَفَقْتِلَا إِنَّا هَهُنَا فَعُدُّوْكَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ولكنا نقول: إذهب أنت وربك، فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك العماد، يعني مدينة (في)^(٣) الحبشة، لجاهدنا معك من دونه، حتى تبلغه، فقال ﷺ: خيراً، ودعا له بالخير.

(١) العاص بن هشام بن المغيرة: العاص (أو العاصي) بن هشام بن المغيرة المخزومي: أخو أبي جهل. كان ينادمه في الجاهلية العاص بن سعد بن العاص بن أمية، ويقال لهما: «أحمقا قريش» وقتلا يوم بدر على الشرك. قتل الأول عمر بن الخطاب، وقتل الثاني علي بن أبي طالب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٤٧.

(٢) في الأصل «يأتوننا»، والصواب ما أثبتناه في النص.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.



ثم قال: «أيها الناس، أشيروا عليّ، وإنما يريد بذلك الأنصار، لأنهم قالوا يوم العقبة: إنّنا براء من ذمامك، حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت دارنا، فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا. فكان يخاف ألا ترى الأنصار نصرته، إلا ممن دهمه المدينة، وأن لا يسير بهم إلى عدوه، فقال سعد بن معاذ^(١): فكأنك يا رسول الله تريدنا؟ فقال: أجل، قال: قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحق، وأعطيناك عهدنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو خضت هذا البحر لخصناه معك ما يتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنّنا لذوو صدق عند اللقاء، وذوو صبر عند الحرب، ولعلّ الله يريك ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى.

فسرّ رسول الله بقول سعد، ثم قال ﷺ: «سيروا على بركة الله، وابشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم».

ثم سار رسول الله، حتى بلغ قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه، حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تعرّفاني (١١٧) من أئمتنا، فقال النبي: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال الشيخ: إنه قد بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني، فإنهم اليوم في

(١) سعد بن معاذ: سعد بن معاذ النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأنصاري، صحابي من الأبطال. من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحداً، فكان ممن ثبت فيها. وكان من أطول الناس وأعظمهم جسماً، ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جراحه. ودفن بالقيع، عمره سبع وثلاثون سنة، وحزن عليه النبي ﷺ، وفي الحديث: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٦١ - ٤٦٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٨٨.

موضع كذا، - يعني الموضع الذي نزله النبي وأصحابه - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم في موضع كذا، يعني الموضع الذي نزلته قريش، ثم قال: من أنتم؟ فقال النبي: نحن من ماء، أراد أن يوهمه أنهما من العراق، لأن العراق^(١) تسمى ماء، وإنما أراد أنه خلَقَ من ماء.

ثم رجع النبي إلى أصحابه، فلما أمسى، بعث علياً، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى بدر، يلتمسون الخبر، فأصابوا راوية لقريش، فيها أسلم غلام ابن الحجاج، وعويض بن بشار غلام أبي العاص، فأتوا بهما إلى النبي ﷺ، وهو قائم يصلي، فسألوهما، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نستقي لهم، فكرهوا ذكر قريش، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فقالوا: ما أنتم إلا لأبي سفيان، فأنكرا، فضربوهما، فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما.

فلما قضى النبي صلاته، قال: صدقاكم فضربتوهما، وأكذباكم فتركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش.

ثم قال لهما: أخبراني، أين قريش؟ فقالا: هما وراء هذا الكئب الذي تراه بالعدوة القصوى من الوادي، قال: كم القوم؟ قالوا: كثير، قال: كم عددهم؟ قالوا: لا ندري، قال: كم تنحرون؟ قالوا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، قال النبي:

(١) العراق: بلاد سميت بذلك لأنه سفلى عن نجد ودنا من البحر، أخذ من عراق القرية، وهو الحرز الذي في أسفلها، وقيل: العراق ضرب من الطير. وقال قطرب: إنما سمي عراقاً لأنه دنا من البحر، وفيه سبخ وشجر، وقال الخليل: العراق شاطئ البحر، - وسمي العراق عراقاً لأنه على شاطئ دجلة والفرات مذاً حتى يتصل بالبحر على طوله، احتضنت أرضه حضارات السومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين، ثم جاء الفرس، فسيطروا على بابل، ودام حكمهم حتى سنة ٦٣٦م، عندما انتصر المسلمون عليهم في موقعة القادسية. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٣ - ٩٤. وغربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٢، ص ١١٩٢ - ١١٩٧.



القوم ما بين التسعمائة إلى العشر مائة. ثم قال: من فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: العباس بن عبد المطلب^(١)، وعتبة، وشيبة، وأبو البختري، وحكيم بن حزام^(٢)، والحرث بن عامر، وطعمة بن عدي^(٣)، والنضر بن الحرث^(٤)،

(١) العباس بن عبد المطلب: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدّ الخلفاء العباسيين. قال رسول الله ﷺ في وصفه: «أجود قريش كفاً، وأوصلها، هذا بقية آبائي» وهو عمه، وكان محسناً لقومه، شديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد. كارهاً للرق، اشتري سبعين عبداً وأعتقهم. وكانت له سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام (وهي أن لا يدع أحداً يسب أحداً في المسجد، ولا يقول فيه هجراً) أسلم قبل الهجرة، وكنم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى الرسول ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة خيبر، فكان من ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة. وعمي في آخر عمره. وكان إذ مرّ بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له، كذلك عثمان، وأحصي ولده سنة ٢٠٠هـ، فبلغوا ٣٣ ألفاً. وكانت وفاته في المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث، وله في كتب الحديث ٣٥ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٦٣ - ١٦٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٦٢.

(٢) حكيم بن حزام: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو خالد، صحابي، قرشي، وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين. مولده بمكة (في الكعبة) شهد حرب الفجار. وكان صديقاً للنبي ﷺ قبل البعثة وبعدها، وعمر طويلاً، قيل: ١٢٠ سنة. وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، عالماً بالنسب. أسلم يوم الفتح، وفيه الحديث يومئذ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن» توفي بالمدينة سنة ٥٤هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٨ - ٥٩. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٦٢.

(٣) طعمة بن عدي: والصحيح طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: من رؤساء قريش في الجاهلية. كان يتادمه منبه بن الحجاج السهمي، قتل يوم بدر. قتله حمزة وعلي ﷺ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٢٧.

(٤) النضر بن الحرث بن علقمة بن كلداء بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجهها ومن شياطينها، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في الحيرة، وقيل: هو أول من غنى على العود بالحنان الفرس. وهو ابن خالة النبي ﷺ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وأذى رسول الله ﷺ، كثيراً. وكان إذا جلس النبي مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نعمة الله، جلس النضر بعده، فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم واسفنديار: أنسا أحسن منه حديثاً، إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. وشهد وقعة بدر مع مشركي قريش، فأسرهم المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) سنة ٢هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٨ - ٥٩. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٣٣.

وزمعة بن الأسود^(١)، وأبو جهل، وأمّية بن خلف^(٢)، ونبيه^(٣)، ومنبه^(٤)، ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو بن عبد ود^(٥)، فأقبل النبي إلى أصحابه، وقال: هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها.

ولمّا أقبلت قريش، وقد ولّى أبو سفيان بالبعير، أرسل إليهم أبو سفيان: إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم، وقد نجاها الله، فارجعوا.

قال أبو جهل: والله لا نرجع، حتى نرد بدرًا، فنقسم بها ثلاثة أيام، وننحر

(١) زمعة بن الأسود: زمعة بن الأسود بن عبدالمطلب بن أسد، كان من سادات قريش، ومن حضر معهم غزوة بدر، هو وابنه الحارث بن زمعة بن الأسود، وقتل زمعة والحارث في بدر، وكان الحارث من الغتية الذين نزل فيهم القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَنفُسَهُمْ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٩٥-٢٩٧.

(٢) أمّية بن خلف: أمّية بن خلف بن وهب، من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم. أدرك الإسلام، ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداية ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر. فرآه بلال، فصاح بالناس يحرضهم على قتله، فقتلوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٢.

(٣) نبيه بن الحجاج: نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السعدي السهمي القرشي، أبو الرّزام: شاعر، من ذوي الوجاهة في قريش قبل الإسلام. كان نديماً للنضر بن الحارث. ثم كان هو وأخوه منبه من «المقتسمين». وهم سبعة عشر رجلاً من قريش، اقتسموا أعقاب مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ، وفيهم نزلت الآية: ﴿كَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾. قُتِلَ مع أخيه مشركين في وقعة بدر سنة ٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٨-٩.

(٤) منبه بن الحجاج: منبه بن الحجاج السهمي: نديم جاهلي، من أشرف قريش في الجاهلية وزنادقتها. قال ابن حبيب: تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة، وكان منبه نديماً لطعيمة بن عدي (وحضر معه موقعة بدر، ونحر منبه عشراً من الإبل، وقتله أبو قيس الأنصاري في تلك الواقعة). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٥) سهيل بن عمرو بن عبد: سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، من لؤي، خطيب قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر، وافتنى فأقام على دينه إلى يوم الفتح بمكة، فأسلم، وسكنها، ثم سكن المدينة. وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية، وجاء في مقدمة كتاب الصلح: «باسمك اللهم. هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو» وكان عمر بن الخطاب يخشى موقفه في الخطابة. مات بالطاعون في الشام سنة ١٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٤٤.



الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتضرب علينا الأقيان بالأدفاف، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابونا.

فقال الأخنس: قد نجى الله أموالكم، فارجعوا، (١١٨) فرجع بنو زهرة^(١).

ثم إن أبا سفيان، لما وصل مكة، لحق المشركين ببدر، ونزلت قريش خلف العتقنقل^(٢)، وقد سبقوا المسلمين على الماء ومنعوه، ونزل المسلمون على شفير الوادي بالعدوة الدنيا من المدينة وكان كثيراً، تغوص فيه الأقدام، وليس عندهم ماء، وأصبحوا، منهم من أجنب، ومنهم محدث، وليس عندهم ماء، فوسوس لهم الشيطان، وقال: كيف ترجون الظفر، وقد غلبوكم على الماء، وأنتم تصلون مجنين ومحدثين، وتزعمون أنكم أولياء الله، وفيكم رسوله. فانزل الله عليهم المطر، وسال الوادي، وليد الرمل لتثبت به الأقدام، واغتسلوا، وشربوا، وصلّوا، وزالت عنهم الوسوسة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

فلما اطمأنت قريش، بعثوا عمير بن وهب الجمحي^(٣)، يحرز لهم

(١) زهرة: زهرة بن كلاب بن مرة، جد جاهلي من قريش، من العرب العدنانية، من ذريته بعض الصحابة.

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٥١.

(٢) العتقنقل: والصحيح العناقاة: وهو ماء لغني، قال أبو زياد: وإذا خرج عامل بني كلاب مصدقاً من المدينة فإن أول منزل ينزله ويصدق عليه أريكة، ثم يرحل من أريكة إلى العناقاة وهي لغني، فيصدق غنياً كلها ويطونها من الضباب ويطوناً من بني جعفر بن كلاب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٠.

(٣) عمير بن وهب الجمحي: عمير بن وهب الجمحي، أبو أمية، صحابي، من الشجعان، أبطأ قبول الإسلام، وشهد وقعة بدر مع المشركين، فأسر المسلمون ابناً له، فرجع إلى مكة، فخلا به صفوان بن أمية بالحجر، وقال له: دينك علي، وعيالك علي، أمؤنهم ما عشت، وأجعل لك كذا وكذا إن أنت خرجت إلى محمد فقتلته، فوافقه عمير، ورحل إلى المدينة، فدخل بسيفه على النبي ﷺ وهو بالمسجد فسأله: لم قدمت؟ قال: أريد فداء ابني. فقال: ما لك والسلاح؟ قال: نسيته علي لما دخلت. قال: فما جعل لك صفوان بن أمية في الحجر؟ فأنكر، فأخبره النبي بما كان، فدهش وأسلم، وعاد إلى مكة، فأشهر إسلامه. =

المسلمين، فجاء بفرسه نحو العسكر، ثم رجع، فقال: ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً، أو ينقصون قليلاً، لكني والله ما أرى رجلاً منهم يُقتل، حتى يقتل منكم، لحدّتهم وثباتهم.

فمشى حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة، فقال: أنت كبير قریش وسيدها، وأرى أن ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك ابن الحضرمي، قال: نعم، فاذهب إلى أبي جهل، فمضى إليه، فقال له: هل لك أن ترجع بالناس عن ابن عمك؟ فقال: ما قال عتبة؟ فقال: لا تنفخ منحرك، أي رثك، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر استه. وكان أبو جهل به برص في إلبته، يغيّره بالزعفران، فسأل أبو جهل سيفه، وضرب به متن فرس عتبة، فقال بعض من حضر: بشس الفال.

وروي أن أبا جهل، قال: اللهم من كان أقطع رحم مني (ومحمد)^(١) فأخنه، فكانت الدائرة عليه.

وعقد رسول الله ﷺ، الأولوية، وكان اللواء الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير^(٢)، ولواء الخزرج مع الحباب^(٣)، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، ولواء رسول الله أبيض مع علي بن أبي طالب.

= ثم هاجر إلى المدينة، وشهد مع المسلمين أهدأ وما بعدها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٨٩-٩٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٨٩.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٦.

(٢) مصعب بن عمير: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، من بني عبد الدار، صحابي شجاع، من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكة، وكنم إسلامه، فعلم به أهله، فأوثقوه وحسوه، فهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، وهاجر إلى المدينة، فكان أول من جمع الجمعة فيها، وعرف فيها بالمقرئ، وأسلم على يده أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وشهد بدرًا. وكان في الجاهلية فتى مكة، شباباً وجمالاً ونعمة، ولما أظهر الإسلام زهد بالنعيم. وكان يلقب «مصعب الخير». ويقال: فيه وفي أصحابه نزلت الآية: ﴿يَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ١٧٥ - ١٧٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٤٨.

(٣) الحباب بن المنذر: الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي، ثم السلمى، صحابي، من =



وكان مع المشركين ثلاثة ألوية، وكان ذلك اليوم، ليلة الجمعة لسته عشر يوماً خلت، من شهر رمضان.

فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وقال: والله لأشربن من حوضهم، ولأهدمته، أو لأموتنّ دونه، فخرج له حمزة بن عبد المطلب، فضربه على ساقه، فوقع على ظهره، تشخب رجله دماً، (١١٩) ثم دنا من الحوض ليقتحم فيه، يريد أن ييسر يمينه، فأتبعه حمزة بضربة أخرى، قتله بها.

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف، دعوا خصومهم للمبارزة، فخرجت لهم فتيان من الأنصار: عوف^(١)، ومعوذ، ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ ما لنا بكم (من)^(٢) حاجة. ونادوا: يا محمد، أخرج إلنا أكفأنا من قومنا، فأخرج إليهم: حمزة، (وعلياً، وعبيدة، فقالوا: أكفأ كرام، فبارز عبيدة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه)^(٣) وبارز عليّ الوليد، فقتل علي وحمزة قرينيهما، واختلف

= الشجعان الشعراء، يقال له: «ذو الرأي» قال الثعالبي: «هو صاحب المشورة يوم بدر، أخذ النبي ﷺ برأيه، ونزل جبريل فقال: «الرأي ما قال حباب». وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة. مات في خلافة عمر سنة ٢٠هـ، وقد زاد على الخمسين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٦٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٦٦٥.

(١) عوف بن الحارث، ومعوذ بن الحارث: وهما ابنا عفراء، قاتلا في بدر إلى جانب رسول الله ﷺ، ويقال: إن عوف بن الحارث قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ قال: غمسة يده في العدو حاسراً، فتزع عوف بن الحارث درعاً كانت عليه، ففقدتها، ثم أخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل شهيداً. أما أخوه معوذ بن عفراء فقد لقي أبا جهل وهو عقير، فضربه حتى أثبتته، فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل شهيداً، وبكتهما أمهما العفراء. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ومعوذ في ج ٥، ص ٢٣١.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٧.

(٣) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٧.

الطعن والضرب بين عبيدة وعتبة، كل واحد ثبت لصاحبه، ثم كرَّ علي وحمزة على عتبة، فقتلاه، وقيل: ضرب شيبه رجل (عبيدة^(١)) فقطعها، فقام إليه حمزة فقتله.

واحتمل علي وحمزة عبيدة، وأتيا رسول الله ﷺ، فقال: ألسنتُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: بلى. ومات، ودفنه رسول الله بالصفراء^(٢)، وقيل عاش ثلاثة أيام، ومات بالروحاء، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله أن لا يحملوا، حتى يأمرهم، وقال: إن أكثبكم القوم، فانضحوهم بالنبل، ورسول الله وأبو بكر في العريش يناشد ربّه ما وعده من النصر، ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، إنك لا تخلف الميعاد، وإنها إن تهلك هذه العصاة، لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف ربه، ماداً يديه، حتى سقط الرداء عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه، فسوّاه، ثم التزمه من ورائه، وقال: كفاك مناشدة ربك، فإنه سينجز ما وعدك. فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُّمِدُّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

ثم خفف الله عن رسوله، ثم اتبه، وقال: يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بفرسه، يقوده، علا ثناياه النقع، أي الغبار، ومعه خمسمائة فارس من الملائكة، وميكائيل ومعه خمسمائة فارس، على صورة الرجال، عليهم ثياب بيض، وعلى رؤوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، على خيل بلق.

(١) الصحيح عبيدة وليس عتبة.

(٢) الصفراء: وادي الصفراء من ناحية المدينة المنورة، وهو وادٍ كثير النخل والزرع والخير، في طريق الحاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرّة، وبينه وبين بدر مرحلة. قال عزام بن الأصبح السلمي: الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبع. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٢.



ويروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة^(١)، أنه قال، بعدما ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم بيدر، ومعى بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُبَدِّلُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وقيل: أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة، وثلاثة أيضاً، ولم يقاتلوا، وكانوا بشرى لهم، فجاء جبريل بمن معه من الملائكة (١٢٠) على الميمنة، وميكائيل بمن معه على الميسرة، فكان الملك يسير أمام الصف على صورة رجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، وإن المشركين خافوا منكم، فتزداد بذلك قوة المسلمين.

وقال ابن عباس: فبينما الرجل من المسلمين يعدو في أثر الرجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة سوط، وصوت فارس يقول: أقدم يا حيزوم، ونظر إلى المشرك خَرَّ مستلقياً، فنظره، فإذا هو قد شقَّ وجهه، وحطم أنفه، كضربة السوط، فيحدث الملك، فيقول: نعم ذلك من مدد السماء.

وقال ابن عباس: حدثني رجل من بني غفار^(٢)، قال: قبلت أنا وابن عمي، حتى صعدنا جبلاً، أشرف بنا على بدر، ونحن يومئذ في الشرك، ننظر إلى أهل الوقعة، على من تكون الدائرة، فنذهب مع من يذهب، فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا حمحمة الخيل، وسمعنا قائلاً يقول: أقدم يا حيزوم. فأما ابن عمي، فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا، فكدت أهلك، ثم أفقت، لما سكت.

(١) مالك بن ربيعة: مالك بن ربيعة بن عمرو «البدن» بن عوف الخزرجي الساعدي، أبو أسيد: صحابي، كانت معه راية بني ساعدة يوم الفتح. وروى أحاديث. وكفت بصره، اختلفوا في تاريخ وفاته. وقيل: إنه آخر البدرين موتاً، له ٢٨ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٦١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) غفار: غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة، من كنانة، جد جاهلي. من نسله أبو ذر (جندب بن جنادة) الغفاري، من الصحابة، وأبو رهم (كلثوم بن الحصين) الغفاري. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٢١.

وعن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ، أنه قال: كنت بمكة غلاماً، فلما جاء الخبر عن مصاب قريش، كان أبو لهب في مكة، فقال الناس: هذا أبو سفيان قدم، فقال أبو لهب: هلتم يابن أخي، فعندك الخبر، فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال أبو سفيان، لا شيء والله إن كان، إلا أن لقيناهم، فمحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، بين السماء والأرض، لا يقوم لهم شيء. قال أبو رافع: فرفعت طرف الحجره بيدي، ثم قلت: تلك الملائكة. فرفع أبو لهب يده، فضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته، فضرب بي الأرض، وبرك عليّ، وكنت ضعيفاً، فقامت أم الفضل، إلى عمود من عمد الخيمة، فضربت به ضربة، فلقت (بها)^(١) رأسه، وقالت: أنتضعفه إذ غاب سيده عنه؟ فقام مولياً، فوالله ما عاش بعدها إلا سبعة أيام، ورماه الله بالعدسة، فقتلته، وتركه ولداه، لم يدفناه، حتى أنتن في بيته. وكانت قريش تتقي العدسة، كما يتقي الناس الطاعون.

قيل: وكان الرجل المسلم يتتبع الرجل من المشركين ليضربه، فيقع رأس المشرك إلى الأرض، قبل أن يضربه الرجل المسلم، وإن أحد المسلمين يشير بسيفه إلى المشرك، فينخزل، قبل أن يصله السيف، وكان المسلمون (١٢١) يرون رؤوس المشركين تقع على الأرض، لا يدرون من قطعها. وكان النبي يحرضهم، ويقول: لا يقاتلهم اليوم الرجل منكم صابراً محتسباً غير مدبر، إلا وحاز الجنة.

وقيل: أخذ النبي قبضة من الرمل، وتغل عليها، وحصدهم بها، وقال: شأهت: الوجوه. فلم يبقَ أحد من المشركين، إلا ودخل من تلك القبضة عينيه ومنخره وأنفه، واتبعهم المسلمون، يقتلونهم، ويأسرونهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] الآية. وقلل الله المشركين

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١١٨.



في أعين المؤمنين، وأكثر المؤمنين في أعين المشركين، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. وقتل يومئذ من المشركين سبعون رجلاً، منهم أبو جهل، لعنه الله.

رُوي أن معاذ بن عمرو^(١)، قال: ضربت أبا جهل، فطارت رجله من ساقه، فضربني ابنه عكرمة^(٢)، على عاتقي، فقطع يدي، وتعلقت بجلده، فقاتلت عامة يومي وأنا أسحبها خلفي، فلما أذنتني، وطئت عليها برجلي، فقطعتها. وعاش معاذ إلى زمن عثمان.

ثم مر بأبي جهل مسعود بن عفراء^(٣)، فضربه حتى أثخنه، وتركه وبه رمق من الحياة، وقاتل حتى قتل.

قال عبد الله بن مسعود: أتيت إلى أبي جهل وهو صريع، يذب الناس بسيفه، فقلت: الحمد لله الذي أخزأك يا عدو الله. قال: هل هو إلا رجل قتله قومه، فجعلت أتناوله بسيفي غير طائل، فأصبت يده، فطاح سيفه، فأخذت السيف، فضربته، حتى قتلته.

(١) معاذ بن عمرو: معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد، من بني كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، شجاع، صحابي. شهد العقبة ويدرأ. وكان أول من تعاونوا على قتل أبي جهل يوم بدر، ضربه وهو في جمع أصحابه، فقطع ساقه، ووثب عكرمة بن أبي جهل، فضرب معاذاً، فقطع يده، وبقيت معلقة بجلده من جسمه فضايقة، فوضعها تحت قدمه، وتمطى حتى فصلها عن جسده، واستمر يقاتل حتى آخر النهر، وعاش بعد ذلك حتى وفاته سنة ٢٥هـ. في خلافة عثمان. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ١٩٤ - ١٩٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٥٨.

(٢) عكرمة بن أبي جهل: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي. كان من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. كان هو وأبوه أشد الناس عداوة للنبي ﷺ. أسلم عكرمة بعد فتح مكة وحسن إسلامه، فشهد الوقائع، وولي الأعمال لأبي بكر. واستشهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٦٧ - ٦٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٣) مسعود بن عفراء: والصحيح معوذ بن عفراء. وقد وردت ترجمته سابقاً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٨٨.

وقتل من المشركين أيضاً أمية بن خلف:، قال عبد الرحمن بن عوف: كان أمية بن خلف صديقاً لي بمكة، فلما كان يوم بدر، لقيته واقفاً، ومعه ابنه علي، آخذاً بيده، فأخذت بيدهما أقودهما، إذ رأهما بلال، وكان أمية يعذب بلالاً بمكة لترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة، فيضجعه على ظهره، ويجعل على صدره صخرة عظيمة. فقال بلال، حين رآه بيدر: رأس الكفرة أمية بن خلف: لا نجوت إذ نجاء، فأحاط بنا المسلمون، وأنا أذب عنه، فضرب رجل من المسلمين ولده، فصاح صيحة ما سمعت مثلها قط، فقلت: إنج بنفسك، فوالله ما أغني عنك شيئاً، فضربوهما حتى قتلوهما.

واستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلاً، وأسر من المشركين سبعون رجلاً.

وقفل النبي راجعاً إلى المدينة، فلما وصل إلى الصفراء، أمر علياً أن يقتل من الأسارى النضر بن الحارث، فقتله. ولما وصل عرق الظبية^(١)، (١٢٢) أمر بقتل عقبة بن أبي معيط^(٢)، فأتاه عاصم^(٣)، ليقتله، قال: فمن للصبية يا محمداً؟ فقال: لها النار.

(١) عرق الظبية: مكان بين مكة والمدينة، قال الواقدي: هو من الروحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة، ويرعق الظبية مسجد للنبي ﷺ. وقال ابن إسحاق في غزوة بدر: مر ﷺ على السبالة، ثم على فجج الروحاء، ثم على شنوكه وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية. وقيل: إن الظبية هي الروحاء نفسها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٨.

(٢) عقبة بن أبي معيط: عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس: من مقدمي قريش في الجاهلية. كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٤٠.

(٣) عاصم: عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح قيس بن عصمة الأنصاري الأوسي، أبو سليمان صحابي، من السابقين الأولين من الأنصار، شهد بدرًا وأحدًا مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم الرجيع، وورثه حسان بن ثابت. ينسب إليه رجز في بعض حروبه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٠٧ - ١٠٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٤٨.



ولقيه الناس بالروحاء يهتونه بما فتح الله عليه، ودخل المدينة قبل الأسارى بيوم، وقال: استوصوا بالأساري خيراً، فلما جاؤوا بهم إلى المدينة، قال النبي: ما تقولون في هؤلاء؟

قال أبو بكر: قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم، لعل الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية، تكون لنا قوة على الكفار.

وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، قدّمهم، ومكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكني من فلان، يعني شيبة، فأضرب عنقه، ومكن حمزة من العباس ليضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر.

وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، فقال لهم العباس: قطعت رحمك.

فسكت رسول الله، ولم يجبههم، ودخل، فاختلف الناس أنه بأي رأي يأخذ، ثم خرج، فقال: إن الله ليلتين قلوب أقوام، حتى تكون ألين من الزبد، وإنه ليشدد قلوب أقوام، حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: ﴿فَمَنْ يَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ومثلك يا عمر، مثل نوح، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيًّا﴾ [نوح: ٢٦]. أو كمثل موسى، قال: ﴿أَطِيسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عاله، فلا بدّ لأحدكم من الفداء، أو ضرب عنقه».

ثم فاداهم رسول الله ﷺ، وكان فداء الرجل منهم أربعة آلاف درهم، وثلاثة آلاف، وألفين، وألف، ونودي عليهم على قدر أموالهم، ومن كان لا مال له، جعل عليه أن يعلم الكتابة عشرة من أهل المدينة، لأنهم كانوا لا يكتبون، وأهل مكة يكتبون، فإذا أحذقوا، كان ذلك فداؤهم، ومن رسول الله على قوم منهم، فسرّحهم.

وأما العباس، فإنه أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لأهل بدر، فبلغته النوبة يوم بدر، وكان خرج بعشرين أوقية ذهباً، فأراد أن يطعم الناس، فاقتلوا قبل أن يطعم، فأخذ أسيراً مع الذهب فسأل النبي أن يكون ذلك من فدائه، وكان الذي أسره (١٢٣) أبو اليسر كعب بن عمير^(١)، قال له رسول الله: كيف أسرته؟ قال: أعانني عليه رجل لم أعرفه، ما رأيته من قبل ذلك ولا بعده. قال النبي: أعانك عليه ملك كريم. فأبى النبي أن يجعل ذلك من فدائه، وقال: أما شيء خرجت به لتستعين به علينا، فلا أتركه لك، وكلفه فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب^(٢) ونوفل بن الحارث^(٣)، فقال العباس: يا محمد، تركتني أتكفّف قريشاً، ما بقي لي شيء؟ فقال النبي: أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل حين خروجك من مكة؟ وقلتَ لها: إن حدث بك حدث، فهذا لك لعبد الله، ولعبيد الله، وللفضل، وقثم، يعني أولاده، فقال العباس: وما يدريك؟ قال:

- (١) كعب بن عمير: كعب بن عمير الغفاري: من كبار الصحابة، بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية نحو «ذات أطلاق» في اللقاء، فقتل فيها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٥٨. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٢٨.
- (٢) عقيل بن أبي طالب: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد: أعلم قريش بأيامها ومثاليها وأنسابها. صحابي، فصيح اللسان، شديد الجواب، وهو أخو «علي» و«جعفر» لأبيهما. وكان أسن منهما. برز اسمه في الجاهلية. وكان في قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم المناقرات: عقيل، ومخرمة، وحويطب، وأبو جهم. وبقي عقيل على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر. أسلم بعد الحديبية، وهاجر إلى المدينة سنة ٨هـ، وشهد غزوة مؤتة. توفي سنة ٦٠هـ في عهد معاوية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٦١ - ٦٣. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٤٢.
- (٣) نوفل بن الحارث: نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، صحابي، كان من أغنياء قريش وأجوادهم وشجعانهم. أخرج قومه يوم بدر لقتال المسلمين وهو كاره، فأسر، ثم أسلم، وكان أسن من أسلم من بني هاشم. ورجع إلى مكة، ثم هاجر إلى الرسول الله ﷺ أيام الخندق، وشهد فتح مكة، وحضر حنيناً والطائف، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فكان عن يمينه وتبرع في هذه الوقعة بثلاثة آلاف رمح. وعاش إلى خلافة عمر بن الخطاب، وكانت وفاته سنة ١٥هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٣٤٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٥٤.



أخبرني به ربي. قال العباس: أنا أشهد إنك لصادق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله، ولم يطلع على ما قلت لأم الفضل إلا الله، وأمر العباس عقيلاً، فأسلم.

فلما كان من الغد، قال عمر: جئت إلى رسول الله ﷺ، فرأيتَهُ هو وأبو بكر يكيان، فقلت: يا رسول الله، من أي شيء تكيان؟ فإن رأيت بكاء وإلا تباكيت. فقال ﷺ: «أبكي للذي على أصحابك من أخذ الفداء، لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة». لشجرة كانت قريبة منه، وذلك أنه نزلت عليه هذه الآية: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] فقال ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء، ما نجا منه أحد غير عمر بن الخطاب، وسعد بن معاذ». فأمسك النبي وأصحابه عن أكل ما أخذوا من الفداء. فأنزل الله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] الآية. وإنما أنكر الله على نبيه ذلك، لأن المسلمين كانوا قليلاً، فلما كثروا، أنزل الله: ﴿فَأَمَّا مَتَأُ بَعْدُ وَإِنَّمَا فَدَاؤُكُمْ﴾ [محمد: ٤] الآية.

وقيل: لما رجع المشركون إلى مكة، بعد هزيمتهم من بدر، قال عمير لصفوان^(١): لولا دين عليّ قضاؤه، وليس عندي قضاءه، وعيال أخشى عليهم الضيعة من بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله.

فقال صفوان: عليّ دينك، أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم ما بقوا، فقال عمير: اكرم عليّ ذلك، فقال صفوان: نعم.

(١) صفوان: صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي، أبو وهب، كان من أشرف قريش في الجاهلية. قال أبو عبيدة: «إن صفوان قنطر في الجاهلية، قنطره أبوه، أي صار له قنطار ذهباً. أسلم بعد فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد اليرموك، ومات بمكة سنة ٤١هـ/٦٦١م. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٤ - ٢٦. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٥.

ثم إن عميراً أمر بسيفه، فشحذ له، وسقي سمّاً، وانطلق، حتى قدم المدينة، فرآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد أناخ عند باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال: هذا عدو الله عمير، ما جاء إلا بشر.

ثم دخل عمر على رسول الله، فقال: يا نبي الله، هذا عمير قد جاء متوشحاً بسيفه (١٢٤) قال: أدخله عليّ، فأقبل عمر على عمير، فجعل خمائل سيفه على عنق عمير، وقال لرجال من الأنصار: أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه، وعمر أخذ عنقه على خمائل سيفه، قال: أرسله يا عمر، وقال: أدن مني يا عمير، فدنا عمير من النبي، وقال: انعموا صباحاً، وكانت تلك تحية الجاهلية، فقال النبي: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة». ثم قال: يا عمير، ما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي بين أيديكم، فأحسنوا إليه، يعني ابن صفوان، لأنه كان أسيراً يوم بدر. قال النبي: فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً؟ قال: ما الذي جئت له يا عمير؟ أصدقني. قال ما جئت إلا لذلك. قال: بلى، قعدت أنت وصفوان بن أمية بالحجر^(١)، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ، وخوفي على عيالي لثلاً يضيعوا بعدي، لخرجت، حتى أقتل محمداً، فتحمل صفوان عنك دينك وعيالك، على أن تقتلني، والله حائل بيني وبينك. فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، وقد كنتا نكذبك، وهذا أمر لم يحضره أحد غيري وصفوان، فإني والله لأعلم ما أنبأك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد

(١) الحجر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام، وحجرت على الموضوع ليُعلم أنه من الكعبة، فسمي حجراً لذلك. وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها، فلما هدم الحاج بناءه صرفه عما كان عليه في الجاهلية. في الحجر قبر هاجر أم إسماعيل عليه السلام. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢١.



شهادة الحق، فقال النبي ﷺ: «فقهوا أحاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا له أسيره»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إني جهدت في الشرك، والله لقد كنت شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني لا أحب أن تأذن لي أن آتي مكة، فأدعوها إلى الله، وإلى الإسلام، وإلا آذيتهم على دينهم، كما كنت آذي على دين الله، فأذن له، ولحق بمكة.

وكان صفوان يسأل عنه الركبان، ويقول لقريش: أبشروا بوقعة تنسيكم بدرأ.

ثم قدم ركب، فأخبروه بإسلام عمير، فحلف أنه لا يكلمه، ولا ينفعه بشيء، فلما قدم عمير إلى مكة، قام يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خلفه، فأسلم على يده خلق كثير.

وفي هذه السنة، قتلت عصماء بنت مروان اليهودية^(١)، وكانت تعيب المسلمين، وتؤذي رسول الله، وتقول فيه الشعر، قتلها عمرو بن عدي^(٢)، وفيها قال رسول الله ﷺ، (١٢٥): لا تنتطح فيها عنزان. فهذه أول ما سمعت من غريب كلامه.

(١) عصماء بنت مروان اليهودية: وهي عصماء بنت مروان، من بني عمرو بن عوف، كانت تحض على الفتن برسول الله ﷺ، فوجأها عمير بن عدي بسكين تحت ثديها، فقتلها، ثم أتى النبي ﷺ، فأخبره، وقال: إني لأتقي تبعة أختوتها. فقال النبي ﷺ: لا تخفهم. وردت ترجمتها في سياق ترجمة عمير بن عدي. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ١٢١٨.

(٢) عمرو بن عدي: والصحيح عمير. وهو عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة، إمام بني خطمة وقارئهم، كان ضعيف البصر، وقد حفظ طائفة من القرآن، فسمي القارئ، شهد أهدأ وما بعدها من المشاهد. أما الواقدي وأهل المغازي فيقولون لم يشهد أهدأ ولا الخندق لضرر بصره، ولكنه قديم الإسلام، صحيح التبة، وكان هو وخزيمة بن ثابت يكسران أصنام بني خطمة. وكان عمير أول من أسلم من بني خطمة. وهو الذي قتل عصماء بنت مروان اليهودية لشتها رسول الله ﷺ. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في المعرفة الأصحاب، ج ٣، ص ١٢١٧ - ١٢١٨.

وفي هذه السنة، نقض يهود بني قينقاع العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأظهروا له الحسد والبغي، وهم أول من نقض العهد من اليهود، وكان النبي وادع اليهود، حين قدم المدينة، أن لا يعينوا عليه أحداً، وإن دهمه العدو بالمدينة، نصره، فقال لهم رسول الله ﷺ: «احذروا ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنني نبي من قبل». فقالوا: يا محمد، إنك ترى، أننا كقومك، لا يغرّنك أنك لاقيت قوماً، أعمار لا علم لهم بالحرب.

فخرج رسول الله ﷺ، للنصف من شهر شوال، وحمل لواء حمزة، واستخلف على المدينة أبا لبانة^(١)، فتحصنت اليهود في حصونها، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة.

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأراد قتلهم، فكلمه فيهم عبد الله بن أبي، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأعرض عنه ﷺ، ثم أعاد السؤال ثانية، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ، فقال النبي: ويحك أرسلني. فقال: لا والله لا أرسلك، حتى تحسن إلى موالي، أربعمئة حاسر، وثلاثمئة دارع، قد منعوني من الأسود والأحمر، تحصدهم في غداة واحدة؟ فقال: هم لك، وأمر ﷺ بإجلانهم، وغنم النبي ما كان لهم من مال، فكان أول خمس في الإسلام بعد بدر، ثم انصرف إلى المدينة.

وفي هذه السنة، مات أمية بن أبي الصلت^(٢)، وكان قد رغب عن عبادة

(١) أبو لبانة: بشير بن عبد المنذر. قال ابن إسحاق: اسمه رفاعة بن المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، كان نقيباً، شهد العقبة، وشهد بدر. قال ابن إسحاق: وزعم قوم أن أبا لبانة بن عبد المنذر والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله ﷺ إلى بدر فرجعهما، أمر أبا لبانة على المدينة. وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر. قال ابن هشام: ردهما من الروحاء. مات أبو لبانة في خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٧٣٩ - ١٧٤١.

(٢) أمية بن أبي الصلت: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم، =



الأوثان، وقرأ الكتب المتقدمة، وأخبر أن نبياً يخرج، قد أظلم زمانه. وكان يأمل أن يكون هو النبي الموصوف، فلما بلغه خروج النبي ﷺ، كفر به، حسداً له. وفي هذه السنة خرج النبي ﷺ لصلاة عيد الأضحى إلى المصلى، وضخى هو والأغنياء من أصحابه، وهو أول أضحى كان في المسلمين. وفي هذه السنة كانت غزوة السويق، وسبب ذلك أن أبا سفيان حرّم على نفسه بعد بدر الدهن والنساء، حتى يأخذ الثأر من محمد. فخرج في مائتي راكب، إلى أن بقي بينه وبين المدينة ثلاثة أميال، فقتل رجلاً من الأنصار وأجيراً له، وحرقت بيوتاً، (١٢٦) فرأى أن يمينه قد برّت، ثم ولى هارباً.

فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخرج في أثره، في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار، يوم الأحد، لخمس ليالٍ خلون من ذي الحجة، واستخلف على المدينة أبا لبانة بن عبد المنذر، فجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفون للهرب، فيرمون ما عندهم من الزاد، وكان عامة زادهم جرب السويق، فلم يلحقهم النبي، وأخذ المسلمون ما طرحوه من جرب السويق، فسميت غزوة السويق. فرجع النبي وأصحابه إلى المدينة، وكانت غيبتهم خمسة أيام.

= من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً، وهو ممن حزموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ورحل إلى البحرين، فأقام ثمانين سنين، ظهر في أثنائها الإسلام، عاد إلى الطائف، فسأل عن خير محمد بن عبد الله ﷺ، فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة، وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع، وأقام بالطائف حتى وفاته سنة ٥٥هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٣.

الباب الثاني عشر
في ذكر الأمور الحادثة
في السنة الثالثة من الهجرة





ففي هذه السنة، تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبي ﷺ، في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة من هذه السنة. وكان بين البناء بها، وبين موت أختها رقية تسعة أشهر.

وفي هذه السنة، غزا رسول الله ﷺ غزوة أنمار^(١)، في ربيع الأول، فلما بلغ ذا مز^(٢)، عسكر به، ونزل هو وأصحابه، ولا يرون من العدو أحداً، والسماء ترش، ووضع الناس أسلحتهم، وخرج رسول الله في حاجة، وقد وضع سلاحه، وجاء الوادي، فحال بينه وبين أصحابه، فجلس في ظل شجرة، فبصر به غويرث بن الحارث المحاربي^(٣). فقال له أصحابه: يا غويرث، هذا محمد، قد انقطع عن أصحابه، قال: قتلني الله إن لم أقتله. ثم انحدر من الجبل ومعه سيفه، قد سلّه من غمده، فلم يشعر به النبي، إلا وهو واقف على رأسه، مخترط السيف، فقال: يا محمد، من يعصمك مني؟ قال: يعصمني الله، ثم قال: اللهم اكفني غويرثاً بما شئت. ثم أهوى غويرث بسيفه إلى النبي، فزلقت به رجله، فأكبّ على وجهه، وخرج السيف من يده، فأخذه النبي، وقال: يا غويرث، من يمنعك الآن مني؟ قال لا أحد يمنعني، فقال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وإني عبده ورسوله، فأعطيك

(١) غزوة أنمار: انظر تفاصيل الغزوة في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢ - ٣.
(٢) ذو مز: اسم مكان، وسمي مزاً لأنه في عرق من الوادي، من غير لون الأرض. ويذكر عن كثير أنه قال: سميت مزاً لمرارتها، وهو موضع على بعد مرحلة من مكة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٤.

(٣) غويرث بن الحارث المحاربي: وفي البداية والنهاية: «غورث بن الحارث، أو دثور بن الحارث، وفيه إشارة إلى أن غويرث لم يسلم، بل استمر على دينه، ولم يكن عاهد النبي أن لا يقاتله، والله أعلم. انظر: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢ - ١.

سيفك، قال: لا، ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً، ولا أعين عليك عدواً، فأعطاه سيفه، ثم قال غويرث للنبي: أنت خير مني، فقال النبي: أجل، أحق بذلك منك.

ورجع غويرث، فقال له أصحابه، وملك لقد رأيناك هويت بالسيف إليه، فما منعك منه؟ فقصَّ عليهم الخبر، فلحقت بنو محارب^(١) وبنو أنمار^(٢) برؤوس الجبال، (١٢٧) ودخل قلوبهم الرعب.

ثم انقطع الوادي، وأتى النبي إلى أصحابه، وقصَّ عليهم الخبر، ورجع إلى المدينة.

وفي هذه السنة، كانت غزوة القرده، وذلك أن قريشاً قالت: إن محمداً قد عوّز علينا متجرنا، وهو على طريقنا، فإن أقمنا بمكة، أكلنا رؤوس أموالنا، فاستأجر صفوان بن أمية الفرات بن حيان العجلي^(٣) دليلاً، وخرج بهم إلى الشام، وكان ذلك وقت الشتاء، فسلك بهم ذات عرق^(٤)، فلما بلغ الخبر إلى النبي ﷺ، بعث زيد بن حارثة، في جمادى الأولى، فاعترض العير، وظهر بها، وأفلت أعيان القوم، وأسر من أتى، وكان معهم مال كثير، وأواني الفضة،

(١) بنو محارب: ينسبون إلى محارب بن فهر بن مالك بن النضر، من قريش، ومن نسله مشاهير كثيرون. انظر: الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٨١.

(٢) بنو أنمار: ينسبون إلى أنمار بن نزار بن معد، من عدنان، وكان بعض بنيه في تهامة الحجاز، ثم تحولوا إلى سراة عسير، بين اليمن والحجاز. انظر: الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٨.

(٣) الفرات بن حيان العجلي: فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن حبة بن ربيعة بن سعد بن عجل بن لجم بن صعيب البكري ثم العجلي، حليف بني سهم، وهو أحد الأربعة الذين أسلموا من ربيعة، وحسن إسلامه، ووقعه في الدين، وسيره النبي إلى ثمامة بن أثال في قتل مسيلمة وقتاله. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٦٥١ - ٣٥٢.

(٤) ذات عرق: مَهْلُ أهل العراق، وهو الحدّ بين مجد وتهامة، وقيل: عرق جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق. وقال الأصمعي: ما ارتفع من بطن الرّمة فهو نجد على ثنانيا ذات عرق، وعرق: هو الجبل المشرف على ذات عرق، وإياه عنى ساعدة بن جؤبة بقوله يصف سحاباً:

لما رأى عرقاً ورجع صوبه هدرأ كما هدر الفئيق المصعب

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٧ - ١٠٨.



فاقتسم النبي ﷺ الغنائم بين أصحاب السرية، وأخرج الخمس، قيل: بلغ الخمس عشرين ألفاً، وأطلق الفرات بن حيان، فرجع إلى مكة.

وفي هذه السنة، تزوج رسول الله ﷺ حفصة^(١) بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر شعبان، وكانت تحت حبش بن حذافة السهمي، في الجاهلية، فتوفي عنها، قبل مبعث النبي، وقيل: أدرك النبي، وأسلم، وشهد بدرأ، وتوفي بالمدينة.

وهي أخت عبد الله من أبيه وأمه، وأمهما أم زينب بنت مضعون، قيل: إن عمر عرض ابنته على عثمان أولاً، فقال له: سأنظر في ذلك، فمكث أياماً، ثم قال: بدا لي أن لا أتزوج اليوم.

ثم عرضها على أبي بكر، فسكت عنه، ولم يجبه، فوجد عمر على أبي بكر، فمكث ليلالي، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ، فزوجه بها، ثم لقيه أبو بكر، فقال له: لعلك وجدت عليّ يا عمر؟ فقال نعم، قال أبو بكر: سكت عنك، لأنني سمعت رسول الله ﷺ، يذكرها، فكرهت أن أفشي سره، ومنعني ذكره إياها أن أقبلها، ولو تركها النبي لقبلتها.

وقيل إن النبي همّ بطلاقها، فوهبت يومها لعائشة، فقالت: ليس لي رغبة في الزواج، وإنما أريد أن أحشر من جملة نسائك.

وقيل: إنه طلقها، فاتاه جبريل، وقال له: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة،

(١) حفصة: حفصة بنت عمر بن الخطاب: صحابية جلييلة سالحة، من أزواج النبي ﷺ، ولدت بمكة، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلمها، وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها، فزوجه إياها سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها سنة ٤٥هـ. روى لها البخاري ومسلم ٦٠ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٦٧ - ٦٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

وهي زوجتك في الجنة، وقيل إنه راجعها رحمة لأبيها، وعاشت حفصة ستين سنة، وماتت بالمدينة، في خلافة عثمان.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة^(١)، في شهر رمضان، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية، وكساء، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في ربيع الآخر، سنة أربع من الهجرة، ودفنت بالبقيع، وكانت تسمى أم المساكين، وكانت قبل النبي مع الطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب^(٢).

وقيل: تزوجها النبي، بعد وقعة أحد، وإنها كانت تحت عبد الله بن جحش، وكانت أخت ميمونة^(٣) من الأم، فعلى هذا القول، مكثت مع النبي شهرين أو ثلاثة.

وفي هذه السنة كانت غزوة أحد، في يوم السبت، لسبع ليالٍ خلون من شوال، أو للنصف منه، وسبب تلك الغزوة أنه لما رجع المشركون من بدر، وجدوا العير التي رجع بها أبو سفيان موقوفة في دار الندوة، (١٢٨) فمشت

(١) زينب بنت خزيمة: زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية: من أزواج النبي ﷺ، كانت تدعى في الجاهلية «أم المساكين» تزوجها عبيدة بن الحارث، وقتل عنها بدر، فتزوجها النبي ﷺ سنة ٣هـ، وليثت عنده ثمانية أشهر أو أقل، وماتت بالمدينة، وعمرها نحو ثلاثين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ١٣٠. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٦٦.

(٢) الطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب: الطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، صحابي، قرشي، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها. وكان من ذوي الشجاعة والشرف. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٢٢٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٧٤.

(٣) ميمونة: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية: آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، وآخر من مات من زوجاته. كان اسمها «بزة» فسمها «ميمونة» بايعت بمكة قبل الهجرة. وكانت زوجة أبي رهم بن عبد العزى العامري. مات عنها، فتزوجها النبي ﷺ سنة ٧هـ. وروت عنه ٧٦ حديثاً. وعاشت ٨٠ سنة، وتوفيت في «سرف» وهو الموضع الذي كان فيه زواجها بالنبي قرب مكة، ودفنت به. وكانت صالحة فاضلة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٣٤٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.



أشرف قريش إلى أبي سفيان، وقالوا: جهز بهذا الربح جيشاً إلى محمد، فقال: نعم، أنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد المطلب معي، وكان المال ألف بعير، وخمسين ألف دينار، فباعوها، وسلموا لأهلها رؤوس أموالهم، وعزلوا الأرباح، وبعثوا إلى الأعراب يستنصرونهم، فخرجوا من مكة، ومعهم نسوة تذكرهم قتلى بدر، ليجدوا في الحرب.

وكتب العباس خبرهم إلى النبي ﷺ، وكان عددهم ثلاثة آلاف، ومعهم سبعمائة درع ومائتا فارس، وثلاثة آلاف بعير، فنزلوا بذي الحليفة^(١)، وأقاموا الأرياء والخميس والجمعة.

فاستشار النبي أصحابه للقتال، ودعا عبدالله بن أبي سلول، ولم يدعه قط قبلها، فاستشاره، فقال عبدالله وأكثر الأنصار: يا رسول الله، أقم بالمدينة، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط، إلا وأصاب متاً، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا، فأعجب النبي هذا الرأي.

وقال بعض الصحابة: إخرج بنا يا رسول الله، إلى هذه الأكلب، لا يرون أنا جينا عنهم. وأتاه النعمان بن مالك الأنصاري^(٢)، فقال: يا رسول الله، لا تحرمني الجنة، فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة، فقال له: صدقت. ثم قال: إني

(١) ذو الحليفة: مكان من تهامة، ورد ذكره في حديث رافع بن خديج، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة من تهامة، فأصبنا نهب غنم، فهو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٢) النعمان بن مالك الأنصاري: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج، وثعلبة بن دعد هو الذي يقال له قوقل، وكان له عز، فكان يقول للخائف: قوقل حيث شئت، فأنت آمن، فليلبني غنم وليبني سالم لذلك القواقلة، وكذلك يدعون في الديوان النعمان بن قوقل. شهد النعمان بن مالك بدرأ وأخذأ، وقتل يوم أحد شهيداً، قتله صفوان بن أبي أمية في قول محمد بن عمر، وأما عبدالله بن محمد بن عمارة فإنه قال: الذي شهد بدرأ وقتل يوم أحد النعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة. والذي يدعى قوقلاً هو النعمان بن مالك لم يشهد بدرأ والله أعلم. نظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ٦٧.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، ولا أفرُّ من الزحف. قال: صدقت. فقيل يومئذ، قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام بقرأ فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، فأولته هزيمة، ورأيت (أنبي)»^(١) أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقفوا بالمدينة وتدعوهم، فإن أقاموا، أقاموا بشرَ مقام، وإن دخلوا علينا المدينة، حاربناهم فيها.

وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليهم المدينة، فيقاتلوهم في الأزقة. وكان رجال ممن فاتتهم بدر، أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد، فقالوا: إخرج بنا إلى أعدائنا، فلم يزالوا به، حتى دخل، فلبس لامة حربيه، فلما رآوه ليس السلاح، ندموا، وقالوا: بشس ما صنعنا، نشير على رسول الله، والوحي يأتيه، فقاموا واعتذروا إليه، وقالوا: إصنع ما رأيت. قال: «لا ينبغي لنبى أن يلبس لامة حربيه، ثم يضعها حتى يقاتل»، فسار النبي إليهم بعد صلاة الجمعة، وكان قد مات رجل من الأنصار، فصلى عليه، ثم خرج في (١٢٩) ألف رجل، وقيل: تسعمائة وخمسين، وفيهم مائة دارع، وعقد ثلاثة ألوية: فذفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير^(٢)، ولواء الخزرج إلى الحباب، وقيل: إلى سعد بن عبادة^(٣)، ولواء المهاجرين إلى علي، وقيل: إلى مصعب بن عمير،

(١) إضافة يقتضيه السياق.

(٢) أسيد بن حضير: أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأوسي، أبو يحيى: صحابي، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، مقدماً في قبيلته (الأوس) من أهل المدينة. يعدّ من عقلاء العرب وذوي الرأي فيهم. وكان يسمى الكامل، شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار. وكان من النقباء الاثني عشر، وشهد أحدًا، فجرح سبع جراحات، وثبت مع رسول الله حين انكشف الناس عنه، وشهد الخندق والمشاهد كلها. وفي الحديث: «نعم الرجل أسيد بن الحضير» توفي في المدينة، له ١٨ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٣٣١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٤٠ - ٢٤٢.

(٣) سعد بن عبادة: سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي، أبو ثابت: صحابي، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام. وكان يلقب في الجاهلية بالكامل (لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة) وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وشهد أحدًا والخندق =



واستخلف على المدينة ابن أم كلثوم، وصلى المغرب من طرف المدينة، وبات في بيوت بني حارثة^(١)، واستعمل تلك الليلة على الحرس محمد بن سلمة^(٢)، في خمسين رجلاً، يطوفون بالعسكر، وأدلى بصره، وصلى الصبح بأصحابه، فلما بلغ الشوط^(٣)، انزل عبد الله بن أبي، في ثلاثمائة رجل ممن يتبعه، وكان رأيه أن لا يخرج من المدينة، وهو الذي أنزل فيه ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. وهمت بنو حارثة وبنو سلمة بالإنصراف مع عبد الله، فعصمهم الله، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢].

= وغيرهما. وكان أحد النقباء الاثني عشر. ولما توفي رسول الله ﷺ، طمع بالخلافة، لم يبائع أبا بكر. فلما صار إلى عمر عاتبه، فقال سعد: كان والله أصبحت كارهاً لجوارك. فقال عمر: من كره جوار جاره تحول عنه. فلم يلبث سعد صاحبك أحب إلينا منك، وقد والله أن خرج إلى الشام مهاجراً، فمات بحوران. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٨٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٤١ - ٤٤٣.

(١) حارثة: حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو الأوسي الأزدي القحطاني: جد جاهلي. من بنيه رافع بن خديج، والبراء بن عازب، وعبد الرحمن بن نجيد، الحارثيون الأنصاريون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٥٨.

(٢) محمد بن سلمة: محمد بن سلمة الأنصاري الحارثي، يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال: بل يكنى أبا عبد الله، وهو محمد بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، حليف بني عبد الأشهل، شهد بدرًا والمشاهد كلها، ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها، وكانت وفاته بها في صغر سنه ستة وست وأربعين، وقيل سنة تسع وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ أمير على المدينة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٤٣٣.

(٣) الشوط: اسم حائط، يعني بستاناً بالمدينة. قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبي، ورجع إلى المدينة، وفيه يقول قيس بن الخطيم:

وقد علموا أنما فلهم خدور البيوت وأعيانها
وبالشوط من يشرب أعبدُ ستهلك في الخمر أثمانها

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٢.

ومضى رسول الله في سبعمائة رجل، حتى بلغ الشعب من أخذ، في عدوة الوادي، وجعل أخذاً خلف ظهره، واستقبل المدينة، وجعل جبل عينين^(١) عن يمينه، وجبل قباء من يساره، وجعل عليه خمسين رجلاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير^(٢)، وقال: أقيموا بأصل الجبل، وانضحوا عنه بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، فإن كانت لنا أو علينا، لا تبرحوا مكانكم، فإننا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم، وأقبل يسوي الصفوف، وجاء المشركون، وصفوا، وجعلوا خالد بن الوليد^(٣)، على اليمين، وعكرمة على اليسرة، وصفوان بن أمية على الجبل، أو عمرو بن العاص، وعلى الرماة عبد الله بن ربيعة، ولواؤهم بيد طلحة بن أبي طلحة، وكانوا مائة رام، ومعهم النساء، يضرين بالدخوف، ويقلن الأشعار، فقالت هند^(٤):

(١) جبل عينين: وهو ثنية عين، ولكن بعضهم يتلفظ به على هذه الصيغة في جميع أحواله، فإن الأزهري ذكره فقال مبتدأ: عينين جبل بأحد، وقد بسط القول فيه في عينان، قال أبو عبيدة في قول البيت: ونحن منعنا يوم عينين متقرأ ولم ننب في يومي جدود عن الأسل
انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٠.

(٢) عبد الله بن جبير: عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري: صحابي، شهد العقبة وبدراً، وكان أمير الرماة يوم أحد، فاستشهد فيها سنة ٣هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٧٦. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٩٤.

(٣) خالد بن الوليد: خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، صحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أئمة الخيل، وشهد مع مشركهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ، فسز به رسول الله ﷺ، وولاه الخيل. ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة، ثم سيره إلى العراق سنة ١٢هـ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه. وحوله إلى الشام. ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام، وولى أبا عبيدة بن الجراح. مات بحمص سنة ٢١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ١٤٠ - ١٤٤.

(٤) هند: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، تزوجت أباه بعد مفارقتها لزوجها الأول الفاكه بن المغيرة المخزومي. كانت فصيحة تقول الشعر، وأكثر ما عرف عنها مراثيها لقتلى بدر من مشركي قريش قبل أن تسلم، ووقفت بعد وقعة بدر (في وقعة أحد ومعها بعض النسوة يمثلن يقتلى المسلمين، ويجدعن آذانهم وأنوفهم، وتجعلها هند قلائد، وخلال، وترجس في تحريض المشركين والنساء من حولها يضرين بالدخوف:



نحن بنات طارق نمشي على النمارق^(١)

وكان أول من لقيهم بالحرب أبو عامر الصيفي^(٢) بمن معه من الأحابيش، وعبيد أهل مكة، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى حميت الحرب، واشتدّت، فقال رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف، ويضرب به العدو حتى ينحني؟». فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة^(٣)، وكان رجلاً (شجاعاً)^(٤) يخال عند الحرب، ويقول: أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهر في الكبول ونحن بالسفح لدى النخيل أضرب بسيف الله والرسول^(٥)

= نحن بنات طارق نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعمانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وكانت ممن أهدر النبي ﷺ دماءهم، يوم فتح مكة وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت ستار الكعبة، فجاءته مع بعض النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها. توفيت سنة ١٤هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٩٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

- (١) انظر البيت في: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٥٣.
- (٢) أبو عامر الصيفي: هو أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة، خرج إلى مكة مباعداً رسول الله ﷺ في خمسين غلاماً من الأوس، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، فقالوا: فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق. وكان يسمى في الجاهلية: الراهب، فسماه النبي ﷺ الفاسق، وقاتل قومه قتالاً شديداً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧١.
- (٣) أبو دجانة سماك بن خرشة: سماك بن خرشة الخزرجي البياضي الأنصاري، المعروف بأبي دجانة: صحابي، كان شجاعاً بطلاً. له آثار جميلة في الإسلام شهد بدماء، وثبت يوم أحد، وأصيب بجراحات كثيرة. واستشهد باليمامة، كانت له مشية عجيبة في الخيلاء، يضرب بها المثل. نظر إليه النبي ﷺ في معركة، وهو يتبختر بين الصفيين، فقال: هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا المكان. وكان يقال له «ذو الشهرة» وهي درع يلبسها في الحرب. و«ذو السيفين» لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ، وقيل في نسبة: سماك بن أوس بن خرشة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٣٨ - ١٣٩. وانظر: ابن الأثير. علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٥٠ - ٥٥١.
- (٤) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ١٢٧.
- (٥) انظر الآيات في: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٣.

(١٣٠) فقال ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله، إلا في هذا الموضع». ثم صاح طلحة بن أبي طلحة: البراز، فبرز له علي بن أبي طالب، فضربه على رأسه، ففلق هامته، وكبر المسلمون، وشدوا على المشركين، وضرب حمزة عثمان بن أبي طلحة^(١) حامل اللواء، فقطع يده، ثم حمله أبو سعيد بن طلحة^(٢)، فوثب سعد بن أبي وقاص، فقتله، ثم حمله مسافع بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت^(٣)، فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة^(٤)، فرماه عاصم أيضاً، فقتله، ثم حمله

(١) عثمان بن أبي طلحة: هو عثمان بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، بعد مقتل أخيه كان صاحب لواء المشركين في معركة أحد، وكان يقاتل ويردد هذا البيت:

إن على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصعدة أو تندقاً

نازله حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وقتله. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٧٢.

(٢) أبو سعيد بن طلحة: والصحيح أبو سعد بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين في معركة أحد. بارزه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ، فصرعه علي، ثم انصرف عنه، ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: استقبلني بعورته، فغطفتني الزحم، وعرفت أن الله ﷻ قد قتله. وفعل علي هذه غير مرة عندما حمل علي بسر بن أرطأة في صفين، وعلي عمرو بن العاص في صفين أيضاً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٨.

(٣) عاصم بن ثابت: عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، صحابي، شهد غزوة أحد، وأبلى فيها بلاءً حسناً. قتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهماً، فيأتي أمه سلافة (وكانت سلافة زوجة طلحة بن أبي طليحة من جملة نساء وجهاء قريش من المشركين اللواتي حضرن مع هند أكلة الأكباد) فيضع رأسه في حجرها، فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رمانني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأفلح. فنذرت إن أملكها الله رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر. وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً أبداً، ولا يمس مشرك. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٠٧.

(٤) الحارث بن طلحة: الحارث بن طلحة بن أبي طليحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وهو ابن طلحة بن أبي طليحة صاحب راية المشركين في أحد، وقد قتل في تلك المعركة، ولم يذكر ابن هشام أن عاصم بن ثابت قتله، وعاصم هو قاتل أخويه: مسافع بن طلحة والجلاس بن طلحة. والذي قتله هو قُزَمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٩، ١٣٤.



كلاب بن طلحة^(١)، فقتله الزبير. ثم حملة حلاس بن طلحة^(٢)، فقتله طلحة بن عبيد الله. ثم حملة أرطاة بن شرحبيل^(٣)، فقتله علي. ثم حملة شريح بن فارض، فقتله بعض المسلمين، ثم حملة صوار^(٤)، فقتله بعض المسلمين. فلما قتل أصحاب اللواء، وهم عشرة^(٥)، انهزم المشركون، وجعلن النساء يدعين بالويل والثبور، فتبعهم المسلمون، وقتل علي الحكم بن الأحنس الثقفي^(٦)، وأبا أمية بن حذيفة^(٧)، وقتل حمزة سُبَاع بن عبد العزى^(٨).

(١) كلاب بن طلحة: كلاب بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. من المشركين، قتل يوم أحد هو وأبوه وأخوته. يقال قُزَمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٦، ١٣٤.

(٢) حلاس بن طلحة: والصحيح الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. من المشركين، قتله ثابت بن أبي الأفلح بسهم أصابه في رأسه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٩.

(٣) أرطاة بن شرحبيل: والصحيح أرطاة بن عبد شرحبيل. وهو أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد نفر الذين يحملون اللواء. قتله حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ في معركة أحد. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٤.

(٤) صوار: والصحيح صؤاب، وهو غلام لبني أبي طلحة، حبشي، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل حتى قطعت يده، ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدرة وعنقه حتى قُتل عليه. وفيه قال حسان بن ثابت الأنصاري:

فخرتم باللواء وشرّ فخر لواء حين رُدُّ إلى صؤاب
جعلتم فخركم فيه بعبد وألم من يطا عفر التراب

انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٣.

(٥) قتلهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٧.

(٦) الحكم بن الأحنس الثقفي: والصحيح أبو الحكم بن الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي. من مشركي قريش، وأحد الذين شاركوا في معركة أحد. قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٥.

(٧) أبو أمية بن حذيفة: والصحيح أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة بن مشرقي قريش، وأحد الذين شاركوا في معركة أحد، قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٨.

(٨) سباع بن عبد العزى: هو سباع بن عبد العزى الغبشاني، وكان يكنى بأبي نيار، من المشركين، قاتل =

وقتل من المشركين طائفة أخرى، منهم الواسط بن شريح بن هاشم^(١)، وهاشم بن أمية^(٢)، والوليد بن العاص^(٣)، وخالد بن الأعم^(٤)، وعبيدة بن جابر^(٥)، وشيبة بن مالك^(٦)، وأسيد بن أبي طلحة، قتله عبد الرحمن بن عوف.

فلما رأى المسلمون انهزام المشركين، أقبلوا ينهبون، ويأخذون الغنائم، ولمّا رأى الرماة ذلك، أقبلوا، يريدون النهب مثل أصحابهم، واختلفوا، فقال بعضهم: لا نترك أمر رسول الله. وقال بعضهم: ما بقي من الأمر شيء. فانطلق عامتهم، ولحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة، واشتغال

= المسلمين في معركة أحد، مز بعم الرسول ﷺ حمزة بن عبد المطلب، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا ابن مقطعة الظور، وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، وكانت ختانة بمكة، فلما التقيا ظفر به حمزة، فقتله. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٧.

(١) الواسط بن شريح بن هاشم: والصحيح القاسط. وهو القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، أحد مشركي قريش الذين شاركوا في معركة أحد، وقتل فيها، قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٤.

(٢) هشام بن أمية: وهو هشام بن أبي أمية بن المغيرة. من مشركي قريش، شارك في معركة أحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٥.

(٣) الوليد بن العاص: هو الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة. من زعماء المشركين في قريش، شارك في معركة أحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٥.

(٤) خالد بن الأعم: خالد بن الأعم، حليف لبني مخزوم بن يقظة، أحد المشركين القرشيين الذين في معركة أحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٥.

(٥) عبيدة بن جابر: عبيدة بن جابر، من بني عامر بن لؤي، أحد المشركين، من قريش، شارك في معركة أحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. وقال ابن هشام: ويقال قُتل عبيدة بن أبي جابر بن عبد الله بن مسعود. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٥.

(٦) شيبة بن مالك: شيبة بن مالك بن المضرب، من بني عامر بن لؤي، أحد مشركي قريش، شارك في معركة أحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٥.



المسلمين بالنهب، ورأى ظهورهم خالية، صاح في خيلة من المشركين، فحملوا على المسلمين، وقتلوا من بقي من الرماة، وقتلوا عبد الله بن جبير، وانفضت صفوف المسلمين، ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي^(١)، النبي ﷺ، فذّب عنه مصعب، فقتل مصعب دون النبي، وظن عبد الله بن قمئة أنه قتل النبي، فقال: إنني قتلت محمداً، ونادى إبليس، لعنه الله، إن محمداً قد قتل، فانكشف المسلمون، وثبت النبي ومعه ثلاثة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين: أبو بكر، وعثمان، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. وجعل رسول الله يدعو الناس، ويقول: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله. فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً، فحموه، وكشفوا عنه المشركين، ورمى سعد بن أبي وقاص، حتى اندقت سنية قوسه، وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله، وقي بها النبي، وأصيبت عين قتادة (١٣١) بن النعمان^(٢)، حتى وقعت على جبينه، فردّها رسول الله، فعادت كأحسن ما كانت.

فلما انصرف رسول الله، أدركه أبي بن خلف الجمحي^(٣)، وقال: لا نجوت

(١) عبد الله بن قمئة الحارثي: والصحيح هو أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن عبد الله بن قمئة الحارثي جرح وجنته. وكان ابن قمئة قتل مصعب بن عمير وهو يدافع عن النبي ﷺ. وظن ابن قمئة أنه رسول الله، فرجع إلى المشركين، وقال: قتل محمداً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٧، ٨٥.

(٢) قتادة بن النعمان: قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب، وكعب هو ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الظفري الأنصاري، يكنى أبا عمرو، وقيل: يكنى أبا عبد الله، عقي، شهد بدرأ والمشاهد كلها، وأصيبت عينه يوم بدر، وقيل يوم الخندق، وقيل: يوم أحد، فسالت حدقته، فأرادوا قطعها، ثم أتوا النبي ﷺ، فدفع حدقته بيده، فردّها، فكانت أحسن عينه وأهدأها نظراً. وكانت وفاته في ثلاثة وعشرين، وقيل: سنة أربع وعشرين، ونزل في قبره أبو سعيد الخدري، وهو أخوه لأمه. انظر: عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٣٨٨-٣٨٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٣) أبي بن خلف الجمحي: أبي بن أبي خلف الجمحي، أحد سادات المشركين في قريش، كان يلتقي رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد، إن عندي العوذ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً (مكيال يسع =

إن نجوت، وكان قبل ذلك، يقول للنبي: أنا أقتلك، قال النبي: لا، بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما دنا منه، تناول النبي الحربة من الحارث بن الصمة^(١)، ثم استقبله بها، فطعنه في عنقه، وخدشه خدشة تدهده عن فرسه، وهو يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلتني محمد، فاحتمله أصحابه، وهم يقولون: لا بأس عليك، قال: بلى، لو كانت هذه الطعنة بريئة ومضر لقتلتهم، أليس قال لي: أنا اقتلك، فلم يلبث إلا يوماً، حتى مات بموضع يقال له سرف^(٢). وقال حسان بن ثابت:

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبيّ حين بارزه الرسولُ
أتيتَ إليه تحملَ نَمَّ عَظْماً وتوعده وأنت به جهولُ
وقد قتلت بنو النجار منكم أمية إذ تغوَّث يا عقيلُ^(٣)

ثم فشا في الناس أن النبي قد قتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا

= اثني عشر رطلاً) من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما كانت معركة أحد، جاء أبي بن خلف إلى النبي ﷺ وهو يقول: أي محمد، لا نجوت إن نجوت، فأخذ رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة وطعن بها أبي في عنقه فخدشه خدشاً غير كبير، ففرز أبي إلى أصحابه من المشركين، واحتقن دمه، فقال: قتلتني والله محمداً فقالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس. فقال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون به إلى مكة. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٩.

(١) الحارث بن الصمة: صحابي، شارك في غزوة أحد. أخذ منه الرسول ﷺ الحربة التي طعن بها أبي بن خلف عندما حاول قتله. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٩.

(٢) سرف: هو موضع على بعد ستة أميال من مكة، تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها، وهناك توفيت، وفيه قال عبيد الله بن قيس الرقيان:

سرف منزله لسليمة فالظهم ران منا منازل فالقصيم

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٢.

(٣) وردت الأبيات في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي،

ص ٣٩٦-٣٩٧.

لقد ورث الضلالة عن أبيه لقد ورث الضلالة عن أبيه
أجست محمداً عَظْماً رَمِيماً لكذبتُ وأنت به جهولُ
وقد نالت بنو النجار منكم أمية إذ يغوَّث يا عقيلُ



رسولاً إلى عبد الله بن أبي، فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وبعض الصحابة جلسوا، وألقوا بأيديهم. وقال المنافقون: الحقوا بدينكم الأول، وقال أنس بن النضر^(١)، عم أنس بن مالك^(٢): يا قوم، إن كان محمد قد قتل، فرب محمد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد نبيكم؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه نبيكم. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك عما يقول هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المنافقين، ثم سل سيفه، وقاتل حتى قتل.

ثم إن رسول الله انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فأول من عرفه كعب بن مالك، قال: رأيت عينيه تحت المغفر تزهزان، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه النبي أن اسكت، فاجتمع إليه أصحابه، فقالوا: يا رسول الله، فدينك بأبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر أنك قتلت، فرعبت قلوبنا، فأنزل الله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. الآية. ومحمد

(١) أنس بن النضر: أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، المدني، صحابي، وهو عم أنس بن مالك. شارك في معركة أحد، ويقال: إنه انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: وما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ. قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل شهيداً، فوجدوا في جسده يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته بيناته. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) أنس بن مالك: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن عدي بن النجار الأنصاري، المدني، أبو حمزة، أبو ثمامة، صاحب الرسول ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة سنة ١٠ ق.هـ، وأسلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة سنة ٧١٢هـ/٧١٢م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٤ - ٢٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٩١ - ٢٩٧.

مستغرق جميع المحامد، لأن محمداً مستغرق التحميد فوق الحمد، فأكرم الله نبيه وصفيته باسمين مشتقين من اسمه أحمد ومحمد. وقال حسان بن ثابت:

ألم ترَ أن الله أرسل عبده يبرهانه والله أعلا وأمجدُ (١٣٢)
 وشقَّ له من اسمه ليجلِّه فذو العرش محمود وهذا محمدُ
 نبِّيَ أنانا بعد يأس وفترة من الدين والأوثان في الأرض تُعبدُ
 فأرسله ضوءاً منيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهتدُ^(١)

وقد كسرت رباعية رسول الله في ذلك، وشج في وجهه وأنفه، وطفق النبي يمسح وجهه، وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدماء؟ قيل: إن الذين كسروا رباعيته، لم يولد لهم ولد.

وقتل يومئذ حمزة عم النبي، قتله وحشي^(٢)، وذلك أن حمزة قتل طعيمة بن عدي، فقال جبير بن مطعم^(٣)، لو حشي: إن قتلت حمزة بعمي، فأنت حرّ، فخرج من المشركين سباع، فنادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه حمزة، فقال: يا

(١) انظر القصيدة كاملة في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوتي، ص ١٣٤ - ١٣٥. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) وحشي: وحشي بن حرب الحشبي، أبو دسمة، مولى بني نوفل، من سودان مكة. كان من أبطال الموالى في الجاهلية. وهو قاتل الحمزة عم النبي ﷺ، قتله يوم أحد، استخفى له خلف حجر، ثم رماه بحربة كان يرمي بها رمي الحيشة، فلا يكاد يخطئ. ثم وفد على النبي ﷺ مع وفد من أهل الطائف، بعد أخذها وأسلم، فقال له النبي ﷺ: «غيب عني وجهك يا وحشي، لا أراك» وشهد اليرموك، وشارك في قتل مسيلمة، وزعم أنه رماه بحربه التي قتل بها حمزة، وكان يقول: «قتلت بحررتي هذه خير الناس وشز الناس». وسكن حمص، فمات بها في خلافة عثمان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ١١١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٣) جبير بن مطعم: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عدي، كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة، وعده الجاحظ من كبار النسابين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١١٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٥١٥ - ٥١٧.



سباع، يا ابن أم أنمار، يا ابن مقطعة (البظور)^(١) أتحارب الله ورسوله؟ ثم شدّ عليه، فكان كلمس الدابر، وكان وحشي قد كمن لحمزة تحت صخرة، فلما مرّ حمزة بتلك الصخرة، رماه بحرته، فدخلت بين وركيه، فوثب عليه، وبقر بطنه، وأخرج كبده. وقيل: وجد بحمزة تسعين ضربة سيف وطعنة رمح.

وقيل: أمر رسول الله أن يصلى على القتلى، فكان يقدم حمزة، ويجعل عنده تسعة، فإذا فرغ، رفعوا التسعة، ثم (أوتي)^(٢) بتسعة غيرهم وحمزة عاشرهم، حتى كمل القتلى، ودفن هو وعبد الله بن جحش^(٣) في قبر واحد، وحمزة خال عبد الله، وأنزله في قبره أبو بكر وعمر، والزيير رضي الله عنه، ورسول الله قاعد على شفير القبر.

وممن قتل يومئذ، ثابت بن الدحداح^(٤)، قتله خالد بن الوليد، وقيل: إنه جرح وبرئ من جراحته، ومات على فراشه، بعدما رجع النبي من الحديدية^(٥)،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٠

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٠.

(٣) عبدالله بن جحش: عبدالله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي: صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة. وكان من أمراء السرايا. وهو صهر رسول الله ﷺ، أخو زينب أم المؤمنين، قتل يوم أحد شهيداً، قتله خالد بن الوليد. فدفن هو وحمزة بن عبدالمطلب في قبر واحد. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٤) ثابت بن الدحداح: ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم بن إياس، ويكنى أبا الدحداح، وكان في بني أنيف أو في بني العجلان من بني العجلان من بني حلفاء بني زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف. قال محمد بن عمر الواقدي: «أقبل ثابت بن الدحداح يوم أحد والمسلمون أوزاع، وقد سقط في أيديهم، فجعل يصيح يا معشر الأنصار إلي أنا ثابت بن الدحداح، إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فإن الله مظهر لكم وناصركم، وحمل مع نفر من الأنصار، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح، فأنفذه، فوقع ميتاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٦٥.

(٥) الحديدية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، وسميت بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقال الخطابي في أماليه: سميت الحديدية بشجرة حدهاء كانت في ذلك الموضع. وبين =

وأن النبي شهد جنازته، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «كم عذق رداح، ودار
 فباح في الجنة لأبي الدحداح»، وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ
 اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية.

قال أبو الدحداح: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، إن ربنا يستقرضنا، وهو
 غني عنا. قال: نعم، يريد أن يدخلكم الجنة، قال: فإني إن قرضت ربي ربحاً،
 تضمن لي الجنة؟ قال: نعم، من تصدق بصدقة، فله أضعافها في الجنة. قال:
 وزوجتي أم الدحداح معي؟ قال: نعم. قال: وصبيتي الدحداحة معي؟ قال:
 نعم. قال: إن لي حديقتين: واحدة بالسافلة، وواحدة بالعالية، والله لا (١٣٣)
 أملك غيرهما، فجعلتهما قرضاً لله. قال النبي: إجعل واحدة منهما قرضاً،
 وأمسك الأخرى لك ولعيالك. فقال: أشهدك يا رسول الله، قد جعلت خيرهما
 لله، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال النبي: إذا يجزيك الله به الجنة. فانطلق
 أبو الدحداح، حتى أتى زوجته، وهي مع صبيتها في الحديقة تدور بالنخل،
 فأنشأ يقول:

هداك ربي سبيل الرشاد إلى سبيل الخير والسداد
 بيني من الحائط لي بالوادي
 فقد مضى قرضاً إلى التناد بالطوع لا من ولا ارتياد
 إلا رجا التضعيف في المعاد
 فارتحلي بالنفس والأولاد فالبر لا شك فخير زاد
 قدمه المرء إلى الميعاد

فقالت أم الدحداح: ربح بيعك، وبارك الله فيما اشتريت. ثم أقبلت على

= الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وفي الحديث: إنها بئر. انظر: الحموي،
 ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٩.



أولادها، تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم من التمر، حتى خرجت من الحائط.

وممن قتل يومئذ، حنظلة بن عامر الراهب^(١)، استعلى أبا سفيان ليضربه، فأتى جعونة بن شعوب، فقتله. فقال ﷺ: إن صاحبكم غسلته الملائكة.

وجملة من قتل بأحد من المسلمين سبعون رجلاً، وجرح سبعون، وقال أنس: أتى بعلي وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية، فجعل النبي يمسحها، وهي تلتئم بإذن الله تعالى، كأن لم تكن.

وعن ابن عباس أنه قال: صعد أبو سفيان الجبل، فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وهذا أنا. قال أبو سفيان: يوم بيوم، والحرب سجال. قال عمر: لا سواء، قتلتنا في الجنة، وقتلاكم في النار. قال: لأنتم تزعمون ذلك.

وقيل: لما انصرف المشركون من أحد، خاف المسلمون كربة المشركين عليهم، فكانوا تحت الجحف متأهين للقتال، فأمنهم الله، وأنزل عليهم النعاس، وكان ذلك خاصة للمؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿كُنُزٌ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

(١) حنظلة بن عامر الراهب: والصحيح حنظلة بن أبي عامر، وهو حنظلة بن أبي عامر، واسم أبي عامر عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة. ويقال: اسم أبي عامر الراهب عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة. وأبوه أبو عامر، كان يعرف بالراهب في الجاهلية، وكان هو وعبد الله بن أبي سلول قد نكسا (حسدا) على رسول الله ﷺ ما من الله به عليه. وأما حنظلة ابنه فهو المعروف بغسيل الملائكة، قتل يوم أحد شهيداً. قتله أبو سفيان بن حرب، وقال: حنظلة بحنظلة، يعني بابنه المقتول ببدر. وقيل: بل قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٣٨٠-٣٨١.

ثم إن رسول الله انصرف إلى المدينة كثيراً، وجعلت المرأة تجيء وأبوها أو ابنها مقتولون، وهي تلتذم، أي تضطرب، فقال النبي ﷺ: «إن الله جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوي على قناديل من ذهب، معلقة تحت العرش».

فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم (١٣٤) ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة، قالوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم، وما صنع الله بنا، كي يرغبوا في الجهاد، ولا ياكلوا عنه، قال الله: أنا مخبرهم عنكم، ففرحوا بذلك واستبشروا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. الآيات. فهم أحياء عند ربهم بقاء الذكر كما قيل شعراً:

موت التقى حياة لا فناء لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء

وقيل: سمّاهم أحياء، لأنه يكتب لهم ثواب كل غزوة، ويُشركون في فضل كل جهاد يكون في الدنيا إلى يوم القيامة. وقيل: لأن الشهيد لا يبلى، ولا تأكله الأرض، وقيل: أربعة لا تبلى أجسامهم: الأنبياء، والعلماء، والشهداء، وأئمة العدل.

وقيل: حُزب السيل قبر شهيد من شهداء أحد، فوجدا لم يتغيرا، كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح، ووضع يده على جرحه، فرفعت عن الجرح، ثم أرسلت، فعادت كما كانت. وكان ما بين دفنهما، إلى أن حفر عنهما السيل ست وأربعون سنة.

وقيل: إن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد، وبلغوا الروحاء، ندموا عن انصرافهم عن المسلمين، وتلاوموا، وقالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، فهموا بالانصراف، فبلغ ذلك النبي، فأراد أن يهرب



العدو، ويريهم قوة من نفسه وأصحابه، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فقال: ألا عصابة تشدد لأمرها، وتطلب عدوها، فانتدبت عصابة مع ما بها من الجرح والقرح، ونادى منادي رسول الله: ألا لا يخرج معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فخرج النبي وأصحابه العشرة، الذين بشروا بالجنة في سبعين رجلاً، حتى بلغوا حمراء الأسد^(١)، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عتبة^(٢) رسول الله ﷺ بتهامة^(٣)، صفقتهم معه، لا يخفون عليه شيئاً، وكان بها معبد^(٤) يومئذ مشركاً، فقال: يا محمد، لقد عزّ علينا ما أصابك.

ثم خرج من عنده، حتى لقي أبا سفيان، فقال له: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه، وقد خرج معه من تخلف عنه بالأمس.

ومرّ بأبي سفيان ركب من عبد قيس^(٥)، فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا:

- (١) حمراء الأسد: موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله ﷺ يوم أحد في طلب المشركين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠١.
- (٢) والصحيح (عُتْبَةُ نُصَح لِرَسُولِ اللَّهِ) أي موضع سزّه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٠٨.
- (٣) تهامة: منطقة تهامة تسايير البحر، والحجاز: ما حجز بينها وبين العروض، وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها، وهو من التهم، وهو شدة الحر وركود الريح. وعن الأصمعي: التهمة الأرض المتصوية إلى البحر. والنسبة إلى تهامة تهامي قال ابن أحرر:

وأكبادهم كابني شباتٍ تفرّقوا سباً ثم كانوا منجداً وتهاميا
وألقى التهامي منهما بلطانه وأخلط هذا لا أريم مكانيا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٣ - ٦٤.

- (٤) معبد: معبد بن أبي معبد الخزاعي، نزل عنده رسول الله ﷺ في غزوة حمراء الأسد، وكان معبد يومئذ مشركاً، فقال للرسول ﷺ: أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك، ولودنا أن الله عافاك فيهم. وهو الذي نهى أبا سفيان عن العودة لمحاربة المسلمين بعد أحد. انظر: تفاصيل الرواية في: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٠٨ - ١٠٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

- (٥) عبد القيس بن أفضى بن دعي، من أسد بن ربيعة، من عدنان، جدّ جاهلي، النسبة إليه عبدي، وقيسي، وعبد قيس. كانت ديار بنيه في تهامة، ثم خرجوا إلى البحرين واستقروا بها، وهم بطون كثيرة. وظهر =

المدينة. قال: أبلغوا عني محمداً أنا قد أجمعنا على استئصال بقيتهم. وانصرف أبو سفيان إلى مكة. ومزّ الركب بالنبي، فأخبره بما قال أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. (١٣٥)

قيل: أقام النبي بحمراء الأسد يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء. وكان المسلمون يوقدون في هذه الليالي خمسمائة نار، فذهب صوت معسكرهم وضوء نارهم في كل وجه. فكبت الله بذلك عدوهم.

ووجد النبي أبا عزة الشاعر^(١)، فأسره، وكان قد أسره قبل ذلك مرة، وسأل النبي أن يطلقه، وقال: يا محمد، إن لي بنات، فرحمه النبي، فأطلقه، وأخذ عليه العهد أن لا يعين عليه، فأعان عليه يوم أُحد، فأسره بحمراء الأسد. وانصرف إلى المدينة، فدخلها يوم الجمعة، وكانت غيبته خمس ليال، فقال أبو عزة: اطلقني يا محمد، فإن لي بنات، فقال له النبي: لا تمسح على لحيتك، وتقول: خدعت محمداً مرتين، ثم قال: لا يلسع مؤمن من جحر مرتين، وأمر به فقتل، فسميت هذه الغزوة حمراء الأسد.

= فيهم مشاهير. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٤٩. وانظر: العوتبي، سلمة بن سلم: الأنساب، ج ١، ص ١٤٧.

(١) أبو عزة الشاعر: عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي، شاعر جاهلي، من أهل مكة، أدرك الإسلام، وأسر على الشرك يوم بدر، فأتي به إلى الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، لقد علمت مالي من مال، وإني لذو حاجة وعيال، فامنن علي، ولك أن لا أظاهر عليك أحداً. فامنن عليه، فنظم قصيدة يمدحه بها، ومنها البيت المشهور:

فانك من حاربتك لمحارب شقي ومن سالمته لسعيد

ثم لما كان يوم أحد دعاه صفوان بن أمية، سيد بني جمح للخروج، فقال: إن محمداً قد منّ علي، وعاهدته أن لا أعين عليه، فلم يزل به يطعمه حتى خرج وسار في بني كنانة، واشترك مع عمرو بن العاص في استنفار القبائل، ونظم شعراً يحرض به على قتال المسلمين. فلما كانت الواقعة أسره المسلمون فقال: يا رسول الله منّ علي، فقال النبي ﷺ: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك وتقول: خدعت محمداً مرتين. وأمر به عاصم بن ثابت، فضرب عنقه. انظر:

الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨٠-٨١.

الباب الثالث عشر
في ذكر الأمور الحادثة
في السنة الرابعة من الهجرة





ففي هذه السنة، كانت غزوة بئر معونة^(١)، في شهر صفر، على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد، وسببها أن أبا براء عامر بن مالك^(٢)، سيد بني عامر بن صعصعة، وكان يسمى ملاعب الأستة، قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وأهدى إليه هدية، فأبى أن يقبلها وقال: لا أقبل هدية مشرك. ثم إن النبي عرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فلم يُسلم، قال: إن الذي تدعو إليه لحسن جميل، ولو بعثت معي رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، رجوت أن يجيبك قومي. قال النبي: إني لأخشى عليهم أهل نجد. فقال: أنا جار لهم، إن يعرض لهم أحد، فبعث معه تسعين رجلاً من الأنصار من خيار المسلمين، يسمون القرءاء، وأمر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي^(٣)، فساروا، حتى نزلوا

(١) بئر معونة: بين أرض عامر ومزة بني مسلم. وقال حسان بن ثابت يرثي شهداءها:

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سخاً غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا ولاقتهم منابهاهم بقدر

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٩.

(٢) أبو براء عامر بن مالك: عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، أبو براء، فارس قيس، وأحد الأبطال العرب في الجاهلية. وهو خال عامر بن الطفيل. سمي «ملاعب الأستة» بقول أوس بن حجر.

ولاعب أطراف الأستة عامر فراح به حظ الكتيبة أجمع

أدرك الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ بتبوك، ولم يثبت إسلامه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٥٥.

(٣) المنذر بن عمرو الساعدي: المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لودان بن عبد وذ بن زيد بن ثعلبية بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الساعدي. شهد العقبة وبدراً وأحداً، وكان نقيب بني ساعدة وهو سعد بن عبادة، وكان يكتب في الجاهلية بالعربية، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي ذر الغفاري. وكان على ميسرة النبي، وقتل بعد أحد بأربعة أشهر يوم بئر معونة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

بئر معونة، وهي لبني سليم^(١)، ثم أرسلوا حزام بن ملحان^(٢)، بكتاب النبي إلى عامر بن الطفيل^(٣)، وهو على ذلك الماء، فلما وصل إليه، لم ينظر إلى كتاب رسول الله ﷺ، ثم قال حزام لأهل الماء: بعثني رسول الله إليكم، لتشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، فأمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من المشركين، فضربه برمح في جبينه، خرجت من الجنب الآخر. فقال حزام: الله أكبر، فُرت ورب الكعبة.

ثم استصرخ عامر بن الطفيل ببني عامر على المسلمين، فلم يجيبوه، وقالوا: لن نخفر بامرئ عقد لهم عقداً وجواراً، فاسترجع عليهم قبائل من سليم^(٤)،

(١) بنو سليم: بنو سليم بن قرة بن غنم: جد جاهلي، بنوه بطن من شنوءة، من القحطانية. النسبة إليه شلمي (بضم السين وفتح اللام). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١١٩.

(٢) حرام بن ملحان: واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، شهد بدرأ مع أخيه سليم بن ملحان، وشهد أحدأ، وقتل يوم بئر معونة، وهو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل. وهو خال أنس بن مالك. ويقال: إنه لما طعن برأسه يوم بئر معونة تلقى دمه بكفه، فنضحه على رأسه ووجهه، وقال: فُرت ورب الكعبة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٣) عامر بن الطفيل: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر منادياً في «عكاظ» ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ خاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله ﷺ وهو في المدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه. فدعاه إلى الإسلام، فاشتراط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده. فردّه، فعاد حقناً، وسمعه أحدهم يقول: لأملأها خيلاً جرداً ولأرطن بكل نخلة فرساً، فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وكان أعور، أصيبت عينه في إحدى وقائمه، عقيماً لا يولد له. وهو ابن عم لبني الشاعر، له ديوان شعر مطبوع. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٤) سليم: سليم بن منصور بن عكرمة، جد جاهلي، بنوه قبيلة عظيمة من قيس عيلان، من مضر، كانت منازلها في عالية نجد بالقرب من خيبر، وتفرقت في شرقي إفريقية والمغرب، واستقر بعضهم في البحرين وعمان، فكانوا جنداً للقرامطة. بطون سليم: بنو عصية، وبنو بهز، وبنو بهثة، وبنو زغب، وبنو زعل، وبنو مطرود، وبنو ذكوان، وبنو الشريد، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٢٠.



وعصية^(١)، ورعلاً^(٢)، وذكوان^(٣)، فخرجوا معه، فاستبطن المسلمون حزاماً، فخرجوا إليه، فلقبهم القوم، فأحاطوا بهم، وقيل: غشبهم القوم في رحالهم، فلما رأهم (١٣٦) المسلمون، أخذوا السيوف، فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد^(٤)، فإنهم تركوه وبه رمق من الحياة، فعاش حتى قُتل يوم الخندق. وكان عمرو بن أمية الضمري^(٥)، ورجل من الأنصار، أضلاً بغيراً، فلما رجعا إلى مصارع القوم، والخيل التي أصابتهما واقفة، فقال الأنصاري لعمرو: ماذا ترى؟ قال: نرجع إلى رسول الله، فنخبره، قال الأنصاري: ما كنت أرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، فقاتل القوم حتى قُتل، وأخذ عمرو ابن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل، بعدما جزَّ ناصيته، واعتقه عن رقبة يزعم أنها كانت على أمه.

- (١) عصية: عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة من بني سليم بن منصور، جد جاهلي، بنوه بطن من سليم، من قيس عيلان، من العدنانية، وفي الحديث: «عصية عصت الله ورسوله». لأنهم عاهدوه وغدروا، إذا قتلوا أصحاب بئر معونة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٣٤.
- (٢) رعل: رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة، جد جاهلي، بنوه بطن من بهثة، من سليم، من العدنانية، وهم الذين مكث النبي ﷺ يقنت في الصلاة شهراً، ويدعوا عليهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٨.
- (٣) ذكوان: ذكوان بن ثعلبة بن بهثة، جد جاهلي، بنوه بطن من سليم من العدنانية، ينسب إليه كثيرون، منهم صفوان بن المعطل، وعمر بن الحباب، والحجاف بن حكيم السليميون (من سليم) الذكوانيون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٧.
- (٤) كعب بن زيد: كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار الأنصاري، شهد بدرًا، وقتل يوم الخندق شهيداً، قتله ضرار بن الخطاب، ويذكرون أن الذي أصابه أمية بن ربيعة بن صخر الدؤلي، وكان قد نجا يوم بئر معونة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٧٧.
- (٥) عمرو بن أمية الضمري: عمرو بن أمية الضمري بن خويلد بن عبدالله الضمري: شجاع، من الصحابة، اشتهر في الجاهلية، وشهد مع المشركين بدرًا وأحدًا. ثم أسلم وحضر بئر معونة، فأسترته بنو عامر، وأطلقه عامر بن الطفيل. وعاش أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة، علت بها شهرته في البسالة. ومات بالمدينة في خلافة معاوية، له ٢٠ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٧٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٢.

فقدم عمرو على النبي، فأخبره الخبر، فقال: هذا عمل أبي براء، وقد كنت لهذا كارهاً متخوفاً، وبلغ أبا براء ما أصاب أصحاب النبي، فشقَّ عليه إخفار عامر له، وما أصاب أصحاب الرسول بسببه وجواره. وكان في من أصيب عامر بن فهيرة.

ويروى أن عامر بن الطفيل لما قتله، رآه رفع بين السماء والأرض، ثم إن أبا براء علا عامر بن الطفيل بسيفه، فقتله، وأسلم بعد ذلك، وقاتل المشركين، حتى قتل.

وقنت رسول الله شهراً في صلاة الصبح، يدعو على (بني) ^(١) سليم، وبني رعل، وذكوان، وبني لحيان، ولم يقنت بعد ذلك، ولم يمت على القنوت. وروي عنه أنه قال: إن صلاتنا هذه، لا يصلح فيها كلام الأدميين، والقنوت إنما هو دعاء من كلام الأدميين.

وإن صحَّ أن النبي قنت في صلاة، فالسنة تنسخ بعضها بعضاً، كما أن الكتاب ينسخ بعضه بعضاً. وقد تنسخ السنة الكتاب، وينسخ الكتاب السنة، وعند أصحابنا لا يجوز القنوت في الصلاة، ولا تجوز الصلاة خلف من يقنت، إذا علم منه ذلك.

وفي هذه السنة، كانت سرية الرجيع، في هذا الشهر، أعني صفرأ، وسببها أن كفار قريش بعثوا للنبي: إننا قد أسلمنا، فأبعث إلينا نفرأ من أصحابك، يعلموننا أحكام الإسلام، وكان ذلك مكرأ منهم. فبعث إليهم حُبيب بن عدي ^(٢)، ومرثد

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٥.

(٢) حُبيب بن عدي: حُبيب بن عدي الأنصاري، من بني جحجي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري، شهد بدرأ، وأسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها مرثد بن أبي مرثد في سبعة نفر، فقتلوا، وذلك سنة ثلاث. وأسر حُبيب وزيد بن الدثنة، وانطلق المشركون إلى مكة فباعوهما، فاشتري حُبيبأ بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان حُبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فخرجوا =



ابن أبي مرثد الغنوي^(١)، وخالد بن بكير^(٢)، وعبد الله بن طارق بن شهاب^(٣)،
وزيد بن الدثنة^(٤)، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فساروا يريدون مكة، فنزلوا

= به إلى الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين، فكان أول من صلى ركعتين عند القتل. وبعد الصلاة قال:

فلست بأبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٥، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(١) مرثد بن أبي مرثد الغنوي: كان بن الحصين بن يربوع الغنوي، أبو مرثد: صحابي، من السابقين إلى الإسلام. كان تريباً لحمزة بن عبد المطلب. وشهد بدرأ والخندق وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان شجاعاً بطلاً، طويل القامة، كثير شعر الرأس، توفي بالمدينة سنة ١٢هـ، وهو ابن ٦٦ سنة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٣٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ١٣٢ - ١٣٤.

(٢) خالد بن بكير: خالد بن البكير بن عبد ياليل بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الليثي الكناني، شهد بدرأ، وبعثه النبي ﷺ مع عبد الله بن جحش إلى عير قريش قبل بدر في رهط من المهاجرين، فقتلوا عمرو بن الحضرمي، وقتل خالد يوم الرجيع في صفر سنة أربع من الهجرة. وكان له من العمر أربعاً وثلاثين سنة. وقتل معه مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح وآخرون. وفيهم يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

ألا ليتني شهدت ابن طارق وزيداً وما تُفني الأماني مرثداً

فدافعت عن حتي خبيب وعاصم وكان شفاءً لو تداركت خالداً

انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٩١.

(٣) عبد الله بن طارق: عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي، حليف لبني ظفر من الأنصار، شهد بدرأ وأحداً، وهو أحد نفر الستة الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى رهط من عضل والقارة ليفقهوهم في الدين ويعلموهم القرآن وشرائع الإسلام، فخرجوا معهم حتى إذا كانوا بالرجيع استصرخوا هذياً وغدروا بهم، وأسروا عبد الله، فلما كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن وأخذ سيفه، واستأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه. قبره بالظهران. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٤) زيد بن الدثنة: زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد البياضي، من بني بياضة، من الخزرج، من الأنصار: من فقهاء الصحابة، شهد بدرأ وأحداً. ووفد رجال من عضل والقارة (من بني الهون بن خزيمة) على النبي ﷺ، فقالوا: إن فينا إسلاماً، فابعث معنا من يفقهنا في الدين، فأرسل معهم عدداً من فقهاء الصحابة فيهم زيد بن الدثنة. فغدروا بهم في الرجيع (وهو ماء لهذيل) على أميال من الهدية، وقتلوا أكثرهم، وأبقوا كل اثنين، أحدهما زيد، فباعوه بمكة، فقتله مشركو قريش، وصلبوه بالنتعيم، على أميال من مكة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٥٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٥٧ - ٣٥٨.

بطن الرجيع^(١)، بين مكة والمدينة، ومعهم عجوة يأكلوها، فمَرّت عجوز، وأبصرت النوى، فرجعت إلى قومها بمكة، فأخبرتهم، فركب منهم سبعون رجلاً، فأحاطوا بالمسلمين، وحاربوهم، (١٣٧) وقتلوا مرثداً وخالداً وعبدالله، ونثر عاصم كنانته وفيها سبعة أسهُم، فقتل بكل سهم رجلاً، وقال: اللهم إني حميت دينك صدر أول النهار، فاحم لحمي آخر النهار، فأحاط به المشركون، فقتلوه، وأرادوا جزّ رأسه، ليبعوه من سلافة بنت سعد، وكانت نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد، لئن قدرت على رأس عاصم، لتشرين في قحفته الخمر، فأرسل الله الزنابير، فحمت عاصماً، فقالوا: دعوه حتى يمسي، فجاءت سحابة سوداء، فأمطرت، وسال الوادي، فاحتمل عاصماً، وذهب به إلى الجنة، وحمل خمسين رجلاً من المشركين إلى النار. وكان عاصم عهد أن لا يمس مشركاً، ولا يمسه مشرك أبداً، فلما بلغ ذلك عمر، قال: منعه الله بعد وفاته، كما امتنع في حياته.

وأسر المشركون حُبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، فذهبوا بهما إلى مكة. فأما حبيب، فابتاعه بنو الحارث بن عامر، ليقتلوه بأبيهم، فخرجوا به من الحرم، ليقتلوه ويصلبوه، فسألهم أن يتركوه يصلي ركعتين، فتركوه، فصلى ركعتين، فكانت سنة لمن يُقتل، أن يصلي ركعتين، ثم إنهم صلبوه، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس حولي من يبلغ رسولك سلامي (فبلغه سلامي)^(٢)، ثم جاء رجل منهم ومعه رمح، فوضعه بين ثديي حبيب، فقال له: اتق الله، فما زاده إلا عتواً.

(١) بطن الرجيع: هو الموضع الذي غدرت فيه عَصَلٌ والقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم رسول الله ﷺ معهم، ومنهم عاصم بن ثابت حمي الأثير، وحبيب بن عدي، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، وهو ماء لهذيل، وقال ابن إسحاق والواقدي: الرجيع ماء لهذيل قرب الهداة بين مكة والطائف. وقد ذكره أبو ذؤيب، فقال:

رأيت أهلي بـوادي الرّجـيـع
ع من أرض قيلة برقاً مليحاً

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٦.



وأما زيد بن الدثنة، فابتاعه صفوان بن أمية ليقبله بأبيه أمية بن خلف، فلما قدم ليقبل، قال له أبو سفيان: إرجع عن دينك، قال: لا والله. قال: قل كلمة هي أهون عليك. قال: وما هي؟ قال: قل وددت لو كان محمد مكاني، فأنا أطلقك، قال: والله (إني)^(١) لا أودّ أن تصيب محمداً شوكة في رجله، وأنا قاعد في بيتي، فقتل ﷺ.

فلما بلغ الخبر إلى النبي ﷺ، قال: «أيكم يمضي إلى مكة فيطلق خبيباً من خشبته وله الجنة، قال الزبير: أنا وصاحبي المقداد بن الأسود^(٢)، فخرجا يمشيان بالليل، ويكتمان بالنهار، حتى دخلا مكة ليلاً، وإذا حول الخشبة أربعون من المشركين، نوام نشاوى من الخمر، فأنزلا خبيباً، فإذا هو رطب، لم يتغير منه شيء، وله أربعون يوماً، فحمله الزبير على فرس له، فانتبه الكفار، فركب منهم سبعون فارساً، فلما لحقوهما، قذف الزبير خبيباً، فابتعلته الأرض (فسمي بليع الأرض)^(٣)، ثم رفع الزبير العمامة عن رأسه وقال: (١٣٨) أنا الزبير بن العوام، وصاحبي المقداد بن الأسود، أسدان رابضان يدفعان عن سبلهما، فإن شئتم ناصلتكم، وإن شئتم بارزتكم، وإن شئتم انصرفتم.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٦.

(٢) المقداد بن الأسود: المقداد بن عمرو، يُعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي من الأبطال. وهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وفي الحديث: «إن الله ﷻ أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان». وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. واسم أبيه عمرو بن ثعلبة البهراني الكندي. ووقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام، فضرب المقداد رجله بالسيف، وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن يغوث الزهري، فصار يقال له: «المقداد بن الأسود» إلى أن نزلت آية: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ فعاد يسمى المقداد بن عمرو. وشهد بدرأ وغيرها. وسكن المدينة، وتوفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها. له ٤٨ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢٨٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٣) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٦.

فانصرفوا. وقدما على النبي ﷺ، وجبريل عنده، فقال: إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك.

وطعن قوم من المنافقين بهؤلاء القتلى، وقالوا: لو قعدوا في بيوتهم، ما قُتلوا، فردَّ الله عليهم، وأنزل في القتلى والطاغين قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. الآيات.

وفي هذه السنة، كانت غزوة بني النضير، في ربيع الأول، وذلك أن النبي لما قدم المدينة، وادَّعَى بني النضير أن لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه أحداً، فلما غزا بدرأ، وأظهره الله، قالت بنو النضير: هذا والله هو النبي الذي كُنَّا نسمع به، لاتردُّ له راية. ولما غزا أحداً، وهُزِمَ المسلمون، ارتابوا، وأظهروا العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين. ثم ركب كعب بن الأشرف اليهودي في أربعين راكباً إلى مكة، وحالفوا أبا سفيان وأصحابه على عداوة رسول الله ﷺ، فتحالفوا تحت أستار الكعبة، وركب كعب وأصحابه إلى المدينة.

ونزل جبريل على النبي، وقال: إن الله يأمرك بقتل كعب بن الأشرف^(١)، فأرسل رسول الله إلى رهط بني الأشهل فيهم عمرو بن معاذ^(٢)، وملكان بن

(١) كعب الأشرف: كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي. كانت أمه من «بني النضر» فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله. يقيم في حصن له قريب من المدينة، وما زالت بقاياها إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الإسلام ولم يسلم. وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكة بعد موقعة بدر، فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة، وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٢) عمرو بن معاذ: عمرو بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي، من بني عبد الأشهل، شهد مع أخيه سعد بن معاذ الأشهلي بدرأ، وقتل يوم أحد شهيداً، لا عقب له قتله ضرار بن الخطاب، وكان له يوم قُتل اثنان وثلاثون سنة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ١٢٠١.



بشر^(١)، فأمرهم بقتل كعب، فقالوا: يا رسول الله، إخواننا من بني حارثة، نحب أن ينطلق معنا أحد منهم، فإن فيهم أخا كعب من الرضاعة وحليفه ومولاه محمد بن مسلمة^(٢)، وأبو عبيس بن جبر^(٣)، فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله، أحب أن تأذن لي، فأنا لك عند الرجل، فأذن له.

فانطلق، فناداه، فخرج إليه كعب، فتعلقت به امرأته، وقالت: لا تخرج، فإنني أرى حمرة الدم تلوح من هذا الصوت، قبل أن يكون. فقال لها: دعيني لا أبا لك، فإنه لو دعيت ابن حرة في الليل لطمعته أجاب.

فأشرف عليهم، فإذا هو محمد بن مسلمة، وملكان بن بشر، فقال كعب: ما جاء بك يا محمد؟ قال: أخذنا هذا الرجل بالصدقة، وما عندنا ما نأكل، فجتتك لتقرضني وسقاً من التمر. قال كعب: لا والله إلا برهن، (قال)^(٤) محمد: الرهن عندي. انزل فخذ، فنزل، فأخذ محمد برأسه، وكبّر، فخرج أصحابه، وكانوا من وراء الحائط، فضربوه، فصاح كعب عند أول ضربة، فسمعت امرأته، فصاحت، وتصايحت اليهود، وأحاطوا بأصحاب النبي، فعقروا رجلاً منهم، فالقى بسيفه إلى أصحابه (١٣٩) وقال: لا أحبسكم أقرأوا على رسول الله مني السلام، قالوا: والله لنقتلن جميعاً، أو لنرجعن جميعاً، فانطلقوا به يحملونه،

(١) ملكان بن بشر: لم نثر له على ترجمة في كتب أعلام الصحابة.

(٢) محمد بن مسلمة: محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وكان صاحب العمال أيام عمر. توفي سنة ٤٦هـ في المدينة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ١١٢-١١٣.

(٣) أبو عبيس بن جبر: أبو عبيس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو ممن قتل كعب بن الأشرف. مات أبو عبيس سنة ٣٤هـ، وصلى عليه عثمان بن عفان. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٧.

واجتمعت اليهود فطلبوهم، فأخذوا طريقاً غير طريقهم، ومضوا إلى النبي ﷺ،
يحملون صاحبهم.

فلما أصبح النبي، أمر الناس بالمسير على بني النضير، فلما بلغهم ذلك،
تحصنوا في الدور، وأرسل إليهم عبد الله بن أبي سلول: إن معي ألفين من
أصحابي، فإن قاتلكم محمد، قاتلنا معكم، ولئن خرجتم، لنخرجن معكم،
وحلفاؤكم من غطفان وقرظفة ستمدكم، فلما بلغهم كلام عبد الله طمعوا
في قتال النبي، فأتاهم النبي، وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فكان كلما
ظهر على دار من دورهم هدمه ليتسع لقومه المكان، وجعلت اليهود
ينقبون دورهم من أدبارها، للدور التي تليها، فيتحصنون فيها، ويرمون
أصحاب رسول الله، بنقضها، وجعل المسلمون يخربون البيوت،
ويقطعون النخل، وذلك قوله تعالى: ﴿يُخْرِتُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢٤].

فلما رأى اليهود خراب البيوت وقطع النخيل، قالوا لأصحاب النبي:
إنكم تزعمون أنكم مؤمنون، وتنهون عن الفساد، وأنتم تخربون المنازل
وتقطعون النخيل، دعوها لمن غلب، فأبى النبي أن يدعها، فنزلت الآية ﴿مَا
قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾
[الحشر: ٥].

ولما خذلهم المنافقون صالحوا النبي، فصالحهم على الخروج من
المدينة، وليحمل كل أهل ثلاثة بيوت على بعير ما شاؤوا من أمتعتهم، إلا
الحلقة، أي السلاح، والباقي للنبي، فخرجوا من المدينة متوجهين إلى خيبر^(١)

(١) خيبر: ناحية على ثمانية بؤد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشمل على
سبعة حصون ومزارع، ونخل كثير، أما لفظ خيبر، فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة
تشتمل على هذه الحصون، سميت خيابر، غزاها النبي ﷺ سنة سبع، وفتحها عنوة، حيث نازلهم



وأذريحا^(١)، وأذرعات^(٢)، فقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة، فوجد فيها خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

وفي هذه السنة، توفي عبدالله بن عثمان بن عفان، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ، ولد في الإسلام، وبلغ ست سنين، نقره ديك في عينه، فمرض، فمات في جمادى الأولى.

وفيها توفيت زينب بنت خزيمة، أم المؤمنين. وتوفي عبدالله بن عبد الأسد^(٣)،

= قريماً من شهر، ثم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية، على أن يخلوا بين المسلمين، وبين الأرض الصفراء والبيضاء والبزة، إلا ما كان منها على الأجساد، وأن لا يكتموه شيئاً. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(١) أذريحا: وهي هضاب تنبسط على الأرض حُمز، وهي في قبلي فلسطين من ناحية الشراة. وفي كتاب مسلم بن الحجاج: بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام. وبأذرح كان أمر الحكيمين بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وقيل بدومة الجندل والصحيح أذرح، ويشهد بذلك قول ذي الرمة يمدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما تساءوا ويبت الدين منقطع الكسر
فشد إصار الدين أيام أذرح رة حروباً قد لقحن إلى عُقر

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) أذرعات: بلد في أطرف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر، وقد ذكرتها العرب في أشعارها، وقال امرؤ القيس:

ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تنسيني إذا قمت سيربالي
تنورتها من أذرعات وأهلها يبشرب أدنى دارها نظراً عال

وينسب إلى أذرعان أذريعي، وخرج منها طائفة من أهل العلم.

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٣) عبدالله بن عبد الأسد: عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي، أبو سلمة زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ، وأمه بنت عبد المطلب بن هاشم، أسلم بعد عشرة أنفس، فكان الحادي عشر من المسلمين، هاجر مع زوجته إلى الحبشة، ثم شهد بدرًا، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى غزوة العشيبة. توفي آخر جمادى الآخرة سنة ثلاث للهجرة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٩٣٩ - ٩٤٠.

زوج أم سلمة، وتوفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف^(١)، أم علي بن أبي طالب، وقد أسلمت، وكانت سالحة، وكانت يزورها النبي، ولما توفيت، نزع النبي قميصه، فكفنت فيها.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ، (١٤٠) أم سلمة، في شوال، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة، وكانت تحت أبي سلمة عبد الله، هاجر إلى الحبشة، وولدت سلمة، وعمرو، وزينب، ودره. قيل: لما انقضت عدتها، أرسل إليها أبو بكر يخطبها، فأبت، ثم أرسل إليها عمر يخطبها، فأبت، ثم أرسل إليها النبي ﷺ يخطبها، فقالت: مرحباً برسول الله، إن في ثلاث خلال: إنني شديدة الغيرة، وإنني ذات أولاد، وليس هاهنا أحد من أوليائي، فيزوجني. ثم إنها قالت لابنها: زوج رسول الله، فزوجه. قيل: مهرها جزتين، ورحى، ووسادة من آدم، حشوها ليف. وقيل: تزوجها على صاع قيمته عشرة دراهم. وروي عن عائشة أنها قالت: لما تزوج رسول الله بأم سلمة، حزنت حزناً شديداً، لما ذكر لي من أمر جمالها، فتلطفت لها حتى رأيتها، فوجدتها أضعاف ما وُصفت لي من الحسن، فذكرت ذلك لحفصة، وكانت عائشة وحفصة على يد واحدة، فقالت: إنما هذه غيرة، ما هي كما تقولين. فتلطفت حفصة لأم سلمة حتى رأتها، فقالت: لا والله ما هي كما تقولين، ولا قريب من ذلك. قالت عائشة: فرأيتها بعد ذلك، فإذا هي كما قالت حفصة، وإنما كانت زيتتها لي شدة الغيرة.

(١) فاطمة بنت أسد بن هاشم: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، أول هاشمية ولدت خليفة. هي أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وإخوته، نشأت في الجاهلية بمكة، وتزوجت بأبي طالب (عبد مناف بن عبد المطلب) وأسلمت بعد وفاته، فكان النبي ﷺ يزورها، ويقبل في بيتها. ثم هاجرت مع أبنائها إلى المدينة، ومات بها، فكفنها النبي ﷺ بقميصه، واضجع في قبرها، وقال: لم يكن أحد بعد أبي طالب أبز بي منها. قبرها بالقيح. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٣٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٢١٢-٢١٣.



قيل: أول من هلك من نسائه، زينب بنت جحش، هلكت في زمن عمر، وآخر من هلك أم سلمة، ماتت سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد، وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة.

وفي هذه السنة كانت غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان، قال حين أنصرف من أحد: مودعكم بدر الصغرى رأس الحول، نلتقي بها، فنقتل. فقال النبي لعمر: قل له، إن شاء الله. فلما كان العام القابل، خرج أبو سفيان، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي^(١)، وقد قدم معتمراً، فقال له أبو سفيان: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء الوقت، وهذه سنة جذب، ولا يصلح الخروج إلا في عام خصب، ترعى الإبل الشجر، ونشرب اللبن، وأكره أن يخرج محمد ولا نخرج، فيجترئ علينا، فالحق بالمدينة، وأخبر أصحاب محمد إنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، وثبطهم، وعندني لك عشر من الإبل يضمنها لك سهيل بن عمرو.

فقدم نعيم المدينة، فأخبرهم بما قال أبو سفيان، وخوفهم، فكره أصحاب النبي الخروج، فقال ﷺ: لأخرجنَّ ولو بنفسي، فخرج ومعه ألف وخمسمائة، والخييل عشرة، واستخلف (١٤١) على المدينة عبد الله بن رواحة، وحمل اللواء علي بن أبي طالب، فكانوا يلقون المشركين، فيسألونهم عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يريدون ترهيب المؤمنين، فيقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) نعيم بن مسعود الأشجعي: نعيم بن مسعود الأشجعي: صحابي، من ذوي العقل الراجح. قدم على رسول الله ﷺ سرّاً أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم، وكنم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وقريش، ففترقوا، فكان نعيم بعد ذلك يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره. وسكن المدينة. ومات في خلافة عثمان، وقيل: يوم الجمل قبل قدوم علي إلى البصرة. انظر: الزركلي، خير الدين،: الأعلام، ج ٨، ص ٤١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

وكان المسلمون خرجوا ببضائع وتجارات، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً تجتمع فيه العرب، وسوقاً يقوم لهلال ذي القعدة، فأقام السوق فيها صبيحة الهلال، وقعد المسلمون بها ثمانية أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فكانت العشرة عشرين، وقيل: ثلاثين.

وكان أبو سفيان بلغ مَرَّ الظهران^(١)، ومعه ألفان وخمسون فرساً، فتخلف عن الموعد، ورجع إلى مكة. ورجع النبي وأصحابه إلى المدينة سالمين، وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ ذَلِكَ خَيْرٌ مِّنْ عَمَلٍ مُّتَّبَعٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. إلى قوله: ﴿فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وفي هذه السنة، قُصرت الصلاة، والله أعلم.

(١) مَرَّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة له ذكر في الحديث، وقال عرام: مَرَّ القرية، والظهران هو الوادي، وبمَرَّ عيون كثيرة، ونخل، وجميز، وهو لأسلم وهذيل وغازية. وقال الواقدي: بين مَرَّ وبين مكة خمسة أميال. ويقال: إنما سميت خزاعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن الغطريف من الأزد لأنهم تخزَعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من مأرب يريدون الشام، فنزلوا بمَرَّ الظهران، وأقاموا بها، أي انقطعوا عنهم، قال عون بن أيوب الأنصاري الخزرجي في الإسلام: فلما هبطنا بطن مَرَّ تخزَعَت خزاعة منا في حلول كراكر انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معدم البلدان، ج ٥، ص ١٠٤ - ١٠٥.

الباب الرابع عشر

في ذكر الأمور الحادثة

في السنة الخامسة من الهجرة





ففي هذه السنة، كانت غزوة ذات الرقاع^(١)، وإنما سميت بهذا الاسم، لأنها كانت عند جبل فيه سواد وبياض وحمرة، وسبب ذلك أن قادماً قدم المدينة جالباً، فأخبر أصحاب النبي أن أنمار وتعلبة قد أجمعوا لهم الجموع، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخرج إليهم ليلة السبت، لعشر خلون من المحرم، في أربعمائه، وقيل: سبعمائة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، فمضى حتى أتى إلى محالهم بذات الرقاع، فلم يجدوا إلا نسوة، فأخذوهن، وفيهن امرأة وضيئة الجمال، فهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، وخاف المسلمون أن يعودوا عليهم، فصلى بهم صلاة الخوف، وهي أول صلاة خوف صلاها، وانصرف راجعاً إلى المدينة، وابتاع من جابر جملًا، وشرط له ظهره إلى المدينة، واستغفر في هذه السنة لجابر (خمسة و)^(٢) عشرين مرة، وقيل: سبعين مرة، وكانت غيبته عن المدينة خمسة عشر يوماً.

وفي هذه السنة، كسف القمر في جمادى الآخر، فضرب اليهود الطاس، وصلى النبي صلاة الكسوف، وهي أول صلاة كسوف صلاها.

(١) غزوة ذات الرقاع: اختلفت الروايات في سبب تسميتها. قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: إنما قيل لها ذات الرقاع لأنهم نزلوا بجبل يقال له ذات الرقاع. وقيل أيضاً: إنها أرض فيها بقع سود وبقع بيض كلها مرقعة بقرقاع مختلفة، وقد سميت ذات الرقاع بذلك. وقيل: إنما قيل لها ذلك لأن الحجارة أوهنت أقدامهم فشدوا رقاعاً. وهي الرواية الأصح. وهي: (غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة، وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها بها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأعاجيب). انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢١٤.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٤٠.

وفي هذه السنة، كانت غزوة المريسيع^(١)، في شهر شعبان، وذلك أن بني المصطلق كانوا ينزلون بهذه البئر، وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار^(٢)، فدعاهم إلى حرب رسول الله، فأجابوه، وتهاؤا للمسير معه، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأرسل بريده بن الحصيب^(٣)، ليعلم حقيقة ذلك، فأتاهم، ولقي الحارث بن أبي ضرار، وكلمه، ورجع إلى النبي، فأخبره (١٤٢) عن حالهم. فندب النبي أصحابه، فأجابوا إلى ذلك ومعهم ثلاثون فرساً، وخرج معهم أناس من المنافقين، واستخلف النبي على المدينة زيد بن حارثة، وخرج يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شعبان، وبلغ ذلك الحارث، فسيء بذلك، وخاف، وتفرق من معه من العرب.

وانتهى النبي إلى بئر المريسيع، وضربت له عليها قبة، ومعه أم سلمة وعائشة، فصف أصحابه، وهياهم للقتال، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر،

(١) المريسيع: اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، سار النبي ﷺ، سنة خمس إلى بني المصطلق من خزاعة، فوجدهم على ماء يقال له المريسيع، فقاتلهم وسباهم، وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوجة النبي ﷺ، وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٨.

(٢) الحرث بن ضرار: والصحيح الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق وقاتلهم، وأبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ، وكانت من بين السبي في غزوة المصطلق. جاء والدها إلى المدينة ليفديها، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيبتهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله، فوالله ما طلع على ذلك إلا الله: فأسلم الحارث وولده وناس من قومه، وأسلمت ابنته جويرية، فخطبها النبي، وكان مهرها أن أعق مئة من أهل بيت المصطلق. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) بريده بن الحصيب: بريده بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وسكن المدينة، وانتقل إلى البصرة، ثم على مرو، فمات بها. له ١٦٧ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٥٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٦٧ - ٣٧٠.



وراية الأنصار إلى سعد بن عباد، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمرهم، فحملوا عليهم حملة رجل واحد، وقتلوا من المشركين عشرة، وأسروا الباقين، وسبوا الرجال والنساء والذرية والنعم، والشاء، فكانت الإبل ألفي بعير، والغنم خمسة آلاف، والسبي مائتي أهل بيت إلا رجل واحد.

ولمّا رجع إلى المدينة، أتوا أهاليهم، ففدوهم. وكانت جويرية بنت الحارث^(١) وقعت في القسم لثابت بن قيس^(٢)، وابن عمه، فكاتبها، فأنت تسأل رسول الله في كتابتها، وتزوجها، وسماها برة، وقيل: بريرة. وعتق عن صداقها أربعين من قومها. وكانت امرأة حلوة، لا تكاد يراها أحد، إلا أخذ بنفسه.

قالت عائشة: كرهت دخول جويرية على النبي، حين دخلت تسأله الإعانة في فكاك رقبته، وعرفت أنه سيرى من حسننها ما رأيت. قيل: عاشت خمساً وستين، وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين من الهجرة.

وفي هذه السنة، تنازع سنان بن وبر^(٣)، وجهجاه بن وبر^(٤)، وشهر بين

(١) جويرية بنت الحارث: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، من خزاعة، إحدى زوجات النبي ﷺ، تزوجها قبله مسافع بن صفوان، وقتل يوم المريسيع سنة ٦هـ. وكان أبوها سيد قومه في الجاهلية، فسييت مع بني مصطلق فافتداها أبوها، ثم زوجها لرسول الله ﷺ، وكان اسمها «برة» فغيره النبي ﷺ وسماها «جويرية» وكانت من فضليات النساء أدباً وفصاحة. توفيت بالمدينة سنة ٥٦هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٤٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٥٧ - ٥٩.

(٢) ثابت بن قيس: ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري، صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد. وفي الحديث: نعم الرجل ثابت. ودخل عليه النبي ﷺ وهو عليل، فقال: «أذهب الباس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شماس». قتل يوم البمامة شهيداً في خلافة أبي بكر سنة ١٢هـ/٦٣٣م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٩٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٣) سنان بن وبر: سنان بن وبر الجهني. ويقال: وبرة. روي عنه ما يأتي: كنا مع رسول الله ﷺ في المريسيع - غزوة بني المصطلق - فكان شعارهم: يا منصور، أمت أمت. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٤) جهجاه بن وبر: والصحيح جهجاه بن قيس، وقيل: ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري. =

الأوس والخزرج السلاح. وقال عبدالله بن أبي سلول، رأس المنافقين: ليخرجن من المدينة الأعز الأذل. وقال لقومه: هذا ما صنعتم بأنفسكم، وبسمع ذلك زيد بن أرقم^(١)، فأبلغه الرسول ﷺ، وقال: جعل لابن أبي سلول: لا أفارقك حتى تقر أن محمداً الأعز وأنت الأذل، فمرّ بهما النبي ﷺ، وقال: «دعه، فلعمري لنحسنن بصحبته ما دام بين أظهرنا».

وفي هذه السنة، نزلت آية التيمم، قالت عائشة رضي الله عنها: كنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا في البيداء، وبات الجيش، انقطع عقد لي، فضلل، فأخبرت رسول الله ﷺ، فأقام على التماسه، وليسوا على ماء، وليس عندهم ماء، وحضرت الصلاة، فأتى الناس أبا بكر، وقالوا: ألا ترى إلى عائشة، حبست الناس على غير ماء، فجاء أبو بكر، فعاتبني، وقال ما شاء الله، (١٤٣) فأنزل الله آية التيمم. قالت: فبعثنا البعير، فوجدنا العقد تحته، فقال أسيد بن حضير: ما هذا أول بركتكم يا آل أبي بكر، جزاكم الله خيراً، ما نزل بك أمر تكرهينه، إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً.

وفي هذه السنة، كان حديث الإفك، عن عائشة رضي الله عنها. قالت: كان النبي إذا أراد سفراً، قرع بين نسائه، فأيهن خرج لها، خرج بها رسول الله ﷺ، فقرع بيننا في غزوة غزاهما، فخرج سهمي، فخرجت معه، وذلك بعدما نزلت آية

= وهو من أهل المدينة، شهد مع النبي ﷺ بيعة الرضوان، وشهد غزوة المريسيع إلى بني المصطلق من خزاعة، وكان يومئذ أجيراً لعمر بن الخطاب، ووقع بينه وبين سنان بن فروة الجهني في تلك الغزوة شراً، فنادى جهجاه للمهاجرين ونادى سنان يا للأنصار، وكان حليفاً لبني عوف من الخزرج، وكان ذلك سبب قول عبدالله بن أبي رأس المنافقين: ليخرجن الأعز منها الأذل». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(١) زيد بن أرقم: زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري: صحابي. غزا مع النبي ﷺ، سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة. له في كتب الحديث ٧٠ حديثاً. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٥٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٤٢-٣٤٤.



الحجاب، فسرنا حتى رجع رسول الله من سفره، ودنونا من المدينة، أذنوا بالمبيت، فنزلنا، فخرجت من هودجي لحاجة أردتها، فانقطع عقد لي من جزع ظفار، فحبسني ابتغاؤه، فأرادوا الرحيل، فحملوا هودجي، ولم يعرفوا أنني لست فيه. وكانت النساء يومئذ جفافاً، لم يهلهن اللحم، إنما يأكلن اليسير من الطعام، ووجدت عقدي، وجئت منازلهم، فرأيتهم قد ارتحلوا، فظننت أن القوم سيفقدوني.

فبينما أنا جالسة، إذ غلبني النوم، فممت، وكان صفوان بن المعطل^(١)، قد عرس من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رأني، وكان قد رأني قبل نزول الحجاب، فما استيقظت إلا باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني بكلمة، ثم أناخ راحلته، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا في نحو الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، فكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي سلول.

فقدمت المدينة، فاشتكيت حين قدمتها شهراً، والناس يخوضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وإنما يريني في وجعي، أنني لم أعرف اللطف من رسول الله، الذي كنت أراه منه قبل هذا حين أشتكي. ثم إنني خرجت بعدما نهت، وخرجت معي أم مسطح، وهي عاتكة بنت أبي إبراهيم بن عبد المطلب^(٢)، وأمها خالة أبي بكر ﷺ، فعثرت أم مسطح في

(١) صفوان بن المعطل بن رخصة السلمى الذكواني، أبو عمرو: صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلها. وحضر فتح دمشق. واستشهد بأرمينيا، وقيل: في سميساط. وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا. روى عن النبي ﷺ حديثين. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣١-٣٣.

(٢) عاتكة بنت أبي إبراهيم بن عبد المطلب: والصحيح أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، كانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، خالة أبي بكر الصديق، أُجبرت عائشة بحديث الإفك. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٨٣.

مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت: أنتسبين رجلاً شهد بدرأ. قالت: أولم تسمعي ما قال أهل الإفك؟ فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما دخلت بيتي، دخل علي رسول الله ﷺ، ثم قال لي: كيف أنت؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ وأنا أريد (أن)^(١) أتقن الخبر من قبلهما، فأذن لي، فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أماه، ماذا يتحدث الناس؟ فقالت أي بنتي، هوني عليك، فوالله لقل ما كانت امرأة مرضية عند زوجها، ولها ضرائر إلا (١٤٤) كثرن عليها. فقلت: سبحان الله، أو قد تحدث الناس بهذا؟ قالت: نعم، فمكثت تلك الليلة، حتى أصبحت، لا يرقى لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

ودعا النبي علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد^(٢)، حين استبطأ الوحي، استشارهما في فراق أهله، فقال أسامة: هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي فقال: لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، فقال النبي لبريرة^(٣): هل رابك شيء من عائشة؟ فقالت: والذي بعثك بالحق نبياً، ما رأيت عليها أمراً قط، إلا أنها حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فيأتي الداجن فيأكله، فقام رسول الله، فاستعذر من عبد الله بن أبي، وهو على المنبر

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) أسامة بن زيد: أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: صحابي جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً) وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً، وينظر إليه نظره إلى سبطية الحسن والحسين، هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وأمره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفراً موقفاً، ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن المزة، وعاد بعدها إلى المدينة، فأقام إلى أن مات بالجرف سنة ٥٤هـ. وله في الحديث ١٢٨ حديثاً. وفي تاريخ ابن عساكر أن رسول الله ﷺ استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٢٩١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٩٤ - ١٩٧.

(٣) بريرة: بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، كان مولاة لبعض بني هلال. وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش. وقيل: كانت مولاة أناس من الأنصار، فكاتبوها ثم باعوها، فأعتقتها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٩.



يقول: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني من أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً.

فقال سعد بن معاذ: أعذرك يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقال سعد بن عباد، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكنه احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت، فقال: لعمرى والله لنقتله، وإنك منافق، تجادل عن المنافقين. فثار الأوس والخزرج، وهموا أن يقتلوا، ورسول الله على المنبر، فلم يزل يخفضهم، حتى سكنوا.

قالت عائشة: ومكثت يومي ذلك، لا يرقأ دمعي، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينما هما جالسان (عندي)^(١)، وأنا أبكي، إذ دخل علينا رسول الله ﷺ، وجلس عندي، ولم يجلس عندي منذ قيل فيّ ما قيل، ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه أبداً في شأني. فتشهد، ثم قال: أما بعد، يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا أذنب ذنباً، ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى مقالته، فاض دمعي، ما قدرت أحبس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله. قال: والله ما أدري ما أقول له. فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله. فقالت: لا أدري ما أقول له. فقلت: أنا جارية حديثة السن، لا أقرأ من القرآن كثيراً، فوالله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا الأمر، حتى استقر بأنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت: إني بريئة، والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بالذنب، والله يعلم إني بريئة، لا تصدقوني، (١٤٥) والله ما أجد لي ولكم

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٤٣.

(مثلاً^(١)) إلا كما قال أبو يوسف، ولم أعرف اسمه: فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

قالت: ثم تحولت، واضطجعت على فراشي، وأنا والله أعلم حيثئذ إني بريئة، والله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأنني وحي يُتلى، كنت أحقر في نفسي من ذلك، ولكن كنت أرجو أن يرى النبي براءتي في المنام، فوالله ما قام النبي من مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عليه، فأخذه مما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه لينحدر منه عرق كالجمان في اليوم الشاتي من ثقل الوحي، ثم سرى عنه ذلك، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: ابشري يا عائشة، إن الله قد برأك مما يقولون.

فقلت: بحمد الله لا بحمدك. فقالت لي أُمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور: ١١]. عشر آيات.

فحلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح^(٢) بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفُضْلِ مِنْكَرَ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]. الآية. فقال أبو بكر: إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه.

قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت، فضربه ضربة بالسيف، فصاح حسان واستغاث، وجاء إلى النبي مستعدياً على صفوان في ضربته. فسأله النبي أن يهب له ضربة صفوان، فوهبها له، فعوضه حائطاً من النخل عظيماً، وجارية رومية.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٤٣.

(٢) مسطح: مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، من قريش، أبو عباد، صحابي، من الشجعان الأشراف. كان اسمه عوفاً، ولقب بمسطح، فغلب عليه، أمه بنت خالة أبي بكر، وكان أبو بكر يعمونه لقرابته منه، وأطعمه رسول الله ﷺ بخيبر خمسين وسقاً، وهو ممن شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله، توفي سنة ٣٤هـ/٦٥٤م. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٢١٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ١٥٠.



وقال حسان في براءة عائشة واعتذاره إليها، رضي الله تعالى عنها:

حصان رزان ما تزُنُ بريبةٍ وتصبح غرثي من لحوم الغوافلِ
 حليلة خير الخلق ديناً ومنصباً نبيّ الهدى ذي المكرمات الفواضلِ
 عقيلة حيّ من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائلِ
 مهذبة قد طيب الله جيبها وطهرها من كل شين وباطلِ
 فإن كان ما قد جاء عنيّ قلته فلا رفعت سوطي إليّ أناملِي^(١)
 وإن الذي قد قيل ليس بلائقي^(٢) بك الدهر بل قول أمريّ غير ماحلِ
 فكيف وودّي ما حييتُ ونصرتي لآل رسول الله زين المحافلِ
 له رتب عالٍ على الناس فضلها تقاصر عنها سورة المتطاوَلِ

ثم أمر رسول الله ﷺ بالذين رموا عائشة جميعاً، فجلدوا الحدَّ (١٤٦) ثمانين جلدة.

وفي هذه السنة، تزوج رسول الله ﷺ، زينب بنت جحش بن رثاب^(٣)، وأمها أميمة بنت عبد المطلب^(٤)، وكانت امرأة جميلة، فيها حدة، وكان قبل

(١) فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمُ فلا رفعت سوطي إليّ أناملِي

انظر شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمن البرقوقي، ص ٣٨١.

(٢) انظر الأبيات في: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمن البرقوقي ص ٣٨٠ - ٣٨٢.

(٣) زينب بنت جحش: زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية، من أسد خزيمية، أم المؤمنين، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام، كانت زوجة زيد بن حارثة، واسمها «بزة» وطلقها زيد، فتزوج بها النبي ﷺ، وسماها «زينب» وكانت من أجمل النساء، وبسببها نزلت آية الحجاب. روت ١١ حديثاً. وهي أول من حمل بالنعش من موتى العرب. وكانت الحبيشة تحمل به، فلما رآه عمر، قال: نعم خيابة الطعينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٦٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٢٦ - ١٢٨.

(٤) أمية بنت عبد المطلب: والصحيح أميمة، وهي أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وأم زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وأخت عبد الله بن جحش، انظر ترجمة زينب بنت جحش في: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٢٥.

ذلك، خطبها رسول الله ﷺ، فظنت أنه يخطبها لنفسه، فرضيت، فلما علمت أنه يخطبها لزيد مولاه، قالت: لا أرضاه لنفسي، وأنا بنت عمك، فقال: قد رضيتك لك.

وكان النبي قد اشترى زيدا من عكاظ^(١)، قبل مبعثه، فأعتقه وتبناه، وكان يقال له: زيد بن محمد، حتى أنزل الله ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. الآية.

قيل: إنها أبت هي وأخوها نكاح زيد، فانزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. الآية. فرضيا به، فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا، وساق إليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً، ودرعاً، وملحفة، وإزاراً، وخمسين مداً من الطعام، وثلاثين صاعاً من التمر، ومكثت عنده حيناً.

ثم إن رسول الله ﷺ، أتى يوماً بيت زيد يطلبه، فلم يجده، فأبصر زينب، فوعدت في نفسه فأعجبت، فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وانصرف. فلما جاء زيد، ذكر له ذلك، ففطن زيد، فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت. ويروى عن زينب أن زيدا لم يقدر عليها، فمنع جماعها من غير امتناع منها، ثم إن زيدا أتى النبي ﷺ، فقال: أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: ما لك؟ هل رابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها، فقال له: أمسك عليك زوجك، واتق الله في أمرها.

(١) عكاظ: سوق من أسواق العرب في الجاهلية، موضعه بين نخلة والطائف وذو المجاز، كانت تجتمع فيه القبائل مدة عشرين يوماً، من هلال ذي القعدة إلى العشرين منه في كل سنة، يتبايعون فيه. كما كان الشعراء يحضرون إلى السوق لينشدوا ما أحدثوا من أشعار التفاخر والحماسة والمجادلة. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ١، ص ١٠٣٥.



ثم إن زيداً طلقها، ثم أنزل الله ﷻ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. إلى قوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فلم يحتج النبي إلى عقد نكاح على زينب، فقال النبي: من يذهب ويبشر زينب أن الله قد زوجنيها، فذهبت سلمى^(١) خادمتها، فبشرتها بذلك، فأغبطتها أوضاحاً.

قالت عائشة رضي الله عنها: أخذني ما بعد وما قرب حينئذ من الغيرة، لما يبلغنا من جمالها، وأخرى أعظم الأمور وأشرفها، إن الله زوجها بالنبي من السماء، فهي تفتخر علينا بذلك. وكان تزويجه بها هلال ذي القعدة، وهي بنت خمس وثلاثين سنة، وهي أول من مات من نسائه.

قيل: قال النبي ﷺ لزوجاته: أطولكنَّ يداً، أقربكنَّ لحوقاً بي، فجعلن يتناولن بأيديهنَّ. وكان مراده ﷺ بالطول في اليد، بسطها في طاعة الله تعالى.

وقالت عائشة لم تكن امرأة خيراً منها في الدين، وأتقى منها (١٤٧) لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدَّ بذلاً منها للنفس في العمل الذي يتصدق به، ويقترب إلى الله تعالى. ماتت بالمدينة سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين. وهي يومئذ بنت ثلاث وخمسين سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب، وهي أول جنازة جعل عليها نعش.

(١) سلمى: سلمى بنت خدام رسول الله ﷺ، وهي مولاة صفة بنت عبد المطلب، عمه رسول الله ﷺ، وهي امرأة أبي رافع. ويقال أيضاً: إنها مولاة النبي. وكانت قابلة بني فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وقابلة ابنه إبراهيم. وهي التي غسلت فاطمة الزهراء مع زوجها علي ومع أسماء بنت عميس، وشهدت خير مع رسول الله ﷺ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٤٧-١٤٨.

وفي هذه السنة، كانت غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب في شوال، وقيل في ذي القعدة، وسببها أن بني النضير لما جلوا من المدينة، وساروا إلى خيبر، خرج معهم نفر من اليهود، ومنهم حيي بن أخطب النضيري^(١)، وسلام بن أبي الحقيق^(٢)، وهوذة بن قيس^(٣)، وعمرو بن كنانة^(٤)، ونفر من بني وائل. فساروا، حتى وصلوا مكة، وقدموا على قريش، ودعوهم إلى حرب النبي، وقالوا: إنا معكم، حتى نستأصله وأصحابه. فقالوا لهم: إنكم أهل كتاب، تعلمون ما نختلف فيه نحن ومحمد، فدينه خير أم ديننا؟ فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۗ ﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

فلما قالوا لهم ذلك، نشطوا لحرب النبي، واستعدوا له، (واجتمعوا)^(٥) عليه.

(١) حيي بن أخطب النضيري: حيي بن أخطب النضري، جاهلي من الأشداء العتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام، وأذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٢) سلام بن أبي الحقيق: من أشرف اليهود، من بني النضير، سار إلى خيبر بعد غزوة بني النضير ومعه كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها. وعندما خرجوا استقلوا بالنساء والأموال والأبناء، ومعهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٠١.

(٣) هوذة بن قيس: هوذة بن قيس الوائلي، أحد أشرف يهود بني النضير، خرج في نفر من بني وائل منهم أبو عمار الوائلي، وفي نفر من بني النضير إلى خيبر، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله ﷺ. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٤) عمرو بن كنانة: الصحيح كنانة بن الربيع بن الحقيق، من أشرف يهود بني النضير، سار إلى خيبر مع بقية الأشراف، ونزل فيها، ودان أهلها لهم. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٠١. الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٣٨.

(٥) وفي النسخة الأصلية ب، ص ١٤٦ «واجتمعوا».



ثم خرج أولئك النفر من اليهود إلى غطفان^(١)، ودعوهم إلى حرب النبي أيضاً، وأعلموهم أن قريشاً تابعتهم على ذلك، فخرجوا وقائد بني فزارة^(٢) عيينة ابن حصين^(٣)، وقائد بني مرة الحارث بن عوف^(٤)، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان.

فلما سمع النبي بذلك، ضرب الخندق على باب المدينة، وأشار عليه بذلك سلمان الفارسي. وكان أول مشهد شهده وهو حرّ، فعمل فيه النبي والمسلمون، حتى فرغوا منه.

قيل: كان قسمة النبي بينهم، وقيل: إنه عرض في الخندق صخرة عظيمة، كسرت حديد القوم، وكانت في سهم عمرو بن عوف^(٥)، وسلمان الفارسي،

(١) غطفان: غطفان بن سعد بن قيس عيلان، من مضر من العدنانية: جد جاهلي قديم، بنوه بطون كثيرة، ترجع أنسابها إلى ابنه «أعصر» و«ريث» منها «باهلة» و«غني» من نسل الأول، و«أشجع» و«بغيس» و«عبس» و«ذبيان» من نسل الثاني. وكانت منازل غطفان فيما يلي وادي القرى وجبلي طيء. وصنمهم في الجاهلية «العزى» وبه شجرة عندها وثن، قطعها خالد بن الوليد، وكسر الوثن. وفي عهد الفتوحات الإسلامية تفرقت غطفان في الأقطار. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٢٠.

(٢) فزارة: فزارة بن ذبيان بن بغيس، من غطفان، من العدنانية: جد جاهلي، تفرع نسله في خمسة من أبنائه: مازن، وسعد، وعدي، وظالم، وشمخ. تفرقت بطونهم في نجد ووادي القرى، ثم بإفريقيا والمغرب الأقصى. قال المقرئ: منهم جماعة بالصعيد، وجماعة بضواحي القاهرة، في قلوب وما حولها، وبهم عرفت البلدة المسماة بخراب فزارة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٤٥.

(٣) عيينة بن حصين: والصحيح عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، قائد بني غطفان في غزوة الأحزاب، هم رسول الله ﷺ أن يعقد الصلح معه ومع الحارث بن عوف المزني على ثلث ثمار المدينة، غير أن سعد بن معاذ تناول الصحيفة ومحا ما فيها. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٤) الحارث بن عوف: الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني، من الفرسان في الجاهلية، له فيها أخبار، أدرك الإسلام وأسلم، وله خير بعد إسلامه. قال فيه حسان بن ثابت شعراً أورده ابن عبد البر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٥٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٦٢٩.

(٥) عمرو بن عوف: عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة بن عمرو بن بكر بن أفرك بن عثمان بن عمرو بن =

وثمانية من الأنصار، فصعد سلمان إلى النبي، وكانت مضروبة له خيمة تركية، فأجبره بذلك، فأخذ النبي من سلمان المعول، وضرب به على الصخرة ثلاثاً، فبرق منها برق، أضاء ما بين لابتي المدينة، كأنه مصباح في ليل مظلم، فكبر النبي ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون، فسأله سلمان وقال: لقد رأيت شيئاً، يا رسول الله، لم أره قبل قط، فالتفت النبي إلى القوم، وقال: هل رأيتم ما أرى؟ قالوا: نعم. فقال: ذلك قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، والبرق الثاني أضاءت (١٤٨) لي قصور الروم، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، والثالث قصور صنعاء، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، فابشروا. فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله بوعد وعدنا بنصره بعد الحصر.

وقال المنافقون: ألا تتعجبون من محمد، يعدكم ويميتكم بالباطل، ويخبركم أنه يرى من المدينة قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ يُقُولُ الْكَافِرُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوبًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. وأنزل قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. إلى تمام الآية.

ثم إن قريشاً أقبلوا بجمعهم حتى نزلوا مجتمع الأسيال من الدومة، ومن الجرف والغابة في عشرة آلاف، ممن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبل غطفان، ومن تابعهم من أهل نجد بذات نغمي من جانب أحد.

= أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، أبو عبدالله المزني. كان قديم الإسلام، يقال: إنه قدم مع النبي ﷺ إلى المدينة. ويقال: إن أول مشاهدته الخندق، وكان أحد البكائين في غزوة تبوك، له منزل بالمدينة، ولا يعلم حي العرب لهم مجلس بالمدينة غير مزينة. وهو جد كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف الذي روى أحاديثه. مات بالمدينة آخر أيام معاوية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٥٩.



وخرج النبي والمسلمون يوم الاثنين، لثمانية ليال بقين من ذي القعدة، فجعلوا ظهورهم إلى سلع، وهم ثلاثة آلاف، فضرب هنالك المعسكر، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراري، فرفعوا في الآطام.

وخرج عدو الله حيي بن أخطب، فأتى كعب بن أسد القرظي^(١)، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان كعب قد وادع النبي، وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب بحيي، أغلق دونه باب الحصن، وأبى أن يأذن له، فناده: يا كعب، افتح الباب، فقال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، قد عاهدت محمداً، فلا أنقض عهده، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً. فقال: ويحك، افتح لي أكلمك. فقال: ما أنا بفاتح لك.

فلم يزل به حتى فتح له، وقال: جئتك بعزّ الدهر وبيحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وبغطفان، وقد عاهدوني أن لا يرجعوا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه.

فقال كعب: جئتني بذل الدهر، والله ما هذا إلا جهام قد أهرق ماؤه، وبرعد ليس فيه شيء، وبرق خلّب، دعني ومحمداً وما أنا عليه، فإني لم أر منه إلا صدقاً ووفاءً.

فلم يزل به حتى أعطاه عهداً من الله وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان منهزمين، ولم يصيبوا محمداً، ليدخله في حصنه، فيصيب حياً ما يصيب كعباً، ونقض عهده.

فأرسل إليه رسول الله سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، وعبد الله بن رواحة،

(١) كعب بن أسد القرظي: كعب بن أسد بن سعيد القرظي، من بني قريظة، شاعر جاهلي، له مناقضات مع قيس بن الخطم في يوم بعاث. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٢٥.

ليخبروه، فمضوا إليه وسألوه، فقال: لا عهد بيني وبين محمد. فرجعوا إلى النبي، فأخبروه بما قال.

وأقام النبي بحذا المشركين أربعاً وعشرين ليلة، ولم يكن بينهم حرب، إلا الرمي بالنبل، وبحصى. وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم (١٤٩) المشركون من فوقهم، ومن أسفل منهم، فقال المنافقون: يعدنا أن يفتح كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر (أن) ^(١) يذهب إلى الغائط من الخوف، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً. وقال أوس بن قيطي بن حارثة ^(٢)، للنبي: إن بيوتنا خارجة من المدينة، وهي عورة، فأذن لنا أن نخرج إلى ديارنا.

وأراد النبي أن يبعث إلى عيينة بن حصن، وحارث بن عوف، وهما من غطفان، ليرجعا بمن معهما، ليعطيها ثلث ثمار المدينة، فاستشار سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، فقالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به؟ فلا بد لنا من أن نفعله؟ أم أمر تجبه فتصنعه لنا؟ فقال: ما أصنع ذلك، إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم.

فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة، إلا قرئ أو بيعاً، فكيف حين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا في هذا والله من حاجة، والله ما نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين.

ثم أقام رسول الله والمسلمون، والمشركون لهم محاصرون، ولم يكن

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) أوس بن قيطي: أوس بن قيطي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري الحارثي، شهد أحداً هو وابناه كنانة وعبد الله، ولم يحضر عرابه بن أوس أحداً مع أبيه وأخويه، استصغره رسول الله ﷺ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٧٩ - ١٨٠.



بينهم قتال، إلا أن فوارس قريش، وهم: عمرو بن عبد ود^(١)، وعكرمة بن أبي جهل^(٢)، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب^(٣)، ومرداس، قد تلبسوا للقتال، وخرجوا إلى خيلهم، ومزوا على بني كنانة، فقالوا: تهَيَّأوا للحرب، فستعلمون اليوم من الفرسان. ثم أقبلوا نحو الخندق، حتى أقبلوا عليه، فلما رأوه، قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت للعرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً، فضربوا خيولهم، فاقتحمت بهم، وجالت بهم في السبخة بين الخندق ولسلح، وخرج علي بن أبي طالب ونفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحمتها خيلهم، فأقبلت الفرسان تعنوا نحوهم.

وكان عمرو بن عبد ود قاتل في بدر، حتى أنثخته الجراح، ولم يشهد أحدًا. فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فقال له علي: إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحدهما، قال: أجل، فقال له علي: إنني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، فقال: لا حاجة لي إلى ذلك، فقال علي: فإني أدعوك إلى النزال. قال: ولم يا ابن أخي، فإني

(١) عمرو بن عبد ود: عمرو بن عبد ود العامري، من بني لؤي، من قريش، فارس قريش وشجعانها في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت موقعة الخندق، فحضرها وقد تجاوز الثمانين، فقتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٨١.

(٢) عكرمة بن أبي جهل: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي، من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. كان أبوه من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، أسلم عكرمة بعد فتح مكة سنة ٨هـ، وحسن إسلامه، فشهد الوقائع، وولي الأعمال لأبي بكر، استشهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر، وعمره ٦٢ سنة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٤٤. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٦٧ - ٧٠.

(٣) ضرار بن الخطاب: ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري: فارس شاعر، صحابي، من القادة. من سكان الشراة، فوق الطائف، قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة. ولم يكن في قريش أشعر منه، وله أخبار في فتح الشام، واستشهد في وقعة أجنادين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢١٥. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٣ - ٥٥.

لا أحب أن أقتلك. فقال علي: والله إني أحب أن أقتلك. فحمى عمرو عند ذلك فرسه، وضربه على وجهه، وأقبل على علي، (١٥٠) فتجاولا، فقتله علي، فخرجت خيله منهزمة، وأصاب منه بن عثمان، سهم، فمات منه بمكة.

ونوفل بن عبد الله المخزومي، تورط عند اقتحامه الخندق، فرموه بالحجارة، فقال: يا معاشر العرب: قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ هَذَا، فقتله علي، فغلب المسلمون المشركين على جسده، فأخذوه، فأرسل المشركون إلى النبي أن يبايعهم جسده، فقال: لا حاجة لنا في جسده ولا في ثمنه، فشانكم به، فأخذوه.

قيل: وكان حسان بن ثابت مع النساء والذراري في حصن، فمرَّ بهم يهودي، وجعل يطوف بالحصن، فقالت صفية بنت عبد المطلب^(١)، لحسان: إن هذا اليهودي، كما ترى، يطوف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة النبي، والله لا نأمنه أن يدل على عورتنا، والنبي في نحور العدو، ولا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا، فانزل إليه، واقتله. فقال: يغفر الله لك، قد علمت ما أنا بصاحب هذا، فنزلت إليه صفية، وقد تخمرت، وأخذت عموداً، ونزلت من الحصن، فضربته بالعمود، حتى قتلتها، ورجعت إلى الحصن، فقالت: يا حسان، انزل إليه، وخذ سلبه، فما منعني من سلبه إلا إني امرأة وهو رجل، فقال: لا أستطيع، وما لي في سلبه من حاجة، وكان حسان رجلاً جباناً.

وأقام النبي وأصحابه في شدة، كما قال الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ

(١) صفية بنت عبد المطلب: صفية بنت عبد المطلب بن هاشم، سيدة قرشية، شاعرة بأسلة، وهي عمه النبي ﷺ، أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة، رأت المسلمين يترجعون يوم أحد، فتقدمت، ويدها رمح تضرب به في وجوه الناس، وتقول: انهزمت عن رسول الله فأشار النبي إلى الزبير بن العوام أن يبعدها عن أخيها الحمزة، (وكان قد بقر بطنه، فكره رسول الله أن تراه) فنادها الزبير أن تنتحي، فزجرته، وأقبلت حتى رأت أخاها. لها مرث رقيقة. في شعرها جودة. ماتت في المدينة سنة ٢٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٦. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٧١ - ١٧٢.



وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ [الأحزاب: ٤١]. وحبسوا عن الصلوات. ولم يقتل من المسلمين إلا ستة نفر: كعب بن زيد الذبياني^(١)، وعبد الله بن سعد^(٢)، وأنيس ابن أوس^(٣)، والطفيل بن النعمان^(٤)، وثعلبة بن غنمة^(٥)، ورمي سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحلة ابن العرقة^(٦)، وقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عرَّق الله وجهك بالنار، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش، فابقني لها، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعله لي شهادة.

(١) كعب بن زيد الذبياني: كعب بن زيد الذبياني بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار الأنصاري النجاري. شهد بدرًا والخندق، وقتل يوم الخندق شهيداً. قال الواقدي: قتله ضرار بن الخطاب يوم الخندق. وقال ابن إسحاق: أصابه سهم غرَّب (أي سهم لا يعرف راميه) يوم الخندق فقتله. ويذكرون أن الذي أصابه أمية بن ربيعة بن صخر الدؤلي، وكان قد نجا يوم بئر معونة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٧٧.

(٢) عبد الله بن سعد: والصحيح عبد الله بن سهل، وهو عبد الله بن سهل الأنصاري، ذكره ابن إسحاق، وابن عتبة فيمن شهد بدرًا مع الأنصار، ثم من بني عبد الأشهل. قال ابن هشام: عبد الله بن سهل هذا هو أخو زعوراء بن عبد الأشهل. قال: ويقال إنه من غسان، حليف لبني عبد الأشهل، وقال ابن إسحاق: قتل ابن سهل هذا يوم الخندق شهيداً، ونسبه بعضهم فقال: عبد الله بن سهل بن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٩٢٤.

(٣) أنيس بن أوس: والصحيح أنس، وهو أنس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. شهد أحدًا وقتل يوم الخندق، قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: رماه خالد بن الوليد بسهم فقتله، ولم يشهد بدرًا، وقال غيره: قتل يوم أحد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٥٢.

(٤) الطفيل بن النعمان: الطفيل بن النعمان بن مالك بن النعمان بن خنساء، وقيل: الطفيل بن النعمان بن خنساء الأنصاري السلمي، من بني سلمة، شهد العقبة، وشهد بدرًا وأحدًا، جُرِّحَ بأحد ثلاثة عشر جرحاً، وعاش حتى شهد الخندق، وقتل يوم الخندق شهيداً، قتله وحشي بن حرب. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٧٦٢-٧٦٧.

(٥) ثعلبة بن غنمة: ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، شهد العقبة في البيعتين، وشهد بدرًا وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة. قتل يوم الخندق شهيداً، قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٩٠.

(٦) ابن العرقة: هو حبان بن قيس بن العرقة، أحد بني عامر بن لؤي، انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٧.

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي^(١)، أتى النبي، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمروني بما شئت. فقال له: فأنت واحد منّا، فإخضع لنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم، فأتى بني قريظة، وكان صديقاً لهم في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم. فقال: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وهم ليسوا كهيتكم، فالبلد بلدكم، وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون تتحولون عنه إلى غيره، وهم إن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك، لحقوا ببلادهم (١٥١) وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به، وإن خلا بكم، فلا تقاتلوا معهم، حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم، يكون بأيديكم ثقة لكم، على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تنجزوه بجواره، فقالوا: لقد أشرت برأي ونصحت.

ثم خرج من عندهم، فأتى قريشاً، فقال لأبي سفيان ومن معه: يا معشر قريش، قد عرفتم ودي إياكم، وعداوتي لمحمد، وقد بلغني أمر، رأيت أن أبلغكم إياه نصحاً لكم، فآكتموه عليّ، قالوا: نعم، قال: اعلموا أن اليهود قد ندموا على ما صنعوه بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: أن قد ندمنا على فعلنا، هل يرضيك عنا أن نأخذ من أشراف القبيلتين قريش وغطفان رجالاتاً، فنُدفعهم إليك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، فأرسل إليهم: نعم، نرضى منكم بذلك، فإن بعثت إليكم اليهود يلتمسون منكم رهناً،

(١) نعيم بن مسعود الأشجعي: صحابي من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله ﷺ سراً أيام الخندق، فأسلم وكنم إسلامه، ثم عاد وألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش، ففرقوا. فكان نعيم يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سزّه، وسكن المدينة. مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل يوم «الجملة» قبل قدوم علي إلى البصرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ٤١. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.



فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً. ثم أتى غطفان، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذّرهم.

فلما كان ليلة السبت، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة: إنا ليس لنا هنا دار مقام، قد هلك الخف والحافر، فأعدوا للقتال، حتى نناجز محمداً، ويفرغ فيما بيننا، وبينه. فأرسلوا إليهم: إنه اليوم السبت، ولا نفعل فيه شيئاً، ولسنا نقاتل معكم، حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز محمداً، وإنا نخشى إذا اشتدّ عليكم القتال، سرتم إلى بلادكم، وتركتمونا ومحمداً في بلادنا، ولا طاقة لنا به.

فلما رجع إليهم الرسول، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي ذكر نعيم لحق، فأبوا أن يعطوهم رهناً، وخذلهم الله، وفرق شملهم، وكان ذلك مما صنع الله لرسوله، وأرسل الله عليهم الريح والملائكة في ليل شاتية شديدة البرد، طرحت ستورهم وبنينهم، وتكفأت قدورهم، فانصرفوا خائبين. ودخل حيي بن أخطب مع بني قريظة حصنهم، ووفى له كعب بما عاهده.

وفي هذه السنة، كانت غزوة بني قريظة، وسببها أن النبي ﷺ، لما أصبح من الليلة التي انصرفت قريش فيها، ورجع هو والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة، وضعوا السلاح، فلما كان الصبح، أتاه جبريل ﷺ، معتماً بعمامة من استبرق^(١)، على بغلة عليها رحالة وقطيفة من ديباج. وكان النبي عند زينب أو عائشة ﷺ، وقد غسلت شق رأسه، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟ قال: نعم، وقال: عفا الله عنك، فما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، والله يأمرك (١٥٢) بالمسير إلى بني قريظة، فسر إليهم، وقد زلزلت أوتادهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبلبال.

(١) الاستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

فنادى منادي النبي: إن من كان سامعاً ومطيعاً، فليصلي في بني قريظة، فسار الناس إليهم، ونزل عليّ بئراً من آبارهم^(١) في ناحية من أموالهم، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف عنهم، حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد^(٢): يا معشر اليهود، إنه قد نزل بكم من الأمر، ما ترون؟ إني عارض عليكم ثلاث خلال، فاخاروا أيها شئتم. فقالوا: ما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل، ونصدقته إلى الله، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وإنه الذي تجدونه في كتبكم، فتأمنا على دياركم وأبنائكم وأموالكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق ديننا، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتكم هذه، فهلموا تقتل أبناءنا ونساءنا، ونخرج إلى محمد رجلاً مصلياً بالسيوف، فإن نهلك نهلك، ولا نترك شيئاً نخشى عليه، وإن نظهر، اتخذنا النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فلا خير في العيش بعدهم.

قال: فإن أبيتكم هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه آمنين فيها، فانزلوا، فلعلنا نصيبهم على غفلة. فقالوا: أنفسد سبتنا، ونحدث فيه، وقد علمت ما أصاب من أحدث في السبت من المسخ، قال: ما بات رجل منكم حازماً منذ ولدته أمه ليلة واحدة.

ثم إنهم أرسلوا إلى النبي ﷺ، أن ابعث إلينا أبا لبانة نستشيره، فأرسله إليهم، فلما رأوه، قام إليه الرجال والنساء والصبيان يكون في وجهه، فرق لهم، وخالف أمر النبي، فلم يأت النبي، وربط نفسه في سارية، وقال: لا أبرح

(١) هو بئر أوى بالمدينة من آبار بني قريظة، نزله النبي ﷺ لنا فرغ من غزوة الخندق، وقصد بني النضر، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧

(٢) كعب بن أسد: هو كعب بن أسد بن سعيد القرظي، من بني قريظة، شاعر جاهلي، له مناقضات مع قيس بن الخطيم يوم بعث. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٢٥.



مكاني، حتى يتوب الله عليّ، فبلغ ذلك النبي، فقال: لو أنه أتاني لاستغفرت له، فلم يزل كذلك، حتى أنزل الله توبته، وأطلقه النبي ﷺ.

ثم أسلم ثعلبة^(١)، وأسيد بن عبيد^(٢)، ونزلت بنو قريظة إلى النبي ﷺ، فقال الأوس: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما فعلت. فقال: ألا ترضون أن أحكم فيهم رجلاً منكم؟ قالوا: بلى. قال: فذاك سعد بن معاذ.

وكان سعد بن معاذ أصابه منهم سهم في أكحلة يوم الخندق، فقال: اللهم لا تمنني، حتى تشفيني من بني قريظة، فرقاً دمه، فلما حكم في بني قريظة، انفجر أكحلة، فمات، فجاء جبريل ﷺ، إلى النبي، (١٥٣) ﷺ، فقال له: اهتزَّ العرش لموت رجل من أصحابك، وما اهتزَّ لموت أحد قبله.

فقام النبي ﷺ، مسرعاً إلى سعد، فإذا سعد قد قضى نحبه، والأنصار حوله، فلما خرجوا من بيته، لم يبق فيه إلا سعد وحده، فجعل النبي ﷺ، يتخلل في مشيه في البيت، مرّة يميناً، ومرّة شمالاً، حتى جلس إلى جنب سعد، وحزن عليه حزناً شديداً، حتى رُوي ذلك في وجهه، وأمر بجهازه، فجُهز، ثم خرج

- (١) ثعلبة: ثعلبة بن سعية. وقيل: ابن يامين. روى سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أسلم عبدالله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فأمنوا وصدقوا ودرغوا في الإسلام، قالت أخبار اليهود، وأهل الكفر منهم: والله ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آباءهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ وقال البخاري: توفي ثعلبة بن سعية في حياة النبي ﷺ. وذكر الطبري أن ابن إسحاق قال في ثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد: هم من بني هذل، ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، وهم بنو عمّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم سعد بن معاذ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٨٦.
- (٢) أسيد بن عبيد: أسيد بن عبيد، أسلم هو وثعلبة بن سعية وأحرز ماله، وحسن إسلامه. وذكر الطبري عن ابن حميد، عن سلمة، عن أبي إسحاق، قال: ثم إن ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية، وأسيد بن عبيد، وهم من بني هذل، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم سعد بن معاذ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١١٦.

معه، وتحمله، وصلى عليه ﷺ، وكبر سبعا. ووقف على قبره طويلاً. فُسئِلَ النبي ﷺ، عن مشيه متخللاً في بيت سعد والبيت فارغ، فقال: ما وجدت إليه مخلصاً من الملائكة، حتى قبض ملك منهم جناحه، وهذا جبريل يخبرني أن العرش قد اهتز لموت سعد بن معاذ.

فقال أبو المنذر بن هشام بن محمد، حدثنا عبد الحميد الأنصاري: بينما قریش في المسجد الحرام، إذ سمعت قائلاً يقول على جبل أبي قبيس:
 إن يسلم السعدان يضحى محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف

فلما أصبحت قریش، اجتمعت، وقال بعضهم لبعض: من السعود؟ قالوا سعد بكر^(١)، أو سعد بن تميم أو سعد هذيل^(٢). فلما كانت الليلة القابلة، سمعوا الصوت في ذلك المكان، وهو يقول:

فيا سعد سعد الأوس كن أنت نصري ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
 أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارف

فقال بعضهم لبعض: هذان والله سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة.

ثم قال الأوس: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنك قد حكمت رسول الله فيهم، وأكثروا عليه، قال: إني سعد، لا تأخذني في الله لومة لائم، وقال: أترضون أن أحكم فيهم؟ قالوا: نعم، قال: إني حكمت فيهم أن تقتل

(١) سعد بكر: سعد بن بكر بن هوازن، من عدنان، جد جاهلي، امتاز بنوه بالفصاحة وفيهم نشأ النبي ﷺ في طفولته، إذ تسلمته حليلة السعدية من أمه، وحملته إلى المدينة، وأحسن تربيته. ولما رده إلى مكة نظر إليه عبد المطلب فامتلاً سروراً، وقال: جمال قریش وفصاحة سعد وحلاوة يثرب. وكانت منازل بني سعد بن بكر في الحديبية وأطرافها. وهم الآن بطون، يسكنون بالقرب من الطائف. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣٥، ص ٨٤.

(٢) سعد هذيل: سعد بن زيد بن لث بن سود، من قضاة: جد جاهلي. حضنه جشسي اسمه «هذيم» فأضيف إليه. والنسبة إلى سعد هذيم «هذمي» بضم الهاء وفتح الـذال. بنوه عدة بطون ذكرها ابن حزم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٨٥.



رجالهم، وتغنم أموالهم، وتُسى ذراريهم. فقال النبي ﷺ: حكمت فيهم بحكم الله. فأمر النبي بضرب أعناقهم، وكانوا سبعمائة إلى تسعمائة، وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة، والنبي جالس عندهم، وكان فيهم شيخ يكنى أبا عبد الرحمن، وكان قد مرَّ على ثابت بن قيس بن شماس، في الجاهلية، يريدون قتله، فأخذه وجره بيده، وخلّى سبيله، فقال ثابت: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني أريد (أن) أجزيك بيدك عندي. قال: إن الكريم يجزي الكريم، فأتى ثابت النبي، وقال: يا رسول الله، إن لأبي عبد الرحمن عندي يد، قد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه، (١٥٤) فوهبه له، فأتاه، وقال له: إن النبي، قد وهب لي دمك، فقال: شيخ كبير لا أهل به ولا ولد. فأتى ثابت النبي، وسأله أن يهب به أهله وولده، فوهبهم له، فأتاه، وقال: قد وهب لي أهلك وولدك، فهم لك. فقال: أهلي عيال، ولا مال لي، فما بقاؤهم على ذلك، فسأل ثابت النبي أن يهب له ماله، فوهبه له، فأتاه، فقال له: قد وهب لي النبي مالك، فهو لك، فقال: أي ثابت، ما فعل كعب بن الأسد؟ قال: قتل، قال: أسالك بيدي عندك، إلا ما ألحقتني بالقوم، فما أنا صابر حتى ألقى الأحبة. فقدّمه ثابت، وضرب عنقه، فبلغ أبا بكر ذلك، فقال: يلقاهم الله في جهنم خالداً مخلداً.

وقسم النبي نساءهم وأبنائهم وأموالهم على المسلمين، بعدما أخرج منها الخمس، فأعطى الراجل سهماً والفراس سهمين. وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً، واصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة^(١)، فكانت عنده إلى أن مات، وكان

(١) إضافة يقتضيا السياق.

(٢) ريحانة: بنت زيد بن عمرو بن خنافة، من بني النضر، إحدى أزواج النبي ﷺ، كانت يهودية وشيبت، وأسلمت سنة ٦هـ، فأعتقها النبي ﷺ، وتزوجها. كان معجباً بأدبها وبيانها، ولا تسأله حاجة إلا قضاها. ولم تزل عنده حتى ماتت، وهو عائد من حجة الوداع، فدفنها بالبيع سنة ١٠هـ/٣٢٢م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٣٨. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٢١ - ١٢٢.

يحرص عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: بل تركني يا رسول الله في ملكك، فهو أخف عليّ، فتركها.

وفي هذه السنة، حُرِّمَت الخمر. قيل: أنزل الله في الخمر أربع آيات، نزلت في مكة: ﴿وَمِن نَّمْرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]. الآية. فكان المسلمون يشربونها، وهي حلال يومئذ.

ثم نزلت في مسألة عمر، ومعاذ رضي الله عنهما، حين قالوا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مذهبة للمال. فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]. الآية.

فكانوا يستمتعون بمنافعها، ويجتنبون مآثمها، إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعا أناساً من الصحابة، وأتاهم بخمر، فأكلوا، وشربوا من الخمر حتى سكروا، وحضرت صلاة المغرب، فقدموا رجلاً منهم يصلي بهم، فقرأ: ﴿قُلْ يَتَّأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ • لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] بغير لا. فأنزل الله: ﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

فكانوا يشربونها في غير أوقات الصلاة، إلى أن شربها رجل من المسلمين، فجعل ينوح على قتلى بدر، ويقول شعراً:

تحيا بالسلامة أم بكر وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبح يا أم بكر رأيت الموت نقب عن هشام

(١٥٥) فبلغ ذلك النبي، فجاء يجزُّ رداءه، حتى انتهى إليه، ورفع شيئاً كان بيده، ليضربه، فلما عاينه الرجل، قال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله، والله لا أطعمها أبداً.



وروي عن علي أنه قال: كان لي شارف من الغنم، ودفع لي رسول الله شارفاً من الخمس، فوعدت صواغاً يخرج معنا بالأذخر، لأبيعه من الصواغين، أستعين بثمانه على الدخول بفاطمة. قال: فعقلتُ شارفي عند حائط رجل من الأنصار، ومضيت لأجمع الحبال والغرائر، فجئت، فوجدت شارفي قد نُقر بطنه، فلم أملك عيني أن بكيت، وقلت: من فعل هذا؟ فقيل لي: عمك حمزة، وها هو ذا في البيت مع شرب، غنتهم جارية، فقالت:

ألا يا حمز بالشرف البواء	وهن معقلات بالغناء
ضع السكين في اللبات منها	فضرجهن حمزة بالدماء
وعجل في سرائحها كتاباً	مهلوجةً على وجه الصلاء
وأصلح من أطايبها طبخاً	لشربك من قدير أو شواء
فأنت أبو العمارة والمرجأ	لكشف الضرر عنا والبلاء

قال: فجئت إلى النبي ﷺ، وقلت: إن عمك فعل بشارفي كذا وكذا، فقام النبي، وليس رداءه ونعليه، وصحبته أنا وزيد مولاه، فاستأذن، ودخل البيت، وقال: يا حمزة، ما حملك على ما فعلت؟ فجعل ينظر إلى صدر النبي، وإلى ساقيه، ثم قال: أأستم عبيداً لأبي؟ فرجع النبي القهقري، وقال: إن عمك قد ثمل، وهما لك يا علي، فعزفهما لي، فلما أصبح، غدا حمزة إلى رسول الله يعتذر إليه، فقال: مه يا عم. فعفا عنه.

قيل: واتخذ غسان بن مالك، دعوة، ودعا رجالاً فيهم سعد بن أبي وقاص، وكان قد شوى لهم رأس بغير، فأكلوا، وشربوا الخمر، فتفاخروا، وأخذوا ينشدون الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار، وفخر لقومه، فقام رجل من الأنصار، وأخذ لخمى البعير، وضرب به وجه سعد، فشجه موضحه، فانطلق سعد إلى النبي، وشكا إليه الأنصاري. فقال عمر رضي الله عنه: اللهم بين لنا في الخمر بياناً، فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ

رَجَسُ مِنَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجَبْنَاهُ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ﴿ [المائدة: ٩٠]. إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]. فقال عمر: انتهينا يا رب.

والخمر ما خامر العقل، وهو كل مسكر. وقال النبي ﷺ: «لا يجمع الله الخمر والإيمان في جوف مسلم أبداً، ومدمن الخمر كعابد وثن».

وقال: «من شرب الخمر، ولم يتب، حرمها في الآخرة، ومن حرم خمرة الآخرة، قد حُرِمَ الجنة، ومن حُرِمَ الجنة، فمأواه النار».

ولعن النبي شارب الخمر، وساقبها، وبائعها، ومشتريها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وأكل ثمنها.

وفي هذه السنة، ركب النبي ﷺ فرساً إلى الغابة في ذي الحجة، فسقط، فخدش خده الأيمن، وأقام بالبيت خمسة أيام يصلي قاعداً.

وفيها نزلت فريضة الحج، وحج النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة، حج الفريضة، والله أعلم.

مكتبة جامعة القاهرة
مركز الدراسات والبحوث
الاسلامية والاسلاميات

١٤٢٥

١٤٢٥

الباب الخامس عشر

في ذكر الأمور الحادثة

في السنة السادسة من الهجرة





ففي هذه السنة، كانت غزوة بني لحيان^(١)، في ربيع الأول، وبني لحيان كانوا بناحية عُسفان، فخرج النبي ﷺ حتى بلغ ثَج، (فحذروا)^(٢) وتمعنوا في رؤوس الجبال.

وفي هذه السنة كانت غزوة الغابة، وهي في طريق الشام، وكانت في ربيع الأول، وذلك أنه غار عيينة بن حصن في خيل من بني غطفان على لقاح رسول الله، ﷺ، وفيها رجل من غفار وامرأة، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة، وساقوا اللقاح، فخرج النبي ﷺ، في أثرهم، وكان رجلاً من الصحابة يقال له سلمة بن الأكوع^(٣)، خرج في طلب القوم أمام النبي، فأدركهم يسقون من الماء، وكان رجلاً رامياً، فجعل يرميهم بالنبل، حتى استنقذ اللقاح والمرأة، واستلب منهم ثلاثين بردة، وجاء النبي وأصحابه، وقال: يا رسول الله قد حميت القوم

(١) لحيان: لحيان بن هذيل بن مدركة، من عدنان، جذ جاهلي، أظهرت الآثار أنه كانت لبنيه إمارة في شمالي شبه الجزيرة العربية قبل الميلاد وبعده. ووجد في جهات «العلاء» من منازل الحج بين الشام والمدينة بضع مئات من الكتابات «اللحيانية» وفي مؤرخي العرب من يجعل «لحيان» هذا يعاني الأصل من جرهم من قحطان، دخل بنوه في هذيل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٤١.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٥٥.

(٣) سلمة بن الأكوع: سلمة بن الأكوع، وقيل سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبدالله بن قشير بن خزيمة بن سلامان بن أسلم الأسلمي، يكنى أبا مسلم، وقيل: أبو إياس، وقيل: أبو عامر، والأكثر أبو إياس، بابنه إياس، وكان سلمة ممن بايع تحت الشجرة مرتين، وسكن المدينة، ثم انتقل إلى الربوة، وكان شجاعاً رامياً محسناً خيراً فاضلاً. قال رسول الله ﷺ: «خير رجالنا سلمة بن الأكوع». وروى عنه أنه قال: بايعت رسول الله يوم الحديبية على الموت. غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات. توفي بالمدينة سنة ٦٤هـ وهو ابن ثمانين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

من الماء، وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة. فقال: يا ابن الأكوخ، (إذا ملكت فاسجح، أي)^(١) إذا ملكت فاعف، ورجع النبي ﷺ إلى المدينة.

وفي هذه السنة قتل أبو رافع اليهودي، وكان يؤدي رسول الله، ويعين عليه، وكان له حصن بأرض الحجاز، فبعث إليه النبي رجلاً من الأنصار، وأمر عليهم عبد الله، فساروا إليه، حتى دنوا منه، وقد غربت الشمس، قال عبد الله^(٢) لأصحابه: اجلسوا مكانكم، (١٥٧) ومضى حتى دنا من الباب متقناً بثوب كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس الحصن، فهتف به البواب: يا هذا، إن كنت تريد (أن)^(٣) تدخل، فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

قال: فدخلت، وأغلق الباب، فعلق المفاتيح، وأنا كامن: فلما مضى، ذهبت إلى المفاتيح، ففتحت الأبواب الداخلة، ودخلت، وكان أبو رافع يخرج إلى أصحابه، يسمر عندهم، فلما ذهب عنه الناس، دخل إلى أعالي الحصن، فدخلت، وصعدت إليه، وكلما دخلت باباً أغلقته، فأنهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، فلم أدر أين هو من عياله، فناديته، فقال: من هذا، فأهويت بسيفي نحو الصوت، وأنا دهش، فلم أصبه، فصاح، فخرجت من البيت، ومكثت قليلاً، ودخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمك الويل، إن رجلاً ضربني بسيف، فأهويت بسيفي إليه، فضرته، فأثخنته، وأدخلت في بطنه ظبوة السيف، حتى بدرت من ظهره، وعرفت أنني قتلته، فهبطت، وجعلت أفتح الأبواب باباً باباً، فظننت أنني انتهيت، فوضعت رجلي، فسقطت على الأرض، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامتي، وجلست على الباب، حتى استيقن أنني

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٥٦.

(٢) عبد الله: هو عبد الله بن عتيك الأنصاري، أخو جابر بن عتيك الأوسي من بني مالك بن معاوية، وهو أحد قتلة رافع بن أبي الحقيق اليهودي، شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم اليمامة شهيداً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣٢، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.



قتلته، فلما صاح الديك، صاح الناعي على السور، وقال: أنعي أبا رافع، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت النجاة النجاة، قد قتل الله أبا رافع، فسرنا حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ فحدثته، ومسح على ساقِي، فلم أشكه قط.

وفي هذه السنة أسر ثمامة بن أثال الحنفي^(١) سيد اليمامة، فأتوا به رسول الله ﷺ، فأمر به، فزُبط في سارية من سواري المسجد، فقال له النبي: ما عندك يا ثمامة؟ قال عندي خير: إن تقتل تُقتل ذا دم، وإن تعفو تعفو عن شاكر، فإن ترد المال تُعط حاجتك، فلم يزل النبي يسأله، ويردّ عليه، فقال النبي: أطلقوا ثماماً، فأطلقوه، فانطلق إلى حائط، فاغتسل، ثم أتى النبي، فبايعه على الإسلام. ثم قال: يا رسول الله، إني أريد العمرة، فعلمه كيف يعتمر، فلما قدم مكة، رآه أهل مكة يطوف بالبيت، فقالوا: صبوت يا ثمام، قال: ما صبوت، ولكني دخلت في دين محمد، وهو أفضل الأديان، والله لا تصل إليكم حبة من طعام، ما دمتم حرباً لرسول الله.

وكتب النبي إلى المنذر بن ساوى^(٢)، وهو بهجران^(٣)، أن لا يحمل إلى مكة طعاماً، وقطع عليهم الطريق من العراق أيضاً، فجهد أهل مكة جهداً شديداً، فأبوا إلا الكفر.

(١) ثمامة بن أثال: ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي، من بني حنيفة، أبو إمامة، صحابي، كان سيد أهل اليمامة، ولما ارتد أهل اليمامة في فتنه «مسيلمه ثبت هو على إسلامه، ولحق بالعلاء الحضرمي في جميع ممن ثبت معه، فقتل المرتدين من أهل البحرين، وقتل بعيد ذلك سنة ١٢هـ/٦٣٣م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٠٠. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٢) المنذر بن ساوى: المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي من عبد القيس أو من بني عبد الله بن دارم، من تميم، أمير في الجاهلية والإسلام، كان صاحب البحرين، وكتب إليه النبي ﷺ رسالة، قبل فتح مكة مع العلاء بن الحضرمي، يدعو إلى الإسلام، فأسلم، واستمر في عمله. ولم يصح خبر وفوده على النبي ﷺ. ومات قبل ردة أهل البحرين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٣) هجران: والصحيح هجر: مدينة تعد قاعدة البحرين، وقيل: هجر ناحية البحرين كلها، والهجر بلغة حمير والعرب العاربة تعني القرية. فتحت هجر في أيام النبي ﷺ. قيل: في سنة ثمان، وقيل: في سنة عشر، على يد العلاء الحضرمي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٩٣.

وكان النبي ﷺ، دعا عليهم حين آذوه (١٥٨) وآذوا أصحابه، فقال: اللهم سلط عليهم سنين كسنين يوسف، وكتب إلى أهل اليمامة أن لا يحملوا إليهم طعاماً. وابتلاهم الله بالجوع، حتى أكلوا فيها الجيف ولجوم الكلاب والعظام المحرقة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وكانوا يرون على أبصارهم مثل الدخان من شدة الجهد. فأتى أبو سفيان إلى النبي وقال: يا محمد، قد هلك قومك من شدة الجهد، وهذا على الرجال، فما ذنب النساء والصبيان. فرّق لهم، رسول الله ﷺ، فكتب إلى ثمام والمنذر أن احملوا إلى مكة الطعام، فحملوا إليهم، وودعا الله فأمطرهم وخصبوا، فعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر. قال الله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُورِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥].

وفي هذه السنة، كُسفت الشمس، فصلى النبي صلاة الكسوف. وفيها أجذب الناس، فخرج النبي، فصلى صلاة الاستسقاء، فجاءهم الغيث سبعة أيام بلياليهن، فأتاه المسلمون، فقالوا: يا رسول الله، قد غرقت الأرض، وتهدمت البيوت، وانقطعت السبل، فادعوا الله أن يصرفها عنا، فضحك النبي ﷺ متعجباً من بني آدم وملائتهم، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في رؤوس الجبال، ومنابت الشجر، وبطون الأدوية، فانجاب السحاب عن المدينة كالحلقة، وأمطرت مراعيها، ولا يمطر عليها قطرة واحدة.

وفي هذه السنة، قدم نفر من عرنيين^(١)، وعكل^(٢)، وبايعوا النبي نفاقاً، ثم

(١) عرنيين: والصحيح عرينة بن بدير بن قسر بن عقر بن أثمار، من بجيلة، من كهلان، من القحطانية، جذ جاهلي. النسبة إليه عريني. من نسله جماعة قدموا المدينة في عصر النبوة، ولم تطب لهم الإقامة بها، وآخرون ارتدوا في عصر النبي ﷺ، فاستاقوا إبلاً له، وأسلموا أعين الرعاة، فسلم النبي ﷺ أعينهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٢) عكل: امرأة جاهلية، يقال إنها من الإمام، ينسب إليها «الحارث» و«جشم» و«سعد» و«عدي» أبناء =



قالوا: إِنَّا نَجْتَوِي الْمَدِينَةَ، فقال لهم: اخرجوا إلى لقاحنا، واشربوا من ألبانها، فذهبوا، فقتلوا الرعاة، وأساقوا الإبل، وارتدوا عن الإسلام، فبعث إليهم النبي عشرين راكباً، واستعمل عليهم كرز بن جابر^(١) وكان ذلك في شوال، فأدركوهم، فأمر النبي بقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم بالحرّة. وكانت اللقاح خمس عشرة، ففعلوا واحدة منها.

وفي هذه السنة ظاهر أوس بن صامت^(٢)، من زوجته خولة بنت ثعلبة^(٣)، وهو أول ظهار في الإسلام، وكان طلاقاً في الجاهلية.

= عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناف بن أذ، من مضر. وكانت حاضنة لهم، ففعلوا بها، وسُموا هم وذرياتهم «بني عكل». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٤٥.

(١) كرز بن جابر: كرز بن جابر بن حسيل، ويقال جسل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري. أسلم بعد الهجرة. قال ابن إسحاق: أغار كرز بن جابر على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، حتى بلغ وادياً يقال له «سفوان» ففاته كرز. ثم أسلم كرز، وحسن إسلامه، وولاه رسول الله ﷺ الجيشين الذين بعثهم في أثر العرنيين الذين قتلوا راعيه. وقتل كرز يوم الفتح سنة ثمان من الهجرة. وقتل معه حبيش، كانا في خيل خالد بن الوليد، فشذا عنه، وسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا، فلما قتل حبيش، جمعه كرز بين رجليه، ثم قاتل حتى قتل، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت صفراء من بني فهر
نقبة السوجه نقبة الصدر
لأضربن اليوم عن أبي صخر

وكان حبيش يكنى أبا صخر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٦٨.

(٢) أوس بن الصامت: أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أخو عباد بن الصامت. شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو الذي ظاهر من امرأته ووطئها قبل أن يكفر، فأمره رسول الله ﷺ أن يكفر بخمسة عشر صاعاً من شعير على ستين مسكيناً. وسكن هو وشداد بن أوس الأنصاري بيت المقدس. وتوفي بالرملة من أرض فلسطين سنة سبع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) خولة بنت ثعلبة: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خويلة. والأول أكثر. وقيل: خولة بنت حكيم. وقيل: خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف. ظاهر عليها زوجها أوس بن الصامت، وفيها نزلت الآية الكريمة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ...﴾ (الآيات، إلى قوله: ﴿وَلْيَكْفُرْكَ عَدَاؤُا أَيْمُ﴾. انظر: تفاصيل الرواية في: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٦١ - ٦٢.

وفي هذه السنة، ماتت أم رومان، وهي أم عائشة رضي الله عنها، وهي بنت عامر بن عويمر، وأُنزلها (١٥٩) في قبرها النبي ﷺ، وقال: من أراد أن ينظر إلى زوجة من الحور العين، فلينظر إليها.

وفي هذه السنة، كانت غزوة الحديبية، وهي بتخفيف الياء، وقيل بتشديدها، اسم قرية صغيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، وبينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وكانت تلك الغزوة (في ذي الحجة)^(١)، وذلك أن النبي خرج يريد العمرة، لا يريد قتالاً، ومعه تسعمائة رجل، وقيل: ألف، وقيل: ثمانمائة، ومعه سبعون بدنة، فلما أتى الخليفة، قُلد الهدى وأشعره، وأحرم منها بعمرة، وبعث نفرأ من خزاعة، يأتونه بخبر قريش، وسار حتى بلغ غدير الأشطاط^(٢)، قريباً من عسفان^(٣)، أتاه عيينه الخزاعي، وقال: إن قريشاً قد جمعوا لك الجموع، فهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فقال لأصحابه: أشيروا عليّ، أنميل على ذراري هؤلاء الذين عانوهم، فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا محزونين، وإن نجوا يكونوا عنقاً قطعها الله؟ أم تريدون أن نؤم البيت؟ فمن صدنا عنه قتلناه؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً إلى البيت، لا تريد قتال أحد، ولا حرباً، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، وقال المسلمون: امض على بركة الله تعالى.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٥٨.

(٢) غدير الأشطاط: غدير الأشطاط قريب من عسفان، وأشطاط جمع شط، وهو البعد، أو جمع الشطط وهو الجزر. قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

فغدير الأشطاط منها محل فبُسفان منزل معلوم

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، سميت عسفان لتعسف السيل فيها. وقيل: عسفان بين المسجدين، وهي من مكة على مرحلتين. وقيل: عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة، وهي حدّ تهامة. قال أعرابي:

لقد ذكرتني عن حجاب حمامة بعسفان أهلي فالضواد حزين

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢١-١٢٢.



فأحب النبي أن يأخذ طريق السيف، فقال لأصحابه: أي رجل يأخذ بنا نحو الساحل، حتى لا يعلم بنا أحد من المشركين، لعلنا نظوي مسلحة القوم. وكان خالد بن الوليد بكراع النعيم^(١)، قاطعاً للنبي، فقال رجلٌ: أنا يا رسول الله. قال: امضِ على بركة الله (تعالى)^(٢)، فمضى على راحلته، فطووا مسلحة القوم، وأخذوا على الحمص، فلم يشعر بهم خالد وأصحابه، حتى نزلوا مياه الحديبية.

ورجع خالد بمن معه إلى مكة، فأعلم قريشاً أن النبي بالحديبية، فخرجت قريش بمن معها، فنزلوا قريباً من الحديبية، واستعدوا ليصدوا النبي وأصحابه عن البيت.

فبعث إليهم النبي عثمان بن عفان، فسار إليهم، فتلقاها أبان بن سعيد بن العاص^(٣) بن أمية فأجاره، وحمله بين يديه على فرسه، فلم ينله أحد بأذى.

وبعثت قريش عروة بن مسعود الثقفي^(٤)، إلى رسول الله ﷺ، ليأتيهم

(١) كراع النعيم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة، وهو وادٍ أمام عُفَّان بثمانية أميال، وهذا الكراع جبل أسود في طرف الحزة يمتد إليه. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٣.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٥٩.

(٣) أبان بن سعيد بن العاص: أبان بن سعيد بن العاص الأموي، أبو الوليد: صحابي من ذوي الشرف. كان في عصر النبوة شديد الخصومة للإسلام والمسلمين، ثم أسلم سنة ٧هـ، وبعثه رسول الله ﷺ عاملاً على البحرين، فخرج بلواء معقود أبيض وراية سوداء. وأقام في البحرين إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فسافر أبان إلى المدينة، ولقيه أبو بكر فلامه على قدومه، فقال: آليت أن لا أكون عاملاً لأحد بعد رسول الله. وأقام إلى أن كانت موقعة أجنادين في خلافة أبي بكر، فحضرها أبان، مات في خلافة عثمان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٢٧. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٤٨ - ١٥٠.

(٤) عروة بن مسعود الثقفي: عروة بن مسعود بن متعب الثقفي، صحابي مشهور. كان كبيراً في قومه بالطائف، قيل: إنه المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْأَقْرَبِينَ عَظِيمٍ﴾ ولما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال: أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني فأذن له، فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، فخالقوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢٧. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣١.

بالخير، فرجع إليهم عروة، وقال: أقوام عُمَار، لم يأتوا للقتال. فأبوا عليه، فقال: لم أرَ قوماً صدوا مثل هؤلاء عن بيت الله، واتهموه.

وبعثوا بديل بن ورقاء الخزاعي^(١)، ورياب بن الحليس^(٢)، فرجعا، (١٦٠) وقالوا لهم، مثل ما قال عروة، فاتهموهما.

ثم بعثوا سهيل بن عمرو، ومعه بكر بن حفص، من بني عامر بن لؤي، فلما أتى سهيل، تذاكروا الهدى والموادعة، فاطمأن النبي إلى ذلك، وانطلق ناس من المسلمين إلى عشائرهم من المشركين، فحبسوهم عندهم. وأمر النبي بالرحيل، فساروا، حتى دخلوا أول مكة، فلما كان نصف النهار، وأمر النبي بالبيعة، فنادى مناد: ألا إن روح القدس جبريل نزل على (النبي)^(٣) وأمره بالبيعة، فأقبلوا سراعاً، فبايعوه تحت الشجرة. قيل: إنها كانت سمرة، فبايعوه على أنهم يقاتلون العدو، ولا يفرون من الزحف، ولا يخافون في الله لومة لائم.

وأخذ المسلمون رجالاً من المشركين، فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم النبي: أَلَكُم عليّ عهد؟ قالوا: لا. فأعتقهم، وخلا سبيلهم، ورُمي رجل من

(١) بديل بن ورقاء: بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن الخزاعي، أسلم يوم فتح مكة، وقال ابن إسحاق: إن قريشاً يوم الفتح لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي، ودار مولاه رافع، وشهد بديل وابنه عبد الله حنيناً والطائف وتبوك، وكان من كبار مسلمة الفتح، توفي بديل بن ورقاء في حياة الرسول ﷺ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٠٥.

(٢) زيان بن الحليس: والصحيح: الحليس بن زيان، أو الحليس بن علقمة بن بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة سيد «الأحاييش» ورئيسهم يوم أحد، وكان من مشركي قريش. قال الزبيدي: الأحاييش: بنو المصطلق من خزاعة، وبنو الهون بن خزيمة، اجتمعوا عند «جبل حُبشي» بأسفل مكة، وحالفوا قريشاً، فسموا أحاييش قريش. وهو الذي قال فيه النبي ﷺ يوم الحديبية سنة ٦هـ: «هذا من قوم يعظمون البدن». وليس فيما وقفت عليه ما يدل على إسلامه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٣) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٥٩.



المسلمين، فقتل، فرماهم المسلمون بالحجارة، حتى أدخلوهم البيوت، فأقبل أشرافهم إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما كان هذا عن رضى منا، وإنما فعله سفهاؤنا، وعرضوا الصلح، فقبله منهم، وأرسل كل منهم من كان عنده من الأسارى، وكان أمير المشركين سهيل بن عمرو على الصلح، فصالحهم النبي على ترك الحرب سنتين، يأمن بعضهم بعضاً، ومن لحق بالنبي من أهل مكة رده عليهم، ومن لحق بمكة من عند النبي لم يردوه عليه. وأن ينحروا الهدى (مكانهم)^(١)، وليس لهم أن يجاوزوا ذلك.

وعلى أن لا يدخلوا مكة بسلاح، سوى السيف والقوس، فصالحهم النبي على ذلك، فوجد أصحاب النبي من هذا الشرط وجداً شديداً، وقالوا: يا رسول الله، كيف نردُّ عليهم من جاء مسلماً، ولا يردون علينا منافقاً لهم؟ فقال: من لحق بهم منا فأبعده الله، فهو أولى بمن كفر، ومن أراد أن يلحق بنا منهم، فسيعجل الله له مخرجاً.

فلما أرادوا أن يكتبوا العهد بينهم، قال النبي ﷺ، لعلي بن أبي طالب: اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم. فكره المشركون ذلك، وقالوا: اكتب كما كنت تكتب من قبل اليوم، باسمك اللهم. قال النبي: اكتب، باسمك اللهم. ثم قال له اكتب: «هذا ما قاضى عليه النبي ﷺ أهل مكة» فقال المشركون: لا والله، ما نقرُّ بهذا، ولا نعرف أنك رسول الله، وإذا أقرنا أنك رسول الله، ومنعناك أن تطوف بالبيت، فقد ظلمناك، بل أنت محمد بن عبد الله. قال: أنا رسول الله وإن كذبتُموني. فكتبوا القصة: هذا ما قاضى عليه محمد بن (١٦١) عبد الله أهل مكة.

فلما فرغوا من كتابهم، أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو^(٢) يرسف في

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٦٠.

(٢) أبو جندل بن سهيل بن عمرو: أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن

قيوده، حتى دخل عسكر المسلمين، وكان قد أسلم، وعذوبه على إسلامه، فلما خاف أبوه أن يأتي النبي أو ثقته بالحديد، فلما دخل عسكر المسلمين قال: إني مسلم، وأعوذ بالله أن تردوني على المشركين، فأفتن وأعذب، وتبعته رجال من المسلمين، وأرادوا أن يمتعوه، فناشدهم أبوه سهيل: العهد والميثاق. فقال النبي: خلوا بينه وبينه، فإن علم الله الصدق من أبي جندل نجاه، ودفعه لأبيه، فقال عمر لأبي جندل: إن الرجل يقتل أخاه وأباه في الله، وإنما هو رجل معك فاقتله، فلم يفعل أبو جندل - فانطلق به أبوه، وقد عذب، فنادى: يا معشر المسلمين، أزدُّ إلى المشركين وأقا مسلم؟

قال عمر: فما دخلني شيء من أمر الإسلام إلا يومئذ، فأتيت رسول الله ﷺ، وقلت له: ألسنت رسول الله ﷻ؟ قال: بلى، قلت: أفلسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فعلى ما نعطي الدنيا في ديننا؟ قال: إني رسول الله، ولن أعصي ربي، وهو ناصري. قلت: أليس وعدتنا أن نطوف بالبيت؟ قال: بلى، وعدتك أن نطوف به هذه السنة، قلت: لا، قال: فإننا سنطوف به.

قال عمر: ثم أتيت أبا بكر، وقلت له ما قلت للنبي ﷺ، فقال لي: إنه رسول الله، يفعل ما يؤمره والله ناصره، فاستمسك يا عمر بعروة الله حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق الممين.

ثم أمر النبي أصحابه أن ينحروا هديهم، فلم ينحروا. فدخل على أم سلمة، وكانت يومئذ معه، فقال: ألا أعجبك من المسلمين، ناديت فيهم ثلاثاً أن ينحروا هديهم، فلم يفعلوا. قالت: أيعجبك أن ينحروا؟ قال: نعم، قالت: فابدأ

= مالك بن حسبل بن عامر بن لذي بن غالب بن فهر القرشي العامري. والده سهيل بن عمرو أحد أشرف قريش وخطبائهم ورسالتهم، وهو صاحب قضية يوم الحديبية. واسم أبي جندل «العاصي»، أسلم بمكة، فسجنه أبوه وقبضه، فلما كان يوم الحديبية هرب أبو الجندل إلى النبي ﷺ. انظر تفاصيل قصته في: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٦، ص ٥٤ - ٥٥ - ٥٦.



انت، فانخر، فإذا رأوك نحرت نحروا. فدعا بالهدي فتحره، فلما رأوه نَحَرَ، نحروا وأقبلوا يحلق بعضهم بعضاً، ويقصر بعضهم لبعض. فقال النبي: يرحم الله المحلقين ثلاثاً. قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: والمقصرين.

ورجع النبي بمن معه إلى المدينة، ومكث في هذه الغزوة شهراً ونصف شهر، فكان أول من أتى إلى المدينة، من أهل مكة، أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط^(١)، جاءت مسلمة مهاجرة، فقبلها النبي، ولم يردها. فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]، إلى قوله: ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].

فاستحلفها النبي هذه اليمين: والله الذي لا إله إلا هو ما أخرجك من قومك حدث أحدثيه، ولا بغضاً من زوجك، وما أخرجك إلا حب الإسلام، فحلفت، فبايعها النبي بلسانه، ولم يبايعها بيده، وزوجها (١٦٢) بعض المسلمين على مثل صداقها من زوجها المشرك، ودفع صداقها من المسلم للزوج المشرك، وأرسل أهل مكة إلى النبي ليرجعها، وذكروا له العهد، فقال: لم نعن النساء، وإنما عيننا الرجال، ألا ترون الكتاب؟ ألا رددته؟ فلم يجدوا له جواباً، فتركوها. ثم أتى بعدها أبو نظير الثقفي^(٢)، وهو ابن أخ سهيل، وكان أحب الناس

(١) أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط: صحابية. هي أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ، وأسلمت قديماً، ولما علمت بهجرة الرسول، خرجت ماشية من مكة إلى المدينة تبعه، ولحقها أخوان لها لإعادتها، فلم ترجع. وكانت عذراء، فتزوجها في المدينة زيد بن حارثة، واستشهد في غزوة مؤتة سنة ٨هـ. فتزوجها الزبير بن العوام، فولدت له زينب، وفارقها. فتزوجها عبد الرحمن بن عوف، فولدت له إبراهيم وحيداً، ومات عنها، فتزوجها عمرو بن العاص، فمكثت عنده شهراً في المدينة، وهي أخت عثمان بن عفان، لأمه توفيت سنة ٣٣هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٣١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٢) أبو نظير الثقفي: والصحيح أبو بصير الثقفي: وهو عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، وأمّه سالمة بنت عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب، وهو الذي جاء إلى رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٦، ص ٣٥ - ٣٦.

إليه، مهاجراً مسلماً، فبعث سهيل إليه رجلين ليأتيانه بأبي نظير، وجعل لهما جعلاً، أحدهما من بني عامر، والآخر مولى لهم، (أي عبد لهم)^(١) فقدموا على النبي، وذكر له العهد، وأن يدفع إليهما أبا نظير، فقال أبو نظير: أتدفعني يا رسول الله ليعذبوني ويفتنوني؟

فقال النبي: عاهدتهم على ذلك، فأخذه، وربطاه بحبل، وتزودا تمر عجوة، فلما أتيا ذي الحليفة، نزلا وربطاه على شجرة، ووضعوا سفرتيهما ليأكلا من العجوة، فقال لهما أبو نظير: ويحكما خلياني آكل معكما، فأخذهما ذمام، فأطلقاه يأكل معهما.

ثم إن أبا نظير رأى سيف العامري معلقاً بغصن من أغصان الشجرة، فقال: يا أبا بني عامر، أرى سيفك هذارياً، فقال العامري: والله إنه مع ذلك لصارم. قال أبو نظير: أرينيه أنظر إليه. فأخذه العامري، واختارطه وهزه ثم ناوله أبا نظير، فلما أخذه أبو نظير علاه به فقتله، فهرب المولى يعدو إلى المدينة، وأبو نظير في أثره، حتى دخل المسجد، وللحصى طنين من شدة ركضه، فأخذ برجل رسول الله، وتعوذ به من أبي نظير، ووقف أبو نظير على باب المسجد ويده السيف مخضباً بالدم، وقال: يا رسول الله، قد وفيت ذمتك، ولم يكن بيني وبينهم عهد، وخفت أن يعرضوا عليّ الفتنة، ففعلت ما فعلت، فقال النبي: ويل أمه مسعر حرب لو أن رجالاً، ففهمها أبو نظير، وعرف مراد النبي.

وكان رجلاً عاقلاً، فانطلق حتى أتى شعباً قرب مكة، وكتب إلى أبي جندل ومن معه من المسلمين من أهل مكة ليلحقوا به، فلحقوا، وجعلوا يقطعون الطريق على قريش، فإذا مرّت غير المشركين نهبوا، وقتلوا من فيها، وإذا مرّت غير المسلمين تركوها، فأرسل المشركون إلى النبي يناشدونه أن يضمهم

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٦١.



إليه، وإنك يا محمد في حل أن تضم من جاء إليك منّا واختارك علينا، فهو لك، فاقبضه إليك، فإنهم إن كانوا معك، فهم أهون علينا، فقد قطعوا علينا السبل، فما ينفعنا ما بيننا وبينك من الأمان.

فكتب النبي إلى أبي نظير وأصحابه أن يقدموا (١٦٣) إلى المدينة، فجاءهم الكتاب وأبو نظير مريض، فقال لأصحابه: احملوني إلى رسول الله، فقالوا: إنك مريض، فقال: ولو متُّ فاحملوني على بعير، فحملوه، فما ساروا إلا قليلاً حتى مات، ودفنوه بشعب^(١) وقبره بها مُعلم.

وقدم أصحابه على رسول الله، فكان من أسلم وهاجر بسبب أبي نظير، أكثر ممن أسلم وهاجر قبله. وفي هذه السنة، بعث النبي ﷺ، ستة نفر في ذي الحجة أرسل حاطب بن أبي بلتعة^(٢)، إلى المقوقس، وأرسل دحية بن خليفة الكلبي^(٣)، إلى قيصر، وعبد الله بن حذافة^(٤)، إلى كسرى، وعمرو بن

(١) شعب: الشعب ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة، على ثلاثة أميال من العقبة، حبس للماء عند قباب خراب. والشعب هو ما انفرج بين جبلين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٧.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة: حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من أشد الرماة في الصحابة. وكانت له تجارة واسعة، بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الاسكندرية. ومات في المدينة. وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٥٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٦٥٩ - ٦٦١.

(٣) دحية بن خليفة الكلبي: دحية بن فضالة بن فروة بن خليفة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي. صاحب رسول الله، شهد أخذاً وما بعدها، وبعثه رسول الله ﷺ رسولاً على قيصر سنة ست في الهدنة، فأمن به قيصر، وامتنع بطارقه، فأخبر دحية الرسول ﷺ بذلك، فقال: ثبت الله ملكه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٥٨.

(٤) عبد الله بن حذافة: عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، يكنى أبا حذافة، أسلم قديماً، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشة الثانية مع أخيه قيس. ويقال إنه شهد بدرًا، وكان الرسول رسول الله ﷺ، أرسله إلى كسرى بكتاب يدعو إلى الإسلام، =

أمية الضمري^(١)، إلى النجاشي، وشجاع بن وهب^(٢)، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني^(٣)، صاحب دمشق، وسليط بن عمرو العامري^(٤)، إلى هودّة الحنفي^(٥)، واتخذ النبي خاتماً من فضة، فنقش عليه محمد رسول الله، ليختم به الكتب.

= فمزق كسرى الكتاب، فقال رسول الله ﷺ: اللهم مرق ملكه. وقال إذا مات كسرى فلا كسرى بعده. مات عبد الله بن حذافة في خلافة عثمان بن عفان. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج، ص ٧٧٧-٨٨٩-٨٩٠.

(١) عمرو بن أمية الضمري: عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الضمري، يكنى أبا أمية. بعثه النبي ﷺ وحده عيناً إلى قريش، فحمل خبيب بن عدي عن الخشب التي صلب عليها، وأرسله إلى النجاشي وكيلاً، فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان. وأسلم قديماً، وهو من المهاجرة إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وأول مشاهدته بشر معونة. وكان من أنجاد العرب، ورجالها نجدة وجراء. توفي في أواخر أيام معاوية قبل الستين هجرية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٩٣-١٩٤.

(٢) شجاع بن أبي وهب: شجاع بن أبي وهب بن ربيعة الأسدي، من بني غنم، صحابي، شجاع من أمراء السرايا. قديم الإسلام. شهد المشاهد كلها، بعثه النبي ﷺ رسولاً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بغوطة دمشق، فلم يسلم الحارث. وقتل شجاع يوم اليمامة سنة ١٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٥٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٦١١.

(٣) الحارث بن أبي شمر الغساني: الحارث بن أبي شمر الغساني، من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق. وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي ﷺ كتاباً مع شجاع بن أبي وهب. مات الحارث في عام فتح مكة سنة ٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ١٥٥.

(٤) سليط بن عمرو العامري: وهو سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وذب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب العامري، أخو سهيل والسكران ابني عمرو، وكان من الذين هاجروا إلى الحبشة ومعه زوجته، فولدت له سليطاً بن سليط. وذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرأ. وهو الذي أرسله النبي ﷺ إلى هودّة بن علي الحنفي، وإلى ثمامة بن أثال الحنفي، وهما رئيسا اليمامة، وذلك سنة ست أو سبع من الهجرة، وقتل باليمامة سنة اثنتي عشرة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٥) هودّة الحنفي: هودّة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل: صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبل الإسلام، وفي العهد النبوي. وهو من أهل «قُرْآن» من قرى اليمامة، وكان ممن يزور كسرى في المهمات. ويقال له «ذو التاج». وكانت بين هودّة وبني تميم غارات، أسروه في إحداهما، ففدى نفسه بثلاثمائة بعير. ولما ظهر الإسلام كتب إليه النبي ﷺ: «أسلم تسلم، واجعل لك ما تحت يديك». فأجاب مشترطاً أن يكون له مع النبي بعض الأمر؛ فلم يجبه، وقال: «باد، وباد ما في يديه». ولم يعيش بعد ذلك غير قليل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ١٠٢.



فأما المقوقس، كان ملك مصر والإسكندرية، فلما وصل إليه حاطب، أكرمه وأخذ كتاب النبي، وكتب له جواباً: قد علمت أن نبياً قد بقي، وقد أكرمت رسولك، وأهديت لك أربع جوارى منهن، مارية^(١) وسيرين^(٢)، وحماراً يقال له عفير، وقيل يعفور، وبغلة يقال لها الدلول، ولم يسلم، فقبل النبي هديته، وظن الخبيث بقاء ملكه، ولا بقاء له، واصطفى النبي مارية لنفسه، وكانت بيضاء جميلة، وكان يطاها بملك اليمن، وضرب عليها الحجاب. وأما سيرين، فوهبها لحسان بن ثابت.

وأما قيصر ملك الروم حين قدم عليه دحية، دعا أبا سفيان، وكان قد خرج في ركب من قريش تجاراً إلى الشام، فدخل أبو سفيان وأصحابه على قيصر، وهو هرقل في مجلسه، وحوله عظماء الروم، فقال الترجمان: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً إليه، فقال هرقل: أدنوه مني، وقال لترجمانه: قل له إني سائله عن هذا الرجل، فإن كذبتني قتلت، قال هرقل: ما نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: هل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا، قال: هل كان أحد من آبائه ملك؟ قلت: لا، قال فأشرف الناس اتبعه أم ضعفاؤهم؟ قلت: ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: هل يرتده أحد منهم سخطه

(١) مارية: مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم، من سراري النبي ﷺ، مصرية الأصل، بيضاء، ولدت في قرية «حفن» من كورة «أنصنا» بمصر، وأهداها المقوقس القبطي (صاحب الإسكندرية)، سنة ٧هـ إلى النبي ﷺ، هي وأخت لها تدعى «سيرين» فولدت له إبراهيم، فقال: اعتقها ولدها. توفيت بالمدينة سنة ١٦هـ. ودفنت بالقيع. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٥٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٥٣.

(٢) سيرين: سيرين أخت مارية القبطية. أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبي ﷺ، فتزوي النبي مارية، وهي أم ابنه إبراهيم ﷺ. ووهب سيرين لحسان بن ثابت الأنصاري، فهي أم ابنه عبد الرحمن بن حسان. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٦٠.

لدينه؟ قلت: لا، قال: هل كتتم تتهمونونه بالكذب؟ قلت: لا. قال: هل كان يغدر؟ قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ (١٦٤) قلت: نعم، قال: فكيف قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا سجال، ينال منا وننال منه. قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، وبأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة.

قال هرقل: هكذا صفات الأنبياء، وإن كان ما يقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أظن أنه منكم، فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لجشمت نفسي، حتى ألقاه، ولو كنت عنده، لغسلت قدميه. ثم دعانا بالكتاب الذي جاء به دحية، فإذا هو مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك، وإن توليت، فإنما عليك إثم المتولين، ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَوُ ٱلَّا نَعْبُدُ ٱللَّهَ وَٱلَّا نَشْرِكُ بِهِۦءِ شَيْئًا وَٱلَّا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ أَشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، ثم خرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبيشة، أنه يخاف منه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر.

ثم إن هرقل دعا بدحية، وقال إنني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وإنه الذي نجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، ولكن سر إلى ضغاطر الأسقف، واذكر له أمر صاحبك، فانظر ماذا يقول. فأتاه دحية، وأخبره بما جاء به عن النبي ﷺ، فقال ضغاطر: صاحبك نبي مرسل، نعرفه بصفته، ونجده بكتابنا باسمه، ثم دخل، فألقى ثياباً كانت عليه سوداً،



ولبس ثياباً بيضاً، وأخذ عصي، وخرج إلى الروم، وهم في كنيسة، فقال: يا معشر الروم، إنه قد أتانا كتاب من أحمد، يدعو فيه إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فقام إليه الروم، وضربوه حتى قتلوه، ورجع دحية إلى هرقل، فأخبره الخبر، قال: قد قلت لك، إني أخاف (الروم)^(١) على نفسي، فضغاطر والله عندهم أعظم قدراً، وأصدق قولاً مني.
(١٦٥)

وأما كسرى، فهو أبرويز بن هرمز أنو شروان، فلما بلغه كتاب رسول الله، مزقه، وقال: يكتب إليّ هذا الكتاب، وهو عبدي. فقيل: إن النبي دعا عليه، وقال: مزق الله ملكه.

ثم كتب كسرى إلى باذان، وهو على اليمن: إنه قد بلغني أن في أرضك رجلاً تنبأ، فاربطة، وابعث به إليّ، فبعث إليه باذان قهرمانه ورجلاً من الفرس يقال له خرخره، فساروا، حتى وصلا إلى المدينة، ودخلا على النبي ﷺ، وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وقال: ويلكما من أمركما هذا، فقالا: أمرنا به ربنا، يعنون كسرى، فقال النبي: ولكني أمرني ربي بقص شاربي وإعفاء لحيّتي. ثم قال القهرمان: يا محمد، ملك الملوك كسرى، بعث إلى باذان أن يبعث بك إليه، وقد بعثنا باذان إليك، لتنتقل معي إلى كسرى، فإن فعلت، كتبت لك أقيالاً إلى ملك الملوك، فينفعك، ولا يصيبك منه شيء، ويكفّ عنك أذاه، وإن أبيت، فأنت تعلم صولته، وهو مهلكك، ومهلك قومك، ومخرّب بلادك. فقال النبي: أرجعا حتى تأتياني غداً، فرجعا.

ثم نزل جبريل عليه السلام، على النبي ﷺ: إن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا، ليلة كذا، بعدما مضى من الليل كذا. فلما كان

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٦٤.

الغد، أتاه القهرمان وصاحبه، فكلماه، فقال لهما: إن الذي تزعمون أنه ربكما، قتله ابنه وقت كذا وكذا. فقالا: سنخبر عنك الملك. فقال أخبراه عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما يبلغ ملك كسرى، وقولا له: إن أسلم ملكته على (قومه)^(١)، وأعطيته ماتحت يديه، ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة، فخرجا من عنده إلى باذان، وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإنِّي لأرى لأرى الرجل نبياً، وإنَّا لننظر، فإن كان ما قال حقاً، فهو لا شك نبي مرسل، وإن لم يكن كذلك، فسرى فيه رأياً.

فلم يلبث باذان حتى قدم عليه كتاب شيرويه: إنِّي قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس، لما استحل من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب لك بإتيانه إليه، فلا تهجه حتى يأتيك أمري.

فلما قرأ باذان الكتاب، قال: إن هذا الرجل لرسول الله حقاً، فأسلم وأسلم من كان (١٦٦) باليمن من الفرس، وكان قتل كسرى ليلة الثلاثاء لعشر مضمين من جمادى الآخر، سنة سبع من الهجرة، لست ساعات مضمين من الليل. وقتل شيرويه سبعة عشر من إخوته، كلهم ذوو أدب وشجاعة، فابتلي بالإسقام، وبقي بعدهم ستة أشهر، أو ثمانية، ومات.

أما النجاشي، فإنه لما قدم إليه عمرو بن أمية بكتاب رسول الله ﷺ، أخذه، وهبط عن سريره إجلالاً له، وقبَّله، ووضع على عينيه، وفتحته، فإذا هو فيه مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، إنني أحمد إليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن

(١) استدرار من النسخة الأصلية ب، ص ١٦٥.



مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة، فحملت بعيسى، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى أن تتبني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر، ومعه نفر من المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى.

ثم إنه كتب جواباً لكتاب رسول الله ﷺ: من النجاشي، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني للإسلام، أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماوات والأرض إن عيسى صلوات الله عليه ما يزيد على ما تقول تغروراً، فهو كما قلت وعرفت، ما بعثت به إلينا، وقد كان قدم ابن عمك جعفر وأصحابه، وقد أسلمت على يديه، والحمد لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ولدي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قيل: أرسل النجاشي ولده في ستين من الحبشة إلى النبي ﷺ، حتى إذا توسطوا البحر، غرقت سفينتهم، والله أعلم.

وأما الحارث بن شمّر الغساني، قال شجاع بن وهب: لما وصلت إليه بكتاب رسول الله ﷺ، وقفت على بابه يومين، وقلت لحاجبه: إني رسول الله. فقال: لا تصل إليه، حتى يخرج يوم كذا وكذا، وكان حاجبه رومياً، فجعل يسألني عن رسول الله، فكنت أحدثه عن صفته، وما يدعو إليه، فرقاً حتى غلبه البكاء، وقال: قرأت الإنجيل، ووجدت صفة هذا النبي، وأنا أول من آمن به وصدّقه، ولكنني أخاف من الحارث (أن) ^(١) يقتلني، وهو الآن يكرمني، ويحسن ضيافتي.

(١) إضافة يقتضيهما السياق.

ثم إن الحارث خرج، وجلس في مجلسه، ووضع التاج على رأسه، فدفعت إليه الكتاب، فقرأه، ورمى به، وقال: من ينتزع مني ملكي، أنا سائر إليه، ولو كان باليمن. ثم أمر الناس، وجاءت الخيول، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره بذلك. فكتب إليه قيصر أن لا تسر إليه واله عنه، ووافيني بإيليا^(١).

وقال: متى تريد (أن)^(٢) تخرج إلى صاحبك؟ قلت غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهباً، ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة، وقال: أقر رسول الله ﷺ مني السلام، فلما قدمت على النبي أخبرته بما كان من الحارث، فقال: أباد الله ملكه، فمات الحارث عام الفتح.

وأما هودة الحنفي، لما قدم عليه سليط بن عمرو العامري، أنزله وحيأه، وقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ورد الجواب للنبي ﷺ: إنه حسن ما تدعو إليه، وجميل، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليط الجائزة الحسنة، وكساه ثياباً من نسج هجر، فقدم سليط إلى النبي بالكتاب، فقرأه النبي، وقال: لو سألتني شيئاً من الأرض، مثل هذا العود أخذه ما فعلت، ثم قال: باد وباد ما في يده، فمات بعد انصراف النبي من فتح مكة.

وفي هذه السنة، أسلم أبو هريرة رضي الله عنه، قدم مهاجراً، والنبي بخبير، فشهد

(١) إيليا: إيليا اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، وقد سمي البيات المقدس، يقول الفرزدق: وبيتان بيت الله نحن ولانه وقصر بأعلى إيليا مُسْرَفٌ وقيل: إنما سميت إيلياء باسم بانها، وهو إيلياء بن إرم بن نوح عليه السلام، وهو أخو دمشق وحمص وأردن وفلسطين، قال أعرابي:

فلو أن طيراً كُفِّت مثل سيره إلى واسط من إيلياء لكُلت

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.



خير، ولم يُسهم له، وكان اسمه عبد شمس، وقيل: عبد بهم، وقيل: عمرو بن عبد غنم، وكنيته في الجاهلية أبو الأسود، فسماه النبي عبد الله، وكناه بأبي هريرة، وكان أحفظ الصحابة لأخبار النبي وآثاره، ولم يشتغل بالصفق في الأسواق، ولا بغرس الوادي، وقطع الأعذاق، لزم النبي ثلاث سنين مختاراً للعدم والإملاق، ودعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم حبب عبدك هذا إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليه».

وكان من أقرباء عائشة ؓ، وروي أن النبي ﷺ قال له: «زر غباً تزد حُباً». فقالت عائشة ؓ: «أكثرت زوره فملك، ودمت على ذلك فاستثقلك، لو كنت ممن يزور غباً لأبّر في قلبه محلك، فقال النبي ﷺ: «ما مللنا وما قلينا، ولكن علمنا وأدبنا».

وعاش أبو هريرة ثماني وسبعين سنة، وتوفي بالمدينة، وقيل: قُبر بالعقيق^(١)، سنة سبع أو ثمانٍ أو تسع وخمسين من الهجرة في آخر خلافة معاوية.

(١) العقيق: تقول العرب لكل ماء مسيل ماء شقّه السيل من الأرض فأنزهه ووسعه عقيق. ومنها عقيق بناحية المدينة، وفيه عيون ونخل. وفيه يقول الشاعر:

إنني مررت على العقيق وأهلُهُ يشكون من مطر الربيع نُزُورا

ما ضرّكم إن كان جمفر جاركم أن لا يكون عقيقكم ممطورا

والعقيق واد عليه أموال أهل المدينة، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين، وقيل: ستة، وقيل: سبعة. وفي العقيق قصور ودور ومنازل وقرى. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٩.

الباب السادس عشر
في ذكر الأمور الحادثة
في السنة السابعة من الهجرة





(١٦٨) ففي هذه السنة، كانت غزوة خيبر في جمادى الأولى، وذلك أن رسول الله ﷺ، لما رجع من الحديبية، أمر أن لا يخرج معه إلى خيبر، إلا من خرج معه إلى الحديبية، فأتاه المنافقون، فقالوا: نخرج معك، وذلك أنهم لما سمعوا بذكر الغنيمة. فقال لهم النبي: «إن أردتم أن تخرجوا معي، فليس لكم في الغنيمة من نصيب». وذلك أنهم لم يخرجوا معه إلى الحديبية، وقالوا: لن يرجع محمد من هذه، فلم يأذن لهم في الخروج إلا متطوعين.

ثم خرج النبي في بقية المحرم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري^(١)، فقدّم عييناً ليجيئه بالخبر. وأخذ معه أم سلمة، ومضى إلى خيبر، وهي مسير ثلاثة أيام من المدينة، وسكانها اليهود، فلما سمعوا بمسيره إليهم، أرسلوا إلى حلفائهم من أسد وغطفان يستمدونهم، فأمدوهم، وأدخلوهم حصناً لهم منيعاً، يسمى القموص^(٢).

فلما قدم النبي خيبر، ونصب الرايات عليها، أرسل إلى أسد وغطفان: «إن ربي وعدني أن يفتح لي خيبر، فخلّوا بيني وبين أهلها، فإذا فتحها فهي لكم»، فأبوا، فصرف النبي الرايات إلى الحصن الذي هم فيه، فهربوا في الليل، ولم يكن بينهم وبين المسلمين قتال.

(١) سباع بن عرفطة الغفاري: سباع بن عرفطة الغفاري، استعمله النبي ﷺ لما خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل، وهو من مشاهير الصحابة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٢) القموص: القمّاص: الوثب: وأن لا يستقر في موضع، والقموص الذي يفعل ذلك. والقموص هو جبل بخيبر عليه حصن أبي الحقيق اليهودي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٩.

وأقبل النبي يقاتل أهل خيبر، فحاصرهم وقتلهم، وكان يخرج من اليهود عادية عليها مرحب^(١)، فيخرج لها النبي عادية من أصحابه، يقاتلوهم حتى يهزموهم، ويدخلونهم الحصن، فإذا دخلوا، أغلقوا الأبواب.

ثم إن مرحباً خرج بمن معه من عادية اليهود، فبرز وهو يرتجز، ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبٌ شاكِي السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلتهب^(٢)

فبرز إليه عامر^(٣)، وهو يقول شعراً:

قد علمت خيبر أني عامرٌ شاكِي السلاح بطل يغامر^(٤)

فاختلف بينهما الضرب، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر

(١) مرحب: مرحب الحميري، أحد فرسان اليهود. خرج من حصنه يوم خيبر وقد جمع سلاحه وهو يرتجز الشعر وهو يقول هل من مبارز؟ فخرج إليه صاحب راية رسول الله ﷺ الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فاختلف مرحب وعلي بضربتين، فضربه علي بسيفه على هامته حتى عض السيف منها أضراسه، وخز صريعاً، وسمع الناس الضربة فهاجموا الحصن خلف علي حتى فتح الله لهم. انظر الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) قد علمت خيبر أني مرحبٌ شاكِي السلاح بطل مجرّب
أطمعن أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوث أقبلت تلتهبُ
كان حمائي كالحمي لا يقربُ

انظر الأبيات في: ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١٨.

(٤) عامر: هو عامر بن سنان الأكوغ. وترجمته: عامر بن سنان الأكوغ بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلمان بن أسلم الأسلمي. كان شاعراً، وسار مع رسول الله ﷺ، فقتل بها شهيداً. انظر:

ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٢١ - ١٢٣.

(٥) فبرز إليه ياسر: وهو يقول:

قد علمت خيبر أني ياسر شاكِي السلاح بطل مغاورٌ

انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١٩.



ليستلَّهُ من الترس، فوقع على أكله، فقطعه، فمات، فخرج إليه علي بن أبي طالب، وهو يرتجز شعراً:

أنا الذي سمّني أمي حيدرَه ضرغام آجام وليث قسوره
عبل الذراعين صبيح المنظره أكيلهم بالسيف كيل السُنْدَره
أضرب بالسيف وجوه الكفره^(١)

فلما سمع مرحب كلام علي، همَّ بالرجوع، فأنف من ذلك، فتجاولا، فضربه علي بسيفه، فسقط (١٦٩) قتيلاً، فلما قتل مرحب تضعض ركن اليهود، وأخذ أبو بكر رضي الله عنه الراية، وقاتل قتالاً شديداً، ثم أخذها عمر رضي الله عنه، فقاتل قتالاً شديداً، ثم أخذها علي، فقاتل، وضربه رجل من اليهود، فطاحت ترسه من يده، فاقتلع باباً قرب الحصن، فتترس به، فلم يزل في يده، وهو يقاتل، حتى فتح الله خيبر.

وحمل المسلمون على اليهود، حتى ألحقوهم بحصنهم، وقال النبي: الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا أنزلنا بقوم فساء صباح المنذرين، وفتح الله خيبر للمسلمين، ووجد النبي آل أبي الحقيق وآل حُيَي بن أخطب، وهم من بني النضير، فدخلوا خيبر بعد غزوة بني النضير، وحملوا معهم آنية من فضة وأمتعة، فسألهم النبي عن مالهم، فقالوا: أنفقناه يوم خيبر على أنفسنا وعيالنا، فقال لهم: فإن كنتموني مالاً فذمة الله ورسوله، وذمة المؤمنين منكم بريئة، ودماؤكم وذرايكم لي. قالوا: نعم، فأتاه جبريل، فأخبره بموضع المال، فأخرجه، فإذا هو في نخلة جوفاء، فأمر بهم النبي، فضربت أعناقهم.

ثم إن اليهود قالوا للنبي: تعطينا خيبر نعملها، ولنا نصف الثمرة، فأعطاهم إياها، واصطفى لنفسه من السبايا صفيّة بنت حُيَي^(٢)، وأمر بها إلى منزله،

(١) انظر الآيات في: ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٢) صفيّة بنت حُيَي: صفيّة بنت حُيَي بن أخطب، من الخزرج: من أزواج النبي ﷺ، كانت في الجاهلية =

وعرض عليها الإسلام، فأسلمت، ورأى في وجهها أثراً، فقال لها: ما هذا الأثر؟ قالت: يا نبي الله، كنت رأيت في المنام كأن قمرأ أقبل من المدينة، حتى وقع في حجري، وكان كبشاً ذبح على بابي، فذكرت ذلك لكنانة^(١)، وهو زوجها، فلطمني، وقال: كأنك تتمنين أن تكوني تحت الملك الذي يجيء من المدينة.

وأهدت زينب بنت الحارث^(٢)، زوجة سلام بن مشكم^(٣)، للنبي شاة مسمومة، فتناول النبي منها الذراع، وكان أحب الأعضاء إليه، فلاك منه مضغة، قال الذراع: إني مسموم، أنطقه الله بذلك، فلفظها.

وروي أنه قال في مرضه الذي مات فيه: هذا أوان، قطعت أبهري المضغة

= من ذوات الشرف. تدين باليهودية، من أهل المدينة. تزوجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقتها فتزوجها كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر، وأسلمت، فتزوجها رسول الله ﷺ، توفيت بالمدينة سنة ٥٠ هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(١) كنانة: كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، زوج صفية بنت حني قبل غزوة خيبر، حيث اصطفاها الرسول ﷺ لنفسه، وأتى رسول الله ﷺ بكنانة، وكان عند كنانة بني النضير، فسأله، فوجد أن يكون يعلم مكانه، فقال له: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك»، فقال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بحفر خربة قرب دار كنانة، فأخرج منها بعض كتزهم، فأمر به الزبير بن العوام، فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمد بن مسلمة. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، المجلد الثاني، ص ٩٥.

(٢) زينب بنت الحارث: زينب بن الحارث اليهودية، زوجة سلام بن مشكم اليهودي. أهدت الرسول ﷺ شاة مصليبة (مشوية) وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها: الذراع، فأكرمت فيها من السم، ثم سعت الشاة كلها، وجاءت بها، فتناول الرسول ﷺ الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، فلفظها، وقال: إن هذا العظيم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال ما حملك على ذلك؟ فقالت: بلغت من قومي ما لم يخفت عليك، وقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخيره. فتجاوز عنها رسول الله ﷺ. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٥٢ - ٦٥٣.

(٣) سلام بن مشكم: سلام بن مشكم القرظي اليهودي، زوج زينب بنت الحارث التي أهدت للرسول ﷺ شاة مسمومة. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٥٢.



المسمومة. فأرسل إليها، فقال لها: ما حملك على هذا؟ فقالت: أردت (أن)^(١) أعلم صدقك من كذبك، فإن كنت صادقاً، أُخبرت بذلك، وإن كنت كاذباً أرحت الناس منك، فقيل: إنه عفا عنها، وقيل: قتلها.

ولمّا سمع أهل فدك^(٢) ما صنع النبي بخيبر، أتوه، فسألوه أن يعاملهم بما عامل به أهل خيبر، فعاملهم بذلك، وكانت خيبر للمسلمين، وفدك له خاصة، لأنه لم يوجف عليها خيلاً ولا ركاباً.

وأقام النبي في غزوة خيبر أربعين يوماً، ورجع إلى المدينة، وقدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، فقال النبي: لست أدري أنا أشدّ (١٧٠) فرحاً بفتح خيبر أم بقدم جعفر؟

وفي هذه السنة، تزوج النبي ﷺ أم حبيبة^(٣). واسمها رملة، وأمها بنت أبي العاص، عمّة عثمان بن عفان، وسلّم النجاشي صداقها من ماله أربعمئة دينار. وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين، أو اثنتين وأربعين.

(١) إضافة يقتضيهما السياق.

(٢) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً. وفيها عين فؤارة ونخيل كثيرة. قال الزجاجي: سميت بفدك بن حام، وكان أول من نزلها. وقال زهير:

لئن حللت بجؤ في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك
ليأتينك مني منطلق قذع باق كما دّنس القطبية السودك

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٣، ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٣) أم حبيبة (٢٥ ق.هـ - ٥٩٦/٦٦٤ م): هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، صحابية، من أزواج النبي ﷺ. كانت من فصيحات قريش ومن ذوات الرأي والحصافة. تزوجها أولاً عبيد الله بن جحش، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة (في الهجرة الثانية) ثم ارتدّ عبيد الله عن الإسلام، فأعرضت عنه إلى أن مات. فأرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها، وعهد للنجاشي (ملك الحبشة) بعقد نكاحه عليها، ووكلت هي خالد بن سعيد بن العاص، فأصدقها النجاشي أربعمئة دينار سنة ٧هـ، ولها من العمر بضع وثلاثون سنة، وأبوها لا يزال على دين الجاهلية. توفيت بالمدينة. ولها في كتب الحديث ٦٥ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ٣٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

وفي هذه السنة، كانت غزوة عمرة القضاء^(١)، قيل: أمر النبي أصحابه حين رأى هلال ذي القعدة أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدّهم المشركون عن قضائها، وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف أحد منهم، إلا من استشهد بخبير، وخرج معه أيضاً قوم عماراً، فكانوا في عمرة القضاء ألفين، وقيل: ألفين وسبعمئة. واستخلف على المدينة أبا رُهم الغفاري^(٢) وساق النبي ستين بدنة، وقيل: سبعين هدياً، وجعل عليها ناجية ابن جندب الأسلمي^(٣)، وحمل الدروع والسلاح والرماح، وقاد مائة فرس، وخرجت قريش إلى رؤوس الجبال. فدخل النبي مكة، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام مطيته، وقالت قريش: إن محمداً وأصحابه لفي جهد وحاجة، فبلغ ذلك النبي، فهرول بين العلمين، وأمر بذلك أصحابه، ليري قريشاً من نفسه وأصحابه قوة، وطاف، وسعى، وحلق، وأقام بمكة ثلاثة أيام، فلما كان عند الظهر من اليوم الثالث، ناداه سهيل بن عمرو.

(١) عمرة القضاء: ويقال لها عمرة القصاص، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة من الشهر الحرام من سنة ست للهجرة، فاقص منهم، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدوه فيه سنة سبع للهجرة. وفيها أنزل الله تعالى: ﴿وَأَلْمِزْتُمْ بِمَا كُنتُمْ يَفْعَلُونَ﴾. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٢.

(٢) أبو رُهم الغفاري: اسمه كلثوم بن الحصين، وقيل: ابن حصن بن عبيد، وقيل: ابن عتبة بن خلف بن بدر بن أميس بن غفار. أسلم بعد قدوم النبي إلى المدينة، وشهد أخذاً، فرمي بسهم في نحره، فسمي المنحور، فجاء النبي فبصق عليه، فبرأ، واستخلفه على المدينة مرتين: مرة في عمرة القضاء، ومرة عام الفتح، فلم يزل عليها حتى انصرف رسول الله ﷺ من الطائف. وشهد بيعة الرضوان، وبايع تحت الشجرة، وروى عنه مولاة أبو حازم أنه قال: حضرت خبيراً أنا وأخي ومعنا فرسان، فأسهم لنا النبي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٦، ص ١١٧.

(٣) ناجية بن جندب الأسلمي: ناجية بن جندب بن كعب، وقيل: ناجية بن كعب بن كعب، وقيل: ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن نائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم الأسلمي. صاحب بئذ رسول الله ﷺ، معدود من أهل المعرفة. وقيل: كان اسمه ذكوان، فسماه رسول الله ﷺ ناجية، إذ نجا من قريش. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٩٤.



وحويطب بن عبد العزى. وقالوا: قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، فأمر أصحابه بالخروج، وركب ﷺ، حتى نزل بسرف، وهي على عشرة أميال من مكة.

وفي هذه السنة، تزوج رسول الله ﷺ، ميمونة بنت الحارث^(١)، تزوجها بسرف، وبنائها هناك، وهي آخر امرأة تزوجها، وقيل: هي التي وهبت نفسها له، ماتت بمكة، ودفنت بقبعتها، سنة ثلاث وستين.

(١) ميمونة بنت الحارث: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية: آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، وآخر من مات من زوجاته، كان اسمها «بزة» فسموها «ميمونة» بايعت بمكة قبل الهجرة. وكانت زوجة أبي رهم بن عبد العزى العامري. ومات عنها، فتزوجها النبي ﷺ سنة ٧هـ. عاشت ثمانين سنة. وتوفيت في «سرف» الموضع الذي كان فيه زواجها بالنبي ﷺ قرب مكة، ودفنت به، وكانت سالحة فاضلة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٧، ص ٣٤٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ٢٦٢ - ٢٦٤.

الباب السابع عشر
في ذكر الأمور الحادثة
في السنة الثامنة من الهجرة





ففي هذه السنة، كان غلاء السعر على المسلمين، فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: سَعَرَ لَنَا، فقال: «إن الله هو القابض والباسط السعر والأرزاق، وإني لأرجو أن ألقى الله، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في نفس ولا مال».

وفي هذه السنة، طلق النبي ﷺ سودة بنت زمعة، فقعدت على طريقه، بين المغرب والعشاء، وقالت: يا رسول الله، راجعني فوالله ما بي حب الرجال، وإنني أحب أن أحشر في أزواجك، ويومي لعائشة، فردّها ﷺ.

وفيهما توفيت زينب (١٧١) بنت رسول الله ﷺ.

وفيهما أسلم عمرو بن العاص، قال عمرو: أسلمت أنا بالحبيشة، فخرجت أريد رسول الله ﷺ، فلقيت خالد بن الوليد مقبلاً من مكة، وذلك في عام الفتح، وقلت: أين تريد يا أبا سليمان؟ قال: والله قد استقام الميسم، وإن الرجل لنبي، أذهب أسلم، فحتى متى، فقلت: والله ما جئت إلا لأسلم، فقدمنا على رسول الله، فتقدم خالد، فأسلم وبايع، وأسلمت وبايعت.

وفي هذه السنة، اتخذ رسول الله ﷺ المنبر، وكان يخطب على جذع من النخل، فقالت امرأة من الأنصار، كان لها ابن نجار، واسمها عائشة، واسم ابنها باقوم الرومي: يا رسول الله، إن لي ولداً نجاراً، أفلا أمره أن يتخذ لك منبراً؟ فقال: نعم، إن شئت. فأمرت ولدها، فاتخذ النبي منبراً، صنّع له ثلاث درجات، فلما كان يوم الجمعة، خطب النبي عليه، فحنّ الجذع الذي كان يخطب عليه، حتى تصدّع وانشق، وأقبل يسعى نحو النبي، فوضع النبي يده عليه، فسكت، وقال له: إن شئت أذنت للحائط الذي كنت فيه، فأنبت

عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد لك خوصك، فتكون لك سعف وثمره، وإن شئت أغرسك في الجنة، فيأكل أولياء الله من ثمرك، فقال: بل تغرسني في الجنة، فيأكل أولياء الله من ثمري، وأن أكون في مكان لا أبلى فيه، فأختار الجذع دار البقاء على دار الفناء، وأمر به النبي، فدفن تحت المنبر، فلما هدم المسجد وغيّر، أخذه أبي بن كعب^(١)، فكان عنده حتى بلي، وأكلته الأرض، وعاد رفاتاً.

وفي هذه السنة، بعث النبي ﷺ، عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان، وكانا على دين النصارى، فأما بالنبي وصدقا بما جاء به، وأخذنا على المجوس الجزية، فلا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم.

وبعث النبي كعب بن عمرو الغفاري^(٢)، في خمسة عشر رجلاً إلى ذات أطلاق^(٣)، من ناحية الشام، فوجد بها جمعاً كثيراً، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، وقتلوا أصحابه جميعاً، ونجا هو بنفسه، وقدم المدينة.

(١) أبي بن كعب: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر، صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ على قلة العارفين بالقراءة والكتابة في عصره، ولما أسلم كان من كتاب الرحي، وشهد بدرأً وأحدأً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يفتي في عهده، وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس، وأمره عثمان بجمع القرآن. كان نحيفاً قصيراً أبيض الرأس واللحية، مات بالمدينة سنة ٢١هـ/٦٤٤م. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٨٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٦٨ - ١٧١.

(٢) كعب بن عمرو الغفاري: والصحيح كعب بن عمير الغفاري: من كبار الصحابة، بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية، نحو «ذات البلقاء»، فقتل فيها. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٢٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٥٨.

(٣) ذات أطلاق: هي موضع وراء ذات القرى إلى المدينة، غزاها الرسول ﷺ، بسرية قادها كعب بن عمير الغفاري، فأصيب بها هو وأصحابه: انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٢١٨.



ثم بعث النبي ﷺ، شجاع بن وهب^(١) في سرية إلى بني عامر بناحية نجد، فأصابوا نعماً وشاء.

وفي هذه السنة، كانت سرية مؤتة، وهي بأدنى البلقاء، دون دمشق، في جمادى الأولى، فلما نزلها، عرض عليه شرحبيل مائة ألف، (١٧٢) فقتله، فبلغ ذلك النبي، فشق عليه، فندب الناس، فأجابوه، وهم ثلاثة آلاف، فقال النبي ﷺ: أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل، فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل، فعبد الله بن رواحة، فإن قتل، فيختار الناس أميراً لهم، وعقد لهم لواءً أبيض، وخرج مشيعاً لهم، حتى بلغ ثنية الوداع^(٢)، ووقف، وودّعهم، وأمرهم أن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا قاتلوهم.

وساروا حتى نزلوا معان^(٣)، من أرض الشام، بلغهم أن هرقل نزل في

(١) شجاع بن وهب: شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كثير بن غنم بن دودن بن أسد بن خزيمة الأسدي. حليف لبني عبد شمس، يكنى أبا وهب. أسلم قديماً، وهاجر إلى الحيرة الهجرة الثانية، وعاد إلى مكة لما بلغه أن أهلها أسلموا. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، هو وأخوه عقبة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن خولى، وأرسله إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وإلى جيلة بن الأيهم الغساني، واستشهد شجاع يوم اليمامة، وهو ابن بضع وأربعين سنة، وكان أجنى (مائل الظهر) نحيفاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٠٥.

(٢) ثنية الوداع: وهي ثنية مشرفة على المدينة يطأها من يريد مكة، واختلف في تسميتها بذلك، فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة. وقيل: لأن النبي ﷺ ودّع بها بعض من خلفه، بالمدينة في آخر خروجه، وقيل: في بعض سراياه المبعوثة عنه. وقيل: الوداع اسم واد بالمدينة. والصحيح أنه اسم جاهلي قديم، سُمي لتوديع المسافرين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٦.

(٣) معان: مدينة في طرف بادية الشام من نواحي البلقاء، وكان النبي ﷺ بعث جيشاً إلى مؤتة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، فساروا حتى بلغوا معان، فأقاموا وأرادوا أن يكتبوا إلى النبي ﷺ عن تجمع من الجيوش، وقيل: قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي ألف، فهاجم عبد الله بن رواحة وقال: إنما هي الشهادة أو الطعن، ثم قال:

جلبنا الخيل من جاء وفرع
أزلُّ كأنَّ صفحته أديمٌ

أرض اللقاء في مائة ألف من الروم، فأقاموا بها ليلتين ينظرون في أمرهم، فتشجع عبدالله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن الذي تكرهون، التي خرجتم لأجلها الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة، وإنما نقاتل بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، وإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور، وإما شهادة.

فقال الناس: صدق ابن رواحة، ثم رحلوا، فلما كانوا قريباً من اللقاء، لقيهم هرقل، فلما دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، فالتقوا واقتتلوا(بها)^(١) قتالاً شديداً، وأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل حتى قتل، ثم أخذه جعفر بن أبي طالب، وقاتل، فطعنه رجل من الروم برمح، وضربه بسيفه، فقسمه نصفين، فوجد في أحد نصفيه نيف وثلاثين ضربة. ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة، وقاتل حتى قتل، ثم أخذه خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فقاتل حتى انكشفت الروم، وانهمزوا، وكسر في يده تسعة أسياف، كلما كسر سيفاً أخذ آخر، ورجع المسلمون إلى المدينة سالمين غانمين.

وفي هذه السنة، بعث رسول الله عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل^(٢)، وهم قضاة، فخرج في نفر من الأنصار، فلما وصل، استمد النبي، فأمدهم بأبي عبيدة عامر بن الجراح، في نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر

= أقامت ليلتين من معان
فأعقب بعد فترتها جموم
فُرِحْنَا والجِيَادِ مَسُومَاتٌ
تَنْفُسُ فِي مَنَآخِرِهَا الشُّمُومُ
انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٧٢.

(٢) ذات السلاسل: ماء بأرض جُدَام، وبذلك سميت غزوة ذات السلاسل، وقال ابن إسحاق: اسم الماء سلسل، وبه سميت ذات السلاسل. وقال جردان العود:

بوعساء من ذات السلاسل يلتقي
عليها من العلقى نبات مؤنّف
وقال الراعي:

ولما علت ذات السلاسل وانتحي
لها مصغيات للفقهاء عواسر

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٣.



وعمر رضي الله عنه، فاختلف أبو عبيدة وعمرو بن العاص، كل يقول هو الأمير لأصحابه، فأبى عمرو، وقال: أنتم لي مدد، فأطاعه أبو عبيدة.

وفي هذه السنة كانت سرية الخبط^(١)، بعث رسول الله ﷺ، (١٧٣) أبا عبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة راكب من المهاجرين والأنصار، في طلب عير قريش، وزودهم جراب تمر، فساروا وأقاموا على الساحل، حتى فني زادهم، فأصابهم جوع شديد، فكان أبو عبيدة يعطيهم لكل رجل حفنة، ثم أعطاهم ثمرة لكل رجل، ثم كانوا يأكلون الخبط، أي أوراق الشجر، حتى صارت أشداقهم كأشداق الإبل. ثم أرسل إليهم دابة يقال لها العنبر^(٢)، فأكلوا منها نصف شهر، وقيل: أكلوا منها شهراً. ونصب أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعها، يمرُّ تحته راكب البعير من طوله، فلما قدموا المدينة، أخبروا النبي بذلك، فقال ﷺ: «ذلك رزق ساقه الله إليكم».

وفي هذه السنة، كان فتح مكة، حرسها الله تعالى، وسبب ذلك أن النبي وادع قريشاً على ترك الحرب بينهم سنتين، وكانت خزاعة دخلت في عهد رسول الله، لهم ما له من العهد، وعليهم ما عليه. وبنو بكر مع قريش، وكان بين خزاعة، وبين بني بكر شرّ قديم، فاقتتل خزاعة وبنو بكر، وطلب بنو بكر الإعانة من قريش على خزاعة، فأعانوهم بالرجال، وقاتلت معهم طائفة من قريش مستخفين مستنكرين، فيهم: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهل^(٣) بن عمرو، وعبيدهم، فبیتوا خزاعة ليلاً، فهاجموهم، وقتلوا منهم.

ثم ندمت قريش على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقضاً للعهد الذي كان

(١) الخبط: اسم موضع في أرض جهينة بالقبيلة، وبينها وبين المدينة خمسة أيام، وهي بناحية ساحل البحر. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٢) العنبر: هو الحوت.

(٣) والصحيح سهيل بن عمرو، وقد مرّت ترجمته سابقاً.

بينهم وبين رسول الله ﷺ، لأن خزاعة كانت في عهده، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي^(١)، في أربعين ركباً من خزاعة، فقدموا على النبي يخبرونه بما أصابهم، ويستنصرونه، فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه، ويقول: «لا نُصرتُ إن لم أنصر بني خزاعة».

وقدم أبو سفيان على النبي ﷺ، يسأله تجديد العهد، وأن يزيدوا في المدّة. فلما دخل المدينة، دخل على أم حبيبة، فأراد أن يقعد على فراش رسول الله ﷺ، فطوته عنه، فقال: ولم ذلك؟ قالت: فكيف تقعد على فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس؟ فلم أحب أن تجلس عليه.

فخرج من عندها، وأتى النبي ﷺ، فكلمه في ذلك، فلم يجبه، غير أنه قال: نقض أهل مكة العهد. فذهب إلى أبي بكر، فكلمه ليكلّم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، فخرج من عنده إلى عمر بن الخطاب، فقال له عمر: أأشفع لك عند رسول الله؟ (١٧٤) هل لا كان. فخرج من عنده، وأتى علي بن أبي طالب، وقال: يا علي، إنك أمس القوم رحماً، وأقربهم إليّ، وقد جئتك في حاجة، ولا أرجو أن أرجع خائباً، فاشفع لي إلى ابن عمك محمد، فقال له علي: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله ﷺ، على أمر لا أستطيع أن أكلمه فيه. فخرج أبو سفيان، وركب بعيره، وأتى قريشاً، وأخبرهم بذلك.

(١) عمرو بن سالم الخزاعي: سيد بني خزاعة، خرج مع النبي ﷺ، في المدينة بعدما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق. بما استحلوا من خزاعة، وكان في عقده وعهده. وكان ذلك مما أحاج فتح مكة. فوقف عمرو بن سالم عليه وهو جالس في المسجد بين ظهرائي الناس، فقال:

يارب إنسي ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلا
قد كنتم وُلدًا وكنّا وُلدًا	ثُمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانظر هداك الله نصرًا أعتدا	وادعُ عباد الله يأتوا مدا

فقال له رسول الله ﷺ: نُصرت يا عمرو بن سالم. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٦-٣٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢١٢-٢١٣.



وأما رسول الله ﷺ، فإنه أمر بالجهاز إلى مكة، وأخفى أمره، وقال: «اللهم خذ على أبصارهم، فلا يروني إلا بغتة». ولم يعلم به أحد إلا الله تعالى.

وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بما أجمع عليه رسول الله ﷺ، وأعطاه امرأة يقال لها ضغينة، ودفع لها عشرة دنانير وعشرة دراهم، وأمرها بالمسير إلى أهل مكة، وأن تدفع إليهم الكتاب، فنزل جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ، فأخبره بما فعل حاطب، فبعث النبي إليها علياً، والزيبر، وطلحة، والمقداد، وجماعة من المسلمين، كلهم فرسان، فانطلقوا في طلبها، حتى وجدوها عند الحليفة، وقالوا لها: أين الكتاب الذي أرسله معك حاطب إلى مكة؟ فقالت: ما عندي كتاب، ولا أرسل حاطب معي كتاباً، فحلفت لهم بالله، ففتشوا متاعها، فلم يجدوا معها كتاباً، فهموا بالرجوع. قال علي: ما كذب رسول الله، وسل سيفه، وقال لها: إما اخرجي الكتاب، وإما قطعت عنقك بهذا السيف، فلما رأت الجهد، قالت: اعرض عني، فأعرض عنها، وحلت رأسها، وأخرجت الكتاب من ذؤابتها، فدفعته إليه، فخلوا سبيلها، فأتوا النبي ﷺ، فدفع علي إليه الكتاب، فأرسل النبي إلى حاطب، قال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ولكن ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، ولي بين أظهرهم أهل، فأردت أن أتخذ بذلك عندهم يداً، وقد علمت أن الله منزل بأسه عليهم، وأن لا يغني ذلك عنهم، فصدقه رسول الله ﷺ. فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنقه، فقد نافق، فقال رسول الله: وما يدريك يا عمر؟ فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا﴾ [المتحنة: ١].

(١٧٥) ثم إن رسول الله ﷺ، بعث إلى من حوله من القبائل، بني سليم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وبني أشجع، وبني سليم، ليأتوه، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، واستخلف على المدينة كلثوم بن

حصين بن عتبة بن خلف الغفاري^(١)، وقيل: عبد الله بن أم مكتوم^(٢)، وخرج يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان، بعد العصر، فصام الناس، وصام النبي، وكانوا عشرة آلاف، فسار حتى بلغ الكديد^(٣)، وكان ذلك المكان بين عسفان، وأمج^(٤)، فأفطر، وأفطر المسلمون.

وقدم الزبير في مائتين، وعقد الرايات بقديد، ونزل مر الظهران عشاء، ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار، وأمر أصحابه أن يوقدوا عشرة آلاف نار، ولم تعلم قريش مسيرهم، وهم مغتمون، وخرج أبو سفيان، وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار، فقال أبو سفيان: ما رأيت كالليلة نيراناً، فقال بديل: هذه نيران خزاعة، فقال أبو سفيان: خزاعة أذلُّ من هذا.

(١) كلثوم بن حصين الغفاري: كلثوم بن الحصين بن عبيد بن خلف بن بدر بن أحميس بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، أبو رهم الغفاري. وهو مشهور بكينته. أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة، ولم يشهد بدرأ، وشهد أخذأ، وكان ممن بايع تحت الشجرة، وكان قد رُمي بسهم في نحره، فجاء النبي، فبصق فيه، فبرأ، وكان أبو رهم يسمى المنحور. استخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين: مرة في حميرة القضاء، ومرة عام فتح مكة، لما سار إلى مكة والطائف وحنين. وكان يسكن المدينة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٩٣.

(٢) عبد الله بن أم مكتوم: عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري، وهو عبد الله بن زائدة الأصم. وقال آخرون: هو عبد الله بن قيس بن مالك بن رواحة بن صخر بن عبد الله بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري. كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى المدينة. كان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة أكثر غزواته. وشهد القادسية فيما يقولون. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٩٩٧-٩٩٨.

(٣) الكديد: وهو موضع بالحجاز، ويوم الكديد: من أيام العرب، وهو موضع على بعد اثنين وأربعين ميلاً من مكة، وقال ابن إسحاق: سار النبي ﷺ إلى مكة في رمضان، فصام وصام أصحابه، حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أنظر. والكديد هو التراب الدقاق المركل بالقوام، وقيل: الكديد: ما غلظ من الأرض: انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٢.

(٤) أمج: الأمج في اللغة: العطش، وهو بلد من أعراض المدينة. وقال أبو منذر هشام بن محمد: أمج وجران واديان يأخذان من مرة بني سليم، ويفرقان في البحر. قال الوليد بن العباس القرشي: يا من على الأرض من غادٍ ومدلج أقرى السلام على الأبيان من أمج انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٠.



وكان قد خرج العباس يطوف، لعلّه يرى أحداً من قريش، يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه يستأمنوه، فعرف صوت أبي سفيان، فقال: يا أبا حنظلة، فعرف أبو سفيان صوته، فقال: العباس؟ قال: نعم، فقال: فذاك أبي وأمي، ومالك؟ فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ، أتاكم بما لا قبل لكم به. قال: فما الحيلة؟ فقال العباس: لئن ظفر بك، ليضربنّ عنقك، فاركب معي على هذه البغلة، حتى آتي بك رسول الله، فأستأمنه لك. فركب معه، فسارا، فكانا كلما مرّا على نار نادوهم من هذا؟ فإذا رأوا البغلة، قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ، وهذا النبي وعمر، حتى مرّا على نار بمحرس عمر، فقال من هؤلاء؟ فسكتا عنه، فقام عمر إليهما، فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة، قال: هذا عدو الله أبو سفيان، الحمد لله الذي مكن منك بغير عهد ولا عقد.

ثم خرج عمر يركض نحو النبي، فركض العباس البغلة، فسبقه إلى النبي، فدخل العباس قبله، ثم دخل عمر، فقال: يا رسول الله، هذا عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عهد، دعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله، إنني أجرته، ثم جلس عمر إلى رسول الله، فأخذ العباس برأس النبي، وقال: (١٧٦) والله لا يناجيه الليلة أحد دوني، وأكثر عمر في قتل أبي سفيان، فقال العباس: مهلاً يا عمر، فلو كان من بني عدي^(١) بن كعب ما قلت هذا، ولكنه من بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، لأنني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم، ثم قال رسول الله: «إذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت، فأنتني به»، فذهب ويات عنده.

(١) عدي بن كعب: عدي بن لؤي بن غالب بن فهر، من قريش، من عدنان، جدّ جاهلي من نسله عمر بن الخطاب وكثيرون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢١.

فلما أصبح، أتى به عند النبي، فلما رآه النبي، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله، فقال: بأبي وأمي أنت، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عني. فقال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ قال بأبي وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه في النفس منها شيء حتى الآن، فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان، أسلم قبل أن تضرب عنقك، فتشهد شهادة الحق، وأسلم، فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، فقال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.

فلما أراد أبو سفيان ليدخل مكة، قال النبي للعباس: إجلس به في مضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى ينظر أبو سفيان إلى جنود الله فيراها، فخرج العباس ومعه أبو سفيان، وحبسه هناك، فجعلت تمرُّ عليه القبائل على راياتها، كلما مرّت عليه قبيلة، قال: من هؤلاء يا عباس؟ فيقول: هؤلاء بنو فلان، فيقول: ما لي ولهؤلاء. حتى مرّ عليه رسول الله ﷺ، وعنده المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله، يا عباس، من هؤلاء؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ، في المهاجرين والأنصار، فقال: لا طاقة لنا بهم، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال العباس: يا أبا سفيان، إنها التوبة، قال: نعم.

ثم قال العباس: إلحق إذاً بقومك، فحذّروهم، فخرج سريعاً، فأتى مكة، وصرخ في المسجد بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، وقد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن. فقال الناس: وما يغني عنّا (١٧٧) دارك؟ فتفرق الناس إلى دورهم، وأغلقوا أبوابهم، ومنهم من دخل المسجد الحرام. وقال أبو سفيان: إذاً، أسلموا تسلموا، فقامت إليه زوجته هند بنت



عتبة، وأخذت بشعره، وقالت: لا تغزئكم أنفسكم، فقد جاءكم بما لا قبل لكم به.

ثم إن النبي بعث الزبير، وأعطاه راية، وأمره أن يركز الراية بأعلى مكة، بالحجون^(١)، وقال له: «لا تبرح حيث أمرتك أن تركز الراية حتى آتيك».

فلما بلغ النبي ﷺ بذي طوى، فرزق جنوده، فبعث علياً من ثنية المدنين^(٢)، وبعث خالد بن الوليد من الليط^(٣)، وأخذ النبي طريقاً آخر، وأمرهم أن لا يقاتلوا أحداً، إلا من يقاتلهم. فكل الجنود لم يقاتلوا أحداً، غير خالد، فإنه لقيه صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل في جمع من قريش وأحايشهم، فمنعوه الدخول، وشهروا السلاح، ورموا بالنبل، فصاح خالد بأصحابه، وقاتلهم، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً، وأربعة من بني هذيل، وقُتل من المسلمين رجلاً: كرز بن جابر، وخالد الأشعري^(٤). وجُرح

(١) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن من أهلها، وقال السكري: وكان من البيت على بعد ميل ونصف، وقال السهلي: على فرسخ وثلاثة، وعليه سقيفة آل زياد بن عبيد الله الحارثي عامل مكة أيام السفاح. وقال الأصمعي: الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزائر. وقال مضاض بن عمرو الجرهمي يتشوق إلى مكة لما أجلتهم عنها خزاعة:
 كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
 بلى نحن كنا أهلها فأنابنا صروف الليالي والجدود العواثر
 انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) ثنية المدنين: أو الثنية البيضاء وهي عقبة قرب مكة تهبط إلى فح وأنت قادم من المدينة وتريد مكة، أسفل مكة من قبل ذي طوى. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٥.
 (٣) الليط: اسم مكان أسفل مكة. قال ابن إسحاق: لما ورد النبي ﷺ عام الفتح مكة، أمر خالد بن الوليد، فدخل من الليط أسفل في بعض الناس، وكان خالد في المجنبة اليسرى، وفيها أشلم وعفار ومزينة وجهنية. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨.

(٤) خالد الأشعري: والصحيح خالد بن الأشعر الخزاعي الكعبي: اختلف في اسم أبيه. قال الواقدي: قتل خالد بن الأشعر مع كرز بن جابر بطريق مكة، عام الفتح. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٩٠.

عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف^(١)، فكتم جراحه، فكانت تصافحه الملائكة، وتسلم عليه طرفي النهار، ويسمع تسييحها، ولا يدري من هم.

ثم إنه اشتكى جراحه إلى أحد، فانقطعت عنه الملائكة، وما كان يسمع منها. فشكا ذلك إلى النبي، فقال له: كيف جرحك الذي أصابك يوم كذا وكذا؟ قال: لا يوجعني، فقال له: أشكوت وجعه إلى أحد؟ قال: نعم، قال: تلك الملائكة، كانت تحف بك لصبرك، فلما شكوته، انقطعت عنك، والذي بعثني نبياً، لو صبرت إلى أن تموت، لسلمت عليك الملائكة إلى أن تموت. فكان عمران يتلهب على ما صنع، إلى أن مات.

ثم هزم الله تعالى قريشاً، ولم يكن بمكة قتال غير هذا، فلما ظهر النبي ﷺ قال: «ألم أنه عن القتال؟» ف قيل له: خالد بن الوليد قُوتل فقاتل. وأمر النبي سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس، فقال سعد حين توجه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعه رجل من المهاجرين، فقال: يا رسول الله، اسمع ما يقول سعد، وما نأمن أن يكون له صولة في قريش. فقال النبي لعلي: أدركه، وخذ الراية منه، (١٧٨) وكن أنت الذي تدخل بها.

وَضُرِبَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ قَبَّةٌ بِالْحِجُونَ، ودخل مكة وعلى رأسه عمامة سوداء، فلما دخل مكة، ووقف على باب الكعبة، قال: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي، إلا سدانة البيت وسقايتي للعباس.

(١) عمران بن الحصين: عمران بن الحصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: من علماء الصحابة. أسلم عام خير سنة ٧هـ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولاه زياد قضاءها. وتوفي بها. وهو ممن اعتزل حرب صفين. له في كتب الحديث ١٣٠ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٧٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٣٥.



يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها، ألا إن أبا الناس آدم، وآدم من تراب، ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. يا أهل مكة، ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فأعتقهم، وقد أمكنه الله من رقابهم عنوة، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء.

وأقبل ﷺ إلى الحجر، فاستلمه، وطاف بالبيت، وكان في الكعبة يومئذ ثلاثمائة صنم وستون صنماً، فجعل يشير إلى كل صنم مَرَّ عليه بقضيب كان في يده، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، فيختر الصنم ساقطاً على وجهه، وكان أعظمها هبل، وهو على باب الكعبة، فأمر به النبي، فقطع رأسه، وجعله عتبة لباب السلام، يطأه الداخل والخارج برجليه، وهو صنم من حجر.

وأرسل النبي إلى عثمان بن طلحة^(١) ليعطيه مفتاح الكعبة، فأتاه علي، فمنعه إياه، وقال: لو علمت أنه نبي لدفعته إليه، فلوى علي يده عليه، وأخذ منه مفتاح الكعبة قهراً، وأتى به إلى الرسول، وفتح باب الكعبة، (ودخل النبي الكعبة)^(٢) وصلى فيها ركعتين، فقال له العباس: اجمع لي يا رسول الله السدانة مع السقاية، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمْتِنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

(١) عثمان بن طلحة: عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله القرشي العبدلي، من بني عبد الدار، صحابي، كان حاجب البيت الحرام، أسلم مع خالد بن الوليد في هدنة الحديبية، وشهد فتح مكة، فدفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة. ثم سكن المدينة ومات بها، وقيل بمكة، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ٢٠٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٧٢.

(٢) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٧٨.

[النساء: ٥٨]. فردّه النبي إلى عثمان بن طلحة، فهو في يد أولاده إلى يومنا هذا. ثم قال عثمان: أخذته منّي قهراً، ورددته عليّ باللطف، فقال: «إن الله أمرني برده إليك، فقرأ عليه الآية، فأسلم عند ذلك عثمان، ودفع النبي السقاية إلى العباس رضي الله عنه.

ثم أمر النبي ﷺ: «ألا من كان في بيته صنم (١٧٩) فليكسره. فكسروا الأصنام كلها. ثم أتى النبي ﷺ إلى الصفا، وجلس عليه، وجعل يبايع الناس على الإسلام، وعمر بن الخطاب أسفل منه يبايع له الناس على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من مبايعة الرجال، أقبل يبايع النساء، يبايعهن باللسان دون اليد، وهند بنت عتبة متقبة، وهي زوجة أبي سفيان، فقال ﷺ: «أبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئاً»، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأياناك أخذته على الرجال، فقال النبي: «وعلى أن لا تسرقن» فقالت هند: إن أبا سفيان شحيح، وقد أصبت منه هنات، فلا أدري أتحل أم لا؟ فقال أبو سفيان: هو لك حلال فيما مضى. فضحك رسول الله وعرفها، وقال لها: «وانك لهند بنت عتبة» قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله، فقال النبي: «وعلى أن لا تزني»، فقالت هند: أوتزني الحرّة؟ فقال: «ولا تقتلن أولادكن»، فقالت هند: ريبيهم صغاراً، فقتلوهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها قتل يوم بدر، فضحك عمر بن الخطاب، وتبسم النبي، ثم قال: «ولا تأتين بيهتان تفترينه بأيديكنّ وأرجلكنّ»، ومعناه أن تأتي بولد من غير زوجها فتنسبه إليه، فذلك البيهتان، فقالت: إن البيهتان والله لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «ولا تعصيني في معروف، فقالت: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك بشيء، ثم إنها جعلت تكسر صنمها وتقول: كُنّا منك في غرور.

ثم قال النبي ﷺ: «إن الله حرّم مكة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد



بعدي، وإنما حلت لي ساعة من النهار، ألا وإنها من ساعتني هذه حرام، لا يختلي هلالها، ولا ينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا تحل لقيطتها إلا لمنشدها». فقام العباس، وقال: يا رسول الله إلا الإذخر فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال النبي: «إلا الإذخر».

وهرب من أهل مكة عبد الله بن الزبير، ثم جاء فأسلم، وصفوان بن أمية خرج يريد جدّة، ليركب (البحر)^(١) فطلب له الأمان ابن وهب الجمحي^(٢) من النبي، فأعطاه له الأمان، فركب عمير، فأدركه بجدّة، فقال له: أخذت لك الأمان، فارجع، فرجع، وقال: زعم عمير أنك أمتني يا محمد؟ فقال النبي: «نعم»، قال: فاجعني بالخيار شهرين، قال: «أنت فيه (١٨٠) بالخيار أربعة أشهر». وعكرمة بن أبي جهل هرب إلى اليمن، فأخذت له الأمان زوجته أم حكيم^(٣) وكانت ذات عقل، وقد أسلمت يوم الفتح، فأعطاهم له الأمان، فأدركته بساحل من سواحل تهامة، فقالت أخذت لك الأمان من رسول الله، فارجع، ولا تهلك نفسك، فرجع، وأسلم، فقال النبي: «لا تعيروا عكرمة بكفر أبيه، فإن سب الميت يؤذي الحي»، ثم قال عكرمة: أما والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدّ عن سبيل الله إلا أنفقته أضعافها

(١) استدرّك من النسخة الأصلية ب، ص ١٧٩.

(٢) ابن وهب الجمحي: وهو عمير بن وهب الجمحي، وردت ترجمته سابقاً.

(٣) أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومية، صحابية، حضرت يوم أحد مع المشركين، ثم أسلمت يوم فتح مكة، وكان زوجها عكرمة بن أبي جهل قد فرّ إلى اليمن، فتوجهت إليه بإذن من النبي ﷺ، فحضر معها، وأسلم. وخرجت معه إلى غزو الروم فقتل، فتزوجها خالد بن سعيد العاص قبيل معركة مرج الصفر جنوبي دمشق، وأراد الدخول بها، فقالت لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع، فقال: إن نفسي تحدّثني أنني أقتل، فدونك، فأعرس بها عند «القنطرة» فعرفت بها بعد ذلك «قنطرة أم حكيم» ثم أصبح، فأولم، فلما فرغوا من الطعام وافاهم الروم، ووقع القتال، فقتل خالد، فشددت أم حكيم ثيابها، وقتلت بعمود الفسطاط الذي أعرس بها فيه خالد سبعة من الروم، وقتلت. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٢٦٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٠٩.

في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدّ عن سبيل الله، إلا بذلت ضعفه في سبيل الله. وعكرمة هذا ليس هو المذكور في كتاب الأشراف، ثم إنه اجتهد في القتال حتى قتل شهيداً يوم أجنادين، في زمن أبي بكر رضي الله عنه.

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزة، وهو صنم لقريش، وكانت تجلّه، وهو أعظم أصنامها وسيدها، لخمس ليال بقين من شهر رمضان، فخرج، وكسره، وهدم بيته، ورجع إلى النبي.

وبعث عمرو بن العاص إلى سواع، وهو صنم لهذيل، فمضى إليه وكسره، وهدم بيته، وأسلم على يديه سدنته، ورجع إلى النبي.

وبعث سعد بن زيد الأشهل إلى حنين، لقتال هوازن^(١)، وهي وادٍ قرب وادي الحجاز، فيبينها وبين مكة ثلاث ليال، وذلك أن هوازن لما سمعت النبي دخل مكة، وافتتحها، اجتمعت إلى بني ثقيف وبني جُشم وبني سعد، وفي جُشم دريد بن الصمة^(٢) وهو شيخ كبير، وعالم بالحروب، فخرج إليهم ﷺ

(١) هوازن: هو هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان، من عدنان، جدّ جاهلي، بنوه بطون كثيرة، كانت منازلهم ما بين غور تهامة إلى ما والى «بيشة» وناحية السراة والطائف، كان لهم صنم في الجاهلية اسمه «جهار» أقيم بمكاز. من بطون قبائلهم: بنو سعد، الذين منهم حليلة السعدية، وثقيف وفروعها، وعامر، وكلاب، وعقيل، وخفاجة، وهلال بن عامر، وغزيرة، وجُشم ابن بكر، وأخبارهم كثيرة في الجاهلية والإسلام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٨، ص ١٠١.

(٢) دريد بن الصمة: دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن، شجاع من الأبطال، الشعراء، والمعمرين في الجاهلية. كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة، لم يهزم في واحدة منها. وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين، وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين، فاستصحبته معها تيمناً به، وهو أعمى، فلما انهزمت جموعها، أدركه ربيعة بن رفيع السلمى فقتله. له أخبار كثيرة. والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٢، ص ٣٣٩.



في اثني عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار، ألفين من أهل مكة من الطلقاء، وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف، وعلى هوازن مالك بن عوف النضري^(١) وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل^(٢).

فلما التقى الجمعان قال رجل من الأنصار يقال له سلامة بن قيس: لن تغلب اليوم عن قلة، فساء ذلك النبي، ووكل المسلمون إلى كلامه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم المسلمون، وخلوا الذراري، قيل: بلغت خيلهم عند الهزيمة إلى عسفان وإلى جدّة، وانكشف المسلمون، ولم يبق مع النبي يومئذٍ غير العباس، (١٨١) وأبي سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وعمر بن الخطاب، وأبي بكر، وعلي، والفضل^(٣)، وطفق النبي ﷺ يركض بغلته، وكانت بغلته شهباء لا تألو ولا تقصر، وهو يقول: «أنا النبي لا أكذب، أنا ابن عبد المطلب».

(١) مالك بن عوف النضري: مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النضري، من هوازن، صحابي، من أهل الطائف، كان رئيس المشركين يوم حنين، قاد «هوازن» لحرب رسول الله ﷺ، وكان من الجرارين قال ابن حبيب: «ولم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس الفأه». ثم أسلم مالك، وكان من المؤلفه قلوبهم، وشهد القادسية وفتح دمشق، وكان شاعراً، رفيع القدر في قومه، استعمله النبي ﷺ عليهم، فكان يقاتل ثقيفاً قبل أن يسلموا، فلا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى يصيبه. وكانت داره في دمشق تعرف بدار بني نضر نزلها مالك أول ما فتحت دمشق، فعرفت به. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٦٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) كنانة بن عبد ياليل: كنانة بن عبد ياليل الثقفي، شاعر جاهلي، من أهل الطائف، كان رئيس ثقيف في زمانه. مدح النعمان بن المنذر، وأدرك الإسلام، وقدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف بعد حصار الطائف، فأسلم الوفد، إلا كنانة، فتوجه إلى بلاد الروم، فمات فيها سنة ١٥هـ/٦٣٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ٢٣٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٧٣.

(٣) الفضل: هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، من شجعان الصحابة ووجوههم. كان أسن ولد العباس، ثبت يوم حنين. وأردفه رسول الله ﷺ وراءه في صحبة الوداع، فلقب «ردف رسول الله». وخرج بعد وفاة النبي مجاهداً إلى الشام، فاستشهد في وقعة أجنادين (بفلسطين) وقيل: مات بناحية الأردن في طاعون عمواس، له ٢٤ حديثاً. وفي مدينة الرملة بفلسطين قبر قديم يقال: إنه مدفون فيه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٤٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

ثم أمر النبي ﷺ أن ينادى يا معشر الأنصار، يا معشر المهاجرين، وكان العباس رجلاً صيتاً، فنادى ونادوا: يا حماة السوء، اذكروا الفضائح، فتراجعوا، وعطف المسلمون حين سمعوا صوت العباس عطفة البقر على أولادها، والتفت النبي إلى عصابة من الأنصار، فقال: هل معكم غيركم؟ فقالوا: يا رسول الله، لو عمدت إلى برك العماد من اليمن لكنّا معك.

ثم التقوا بالمشركين، واقتتلوا قتالاً شديداً، ورشقهم الكفار بالنبل، وكانوا رماة حاذقين، فأخذ رسول الله بيده كفاً من الحصى، فرماهم وقال: «شاهت الوجوه، شاهت الوجوه، انهزموا ورب الكعبة» (انهزموا ورب الكعبة)^(١) فوالله ما زال أمرهم مدبراً، وحدهم كليلاً، حتى هزمهم الله تعالى، وأمد الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.

وروي أن شيبه بن عثمان^(٢) قال: استدبرت النبي يوم حنين أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، فأطلعه الله على ما في نفسي، فالتفت إليّ، وضرب صدري، فأرعدت فرائصي، فنظرت إليه وهو أحب إليّ من سمعي وبصري، فقلت أشهد أنك رسول الله، فإن الله أطلعك على ما في نفسي.

فلما هزم الله المشركين، وولوا مدبرين، انطلق النبي والمسلمون حتى أتوا أوطاس وبها عيال المشركين وأموالهم، فبعث النبي رجلاً من الأشعرين يقال له عامر^(٣)، وأمره على الناس، فقاتله من كان بها من المشركين عند الذراري، فقتل أبو عامر، وغنم المسلمون جميع ما في أوطاس.

(١) استدرارك من النسخة الأصلية ب، ص ١٨٠.

(٢) شيبه بن عثمان: شيبه بن أبي طلحة القرشي، من بني عبد الدار، صحابي، من أهل مكة، أسلم يوم الفتح، وكان حاجب الكعبة في الجاهلية، ورث حجابها عن آبائه، وأقره النبي ﷺ على ذلك، ولا يزال بنوه حجابها إلى اليوم. توفي شيبه سنة ٦٧٩هـ/٦٧٩م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٣، ص ١٨١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٦٤٥.

(٣) عامر: والصحيح أبو عامر الأشعري.



وهرب أمير المشركين مالك بن عوف النضري، وأخذ ماله وعياله، فأتى الطائف، فتحصن بها، فسار إليه النبي من فوره، وحاصره بمقبة الشهر، فلما دخل ذو القعدة، وهو شهر الحرام، لا يحل فيه القتال، رجع عنهم، وأتى الجعرانة، وقسم بها الغنائم والسبي والأموال، وقال: «لا تطأوا الحوائل حتى يحضن، ولا الحوامل حتى يضعن»، وكانت السبايا ستة آلاف، والإبل أربعة وعشرين ألفاً، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، والفضة أربعة آلاف أوقية، وتآلف النبي أناساً فيهم أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو (١٨٢) والأقرع بن حابس،^(١) وأعطى كل واحد الخمسين والمائة من الإبل، فقالت الأنصار: آثر قومك، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فجمعهم، وقال: «يا معشر الأنصار، ما هذا الذي بلغني عنكم؟»، قالوا: هو الذي بلغك، وكانوا لا يكذبون، فقال: «ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي، وكنتم أدلة فأعزكم الله بي؟»، فقال سعد بن عباد: آذن لي فأتكلم؟ قال: «تكلم»، قال له عمر: هل تدري من تكلم يا سعد؟ فقال: يا عمر، أكلم رسول الله وخير خلقه، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو سلكت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكان الأمراء أمراء الأنصار، الأنصار كرشي وعييتي، أي موضع سرّي، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم».

ثم قال: «يا معشر الأنصار، أما رضيتم أن ينقلب الناس بالشاء والإبل، وتتقلبون برسول الله؟»، فقالت الأنصار: رضينا من الله ورسوله، وما قلنا ذلك إلا ظننا بالله ورسوله، فقال: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

(١) الأقرع بن حابس: الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي، صحابي، كان من سادات العرب في الجاهلية، قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني دارم (من تميم) فأسلموا. وشهد حنيناً وفتح مكة والطائف، وسكن المدينة. وكان من المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة، واستشهد بالجزوخان سنة ٣١هـ/٦٥١م. وفي المؤرخين من يرى أن اسمه «فراس» وأن الأقرع لقب له لقرع كان برأسه. كان حكيماً في الجاهلية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، ص ٨٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٦٤ - ٢٦٧.

ثم جاء ناس من هوازن مسلمين، فسألوا النبي أن يرذ إليهم سبائهم وأموالهم، فأعطاهم ما سألوا، وسألهم عن مالك بن عوف، فقالوا: هو بالطائف، قال: «لو أتاني مسلماً لرددت إليه ماله وأهله، وأعطيته مائة من الإبل». فبلغ ذلك مالك بن عوف، فأتى النبي مسلماً، فأسلم، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وولاه على قومه، وعلى من أسلم من أهل الطائف ومن حولها. واستعمل النبي على مكة عتاب بن أسيد^(١) وجعل معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلمهم القرآن، وقفل راجعاً إلى المدينة يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقين من ذي القعدة.

وفي هذه السنة تزوج النبي مليكة الكندية، وكان أبوها قتل يوم الفتح، فقال لها بعض نساء النبي: لا تستحين، تتزوجين رجلاً قتل أبائك، فقيل: إنها استعازت منه، وقالت: أعوذ بالله منك، فقال: «عدت بكريم» فطلقها، وقيل: إنه لما أراد الدخول بها امتنعت ومانعته نفسها، ثم إنه قعد عنها، وقال لها: «تهيئي لي كما تهيأ المرأة لزوجها». فقالت: أنتهيأ الملكة للسوقة؟ فقال لها: اذهبي فأنتِ طالق.

وفي هذه السنة (١٨٣) ولد إبراهيم ابن النبي ﷺ، وأمه مارية القبطية، في ذي الحجة.

(١) عتاب بن أسيد: عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الرحمن، والبرقي قرشي مكّي، من الصحابة، كان شجاعاً عاقلاً، من أشراف العرب في صدر الإسلام، وأسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ عليها عند مخرجه إلى حنين سنة ٨هـ، وكان عمره ٢١ سنة وأقزّه أبو بكر، واستمر فيها إلى أن مات يوم مات أبو بكر الصديق سنة ١١هـ. وفي المؤرخين من ذكر أنه عاش والياً على مكة إلى أواخر أيام عمر، فتكون وفاته في أوائل سنة ٢٣هـ/٦٤٣م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ٤، ص ١٩٩ - ٢٠٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٤٩.

٥ مقدمة الطبعة الثانية
٧ تقديم
٦١ ترتيب الأبواب لهذا الكتاب

الباب الأول

٦٥ في ذكر بدء عبادة الأصنام واعتقادات أهل الشرك والضلال
٧٣ فصل في مذهب أهل الهند
٧٥ فصل في فرق اليهود
٧٧ فصل في فرق النصرى
٨٠ فصل في فرق المجوس
٨١ فصل في مذهب الفلاسفة

الباب الثاني

٨٥ في آراء العرب في الجاهلية وما كانوا عليه
----	--

الباب الثالث

١٠٥ في ذكر ملوك العجم والعرب، وذكر شيء من أخبارهم
١٢٨ فصل في ملوك حمير

الباب الرابع

١٥٣ في ذكر انتقال الأزدي إلى عُمان وإجلاء الفرس منها
١٦٩ فصل مقتل مالك بن فهم



١٧١ ذكر أخبار سليمة بعد موت أبيه

الباب الخامس

١٧٧ في معرفة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

الباب السادس

١٩١ في ظهور النبي محمد ﷺ

١٩٩ فصل في بدء الرسالة

٢٠١ فصل في أول من آمن بالنبي محمد ﷺ

٢٠٧ فصل في إسلام حمزة ﷺ

٢٠٩ فصل في إسلام عمر بن الخطاب ﷺ

٢١٨ فصل في الهجرة الأولى إلى الحبشة

٢٢٢ فصل في مقاطعة قريش لبني هاشم

٢٢٧ فصل في إسلام جن نصيبين

٢٢٩ فصل في تزويج النبي ﷺ بعائشة وسودة

٢٣١ فصل في بدء إسلام الأنصار

الباب السابع

٢٣٥ في ذكر المعراج وذكر طرف من الجنة والنار

الباب الثامن

٢٦٧ في ذكر بيعة العقبة

الباب التاسع

٢٧٧ في ذكر هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة

الباب العاشر

٢٨٩ في ذكر قدوم النبي ﷺ إلى المدينة

الباب الحادي عشر

٣٠٧ في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثانية من الهجرة

الباب الثاني عشر

٣٣٩ في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثالثة من الهجرة

الباب الثالث عشر

٣٦٣ في ذكر الأمور الحادثة في السنة الرابعة من الهجرة

الباب الرابع عشر

٣٧٩ في ذكر الأمور الحادثة في السنة الخامسة من الهجرة

الباب الخامس عشر

٤٠٩ في ذكر الأمور الحادثة في السنة السادسة من الهجرة

الباب السادس عشر

٤٣١ في ذكر الأمور الحادثة في السنة السابعة من الهجرة

الباب السابع عشر

٤٣٩ في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثامنة من الهجرة

رقم الإيداع: ٢٠١١/٣٠١

هذا الكتاب

يعد كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» درة المخطوطات العثمانية، والمصدر الأول في تاريخ عمان عبر العصور، أرخ فيه سرحان ابن سعيد الزكوي تاريخ عمان، ودون صفحات مشرقة من تاريخنا العربي والإسلامي في مراحلها المختلفة.

يمتلك هذا الكتاب قيمة علمية كبيرة تعكس حقيقة فهم الإزكوي للتاريخ كونه مرآة الشعوب والأمم، والمعين الذي تنهل منه أخبارها، ومصدر ثقافتها وحضارتها، وفيه تنبض ذاكرتها بالحياة وتحفظ أخبارها، وتخلد ماضيها.

في هذا الكتاب الموسوعي القيم قصة التاريخ العُماني والإسلامي كما رواها الإزكوي وفق منهجية علمية صحيحة، جعلت منه المصدر الرئيس لشيوخ المؤرخين العُمانيين الذين جاؤوا من بعده (حميد بن محمد بن رزيق - نور الدين السالمي - سالم بن حمود السيابي...) والذين يشهد لهم بالنزاهة والموضوعية والأمانة في كتابة التاريخ الإسلامي، وأعطته قيمة مضافة، ليس فقط للمؤرخين المعاصرين، بل وحتى للباحثين ومحبي الإطلاع على التاريخ والثقافة الإسلامية.